الذخائر ٨٥

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

تقديم

أ.د/ عبد الحكيم راضي

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الذخائر ٨٥

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الأول

تقديم

أ.د/ عبد الحكيم راضي

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٢٣٩٧

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 305 - 358 - x

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

الذخائر

رئيس مجلس الإدارة

أنس الفقى

أمين عام النشر

محمد السيد عيد

الإشراف العام

فكرى النقاش

رئيس التحرير

أ.د عبد الحكيم راضى

مدير التحرير

د. محمود فؤاد

سكرتير التحرير

جمال العسكرى

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى
١٦ أ ش أمين سامى قصر العينى – القاهرة
رقم بريدى ١٢٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

عزيزى القارئ .. تصدر **الذخائر** ابتداءً من هذا العدد وقد حققت بعض ما كنتَ تصبو إليه . كانت الأصواتُ قد ارتفعت عبر البريد والهاتف تطالب بتحسين نوعية الورق الذى تُطبع فيه ، وارتفعت أكثر تطالب بزيادة عدد المطبوع تلبيةً لحاجات القراء الذين لم تكن تصل إليهم سواء فى أطراف البلاد أو فى مناطق القلب ، كما ارتفعت أيضًا تطالب بزيادة ما تقدمه السلسلة من العناوين ، وكذلك توفير النسخ من كثير من الإصدارات السابقة .

وقد استجابت إدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ مشكورة ـ لكل ما طُلب إليها ، وسوف تلمس بنفسك ـ عزيزى القارئ ـ آثار هذه الاستجابة المشكورة : لقد تحسنت نوعية الورق ، وتقررت زيادة عدد المطبوع ، كما تقرر أن تصدر حلقات السلسلة مرتين كل شهر . وإنا لنرجو أن نكون دائما عند حسن ظن المثقف الجادّ فى مصر وفى كل أرجاء الوطن العربى .

عزيزى القارئ .. لقد حدث بعض التغيير فى هيئة تحرير السلسلة ، وهو ـ فى الواقع ـ تغيُّر شكلى ، لأن هيئة التحرير فى تشكيلها الجديد حريصة على استمرار السياسة التى أرساها الأستاذ الدكتور / محمود فهمى حجازى قبل أن يترك رئاسة تحرير السلسلة إلى عمل آخر يرفع فيه اسم مصر عاليا بالخارج ، حيث يعمل سيادته رئيسا لجامعة مبارك / نور بكازاخستان ، ذلك أن القائمين على أمرالسلسلة هم من بين زميل له وتلميذ ، ويعمل الجميع بنفس الروح التى بثَّها الأستاذ الدكتور حجازى ولنفس الأهداف التى سعى لتحقيقها ، الأمر الذى يستوجب منا جميعا التنويه بجهده والإشادة بعلمه وريادته .

تقديـم

الكتاب الذى نقدمه هذه المرة واحد من أهم كتب التراث العربى ، خاصة فى مجال إرساء قواعد الفكر البلاغى وترسيخ دعائم النظرية الأدبية ، وهو يجمع بين كونه كتابا فى الأدب ـ بالمفهوم الواسع القديم لكلمة (الأدب) الذى يعنى الأخذ من كل علم بطرف ـ وكونه كتابا فى النظرية الأدبية ، وإن كان استخلاص عناصر هذه النظرية يحتاج إلى مجهود خاص من القارئ ، يستطيع بمساعدته التدخل للمساهمة فى لمّ شمل النظرية وتصور اكتمالها .

وسبق أن قدمت (الذخائر) كتاب (الحيوان) للجاحظ ، كما قدمت أكثر من كتاب بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب (**البيان والتبيين**) الذى نقدمه هذه المرة لقراء الذخائر .

وقد طبع كتاب (**البيان والتبيين**) أكثر من مرة وبأكثر من تحقيق ، ولكن أفضل تحقيقاته هو ما قام به المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون ، كما أن أوفى طبعاته هى التى صدرت عن مكتبة الخانجى ، وعنها تصدر هذه الطبعة من الكتاب .

ولسنا بحاجة إلى التعريف بالأستاذ المحقق ، فقد سبق أن تحدثنا عنه مع صدور كتاب (الحيوان) ، وإن كان من واجبنا التنويه بالتعاون الصادق من جانب نجله الكريم الأستاذ الدكتور نبيل عبد السلام هارون فجزاه الله خير الجزاء .

أما كتاب البيان نفسه ـ هدفه ومسلك الجاحظ فى تأليفه ـ فإن ذلك يحتاج إلى وقفة مطولة للتعريف بالكتاب وهدفه ومنهج تأليفه وثقافة صاحبه .

(١)

اعتزال الجاحظ وثقافته

وليس من شأننا هنا أن نبحث فى نشأة المعتزلة كفرقة لها كيانُها المتميَّز من ناحية الموقف الفكرى ، ويكفى أن نكون على بينة من أن هذه الفرقة قد نشأت فى محيط الحركة الفكرية العامة التى أوجدتها محاولاتُ الفهم لمواضع الخلاف والتشابه فى النصّ القرآنى ، فضلا عن بعض العوامل السياسية ، وأنهم عُرفوا بمبْدأيهم الشهيرين (التوحيد والعدل) واتّخذوا منهما محوريْن فرّعواَ عليهما بقية المسائل التى أداروا عليها نقاشهم ومواقفهم مثل : حرية الإرادة ، وموقف مرتكب الكبيرة ، والكلام فى صفات الله ، وخَلْق القرآن ... إلخ . وأنهم عُنوا بدرس الفلسفة والمنطق واتخذوا منهما وسيلة لتثبيت آرائهم ونقض آراء خصومهم ، مما كان له أثره فى أساليب الخطابة والحوار والجدل عندهم من ناحية ، وفى آرائهم النظرية فى هذه الفنون ـ وغيرها من فنون القول ـ من ناحية أخرى .

غيرّ أن من الضرورى أن نذكر أن المعتزلة وإنْ جمعتهم مبادئهم العامة المشهورة فى التوحيد والعدلُ وما تفرّع عليهما من فروع ... فقد اختلفت بهم المواقف فى كثير من القضايا .. ولذلك انقسموا فى داخلهم ـ بسبب الخلاف فى التفاصيل ـ إلى فرق صغيرة **كالبشْرية** أتباع بشر بن المعتمر ت ٢١٠، **والمعمَّرية** أتباع مُعمَّر بن عباد السّلمى ت ٢١٥ ، **والمريسية** أتباع بشر المريسى ت ٢١٨ ، **والنظّامية** أتباع إبراهيم بن سيّار النظّام (ت بعد ٢٢٠) والثُّمامية أتباع ثُمامة بن أشرس النمرى (قتل فى خلافة الواثق) ... إلخ .

وكان من هذه الفرق أيضا **الجاحظية** ، قال القاضى عبد الجبار: «الجاحظية أصحاب عمرو بن بحر ، أبى عثمان الجاحظ ، كان من فضلاء المعتزلة والمصنّفين لهم » [1] ، وجاء فى (الفَرْق بين الفِرَق) للبغدادى أن

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة ، تحقيق الدكتور النشار ص ٢١٦ ، والملل والنحل للشهرستانى ٧٥/١ ، وهو ينقل عن القاضى عبد الجبار .

الجاحظية هم « أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهم الذين اغتروّا بحُسْن بيان الجاحظ فى كتبه التى لها ترجمة تروق بلا معنى » [١] .

ويُوحى استقلالُ الرجل بفرقةٍ خاصة تُنسب إليه باستقلاله بمجموعة من الآراء كونّها حول عدد من القضايا ، يقول البَلْخى ت ٣١٩ « ومما تفرد به: القول بأن المعرفةَ طباعٍ ، وهى مع ذلك فِعْلٌ للعارف وليست باختيار له، وهو يوافق ثمامةَ فى أنه لا فعل للعبادِ على الحقيقة إلا الإرادة ، ولكنه يقول فى سائر الأفعال إنها تُنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بإرادتهم . وليس يجوز أن يكون أحد يبلغ فلا يعرف الله »[٢].

ويذكر المسعودى أنه « كان غلامَ إبراهيم بن سيَّار النظام ، وعنه أخذ ومنه تعلم » [٣] .

وجاء في (سَرْح العيون شرح رسالة ابن زيدون) أنه « اشتغل على أبى إسحاق النظام ... بمذهب الاعتزال » [٤] .

وواضح أن ثقافته تتضمّن فى مكوناتها العناصر الكلامية والفلسفية فهو يتلقى الاعتزالَ على النظّام ، ويتأثر بثمامة بن أشرس - زعيم فرقة الثمامية من المعتزلة - فى القول بأن العباد ليس لهم فعل غير الإرادة ، بينما يلوح فى حديثه عن (الطباع) صدى الفلسفة الطبيعية ، يقول القاضى عبد الجبار ، « وقد زاد على ذلك (يعنى على القول بالإرادة) بإثبات الطبائع للأجسام ، كما قال الطبيعيّون من الفلاسفة ، وأثبت لها

---

(١) الفرق بين الفرق ١٠٥ .

(٢) أبو القاسم البلخى ، مقالات الإسلاميين - باب ذكر المعتزلة ٧٣ من مجموعة (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) نشر فؤاد السيد .. تونس د . ت

(٣) مروج الذهب ٤/ ١٠٩ ط . بيروت .

(٤) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة ص ٢٤٨ حققه أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربى - مصر ١٩٦٤ .

أفعالا مخصوصة » ويضيف أن « مذهب الجاحظ هو بعينه مذهبُ الفلاسفة، إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيّين » وأنه « قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروّج كثيرا من مقالاتهم بعبارته البليغة » (١).

وجاء في (سرْح العيون ...) أنه « تأمل كتبَ الفلاسفة ومال إلى الطبيعيِّين منهم ، وسادَ على المتكلمين منهم بفصاحته وحسن عبارته »(٢).

وفي مثل هذه التصريحات ما يؤكد معرفةَ الرجل بالتراث اليوناني خاصة في جانبه الفلسفي - حتى عصره ، وهو ما يؤكده ورودُ أسماء كثيرين من هؤلاء الفلاسفة وأسماء كتبهم في مواضع عديدة من مؤلفاته (٣) .

وتدل إشاراته الكثيرةُ إلى أرسطو على معرفته بنتاج هذا الفيلسوف الذي يبدو أنه كان يعرف عنه الكثيرَ من التفاصيل ، وهو ما يعزِّزه وصفه له بأنه كان « بكيءَ اللّسان غير موصوف بالبيان » (٤) ولعل مما يدعم القول بعمق معرفته به ما نسبه البعض إليه من سلْخِ معاني كتاب الفيلسوف

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة ٢١٦ ، ٢١٧ ، وهذه الأخبار بنصها في (الملل والنحل) ١/ ٧٥.

(٢) سرح العيون ص ٢٤٩ .

(٣) من أعلام الفلسفة والفكر اليوناني الذين وردت أسماؤهم في مؤلفات الجاحظ : أرسطاطاليس ، أفلاطون ، إقليدس ، بطلّيموس ، جالينوس ، ديمقريطس ، هرمس . راجع : البيان والتبيين ٢٧/٣ ، الحيوان ٧٤/١ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ورسالة في الحنين إلى الأوطان ، ورسائل ٣٨٧/٢ ، التربيع والتدوير - رسائل - ٣/ ٧٢ ، الرد على النصارى - رسائل ٣١٤/٣ ، ٣١٥ حيث يرد حديث الجاحظ عن بعض هؤلاء الفلاسفة وعن كتبهم باعتبارها موجودة في أيدي الناس . ويشير كراتشكوفسكي إلى ميل الجاحظ إلى الفلسفة الطبيعية ، راجع : البديع عند العرب ص ٤٢ - ضمن (دراسات في تاريخ الأدب العربي).

(٤) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ٧٣/٧٤ ، حيث يورد المؤلف احتمال صحة هذا الوصف .

اليونانى عن (الحيوان) وتضمينها كتابَه الذى يحمل نفس الاسم ، والذى يطلق عليه بعض القدماء اسم (طبائع الحيوان) ، وهو اتّهام يعززه أصحابُه برغبة الجاحظ فى ترويج مقالته عن (الطبائع) [١].

والواقع أن المتكلمين قد نظروا إلى الثقافة الفلسفية على أنها جانب مهم فى تكوين المتكلِّم ، بحيث لا يتحقق له التمكنُ من مهمته إلا بإتقان هذا الجانب ، يقول الجاحظ : « ولا يكون المتكلمُ جامعا لأقطار الكلام ، متمكّنا فى الصناعة ، يصلُح للرياسة .. حتى يكون الذى يُحسن من كلام الدّين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة ، والعالِم عندنا هو الذى يجمعهما » [٢] وفى وصفه لكتابه (الحيوان) يقدمه بقوله : « وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العربُ والعجَم ، لأنه وإن كان عربيا أعرابيا ، وإسلاميا جماعيا .. فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السّماع وعلم التجربة » [٣] .

ولست أريد الاستطرادَ فى تأكيد هذا الجانب ، فقد وقف عليه كثيرون ممن تعرّضوا للحديث عن المعتزلة وأصحاب الكلام عموما [٤] ، كما أن شيئا مما قدمنا عن هذه الجوانب عن ثقافة الرجل لا يُراد لذاته وإنما لما يمكن أن يكونَ له من انعكاسات على آرائه فى الفن القولى . ويكفى أن نذكر فيما نحن بصدده أنّ عددا لا بأس به من الآراء والمبادئ التى نادى بها الفلاسفة والسوفسطائيون قد لوحظ صداها فى كتابات الجاحظ وكلام من ينقل عنهم ويعتمد آراءَهم ، ويعُد البعض منْ هذه المبادئ : مبدأ المطابقة بين الكلام

---

(١) ممن قال بهذه التهمة : الإسفرايينى فى (التبصير فى الدين ...) والبغدادى فى (الفرق بين الفرق).

(٢) الحيوان ٢/ ١٣٤ .

(٣) الحيوان ١/١١ .

(٤) راجع - مثلا - البلاغة تطور وتاريخ ٣٥ ، وأدب المعتزلة ١٤٠ .

وحال المخاطب ، وهو ما عُرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال[١]، وكذلك مبدأ الحديث عن الشيء وضدِّه ، أو تحسين الشيء وتقبيحه [٢] .

ونحن نعرف أن آراءه فى قضايا (المعرفة) و (الإرادة) و (الطِّباع) وكذلك معرفته بنظرية الأوساط ... كلّ ذلك لم يكن بعيدا عن مواقفه ونظراته الخاصة إلى جوانب الفنّ القولى ، وهو ما يَعنينا تسجيله ، أعنى - كما سبق القول - تسجيلَ ما كان للفكر الكلاميّ والفلسفى لدى الرجل من تأثير على رؤيته للفن القولى .

على أن الجاحظ لم يكن من أولئك المتكلمين المنحصرين فى دائرة الفكر الكلامى والفلسفيّ فحسب ، أعنى أن شهرته لم تكن مستمدةً من كونه مجردَ متكلم كما هو الحال مع أمثال النظام أو ثمامة أو بشر المريسى وغيرهم، وإنما كان يستمد شهرتَه من هذا الجانب ، كما كان يستمدها من هذه المؤلَّفات الكثيرة التى خلّفها فى مختلف فروع الثقافة التى عُرفت فى عصره والتى تنم عن اطلاع واسع عميق على تراث الفكر الإنسانى حتى وقته ، سواءً فى ذلك التراث العربى أو تراث الأمم الأخرى الذى جرت ترجمته .

وقد مر بنا الحديثُ عن الجانب الأخير ، أعنى ثقافته بتراث الأمم الأخرى ، أما ثقافته العربية فيكفى لمعرفتها أن نقرأ فى بعض تراجمه أنه « العلامةُ النحويّ ، اللغويّ ، الإخبارى ، المتكلّم المعتزلى ، وأحد رءوسهم .. « وأنه « سمع من أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنى وأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى . وأخذ علم النحو عن أبى حسن الأخفش - وكان صديقَه ... وتلقّف الفصاحة عن العرب شِفاها بمِرْبَدِ البصرة » [٣] .

---

(١) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ٣١ والنزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ ٩٣ .

(٢) النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ٩٤ .

(٣) إرشاد الأريب ١٦/ ٧٦ .

وقد انعكست هذه الثقافة الواسعةُ فى تنوع مؤلفاته وغناها وشمولها .

جاء فى (إشاردالأريب ..) لياقوت : « وقال المرزبانى : قال أبو بكر أحمد بن على .. وله كتب كثيرة مشهورة جليلة فى نُصرة الدين وفى حكاية مذهب المخالفين ، والآداب والأخلاق ، وفى ضروب من الجِدّ والهزل ... وإذا تدبر العاقلُ أمر كتبه عَلِم أنه ليس فى تلقيح العقول وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره ، وإيصال خلافِ الإسلام ومذاهبِ الاعتزال إلى القلوب كتبٌ تشبهها » (١) .

ويعد كتاب (البيان والتبيين) - أو (البيان والتبيُّن) كما ذهب بعض الباحثين مؤخرا - من أهم هذه الكتب ، إن لم يكن أهمها جميعًا ، يقول المسعودى « وله كتب حسان ، منها كتاب (البيان والتبيين) وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار ، وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به »(٢) وجاء فى ياقوت أيضًا ما يدل على أن الكتاب قد دخل إلى الأندلس فى حياة الجاحظ وقبل موته بحوالى عشرين عاما على الأقل (٣) مما يدل على مكانة الكتاب وقيمته لدى الدارسين فى عصره وبعد عصره .

---

(١) ياقوت - إرشاد الأريب ١٦/ ٧٦ .

(٢) مروج الذهب ١٠٩/٤ .

(٣) الإرشاد لياقوت ١٠٥/١٦ ، ١٠٦ .

(٢)

كتاب (البيان والتبيين) بين مدارس التأليف البلاغي

ويبدو أن التعددَ في ثقافة الرجل ومصادر تفكيره كان وراء الاختلاف في طابع كتابه ، وذلك ما نجده في محاولات البعض من المحدثين سَلْكَهُ ضمن هذه المدرسة أو تلك من مدارس التأليف البلاغي ، معتمدين على نصٍ لأبي هلال العسكري في (الصناعتين) يوازن فيه بينَ منْحَيَيْن من مناحي التأليف ، أطلق على أحدهما (مذهب المتكلمين) وعلى الآخر (مقصد صُنّاع الكلام من الشعراء والكتاب) (١) .

ومع ذلك فليس بوسعنا أن نسلّم بما لدينا من تفسيرات المحدثين لمقصد أبي هلال في نصّه المشار إليه ، على الأقل فيما يتعلق بموقع الجاحظ في (البيان والتبيين) بين هذين المنحيين .

فالدكتور سيد نوفل قد فهم من عبارة أبي هلال هذه أن الجاحظ ينتمي - في هذا الكتاب - إلى الفريق الثاني - فريق صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب - وقال عنه : إنه « في جملته رجل أديب اتبّع طريقة أدبية تُعنى بإيراد النماذج والإكثار من الأمثلة والآثار الأدبية شعرها ونثرها ، وقد عَرَفَ له هذا المتأخرون ، فقال أبو هلال - بعد أن قرر أنه شارحٌ للجاحظ ومنظم للمتفرق عنده ، وبعد أن تحدث في الفصل الأول موجزا عن ماهية الفصاحة والبلاغة - (وليس الغرضُ من هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكتاب) وهذا صريح في الدلالة في أنه قد اتبّع الجاحظ في سلوك طريقة صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، وأن الجاحظ لم يسلك طريقة المتكلمين »(٢).

---

(١) الصناعتين ١٥ .

(٢) البلاغة العربية في دور نشأتها - سيد نوفل ١٧٦ .

أما الأستاذ أمين الخولى فيحدثنا ـ اعتمادا على القرائن ، وعلى الأدلة التى من بينها عبارة أبى هلال ـ عن طريقتين فى التأليف البلاغى ، الأولى: **طريقة المتكلمين** ، والثانية : **طريقة الأدباء** . « فأما الطريقة الأولى فتمتاز بخاصّة أهلها المتكلمين فى الجدَل والمناقشة ، والتحديد اللفظى والعناية بالتعريف الصحيح والقاعدة المقرَّرة والإقلال من الشواهد الأدبية وعدم العناية بالناحية الفنية فى خصائص التراكيب ، وتقدير المعانى الأدبية ، واستعمال المقاييس الحكمية الفلسفية المعتمدة على قواعد منطقية أو نظريات خلقية ، أو مقررات طبية فى الحكم الأدبى دون نظر إلى معانى الجمال وقضايا الذوق » (١) .

« وأما الطريقة الثانية وهى طريقة الأدباء فى درس البلاغة فتمتاز بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نثرها وشعرها ، والإقلال من البحث فى التعريف والقواعد والأقسام وتعتمد فى النقد الأدبى على الذوق الفنى وحاسة الجمال أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النظر المنطقى ، ولا ترجع فى ذلك إلى أصول الفلسفة من خُلُقيات أو غيرها ، ونرى هذا فى مثل كتابة أبى هلال فى (الصناعتين) يسوق فى المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن والحديث وكلام العرب نثرا وشعرا ، ويعتمد فى النقد الأدبى على الذوق غير مكتف بالصحة العقلية والسّلامة النظرية » (٢) .

ويضع الأستاذ الخولى أبا عثمان الجاحظ ضمن أصحاب الطريقة الأولى، ففى حديثه عن صلة البلاغة فى دور نشأتها بالفلسفة ــ وهى الصلة التى تجلت فى أن البلاغة « عاشت فى كنف رجال الفلسفة وتحت رعايتهم » وأنّ « جمهرة الأقلام التى خدمتها أقلامُ فلاسفة أو متفلسفين »

---

(١) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ـ ضمن كتاب (مناهج تجديد) ص ١٥٩ .

(٢) أمين الخولى ، المرجع السابق ١٦٠ ، ١٦١ .

- يعدّ من هؤلاء المتفلسفين « سَهْلَ بن هارون ... وكان حكيما يتعاطى الفلسفة ، وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... وكان حكيما قرأ كتب الفلاسفة من اليونان والفرس والروم والهند ، وكان رأسَ فرقة فى الاعتزال نُسبت إليه فسُمِّيت (الجاحظية) ... » [١].

الجاحظ - إذن - فى تقدير الأستاذ الخولى من أصحاب المدرسة الكلامية فى التأليف البلاغى الذين يعلن أبو هلال تنكب طريقهم فى كتابه . وهو فى تقدير الدكتور نوفل من مذهب صناع الكلام من الشعراء والكتاب ، وهذا ما يزيد من تعقد المشكلة . فمن المفروض - وفقا لتقدير الأستاذ الخولى - أن نجد فى كتاب (البيان) كل سمات مدرسة المتكلمين ، أو معظم هذه السمات من جدل ومناقشة وتحديد لفظى وعناية بالتعريف والقاعدة والإقلال من الشواهد الأدبية ... إلخ ، وذلك - فى واقع الأمر - ما لا نجده ، باستثناء النقل لعدد من تعاريف بعض المصطلحات دون تدخل - غالبا - وباستثناء المناقشة والجدل اللذين هما طابع كتابة الجاحظ بوجه عام . كما أنهما - فى الحقيقة - غيرُ قاصرين على كتابات المتكلمين ، ويكفى أن نشير إلى ابن الأثير - ضياء الدين - وهو فى تقسيم الأستاذ الخولى من مدرسة الأدباء لنجده - خاصة فى (المثل السائر) - من أكثر الناس جدلا ومناقشة واهتماما بالحَدّ والتعريف اللذين نجدهما عند بلاغىّ آخر من نفس طريقة الأدباء - عند الخولى - وهو البهاء السبكى .

فإذا جئنا إلى المبررات التى يمكن أن تكون وراء تقسيم الدكتور نوفل وسَلْكه للجاحظ فى مدرسة صناع الكلام من الشعراء والكتاب .. وجدنا لدى الجاحظ كثرة الشواهد والأمثلة ، ووجدنا الابتعاد - فى أغلب الأحيان - عن الحدود والتعريفات والقواعد ، وهذه كلها من سمات طريقة الأدباء - كما يشرحها الأستاذ الخولى - وبالتالى فهى تقرّب الجاحظ - فى البيان

---

(١) نفس المرجع ١٤٥ ، ١٤٦ .

والتبيين - من حدود هذه الطريقة ، وعلى العكس من ذلك نجد أبا هلال نفسه لا يُسقط مبدأ الحَدّ والتعريف من كتابه : فالباب الأول عنده - مثلا - فى (الإبانة عن موضوع البلاغة فى أصل اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها وذكر حدودها)[١] ، والفصل الأول من الباب السابع فى (حدّ التشبيه)[٢] كما أن منحى النِّظام واضح فى كل أبواب الكتاب وفصوله على نحو قد يفوقُ ما عند المتكلمين من معاصريه - كالرّمانى والباقلانى - فى مؤلفاتهم البلاغية ، بحيث لا نستطيع أن نقول إن ما رَفضَهُ أبو هلال من (مذهب المتكلّمين) هو التحديد والتنظيم ، كما أننا لا نستطيع القولَ بأنه رفض مذهبَهم فى أن يكون البحثُ البلاغى وسيلة إلى معرفة الإعجاز القرآنى ، لأنه صريح فى مقدمة كتابه فى القول بأن « أحق العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤُه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى »[٣] .

وإذن فما الذى رفضه أبو هلال من مذهب المتكلمين فى التأليف البلاغى ؟ ثم هل كان أمامَه - أو فى ذهنه - نموذجٌ آخرُ غير كتاب الجاحظ وجّه إليه الرفض ؟

وبالنسبة للسؤال الثانى فقد كانت هناك مؤلفات لعدد من المتكلمين تنطلق جميعها من قضية الإعجاز ، ويتسم الحديثُ فيها بالعموم ليشمل بالنقاش ما وقفوا عليه من قضايا العبارة الأدبية ، من هذه المؤلفات : (النكت فى إعجاز القرآن) للرمانى ت ٣٨٦ ، و (بيان إعجاز القرآن) للخطابى ت ٣٨٨ . وربما كان أمامه أيضا عدد من الكتب فى نَظْم القرآن مما لم يصل إلينا ، ككتاب أبى بكر السجستانى (عبد الله بن أبى داود

---

(١) الصناعتين ص ١١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ص ٧ .

ت ٣١٦) وكتاب أبى زيد البَلْخى (أحمد بن سليمان ت ٣٢٢) وكتاب ابن الإخشيد (أبو بكر أحمد بن على المعتزلى ت ٣٢٦) ، وجميعها تحمل عنوان (نظم القرآن) .

غير أن معرفة الكتب التى كانت فى تصوره وهو يرفض سلوك مذهب المتكلمين لا تُغنى عن محاولة التبصّر بحقيقة ما وَجّه إليه رفضَه من هذا المذهب، وهنا نعود إلى عبارة العسكرى ، وإلى السياق الذى جاءت فيه .. لقد جاءت هذه العبارة فى نهاية الفصل الأول من الباب الأول ، وهو الفصل الذى عقده (للإبانة عن موضوع البلاغة فى اللغة وما يجرى معه من تصرف لفظها ، والقول فى الفصاحة وما يتشعّب منه) ، وفيه يستعرض بعضَ الدلالات اللغوية لكلمتى (البلاغة) و (الفصاحة) ليتطرق منها إلى بعض دلالاتهما الاصطلاحيّة ، ثم يصرح فى نهاية الفصل بقوله : « وليس الغرض فى هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت مقصد صُنّاع الكلام من الشعراء والكتاب ، فلهذا لم أُطِلْ الكلام فى هذا الفصل » [(١)].

فهو لا يُطيل الكلام لأنه لا يقصد إلى سلوكَ مذهب المتكلمين، وإذن فالإطالة فى رأيه من سمات مذهبهم ، وبالتالى فالاختصار هو السمة البارزة لمن يقصد مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب . غير أنّ أبا هلال نفسَه لم يسْلم من هذه الإطالة فى كتابه ، كما أن الإيجاز أصبح سمة لكتابات بعض المتكلمين ، وبذلك يبقى الوصف بالإطالة تعريفا غير مانع، وهو غير جامع بالقطع ، لصفات طريقة المتكلمين .

وهنا تُسعفنا بعضُ نصوص من الجاحظ نفسه يشير فيها إلى بعض معالم (طريقة المتكلمين) فى التأليف ، من ذلك قوله فى مطلع بعض رسائله :« كما نحبَ أن يخرج هذا الكتابُ تاما ، ويكون للأشكال الداخلية

(١) الصناعتين ١٥ .

فيه جامعًا ... حتي يُجتنَب فيه العويصُ ، والطرق المتوعّرة ، والألفاظ المستنكَرة ، وتلزيق المتكلفين، وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين»[١].

وهناك نص آخر يصفُ فيه ـ علي لسان أحد قُرائه ـ طريقةَ المتكلمين ـ أو بعضهم ـ في التأليف : « وقلتَ : اكتب إليّ كتابًا تقصد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى إصلاح القلوب ... دون الذى عليه أكثر المتكلمين من التطويل، ومن التعمّق والتعقيد ومن تكلف مالا يجب وإضاعة ما يجب[٢].

إنّ تأملَ النص الأخير على وجه الخصوص وعرْضَ ما فيه على كلام العسكرى عن كتاب الجاحظ ، ثم على كلامه عن كتابه هو (الصناعتين) يكاد يكشف عن الصفة ـ أو الصّفات التى رفضَها أبو هلال مما ورد فى كتاب الجاحظ حقيقةً ـ أو توهما من أبى هلال نفسه ـ فالتطويل والتعمق والتعقيد وتركُ ما يجب وإقحام مالا يجب والخوض فى تعقيدات المذاهب ـ وهو مضمون النصّ الأول ـ هى العيوب التى يمكن القولُ إن العسكريّ قد أخذها على طريقة المتكلمين فى التأليف ربما وجد بعضَها فى كتاب الجاحظ، ومن هنا كان وصفُه له بأن « الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثةٌ فى تضاعيفه ، ومنتشرة فى أثنائه ، فهى ضالةٌ بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمّل الطويل والتصفّح الكثير ، وبالتالى كان ما وعد به من مجيء كتابه « مشتملا على جميع ما يُحتاج إليه فى صنعة الكلام ـ نثره ونظمه ـ ويستعمل فى محلوله ومعقوده من غير تقصير وإخلال وإسهاب وإهذار[٣].

---

(١) كتاب النساء ـ رسائل ١٥٢/٣ .

(٢) فصل من صدر كتاب الجاحظ فى خَلْق القرآن ـ رسائل الجاحظ ٣/ ٢٨٥ .

(٣) الصناعتين ١١ .

فالإحاطةُ بالموضوع ، وإيضاحُ جوانبه وعدمُ الخروج عنه ، والتعرضُ لكل أقسامه دون إخلال يُوقع في الغموض أو إسهاب يورث التشتّتَ هي الصفات التي قصد إليها العسكري ، وذلك في مقابل إطالة الجاحظ ، وتشعّب الحديث في كتابه بدرجة قد تتوه معها - على غير الخبير بطريقة الجاحظ - بعضُ الحقائق ، ويُنسى بعضها الآخر وليس غير ذلك من طريقة المتكلمين يمكن نسبتهُ إلى كتاب الجاحظ . وهنا نعود إلى الحديث عن سَلْك الكتاب في نظام إحدي المدرستين لنجد أن القطع بانتمائه لإحداهما غيرُ دقيق ، لأن الجاحظ في الواقع عالَمٌ وحده ، ومن الصعب إخضاعُ طريقته في (البيان والتبيين) لنظام بعينه في التأليف ، فمن ناحية : يرفض الرجلُ - وهو المتكلم المعتزلي - أن يستخدمَ المتكلمون ألفاظهم الخاصةَ في غير مقامات الكلام ، ولا شك أنه كان على وَعْيٍ بأن الحديثَ فيما يتصل بالأنواع الأدبية خلافُ الحديث في قضايا الفلسفة والكلام ، والناظر في مؤلفاته يتبين لديه تلك القدرة العجيبة على الاستغراق في الموضوع الذي يكتب فيه حتى ليظن القارئ أنه لا يحسن غيره .

من هنا كان ذلك المنحى الأدبي في السرد وإيراد كل ما يتصل بموضوع القول بطريقة تفوِّت على القارئ أيَّ شعور بطول الحديث أو الملل من القراءة .

أكثر من هذا نجد أنّ جنوحه إلى الإطالة والسّرد وسوق النماذج والخروج من لفتة إلى أخرى ، لم يكن - كما ظنّ الكثيرون - مسلكا بلا ضابط ولا هدف ، فقد كان الرجلُ - كما سنرى - قاصداً لصنيعه ، واعيا بالهدف منه . وهذا ما يكشف عنه الحديث عن بنية الكتاب في حدود هدفه .

(٣)
بنيةُ الكتاب وطريقة تأليفه في حدود هدفه

بين التنظير والتأديب :

في حديثه عن (علم الأدب) يطالعنا ابنُ خَلدون في مقدمته بأنه سمع من شيوخه في مجالس التعليم أنّ أصولَ هذا الفنّ وأركانَه أربعةُ دواوين هي :

(أدَبُ الكاتب) لابْنِ قُتيْبة
وكتابُ (الكَامِل) للمُبرّد
وكتاب (البيانِ والتّبيين) للجَاحظ
وكتابُ (النّوادِر) لأبي عليّ القَالي[١]

والواقع أنّ كتابَ (البيان والتبيين) ينفرد من بين الكتب التي ذكرها ابنُ خَلدُون بأكثرَ من ميزة ، فهو إلى جانب كونه أَحَدَ المؤلفات الكبرى في (علم الأدب) ـ بمفهوم القدماء ـ يُعَدّ ـ تقريبا ـ أقدمَ المراجع العربية التي تعرّضت للبحث في نظريّة الفن الأدبي كما يتمثل في فنّ الخَطابة وفن الجدل والمُناظرة وغيرهما من الأشكال الأدبية كالشّعر والرّسائل ، اللذيْن كثيرا ما ينسحبُ عليهما الكلامُ عن الخَطابة[٢] .

ويبدو أنّ الوصفَ الأخير للكتاب ـ أعني النّظر إليه كمرجعٍ في نظرية الفن القوليّ ـ قد سيْطَر على نظرة كثير من المحدثين إلى الكتاب ، بحيث أغفلوا ـ غالبا ـ صفته الأخرى ، وهي كونُه كتابا في (علم الأدب) أيضًا ،

---

(١) مقدمة ابن خلدون . ط . كتاب الشعب ص ٥٢٢ .

(٢) في أولية الجاحظ في التأليف في نظرية الفن القولي يُراجَع : تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر لطه حسين ص ٣ ، والبديع عند العرب لكراتشكوفسكي ص٤١ ، وبلاغة أرسطو بين العرب واليونان لإبراهيم سلامة ص ٦٩ .
والنقد المنهجي عند الجاحظ لداود سلوم ص ٨٨ .

وكانَ لهذا الموقف من جانب المحدثين نتيجةٌ أساسية هي وَصْفُهُ بالاستطراد والميْل إلى الخروج كثيرًا عن موضوعه الأصليّ ، وهو استنْتاج طبيعيّ في هذه الحالة ، فإذا كان الموضوعُ الأساسيُّ للكتاب في تقديرهم هو نظرية الفنّ القولي بوجْه عامّ ، أو ـ على الأقل ـ مجموعة من النظرات الأساسية التي تشكّل عمادَ هذه النظرية .. فإنّ إيراد هذه النماذج والمقتطفات من شتيّ أنواع الأدَب يُعَدُّ استطرادًا وخروجًا على الموضوع الأساسيّ ، مع ملاحظة أنّ ذلك يحتلُّ القسم الأكبر من الكتاب مما يجعل استخلاصَ نظرات الجاحظ وآرائه في فنّ القول لا يتأتّي سهْلا مَيْسورا ، وإنما هو في حاجة إلى جهد القارئ ورَحابَة صَدْره .

هذه الظاهرةُ هي التي توضّح لماذا كانت طريقةُ الجاحظ في تأليف الكتاب عُرضَةً لانتقاد الكثيرين من القدماء والمحدثين ، ممّنْ نظروا إليه على أنه مؤلَّف من أساسه في نظرية الفن القولي ، فصرّح كَراتْشكوفسْكي بأن الجاحظ « ليس من الكُتاب الذين يسمحون لغيرهم بالاقتراب منهم دون أن ينالَهم عناء » [١] والسبب في ذلك أنّ « استطراداته الكثيرةَ تؤدي به إلى الخروج عن الموضوع الذي يبحث فيه إلي مواضيعَ أُخرى » [٢] .

ووصَفَ آخرون صَنيع الجاحظ بأنه أخرج كتابه « عن كونه كتابا للبيان بكثرة خروجه واستطراده وردوده وأمثلته » [٣] بل إن البعضَ قد غَلَّب صفةَ (الأدب) على الكتاب فوصفه بأنه « مختارات من الأدب من آيةٍ قرآنية أوْ حديث ، أو شِعر أو حكمة أو خطبة ، ممزوجة بما له من آراء في مسائل عدة » [٤] .

---

(١) البديع عند العرب ـ ضمن (دراسات في تاريخ الأدب العربي) ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٣) النقد المنهجي عند الجاحظ ـ داود سلوم ـ ص ٨٨ .

(٤) ضحى الإسلام لأحمد أمين ١/ ٣٩٠ ط ٩٣٤ ، ويورد الأب فكتور اليسوعي قول كارادي فو عن الجاحظ «... إن الموضوع عنده ليس إلا وسيلة للاستطراد » راجع : النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ص ٨٧ .

وقد سبق إلى مثل هذا التصورُ بعض القدماء منهم أبو الحسين إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ سليمانَ بنِ وَهْبٍ الكاتب (ق ٤) صاحب كتاب (البُرهان في وجوه البيان) ، وأبو هلال العسكريّ ت ٣٩٥ صاحب (الصناعتين) ، ثم الباقلانى ت ٤٠٣ هـ فى (إعجاز القرآن) . والكتابُ الأولُ من أساسه فى معارضة (بيان) الجاحظ من حيث طريقةُ تأليفه التى تصعبُ معها الإحاطة بمسائله لأنه « إنما ذكر فيه أخباراً منتَخَلةً وخَطَبا منتخَبة ، ولم يأتِ فيه بوصف البيان ، ولا أتَى على أقسامه فى هذا اللّسان ، فكان ... غيرَ مستحقٍّ لهذا الاسم الذى نُسب إليه »[1] لذلك حاول صاحب (البرهان) - فيما يقول - أن يذكر فى كتابه « جُمَلا من أقسام البيان آتيةً على أكثر أصوله محيطةً بجماهير فصوله ، يَعرف بها المبتدئُ معانيه ويستغنى بها الناظرُ فيه »[2] .

ونفس المأخذ تقريبا يصرِّح به أبو هلال ، فكتاب (البيان والتّبيين) فى رأيه أكبر الكتب المؤلَّفة فى (البلاغة ومعرفة الفصاحة) وأشهرُها «وهو ... كثيرُ الفوائد ، جَمُّ المنافع ، لما اشْتَملَ عليه من الفُصول الشَّريفَة ، والفِقَر اللّطيفة ، والخُطَب الرائعة ، والأخْبار البَارعة ، وما حَواهُ من أسْماء الخُطَباء ، وما نَبَّه عليه من مَقَاديرهمْ في البَلاغة والخَطابة ، وغَيْر ذلك من فُنونه المُختارة ، ونُعوته المُسْتَحْسَنَة إلاّ أنّ الإبانةَ عن حُدود البلاغة وأقسَام البَيَان والفَصاحَة مَبْثوثةٌ في تضاعيفه ، ومنتَشرَةٌ في أثنائه ، فهى ضَالّة بين الأمثلة لا توجَد إلاّ بالتأمل الطويل والتّصفُّح الكثير »[3] .

وواضحٌ أنّ الانتقاد عند كلٍّ من الرجلين موجَّهٌ إلى ظاهرَة انعدَام النظام والتّبويب فى كتاب الجَاحظ ، وهو ما حاول كلٌّ منهما أنْ يتلافاه عن طريق إحكام النِّظَام ، والتّرتيبَ الدَّقيق لمباحثِ كتابه ، والإقلال بقدْر الإمكان مما

---

(١) البرهان فى وجوه البيان ٥١ ، ٥٢ .

(٢) البرهان ٥٢ .

(٣) الصناعتين ١٠ ، ١١ .

عُدَّ من قَبيل الاسْتِطراد عندَ الجَاحظ .

ولا يخرجُ انتقادُ الباقلانيّ عن ذلك تقريبا ، بَلْ لقد ذهب إلى عدم قدَرة الجاحظ على أن يُخليَ كلامه من الاختيار من كلام غيره و « ممّا يوشَّح به كلامَه من بيتٍ سائرٍ ومَثَلٍ نادرٍ وحِكْمةٍ مُمَهَّدَةٍ مَنْقولة وقصّةٍ عجيبةٍ مَأثُورة » [١] .

على أنّ من القدماء ـ كما رأينا ـ مَنْ نظروا إلى الكتاب باعتباره كتابا في (علم الأدب) ، والأدب ـ في تعريف هؤلاء « هو حفْظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذُ من كل علْم بطرف ، يريدون من علوم اللّسان أو العُلوم الشّرعيّة من حيث مُتُونُها فقطَ » [٢] .

والواقع أنّ الناظرَ في كتاب (البيان والتّبْيين) لا يَسَعُه إلاّ أنْ يأخذَ في الاعتبار كُلاً من الوصفين أعني كونَ الكتاب مؤلّفا في (علم الأدب) من جهة ، وكونَه يحتوي علي عدد من النظرات الهامة في الفن القولي من جهة أخري .

فهل كان هناك ازدواجٌ في عقلية الرجل حينما جمَع في مؤلّف واحد بين القواعد والأصول المتّصلة بفنّ القول وبين النماذج والنصوص والمختارات التي كان إفراطُهُ في إيرادها سببا في وصف البعض للكتاب بأنه كتاب في (علم الأدب) ؟

إنّ نظرة أخرى في حديث ابن خَلدون عن علم الأدب والمقصود منه تساعد على إجابة صحيحة عن السؤال ، يقول عن علم الأدب : « هذا العلمُ لا موضوعَ له ينظر في إثبات عوَارضه أو نفْيها ، وإنما المقصودُ عند أهل اللسان ثمرتُه ، وهي الإجادة في فنّيْ المنظوم والمنثور على أساليب

---

(١) إعجاز القرآن ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٢١ .

العرب ومناحيهم ، فيَجمعون لذلك من كلام العرب ما عَسَاه تحصل به الملكة من شعْر عالي الطبقة ، وسَجْع مُتَسَاوٍ في الإجادة ومسائلَ من النحو واللغة مبثوثة أثناءَ ذلك متفرقة يستقرئ منها الناظرُ في الغالب معظمَ قوانين العربية مع ذكر بعضٍ من أيَّام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المُهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله ألّا يخفَى على الناظر فيه شيءٌ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه ، لأنه لا تحصل الملكةُ من حفْظه إلاّ بعد فهْمه فيُحتاجُ إلى تقديم جميع ما يتوقّفُ عليه فهمه » (١) .

وواضحٌ أنّ كُتب الأدب بالمفهوم الذى ساقه ابنُ خَلدون لم تكن تؤلّفُ بغير هدف ، وواضحٌ أيضا أنّ إيرادَ المختارات والنماذج الكثيرة فى كتاب الجاحظ لم يكن بغير تصورٍ لفائدةٍ ما من وراءها ، وأنه لم يَعْدُ فى ذلك ما صنَعَه البعض - كابن طَباطَبا العَلَويّ ت ٣٢٢ - حين جمع إلى كتابه (عيَار الشّعر) - وهو فى أصول الفن الشّعريّ - كتابا آخر سمّاه (تهْذيب الطبَع) وقال إن الهدَفَ من ورائه أنْ « يرتاضَ مَن تعاطَى قولَ الشعر بالنظر فيه ، ويسلكَ المنْهاجَ الذى سلكه الشعراء ، ويتناولَ المعانيَ اللطيفةَ كتناولهم إياها ، فيحْتذيَ على تلك الأمثلة فى الفنون التى طرقوا أقوالَهم فيها »(٢) .

فهَدَفُ التّدريب وتكوينِ الذّوْق الفنى لدَى القارئ لم يكن غائبًا عن أذهان أصحاب ذلك الضّرْب من التأليف ، ومنهم الجاحظ ، كما لم ينسَوا ذكرَهُ صراحةً (٣) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٢) عيار الشعر ص ٧ .

(٣) من المحدثين من تنبه إلى هدف التدريب العملى وصقل الذوق والتمكين من الإجادة من وراء هذه الاختيارات الكثيرة - راجع : الجاحظ : حياته وآثاره ، لطه الحاجرى ص ٤٣١ ، (النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه) لعبد الحكيم بلبع ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

وهكذا جاء الكتاب ـ كما قلنا ـ جامعًا بين كونه مؤلفًا في نظرية الفن القولي وكونه مؤلفا في علم الأدب ، ولم يكن مؤلف الكتاب غافلا عن الصفة الأخيرة فيه أعني كونَ الكتاب مؤلَّفا في علم الأدب أيضًا ، وقد نقل ضمن ما نقل عن غيره تعريفًا لعلم الأدب مَعْزُوًا إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، يقول فيه :« كفاك من علم الأدب أن تَرْوِيَ الشاهدَ والمَثَل»[1] ثم يفتح في موضع آخر بابًا بعنوان (كلام في الأدب)[2] كما ينقل قول شَبيب بن شَيْبة « أطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادةٌ في العقل وصاحبٌ في الغربة وصلة في المجلس»[3] وليس ذلك كله سوى صدًى لما آمن به الجاحظ من أن «الإنسان بالتعلُّم والتكلُّف» وأنه « بطول الاختلاف إلى العلماء ومُدَارسَةِ كُتب الحُكماء يَجُود لفظه، ويَحْسُنُ أدبُه»[4].

وأبسط النتائج التي يُمكن أن نُرتِّبها على وَصْف الكتاب على هذا النحو .. الحَدُّ من تُهمة المَيْل إلى فَوْضَويِّة التأليف التي كثيرًا ما تُوجه إلى الجاحظ ، وعلى الأخصّ في هذا الكتاب ، وكذلك الحَدُّ من الاتّهام بانعدام شخصيَّة المؤلف فيه [5] ، إذْ من الواضح أنَّ كثيرًا مما جاء في الكتاب مما وُصِفَ بأنه استطراد من المؤلف ونُقُولٌ عن غيره إنما قُصِدَ به ـ عن عَمْد ـ تقديمُ أكبر قَدْر من نماذج القول الجيِّد منثوره ومنظومه لتكونَ في متناوَل المطّلعين على كتابٍ يتعرَّض في المقام الأول لنظراتٍ في فن القول ، ويستهدفُ تكوينَ

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٨٦ .

(٢) البيان ٣/ ٢٦٧ ويراجع ٣/ ٢٤٠ (ذكر حروف من الأدب) .

(٣) البيان ١/ ٣٥٢ .

(٤) البيان ٨٦/١ . وتراجع نصوص أخرى تكشف عن معنى (الأدب) عنده في (البيان) في (مصطلحات نقدية وبلاغية) الشاهد البوشيخي ٦٣ ويذكرّ كلام الجاحظ عن (المدارسة) بقول معاصره ابن سلام : (إنّ كثرة المدارسة لتُعدي على العلم) طبقات فحول الشعراء ٦/١ ، ٧ .

(٥) هذا الاتهام الأخير يوجهه إلى الجاحظ الدكتور طه حسين . راجع : تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر ص ٣ .

ذوق فنى لدَى قارئه ، أو تقوية ما قد يكون لديه من هذا الذوق .

الوعى بمسلك الاستطراد :

وكما قلنا .. كان الرجل واعيا بقيام كتابه على دعامتين ، إحداهما : ما يسوقه من أفكار ونظراتٍ تتصل بأصول الفن القولى . والأخرى : هذه الاختيارات العديدة التى يزخر بها الكتاب ، والتى يتضح وعيُه بتقديمها عن عَمْد فى كثير من المواضع ، من مثل قوله فى مقدمة الجزء الثانى إن قصدَه كان الحديثَ عن مطاعن الشُّعوبية على العرب ، ولكنه رأى أنْ يقدمَ بدَلا من ذلك بعضَ الاختيارات من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام السلَفِ من المتقدمين ،[1] ثم يُردفُ ذلك بحديث عن خُطب العرب ، وبعض صفاتها وحرصه على تقديم نماذجَ منها :

« اعلمْ أنّ جميعَ خُطَب العربِ ... على ضَرْبين : منها الطِّوال ومنها القصار ... وقد أعطينا كلاً شكل من ذلك قِسْطه من الاختيار ، ووفَّيناه حظَّه من التَّمييز ... هَذا سوى ما رسَمْنا فى كتابنا هذا من مُقَطَّعات كلام العرب الفصحاء ، وجُمل كَلام الأعراب الخُلّص ، وأهل اللَّسَن من رجالات قُريْش والعَرب وأهل الخَطابة من أهل الحِجاز ، ونُتَفٍ من كلام النُّسّاكِ ، ومواعظَ من كلام الزهاد »[2] .

ثم يأخذ فى الوفاء بما وعد به ، فيقدم ما شاء من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخُطبه ، وخُطب الصّحابة وأقوالِهم ، ثم يقول « قد ذكرنا من كلام رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسَلّمَ وخطبِه صدرا ، وذكرنا من خطب السلف » . ثم يَعِدُ بتقديم المزيد : « وسنذكر من مقطعات الكلام وتَجاوُب

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ٥ .

(٢) البيان ٢/ ٧ .

البُلَغاء ومواعظ النُّساك ، ونَقْصدُ من ذلك إلى القصار دُون الطّوال ، ليكونَ ذلك أخفَّ على القارئ ، وأبْعدَ من السّآمة والمَلل . ثم نعود بعدَ ذلك إلى الخُطب المنْسُوبة إلى أهلها إن شاء الله » [١].

ولا يَلبَث بعد ذلك أنْ يصرِّحَ - بما يؤكد يقظتَه التامةَ إلى ما يصنع :

« وقد ذكرنَا من مُقطَّعَات الكلام ، وقصار الأحَاديث بِقَدْر ما أسْقَطنا به مؤونة الخُطب الطِّوال .

وسَنَذكر من الخُطب المُسْنَدة إلى أرْبَابها مقدارا لا يَسْتَفْرِغُ مجهودَ مَنْ قرأها ، ثم نَعُودُ بعد ذلك إليَ ما قَصرَ منها وخَفّ ، وإلى أبواب قد تَدْخُل فى هذه الجُملة وإنْ لم تكُنْ مثلَ هذه بأعْيانهَا » [٢] .

والصلة بين هذا النَّصِّ وما سبَقه واضحة ، فهو هنا يُعلن أنه قدّم من الاختيارات ما سَبَق أنْ وَعَدَ به فى النصِّ السابق . كل ذلك عن عَمْد ووَعْي بما يقدّم من المواد التى قد يكون بعضُها بالذات مرغُوبًا من قارئ الكتاب أو مَنْ قُدِّمَ إليه . ومن هذا القَبيل - أعنى توجيهَ مادّة معينة إلى قارئ بعينه - ما صرّح به من قوله : « كانت العادةُ فى كتب الحيوان أن أجعلَ فى كل مصحف من مصاحفها عشرَ ورقات من مقطّعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرتَ عجبكَ بذلك فأحببتُ أن يكون حظّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إنْ شاء الله » [٣].

وهكذا يستمر فى الإعلان عن العديد من الاختيارات من شتّى ضروب القول ، فإذا ما قدّم ضربا تلاه بغيره ثم وعَدَ بثالث ليقدّمَه فى مكان لاحق، وهكذا [٤].

---

(١) البيان ٢/٦٦ .

(٢) البيان ٢/١١٧ .

(٣) البيان ٣/٢٠٢ .

(٤) راجع البيان ٣/٥ ، ٣/٦٨ .

إلي جانب هذا الهدف التعليمي وراء تقديم الجاحظ لاختياراته واستطراده يطالعنا هدفٌ آخر عملى لا ينفصل عن هدفه الأصلي في تثبيت الأفكار الأساسية لكتابه .. هذا الهدف هو دفع السآمة والملل عن قارئ الكتاب ، وحثّه علي مواصلة القراءة والمثابرة عليها .

ويدل حديثُ الجاحظ - في غير كتاب البيان أيضا - على إيمانه بأمرين يتصل أولهما بالنفس البشرية عموما ومدى قدرتها على تلقّى العلم واستيعابه ، ويتعلق الآخرُ بمثقَّفى عصره على وجه الخصوص .

وفيما يتصل بالنفس البشرية يرى أن « من شأن النفوس الملالةَ لمَا طال عليها وكثرُ عندها » [١] ، وأن « الأسماع قد تملّ الأصوات المطَربةَ والأوتار الفصيحة والأغانى الحسنة إذا طالَ ذلك عليها » [٢] ، وأن «العلم - وإن كان حياةَ العقل ... فإن حُكمه حكم الماء وجميع الغذاء الذى إذا فضَل عن مقدار الحاجة عاد ذلك ضررا » ، وبالتالى « فليس لنا أن نكون من الأعوان على ذلك ، ومن الجاهلين بما عليه طبائع البشر ، فإنّ أقواهم ضعيف وأنشطهم سؤُوم ، وإن كانت حالاتهم متفاوتةً فإن الضعف لهم شامل ، وعليهم غالب » [٣] .

أما بالنسبة لمثقَّفى عصره فهو سيِّئ الظن بهم وبقدرتهم على التحصيل والصبر على مشقة العلم ، ولذلك نسمع قوله يعقب بعض تصريحاته فى وجوب الترفُّق فى عرض أبواب الكتب : « ولولا سُوء ظنى بمن يُظهر التماسَ العلم فى هذا الزمان ويذكر اصطناعَ الكتب فى هذا الدَّهر، لما احتجتُ فى مدارستهم واستمالتهم وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم ... إلى هذه الرياضة الطويلة ، وإلى كثرة هذا الاعتذار ، حتى كأن الذى أُفيده

---

(١) رسالة فى كتاب الفتيا - رسائل ٣١٨/١ .

(٢) مفاخرة الجوارى والغلمان - رسائل ١/ ٩١ .

(٣) رسالة فى كتاب الفتيا - رسائل ٣١٨/١ ، ٣١٩ .

إياهم أستفيده منهم ، وحتى كأن رغبتى فى صلاحهم رغبةُ من يرغب فى دنياهم ويتضرّع إلى ما حَوَته أيديهم »[١] .

وفى مواجهة هذه الحال يسلك الجاحظ طريقا مزدوجا يقوم على التدرُّج فى تقديم مادته وحُسْنِ عرضها من ناحية ، ثم التنويع فيها من ناحية ثانية .

ويظهر أخذُه بطريقة التدرّج فى عرض مادّته من قوله فى بعض المواضع من كتاب الحيوان : « ولا بأس بذكر ما يعرض ، مالم يكن من الأبواب الطوال ... فإنّ ذلك مما لا يَخفّ سماعُه ولا تهَشّ النفوس لقراءته .. وأنا كاتب لك بعد هذا - إذْ كنتُ قد أمللتكَ بالتطويل ... ولا أرى أن أزيد فى سآمتك وأحمّلكَ استفراغ طاقتك ... ولكنى أبدأ بصغار الأبواب وقصارها ومحقَّراتها وملاحها لئلا تخرج من الباب الأول إلاّ وأنت نشيط للباب الثانى ، وكذلك الثالث والرابع إلى آخر ما أنا كاتبه لك إن شاء الله »[٢] .

هذا عن التدرّج فى عرض المادة استجابة لطبيعة النفس البشرية فى ضعفها وقلة صبرها على مشقة العلم . وأما التنويع فيلجأ إليه أيضا كوسيلة إلى نفس الهدف وإلى اجتذاب قارئه النافر من الإطالة ، والمستعصى على الاستمرار فى موضوع واحد : « فإن مَللْتَ الكتاب ، واستثقلت القراءة فأنت حينئذ أعذر ... وما عندى لك من الحيلة إلا أن أصوّرَه لك فى أحسن صورة ، وأقلّبك منه فى الفنون المختلفة ، فأجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرج من الحديث إلا إلى الشعر الصحيح ، ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف إلا إلى المثل السائر الواقع .... »[٣] .

---

(١) الحيوان ٥/ ١٥٥ .

(٢) الحيوان ٥/١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) الحيوان ٥/١٥٥ ، ١٥٦ .

وهذا هو الأسلوب الذى سار عليه فى (البيان والتبيين) سعيا وراء الهدف نفسه . من ذلك ما جاء بِعَقِبِ حديثٍ وأشعارٍ فى كراهية البعض لإنْجاب الإنَاث من قوله :

« وهذا البابُ يقع فى كتاب الإنسان .... ولكنْ قد يجرى السببُ فَيجرى معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب : لأن خروجَه من الباب إذا طالَ لبعض العِلم ، كان ذلك أروحَ على قلبه ، وأزيد فى نشاطه إنْ شاء الله » [١].

ويقول فى موضع آخر :

« قد ذكرنا ... فى صَدْر هذا الكتابِ من الجزء الأول ، وفى بعض الجزء الثانى كلاما من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهبَ من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد روينا نوادرَ من كلام الصِّبيان والمُحَرَّمين من الأعراب ، ونوادرَ كثيرةً من كلام المجَانين وأهلِ المِرَّة من المُوَسْوسِين ، ومن كلام أهل الغَفْلة من النَّوكَى ... فجعلنا بعضَها فى باب الاتّعاظ والاعتبار وبعضَها فى باب الهَزْل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضعٌ يصلُح له ، ولا بد لِمَنْ استكدَّه الجِدّ من الاستراحة إلى بعض الهَزْل »[٢].

ومن هذا القبيل تصريحه فى غير هذا الموضع بأن :

« وجه التَّدبير فى الكتاب إذا طَال أنْ يداوىَ مؤلفُه نشاطَ القارئ لَهُ ، ويسوقَه إلى حَظِّه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يُخرجَه من شيءٍ إلى شيء ، ومن باب إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفن ، ومن جُمْهور ذلك العلم » [٣] ، وكذلك قوله عند ذكر بقيةِ النوكى والحمقى : « وأحبَبْنا ألا يكون مجموعا فى مكان واحد إبقاءً على نشاط القارئ والمستمع [٤].

---

(١) البيان ١٨٦/١ .

(٢) البيان ٢٢٢/٢ .

(٣) البيان ٣٦٦/٣ .

(٤) البيان ٥/٤ .

ومر بنا أن التنويع قد يكون بالخروج إلى بعض فنون الهزل ، وهنا يؤكد الجاحظ أن هذه الفنون لا تقلّ أهميةً عن غيرها من ألوان الجدّ التى يتشعّب إليها الحديث ، على أساس أنها وسيلة إلى الجدّ وطريق إليه ، وهذا ما يشرحه الجاحظ ، فى نصّ من (الحيوان) رداً على من عاب عليه هذا المسلك : « وهذا كتابُ موعظة وتعريف ... وقد غلّطك فيه بعضُ ما رأيتَ فى أثنائه من مزح لم تعرف معناه ، ومن بَطالة لم تطّلع على غَوْرها ، ولم تدْر لم اجتُلبَتْ ولا لأيّ رياضة تُجُشّمَتْ تلك البَطالة . ولم تدْر أنّ المزاح جدٌّ إذا اجتُلبَ ليكون علّة للجد ، وأنّ البطالة وقارٌ ورزانة إذا تُكُلّفَتْ لتلك العاقبةَ . ولمّا قال الخليل بنُ أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يُحتاج إليه حتى يتعلّم ما لا يُحْتاج إليه ، قال أبو شَمر : إذا كان لا يُتَوصّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاجُ إليه ، فقد صار ما لا يحتاج إليه يُحْتاج إليه »[١].

ذلك هو تبريره لظاهرة الاستطراد ـ أو ما يبدو أنه كذلك ، فى بعض جوانبها ، لقد حاول أن يسخّر بعض هذه المادة لخدمة قراءة الكتاب نفسه ، ولذلك لجأ إلى طريقة التدرّج ثم التنويع بإيراده بعض المختارات البعيدة بدرجةٍ ما عن الموضوع المعروض [٢].

---

(١) الحيوان ١/٣٧ ، ٣٨ .

(٢) جدير بالذكر أن الجاحظ يعتمد نفس الأسلوب فى غير (البَيان) من مؤلفاته ، ومنها كتاب (الحيوان) حيث يصرّح بنفس الهدف من الاستطراد بالخروج من موضوع إلى موضوع ، وأنه تجديد نشاط القارئ وجذبه إلى مزيد من القراءة . راجع (الحيوان) ١/٩٢ ، ٩٣ ، ٦/١٥ ، كما أن من القدماء من أشاروا إلى قصد الجاحظ إلى هذا الهدف ، كالمسعودى ، راجع مروج الذهب ٤/١٠٩ ط بيروت . ومن الدارسين المحدثين من سجل متابعة بعض القدماء للجاحظ فى هذا المسلك ، كابن قتيبة فى (عيون الأخبار) والمحسن التنوخى فى (نشوار المحاضرة) ، راجع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه لعبد الحكيم بلبع ص ١٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

الوعى بمبدأ النظام فى الكتاب :

غير أن عملية التنويع هذه لم تستول على انتباه الرجل فتجعلْه ينسى الخطّ الأساسيّ ، أو الموضوعَ الرئيسى للكتاب ، أو ـ بعبارة دقيقة ـ خصوصية ذلك الموضوع . وهنا نقف عند ظاهرة أساسية فى الكتاب وهى: الوَعْى بمبدأ النظام فيه .

وهذا الوعى يتضح فى أكثرَ من مظهر ، من بينها :

١ ـ النصّ على ما ليس من موضوع الكتاب .

٢ ـ الوعى بترتيب مادّة الكتاب فى داخله .

٣ ـ الوعى بالهدف من الاختيارات الكثيرة التى يوردها ـ بعيداً عن هدف التنويع للتسلية .

أما عن المظهَر الأول وهو النص على ما ليس من موضوع الكتاب فيتجلّى فى قَصْره الحديثَ فى كثير من الموضوعات والإحَالة فيها على كتب أخرى له ، لأنّ هذا الموضوعَ أو ذاك ليس من موضوعاتِ (البَيان والتَّبيين).

من ذلك ما جاء بعَقب حديثه ، الذي سبقت الإشارة إليه ، عن بُغض البعض لإنجاب البنات من قوله: «وهذا الباب يقع فى (كتاب الإنسان) وفى فصل ما بين الذكر والأنثى تاما ، وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين » [١].

وفى تعليله لتلقيب واصل بن عطاء بـ (الغَزّال) يتعرض لعدَد من الألقاب التى لحقَتْ عدداً من الأشخاص ، ثم يقول : « وهذا الباب مُستَقْصًى فى كتَاب (الأسماء والكُنى) ، وقد ذكرنا جُمْلةً منه في كتاب (أبناء السَرَارى والمَهيرات)[٢]. ثم يكرّر نفس التصريح فى معرض الحديث

(١) البيان والتبيين ١/ ١٨٦ .

(٢) البيان ١/٣٤ .

عن بعض من كان له كنيتان إحداهما فى الحرب والأخرى فى السّلم : «وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والأسماء ، وهو وارد عليكم إن شاء الله »[١].

وينقل عن إبراهيم بن هانئ - أحدِ معاصريه - كلاما فى الصّفات الخِلْقِيّة المفضلة فى بعض الفئات ، ثم يقول :

« وهذا البابُ يقع فى (كتاب الجَوارح) مع ذكر البُرْص والعُرْج والعُسْر ... وغير ذلك من عِلَل الجَوارح ، وهو وارِدٌ عليكم - إن شاء الله - بعدَ هذا الكتاب » [٢] .

كما يُورد شعراً للأعشى ، وآخرَ لبشار فى وصف المرأة الجميلة ووصف لونها ، ثم يقول :

« ولبشّار - خاصّةً - فى هَذا الباب ما ليس لأحَد ، ولولا أنه فى كتاب (الرّجُل والمرأة) وفى باب القول فى الإنسان فى (كُتاب الحَيوان) ألْيَقُ وأزكَى ، لذكرناه فى هذا الموضع »[٣] .

كما جاء قوله فى موضع آخر :

« ولولا الإشارة لم يتفاهم الناسُ معنَى خَاصّ الخاصّ ، ولجَهلُوا هذا البابَ ألبَتّة ، ولولا أنّ تفسيرَ هذه الكلمة يدخل فى باب صِناعةَ الكلام لفسرتُها لكم » [٤] .

ويقول - فى سياق الحديث عن منافع العصا :

« والذى نَحنُ ذاكرُوه من ذلك فى هذا الموضع قليلٌ من كثير ما ذكرنا فى كتاب (العُرْجان) ، فإذا أردتُموه فهو هناك موجودٌ إنْ شاءَ الله»[٥].

---

(١) البيان ٣٤٣/١ .
(٢) البيان ٩٥/١ .
(٣) البيان ٢٢٥/١ .
(٤) البيان ٧٨/١ .
(٥) البيان ٧٤/٣ .

وربما تكون الدلالةُ هنا بالسَّلْب ، أعنى أنَّ الحديثَ ليس مباشرا ولا صريحا عن موضوع الكتاب ، ولكن ممَّا لا شكَّ فيه أن النصَّ عَلى أن الكلامَ فى هذا الموضوع أو ذاك لا يدخل ضمن ما ينبغى الحديثُ عنه فى كتابٍ يعالج قضيةَ (البيان والتَّبيين) له دلالته على تصوُّر الرجلِ لما يدخل فى إطار هذا الموضوع ، وما يخرج عن هذا الإطار .

أما المظهر الثانى وهو الوَعْى بترتيب مادة الكتاب فى داخله فواضحٌ من أحاديثه المتكررة عن الموضع المناسب لهذا الموضُوع أو ذاك ... والوَعْيِ بما سوف يقدَمُ من أبواب وما سيذكرُ من أحاديث ، وعلى سبيل المثال : يقول فى حديثه فى (باب البيان) :

« وكانَ فى الحقِّ أنْ يكون هذا البابُ فى أولِ هذا الكتاب ولكنَّا أخَّرناه لبعض التَّدبير » [١].

وفى حديثه عن البيان وسُؤالِ موسى عليه السلام ربَّه أن يَحُلَّ عُقدةَ لسانه يقول :

« وسَنَقُول فى شأن مُوسى عليه السَّلام ومسألته فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله »[٢] . ليرد الحديثُ بعدَ ذلك عن موسى عليه السلام فى مسألتين : الأولى : عُقدَةَ لسانه ، وطبيعتها وسؤاله اللهَ سبحانه أن يحلّها ـ وذلك فى سياق الحديث عن البَيان والعِيِّ وما يعترى اللسان من الآفات [٣] . والمسألة الثانية : هى عصاه ، والكلام عن المآرب التى أودَعَها الله سبحانه فيها ، ونفعها له ، وذلك فى (كتاب العصا) من الجزء الثالث[٤].

ومعنى هذا أنه كان على بَيِّنةٍ من إمكان الانتفاع بحديث موسى عليه

---

(١) البيان ٧٦/١ .

(٢) البيان ٨/١ .

(٣) البيان ٣٦/١ ، ٣٧ ، ٢٧/٤ ، ٢٨ .

(٤) البيان ٣١/٣ ـ ٣٣ ، ٣٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١٢٢ .

السلام من هاتين الزاويتين ، ومن هنا كانت إشارتُه - أو وعدُه - في مطلع كتابه بسَوْق الحديث عن موسى ومسألته في موضعه من الكتاب .

ومن هذا القبيل وَعْيُهُ بما ينوى سَوْقَه من أخبار خطباءِ القبائل وترتيبهم، وهو ما كرر الوعدَ به في أكثر من موضع :

« وسنذكرُ كلامَ قُسٍّ بن ساعدَة ، وشأنَ لَقيط بنِ مَعْبَد ... وخطباءِ إيادٍ إذا صِرْنا إلى ذكْر خطباء القبائلَ إن شاء الله »(١) .

« وإذا صِرْنا إلى ما يَحضُرنا من تَسْمية خطباء بنى هاشم وبلغاء رجال القبائل ... ولأننا عَسى أن نذكرَ جُملةً من خَطباء الجاهليّين والاسْلاميين والبَدَويين والحَضَريّين ، وبعضَ ما يحضُرنا مَن صفاتِهم وأقدارِهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق »(٢).

فإذا أقْعَدَهُ العجز والمَرَضُ عما وعَدَ به من تنظيم العَرْض وترتيب الأولويّات فيه لم يَنْسَ وعدَه وإنما نراه يعتذر عن عدم الوَفاء به ، لأنه يعرفُ ما ينبغى وإن كان لا يستطيع تحقيقَه ، وهكذا جاء تصريحُه :

« كان التدبيرُ فى أسماء الخُطَباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكرَ أسْماءَ أهلِ الجاهلية على مراتبهم ، وأسماءَ أهل الإسْلام على منازلهم ، ونجعلَ لكلِ قبيلةٍ منهم خطباءَ ، ونقسّم أمورَهم بابًا بابًا على حدَته ، ونقدّمَ مَنْ قدّمه اللهُ ورسولُه عليه السلام فى النَّسَب ، وفضّله فى الحَسَب ، ولكنّى لمّا عجزتُ عن نَظْمه وتنضيده تكلّفْتُ ذكرَهم فى الجُملة ، واللّه المُسْتَعان»(٣).

---

(١) البيان ١/٥٢

(٢) البيان ١/٩٢ .

(٣) البيان ١/٣٠٦ ، وقد يكون من المفيد هنا أن نشير - مجرد إشارة - إلى معاصرة الجاحظ لابن سلام الجُمَحيَ ت ٢٣١ هـ صاحب (طبقات فحول الشعراء) الذى قسم شعراءه وفقا لزمنهم إلى جاهليين وإسلاميين ، وأن نُبدى مجردَ تساؤل عن احتمال أن يكون الجاحظ قد فكّر فى أن يقدّم تقسيما للخطباء إلى طبقات جاهلية وطبقات إسلامية ، موازيا لتقسيم ابن سلام لشعرائه ، وإن كان الجاحظ لم يحقق عملية التقسيم على نحو عملى .

والاعتذارُ هنا خاصّ بمسألة تنظيميّة بحتة ، أى أنه لم ينقُصْ شيئا من مادّته ، وإنما هو لم يستطع ـ فقط ـ أن ينسّقها على النحو الذى وعد به .

وقريب من هذا مسلكُه فى الحديث عن مطاعن الشُّعُوبيّة على العرب فى اتّخاذهم العِصِيَّ والمَخاصِرَ عند الخَطابة .. لقد صرّح قرب نهاية الجزء الأول بقوله :

« وقد طعنتْ الشعوبيةُ على أخْذ العربِ فى خُطبها المخْصَرَةَ والقَنَاةَ والقَضيبَ ... بكلامٍ مستكرهٍ سنذكره فى الجزء الثانى إن شاء الله »[1] .

وهنا نلاحظ أنه لم يَنْسَ وعدَه ، حتى بعد أن بَدَا لهُ أن يؤجّلَ ذلك إلى الجزء الثالث ، فجاء قولُه فى مقدمة الجزء الثانى :

« أرَدْنا ـ أبقاك الله ـ أنْ نبتَدئَ صدر هذا الجزء ... بالرّد على الشّعُوبية فى طعنهم على خُطباءِ العربِ وملوكهم .. ولكنا أحبَبْنا أن نصيِّرَ صَدْرَ هذا الباب كلاما من كلام رسول رب العالمين والسّلَف الصالحين [2].

فإذا جاء صدر الجزء الثالث وفَى بوعده وقال :

« نبدأ على اسم الله بذكر مذهَبِ الشعوبية ... ومَطاعِنِهِمْ على خطباء العرب ... »[3] .

وكثيرا ما تُصادفنا فى الكِتاب تنبيهاتٌ من مثل :

« ثمَ رجَع بنا القولُ إلى الكلام الأول ... » ١/٥٧ ، ٩٦

« ثمَ رجَع القولُ إلى ذكر الإشارة » ١/٩١

« وتُلحَقُ هذه المعانى بأخواتها قبل .. » ١/١١١

---

(١) البيان ١/٣٨٣ .

(٢) البيان ٢/٥ .

(٣) البيان ٣/٥ ، ٦ .

« ويصير هذا الشعر وما أشبهه مِمّا وقع فى هذا الباب إلى الشعر الذى فى أول الفصل » ١/ ٢١٧ .

وهذا يعنى أنّ لكل نصّ فى الكتاب موضوعا ، وأن لكل موضوع موضعًا ينبغى أن تتجمع فيه النصوص المتّصلةُ به ، فإذا ابتعد النصّ المتصل بأحَدِ الموضوعات عن مكانه فلا بد من الإشارة إلى ذلك .

فإذا جدّ خبرٌ أو موضوع أو حديث عن شخص يمكن الإفادةُ منه فى أكثر من موضع ... أسرع بالإشارة إلى ذلك والتنبيه على المواضع التى يمكن أن يفادَ فيها بهذا الخبر أو الحديث . من ذلك حديثه عن أبى الأسْود الدّؤلى وأنه كان قد جمع شدّة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان وقولَ الشعر ، ثم يجىء قوله : « وهو يعدّ فى هذه الأصناف ، وفى الشّيعة ، وفى العرجان وفى المفاليج » ثم يقول : وعلى « كل شيء من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى »(١) .

أكثر من هذا نلاحظ حرصَه على أن يسوقَ المبرر لكل ما يمكن أن يكون هدفًا للسؤال مما يتعلق بترتيب مادة الكتاب .. ومن هذا القبيل تعليلُه ـ فى سياق الكلام عن فضائل العَصَا واتخاذ الأنبياء لها ـ لتقديم الكلام عن سُلَيْمان عليه السلام قبلَ الكلام على عدَدٍ من الأنبياء الذين اتّخذوها : « قال أبو عثمان : وإنما بدَأنا بذكر سليمانَ صلّى اللّه عليه وسلم لأنه من أبناء العَجَم ، والشُّعُوبيةُ إليْهم أمْيلُ ، وعلى فضائلهم أحْرَصُ ، ولما أعطاهم الله أكثرُ وصفًا وذِكْرا »(٢) .

وهو حِرصٌ على تبرير صَنيع لعلّه لو ترك تبريَره ما كان ليَسألَ عنه أحدٌ ، ولكنها الدّقة والوَعْىُ بالنّظام فى هذه العَقلية الكبيرة .

---

(١) البيان ١/٣٢٤ .

(٢) البيان ٣/٣١ .

أما المظهر الثالث للوعي بالنظام فيتجلى فى وَعْيه بالهَدَفِ من هذه الاختيارات الكثيرة والوظائف التى تؤديها فى بِنْيةِ الكتاب وفى سبيل هدفه ، فهذه الاختياراتُ إما للحفْظ والمذاكرة ، وإما للتّدْريب وتهذيب الطبع ، وإما للتّدليل على صِحّة القضايا والفُروضِ التى يطرحها .

ومن مظاهر تنبُّهِه إلى الوظيفة الأولى تصريُحه - بعد كلام لمحمد بن على بن عبد الله بن عباس ... بقوله :

« وهذا كلامٌ شريفٌ نافعٌ ، فاحفظوا لفظَهُ وتدبَّرُوا معناه »[١] وقوله - بعد قطعة فى أسيلم بن الأحنف الأسَدى -:

« وهذا الشّعر من أشْعار الحفْظ والمذاكرة »[٢] .

وقوله فى موضع آخر :

« ونذكر هنا أبياتَ شعرٍ تصلُح للرّوايةِ والمذاكرة »[٣] .

كذلك يَبْدَأ الجُزْءَ الثالث بقوله :

« هذا - أبقاك الله - الجُزءُ الثالثُ من القول فى البَيَان والتّبيين ، وما شابه ذلك من غُرَرِ الأحاديث ... وبعض ما يَجُوزُ فى ذلك من أشعار المُذاكرة والجَوابات المُنْتَخَبَة »[٤] .

أما الالتفات إلي الوظيفة الثانية - أعني تهذيبَ الطّبْع والمساعدة علي الإجادة في القول - وهي نتيجةٌ طبيعية للهدفِ الأول - فيتجلي في مثل قوله :

« ومتَى كان اللفظُ ... كريمًا فى نفسه مُتَخَيَّرًا من جنسه وكان سليمًا

---

(١) البيان ١/٨٥ .

(٢) البيان ١/٣٩٦ .

(٣) البيان ٢/١٨٦ .

(٤) البيان ٣/٥ .

من الفُضول ، بَريئا من التَعْقيد ، حُبِّبَ إلى النفوس واتّصل بالأذْهَان ، والتْحَمَ بالعقول ... وخَفَّ على ألسن الرُّواة وشاعَ فى الآفاق ذكره ، وعَظُم فى الناس خطرُه ، وصَار مادةً للعالِم الرئيس ورياضة للمتعلّم الريِّض»[١].

ومر بنا تصريحُه بأن « الإنسان بالتعلّم والتكلُّف ، وبطول الاختلاف إلى العُلماء ومُدارسة كُتبِ الحُكماء يَجُودُ ويحسُنُ أدبُه »[٢] وهو يعنى أنَّ أحَدَ أهدافه من إيراد هذه النصوص والاختيارات مساعدةُ شُدَاة الأدَب على الإتقان والإجادة .

والواقع أنّ الناظر المتأنّيَ فى الكتاب يمكنه أن يجدَ المبّررَ المقبول لكل ما ورد فيه مما يُعَدُّ لدَى البعضِ من قَبيل التطويل . فلَيس ثَمّةَ نصٌ إلا وله وظيفةٌ ، وإذا صرفنا النظرَ عن مجموعة الاختيارات من الخُطب وأقوال السّلف وأقوال الزهّاد والنّساك ، والنّوادر من المعلّمين والحَمْقَى ... إلخ ووظيفتُها من التهذيب والتّدريب والحَثّ على المذاكرة معروفة ... ثم عُدنا إلى كثير من إطلالاته واستشهاداته الكثيرة لوجدنا أنّ لكل منها دورَه فى غالب الأحيان ، إن لم يكن فى كل الأحيان .

والدليلُ علي ذلك أنّ النصّ الواردَ علي سبيل الاستطراد لا يَعْرَي من صلةٍ ما بالموضوع الأصلي للحديث ، ومن هنا تتنوّع النصوص المستطرَدُ إليها بتنوّع الموضوعات الأساسية ، وتكونُ استطراداته عندئذ بمثابة الإطار، أو الخَلْفيَةِ التى تُعمِّق من فهم القارئ للنصّ الأساسيّ كما تزيد - فى الوقت نفسه - من قيمة النصّ الأصلى .

ولننظر كيف أتيَ بالمثال على تجنُّب واصل بن عطاء ت ١٣١ هـ للنطق بصوْت الراء فى كلمةٍ يُنَدِّدُ فيها بالشاعر بشار بن بُرد ويكفّرُه : فالجاحظ

---

(١) البيان ٢/٨ .

(٢) البيان ١/٨٦ .

يبدأ بذكر لُثْغَةِ واصلٍ ، وقُبْحِها وشناعتِها ، ويَزيد أنه كان طويلَ العُنْق جداً ، ولذلك قال بشار :

مَالِي أُشَايِعُ غَزَّالاً لهُ عُنُقٌ كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلاً

ثم يقول : « فلما هَجَا واصلاً ، وصَوَّبَ رأْيَ إبليس في تقديم النّار على الطّين ، وقال :

الأرْضُ مُظْلِمَةٌ والنّارُ مشرِقَةٌ والنّار معْبُودةٌ مُذْ كانَتْ النّارُ

وجعل واصلَ بنَ عَطاء غزّالاً ، وزعَمَ أنّ جَميعَ المسلمين كَفَرُوا بعد وفاة الرسول صلى اللهُ عليه وسلم ... قال واصل بن عَطاء عندذلك : (أما لهذا الأعمَى ، المُلحد ، المشنَّف ، المَكْنيّ بأبي مُعاذ مَنْ يقتله ؟ أما والله لولا أنّ الغيلةَ سَجِيّةٌ من سَجَايا الغَاليةِ لبعَثْتُ إليه من يَبْعَجُ بطنه على مضْجَعه، ويقتلَه في جَوْف منزله ، وفي يَوْمَ حَفْله) » ، لينقل لنا الجاحظ ـ بعد ذلَك ما يُروَى عن أبي حفص عمرَ بنِ أَبي عثمان الشَّمَّريّ من إيضاحاتٍ على مقدرة واصلٍ في اختيار الكلمات الخالية من الراء بدلا من مُرادفَاتها المشتملة عليها ، وإنْ كانتْ هذه المرادفاتُ أفْصَحَ من وجهة النظر اللّغَويةَ البحتة[١] .

هذا مَثَلٌ لكيفيَة تقديه للأخْبار والنُّصوصِ موضع الشواهد ، وواضح أنه يعود إلى الوراء ليُوردَ ما يمكن أن يُسمَّى بـ (قصة النصّ) أو (إطار النصّ) بحيث يشعر القارئ بشيءٍ من تسلسُل الإيراد وتتابع الانتقالات .

وبقي لدينا موضع ـ أو مواضع ـ الاستشهاد ذاتها في النص وتلك هي الكلماتُ الخاليةُ من الراء مثل : المُشنَّف والمُلحد ، وبَعثْتُ ومضْجَعه ، فهذه الكلمات جاءت بدلا من مرادفات مشتملةٍ علَى الراء هي ـ على الترتيب ـ (المُرعّث ، الكافِر ، أرسلتُ ، فراشه) .

وهنا لا يَدَعُ الجاحظ هذه القضيةَ تفلت من يده .. فالكلمات التى

---

(١) البيان ١/١٦ ـ ١٩ .

تجَنُّبها واصل هى الأفصح ، ولكنه اضُطرّ إلى تركها ليتخَلّصَ من عيْبِ لسانه فى نُطق الرآء ، وهنا - وعلى سبيل ما يبدُو دفاعا عن واصلٍ من ناحيَة ، وضَربًا لمَثلٍ فَذٍّ فى تغلّب الخَطيب على أحَد العيوب الخَطيرة فى النطق من ناحية أخرى - يلجأ الجاحظ إلى تعميم الظاهرة ، فيقول :

« وقد يَستَخفّ الناسُ ألفاظًا ويستعملُونها وغيرُها أحَقّ بذلك منها » وأنّ العامّةَ ربّما استخَفّتْ أقلّ اللّغتَيْن وأضعفهما ، وتستَعْمل ما هو أقلُّ فى أصْل اللّغة استعمالاً وتَدَعُ ما هو أظهَرُ وأكثَرُ ، ولذلك صرنَا نجدُ البَيْتَ من الشِّعْر قد سَارَ ، ولَمْ يَسرِ ما هو أجْوَدُ منه ، وكذلك المَثلُ السّائر »[١].

فالظاهرةُ - إذن - أعنى شُيُوعَ الأضْعَف أو المفضول وخُمُولَ الأقوَىَ أو الفاضل - أعمُّ من الألْفاظ التى تَخْلُو من الراء .

ولا يَقْنَعُ الجاحظُ بهذا حتى يبلغَ بالقضية من العُموم مَدًى يَتَجاوزُ ظاهرةَ اللغة كلّها ، والشعرَ ، والأمثالَ ، إلى بعض ظواهرِ الاجتماع ، فـ «قد يبلغ الفارسُ والجَوادُ الغاية فى الشّهرة ، ولا يُرْزَقُ ذلكَ الذّكرَ والتّنْويهَ بعضُ من هُوَ أولَى بذلك منه .. » وكذلك الأمر فى الخُطب ، فقد يُرزَقُ الخَطيبُ من الشّهرة ما غيرُه أولَى به منه[٢].

وواضح أنّ المسألةَ قد تجاوزَتْ طبقات الفَصاحَة فى الكلام وتركَ الناسِ للفصيح واستعمالَ ما هو أقلّ فصاحةً ... إلى ظاهرة اشتهار المَفْضُول وخُمُول الفاضل من الكلمات وأبيات الشعر والأمثال والفُرْسان والخُطباء ، وكأننا أمام المبدأ الشّيعى الزيدى فى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[٣]، كل ذلك - فيما يبدو - من أجل تبرير ما صنَعه واصلُ فى استخدام كلماتٍ غيرُها أفصحُ منها ، وإن كانت هى الكلمات الأنسب

---

(١) البيان ١/٢٠ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) جدير بالذكر أن كثيرا من المعتزلة أيضا قالوا بهذا المبدأ . مقالات الإسلاميين ٢/١٣٤.

بالقياس إلى عاهته [١].

فإذا كانت القضية المعروضة هي مقدرةُ واصل وبلاغته ـ رغم عاهته ـ فليس هناك ما يمنع من إيراد أشعار فى مدحه بهذه الصفة وأخرى فى هجائه وهجاء المعتزلة ، وثالثة فى الردّ عليها وتفنيد ما جاء بها ...[٢] .

وهكذا يتسلسل الحديث في الكتاب دون أن يُحسّ القارئ لا بالملل ولا بأن صاحب الكتاب قد أقحم شيئا لا لزوم له ، لأنه ما من شيء مما يورده في سياق موضوع من الموضوعات إلا وله غالبا عُلْقة بهذا الموضوع من زاوية ما .

فالحديث عن الحروف التى تدخلها اللُّثغة [٣] ذو صلة بحديث واصل ، وحديث واصل نفسه ذو صلة بما كان قبله من حديث فى العِيّ والحَصَر ونقص آلة البيان ، وكذلك الحديث عن عيوب الخطابة وعيوب الخطيب من الاستعانة بالغريب ، والتّشادُق والنظر فى عيون الناس ، ومسّ اللّحية ، والخروج مما بُنِيَ عليه أول الكلام وما يقابل ذلك من حديث منسوب لأبى دُؤاد بن حَريز عن الخطابة وصفة الخطيب الجيد[٤] وكأنما قصد بهذا الحديث عن أعلى مراتب الإجادة فى الخطابة أن يكون فى مقابل ما سبق من الحديث عن عيوب الخطيب ، وبالذات عيوب النطق وما يعترى اللسان والحَلْق من الآفات .

فإذا اختتم الكلام عن أبى دُؤاد بن حَريز بذِكْر عدد من الأبيات الشعرية له ، ووصْفه بأنه « كان أحدَ من يجيد قريضَ الشعر وتَحْبِير الخُطب » عقّب ذلك بقوله : « وفى الخطباء من يكون شاعرا ... وربما كان

---

(١) يسلك الجاحظ هذا الأسلوب كثيرا ، فى البيان والتبيين ، وفى غيره من كتبه ، راجع ـ على سبيل المثال ـ البيان والتبيين ١٤/٢ ، ١٥ ، الحيوان ١٠٢/٢ ، ١٠٣ .

(٢) البيان ٢١/١ ـ ٣٤ .

(٣) ٣٤/١ ـ ٤٣ .

(٤) ٤٤/١ .

خطيبا فقط ، وبيّن اللسان فقط » [١] ... فإذا وصل إلى بشّار بن برد ـ باعتباره شاعرا وخطيبا [٢] ـ استطرد من ذلك إلى الحديث عن المطبوعين من الشعراء ، وهم « بشار العُقَيْلى ، والسّيد الحِمْيَرى ، وأبو العتاهية وابنُ أبى عُيَيْنة » [٣] ، فإذا وصل إلى العَتّابى باعتباره ممن يجمعون بين الخطابة والشعر والرسائل .. تحدث عن بديعه ، ثم تحدث عن شعراء البديع ، وهم : العتّابى وبشار وابنُ هَرْمة [٤] .

وقد يَجعل الخبرَ وُصْلةً إلى الخبر ، والحديثَ عن الشخص وُصْلة للحديث عن غيره ، مثلا : يتكلم عن عُبيد الله بن زياد بن ظبيان ـ قال له أشيم بن شقيق بن ثور : « ما أنت قائلٌ لربك وقد حملتَ رأس مُصعَب بنِ الزّبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال : اسكُتْ فأنت يوم القيامة أخطب من صَعْصَعَةَ بنِ صُوحان إذا تكلمت الخوارج » ثم يقول الجاحظ : « فما ظنك ببلاغة رجل عُبيْد الله بن زياد يضرب به المثل . وإنما أردنا بهذا الحديث خاصةً الدلالة على تقديم صَعْصَعَةَ بن صُوحان فى الخطب » [٥] .

وعلى هذا النحو تمضى موضوعاتُ الكتاب يأخذ كل منها بطرف الآخر ، حتى ليصعب على قارئه فى بعض الأحيانْ أن يجد مكانًا للتوقف عنده نظرا لشدّة التجاذُب بين الأفكار فى المواضع المختلفة .

ومع ذلك فمن الصعب وصف هذا المسلك بأنه تزيّد من الرجل ، قد يوصف الكتاب بشيء من اختلال الترتيب ـ وهو ما أحسه الجاحظُ واعتذر عنه وحاول تلافىَ آثاره ـ أما التزيّد فنادرًا ما يمكن تسجيله . والدليل على ذلك أن ننظر فى الأشعار التى احتواها الكتاب ، والتى قد يتبادر أنها

(١) البيان ١/٤٤، ٤٥ .
(٢) البيان ١/٤٩ .
(٣) البيان ١/٥٠ .
(٤) البيان ١/٥١ .
(٥) البيان ١/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

مجرد نصوص جيدة للحفظ والمذاكرة فحسب ـ شأن الاختيارات فى الكتب الأخرى ـ لنجد أن للكثير منها وظائفَ أساسيةً بحيث يتداخل وجودُها ويتلاحم عضويا مع بقية حلقات السياق الذى جاءت فيه مهما تكن الموضوعات التى تدور حولها هذه الحلقات :

وأبرز الوظائف التي نلمحها لهذه النصوص وظيفة الوثيقة العلمية التي يستشهد بها علي فكرة معينة ، أو إثبات فرْض معين[١] .. ومن هذا القبيل الأشعار الواردة فى قُبْح العيِّ والحَصَر كصفتين مضادتين للبيان[٢] والأشعار الواردة فى حسن الحديث ، وأنّ بذلَ الحديث الحَسَن للضيف جانبٌ من قِراه [٣]، وكذلك الأشعار التى سجلها فى صفة التنافر فى أبيات الشعر وكلماته[٤] ، فإذا كان الحديث عن خطيب مرموق فإن ما قيل فيه من الأشعار ـ حيًا وميتا ـ يمثل مادة خصبة لا يتركها الجاحظ[٥] ، ومن هذا القبيل ما مرّ بنا مما قيل فى واصل ابن عطاء سواء فى التنويه به أو الهجوم عليه .

ويفصح الجاحظ فى كثير من الحالات عن وعيه بهذا المسلك وذلك فى تقديمه للأشعار فى المواضع المختلفة ، نحو قوله فى سياق الحديث عن الدلالة بالإشارة ـ « وقد قال الشاعر فى دلالات الإشارة »[٦] وقوله فى سياق الحدث عن دلالة النِّصْبة : « ومتى دل الشيءُ على معنى فقد أخبَرَ عنه ، وإن كان صامتا ، وأشار إليه وإن كان ساكنا ... وقال عنترة بن شداد العبسى ـ وجعل نعَيبَ الغراب خبراً للزاجر ... » [٧] ، وقوله : « ومما

---

(١) البيان ١/٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٢) تنبه إحسان عباس إلى هذه الوظيفة . يراجع : تاريخ النقد .. ص ٩٤ .

(٣) البيان ١/٣ ـ ٦ .

(٤) البيان ١/٩ ـ ١١ .

(٥) البيان ١/٦٦ .

(٦) البيان ١/٧٨ .

(٧) البيان ١/٨١ ، ٨٢ .

قالوا فى الإيجاز وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة » [١] .

وربما عقد الأبواب المستقلة ليورد من الشعر ما قيل فى أحد موضوعات الكتاب ، ومن هذا القبيل ما أورده « مما قالوا فى صفة اللّسان »[٢] ، و « ذكْر ما قالوا فى مديح اللّسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور »[٣] ، و « باب آخر فى ذكر اللّسان »[٤] و « باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخُطب[٥] » « باب منه آخر : ووصفوا كلامهم فى أشعارِهم فجعلوها كبُرودِ العَصْب ، وكالحُلل والمعاطف والدّيباجِ والوَشْيِ » [٦] وكذلك ما أورده من « باب ما قيل فى المخاصر والعصىّ وغيرهما »[٧] و « باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطب واللَّسَن والامتداح به والمديح عليه »[٨] و « باب ما قالوا فيه من الحديث الحسنِ الموجزِ المحذوفِ والقليلِ الفُضُول »[٩] .

ومن ناحية أخرى فإن كثيرا من النّصوص الواردة فى الكتاب إنْ هى إلا شواهدُ وأمثلة على الظواهر التى يتناولها بالحديث كالسّجع والازدواج والبديع ـ كما فهمه ـ والإيجاز ، وغير ذلك . ومن هذا القبيل الأشعارُ التى يوردها كأمثلة على استخدام بعض الخطباء لألفاظ المتكلّمين دون حاجةٍ من المناسبة[١٠] والأشعارُ التى استخدم أصحابها مثل هذه الألفاظ على سبيل

---

(١) البيان ١/١٤٩ .
(٢) البيان ١/١٥٩ .
(٣) ١ البيان / ١٦٦
(٤) البيان ١/١٧٢ .
(٥) البيان ١/٣١٨ .
(٦) البيان ١/٢٢٢ .
(٧) البيان ١/ ٣٧٠ .
(٨) البيان ١/٢٣١ .
(٩) البيان ١/٢٧٦ .
(١٠) البيان ١/١٤٠ .

التملّح [١] ، وكذلك الأشعار التى أدخل فيها أصحابُها بعضَ الألفاظ الفارسية [٢] وبالمثل النصوص الكثيرة التى أوردها وفتَح لها أبوابا خاصة مثل « باب من الأسجاع فى الكلام »[٣] و « باب أسجاع »[٤] و « باب من مزدوج الكلام »[٥] و « باب من الكلام المحذوف »[٦] .

وربما لفتته الظاهرةُ فراح يسجل أمثلتَها دون ذكر اسمها : كالذى فعله فى عدد من الأبيات التى تشتمل على صور من الطِّباق[٧] وربما سَمّى الظاهرة ، أو نقل اسمَها عمن يُنسب إليه ثم راح يورد الأمثلة عليها كما فعل فى حديثه عن (المَثَل) وحديثه عن (البديع)[٨] . والحقيقة أنه لا تُعوزِه المناسبةُ ليضم نصًا إلى آخر . فقد تأتى المناسبةُ من اشتراك الموضوع بين النصّين ، أو اشتراك الظواهر الأسلوبيّة - كالإيجاز والإطناب - أو الظواهر البديعية - كالازدواج والسجع والطباق - بل إن الكلمة الواحدة قد تشدُّ فى أحد النصوص فإذا به يتوقّف ليجمع الأمثلةَ المشتملةَ عليها ، وعلى سبيل المثال : يتحدث عن قبيلة عُكْل ، ويقول إن فيهم شعراً وفصاحة ثم يذكر ما زعمه يُونس من « أن عُكْلا أحسنُ الناس وَجوها فى غِبِّ حَرْب» وقول بعض بنى تميم :

خَليلِى الفَتى العُكْلِيّ لم أرَ مثِلَه ... تحَلّبُ كفاه نـدًى شائـع القـدر

كأنّ سُهْيلا - حين أوقد ناره ... بِعَلْياء - لا يَخْفَى على أحدٍ يَسْرى

---

(١) البيان ١/١٤١ .

(٢) البيان ١/١٤١ - ١٤٤ .

(٣) البيان ١/٢٨٤ .

(٤) البيان ١/٢٩٧ .

(٥) البيان ٢/١١٦ .

(٦) البيان ٢/٢٧٨ .

(٧) البيان ١/١٤٩ - ١٥٢ ، ٣/٧٢ .

(٨) البيان ٤/٥٥ .

ثم يقـول : « ولم أكـتُبْ هذا الشعـرَ ليكون شـاهداً على مـقـدار حظهم فى الشَّرَف ، ولكن لنضُمّه إلى قول جِرَان العَوْد :

أُرَاقِبُ لَمْحًا مـن سُهَيْلٍ كأنّـه إذا ما بَدَا من آخرِ اللّيْلِ يَطْرف[1]

وواضح أن كلمة (سُهَيْل) هى الجامع بين النّصين .

وقد يبدأ الأمر بالتفاته إلى كلمة مشتركة ـ كما حدث هنا ـ فيورد ما اشتمل عليها من نصوص ، ولا يتجاوز ذلك ، وقد يتجاوزه فينتقل انتباهُه إلى ظاهرة فنيـة ـ كالطباق ـ فإذا به يستـمـر فى إيراد النصـوص المشتـملة على الظاهرة متـجاوزا الجامع الأول ـ أو السـببَ الأول ـ وهو الاشـتـراك فى هذه الكلمة أو تلك .

من ذلك إيراده لقول محمد بن يَسير فى وصف قِسِيٍّ ضمن أبيات :

عُطف السِّيات موانعُ فى عطفها تُعزى إذا نُسبَتْ إلى عصفور

ثم يقول : « ذهب إلى قوله :

* فى كفه مُعطيـةٌ مَنُـوع *

وهذا مِثْل قوله : * خرقـاءُ إلا أنهـا صَنَـاع *

وهذا مثْل قوله : * غادر داءً ونجا صَحِيحا *

ومثل قوله : * حتى نَجَا من جَوْفه وما نَجا * [2]

وكما نرى : فإن الجامع بين بيت ابن يسـير والشطر الذى يليـه هو كلمـة (مَوانع) وكلمـة (مَنُوع) ، ولكن الأمر يختلف بين الأشطر الأربعة الأخيرة، فظاهرة المطابقة ـ وليس مادّة الكلمات ـ هى التى تجمعها ، وهى ـ بطبيعة الحال ـ التى لفتت نظر الجاحظ إليها .

---

(١) البيان ٣٩/٤ ، ٤٠ . ويراجع فى استهواء الكلمة الواحدة له وجمع النصوص المشتملة عليها ٢٣٢/١ .

(٢) البيان ٧٢/٣ .

وقد يبدأ الأمرُ بكلمة ـ كما مرّ ـ ثم يستطرد إلى ذكر نماذج من استخداماتها في عدد من الدّلالات التي تتحملها الكلمة ، بما قد يؤدي إليه ذلك من الوقوف على قضايا نقدية ، أو لغوية . ومن ذلك حديثُه عن معنى (وَزْن الكلام) و (الكلام الموزون) مما ورد في كلام بعض الشعراء، جاء عنده :

« ومما ذكروا فيه الوَزْنَ قوله :

زِنِى القولَ حتى تعرفى عند وَزْنِهِم   إذا رفع الميزان كيف أميل[1] .

ثم قال :

« وباب منه آخر ، ويذكرون الكلامَ الموزونَ ويمدحون به ويفضلون إصابة المقادير ، ويذمون الخُروج من التّعديل » .

و (وَزْنُ الكلام) هنا ـ أى عنده ـ يعنى إيراد كلّ كلمة أو صفة بالقدر اللاّزم بغير نقص ولا زيادة ، ومن هنا كان هجاءُ الشاعر لبعضهم :

ما شئتَ من بَغْلة سَفْواءَ ناجيةٍ   ومن أثاثٍ وقولٍ غيرِ موزونِ

وكان فخرُ بعضهم :

فإنْ أكُ مَعْرُوقَ العظَام فإنَنى   إذا ما وزنْتِ القومَ بالقومِ وَازِنُ .

وكان مدحُ مالك بن أسماءَ لبعضِ نسائه :

وحديــثٌ ألَــذّهُ هــو ممّــا   ينعتُ الناعتون يوزَن وزْنًا

ثم تأتى قضـيـة إصابة المقدارِ ـ فى الكلامِ ، وفى الحظوظ من كل شىء : الطَعام والماء ... إلخ .

من هنا كان قولُ جعفر بن سليمان « ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل ، وإنما الشأن فى إصابة المقدار »[2].

« وقالَ طرفة فى المقدار وإصابته :

فَسَقَى ديارَكِ ـ غيرَ مُفْسِدِها ـ   صَوْبُ الرّبيع وديمةٌ تَهْمِى

---

(١) البيان ٢٢٦/١ .

(٢) هذه النصوص فى (البيان) ٢٢٧/١ .

طَلَبَ الغيثَ على قدْرِ الحاجة ، لأن الفاضِل ضارٌ »(١).

ومن إصابة المقدار - فيما يبدو - وضْعُ الشيء إلى جوار ما يُشبِهُه ، أى إلى جوار ما حقّه أن يوضع معه . ومن هنا « قال بعض الشعراء لصاحبه : (أنا أشعرُ منك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّى أقول البيتَ وأخاه ، وأنتَ تقول البيتَ وابنَ عمّه) وعاب رُؤْبَةُ شعرَ ابنه عُقْبَة فقال : (ليس لشِعْرِه قِرَانٌ). وجَعْلُ البيتِ أخا البيت إذا أشْبَهَهُ وكان حَقُّه أنْ يُوضَع إلى جنبه » .

وهنا تَشُدُّه صفة (الأخوّة) هذه فيقول : « وعلى هذا التأويل قال الأعشى :

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ فإنّ قَصِيدَةً متى تأتِكُمْ تلحَقْ بِهَا أخواتُها

وقال الله عز وجل ﴿ وما نُرِيهِمْ مِنْ آيةٍ إلاّ هِيَ أكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ وقال عَمْرو بنُ مَعْدِى كَرِب :

وكُلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أُخُوهُ لَعَمْرُ أبِيكَ إلاّ الفَرْقَدَانِ »(٢).

هذه القرابةُ - المجازية طبعا - لا تلبث أن تشدّه إلى ذكر قراباتٍ أُخرى من نفس المستوى .

« قال الهُذَلى :

أعامِرُ لا آلُوكَ إلاّ مُهَنّداً وجِلْدَ أبِى عِجْلٍ وَثِيقِ القَبَائِلِ

ويعنى بـ(أبى عِجْل) : الثّوْر . وقالوا فيما هو أبعد من هذا ، قال ابنُ عَسَلَة الشّيْبَانيّ ، واسمه عبد المسيح :

وسماعِ مُدْجِنَةٍ تعلِّلُنا حتى نَنَام تناوم العجم

فصحوت والنمرى يحسَبُها عمّ السِّماك وخالةَ النّجْم »(٣).

---

(١) البيان ١/٢٢٨ .

(٢) هذه النصوص فى (البيان) ١/٢٢٨ .

(٣) البيان ١/٢٢٩ .

ويظل يُورد الأمثلةَ على هذه (القرابات المجازية) إلى أن يقول : «فهذا مما يدلّ على توسّعهم فى الكلام وحمْل بعضه على بعض واشتقاق بعضه من بعض »[١] .

لننظر الآن كيف تطرق الحديث من (وَزْن الكَلاَم) أى سَوْقه على أتمّ وجْهٍ من الدّقة ، إلى حديث (إصابة المقْدار) إلى حديث المشابَهة بَين أبيات الشعر و (المُآخاة) بينها ، وإلى ذكر هذا العَدَد من القرابات المجازية .. ليخرج إلى نتيجةٍ عامة هى « توسّعهم فى الكلام وحَمْل بعضه على بعض ... » وهذه هى طريقةُ الجاحظ : أنْ لا يأتى بالنصّ عاريًا عن سياقه أو خبره ، وأنْ لا يَدَعَ استغلالَ النّصّ - ما أمكن - لتقديم أكبرِ قَدْرٍ من الفائدة لقارئه .

أما الظاهرةُ الأهم بالنسبة لنا فهى أن هذه الاستطرادات كثيرًا ما تنجلى عن لمحةٍ أو نظرة من نظراته المتعلقة بأصول الفنّ القولى وذلك كحديثه السابق عن (القران) بين الأبيات - هذا القران الذى فَصَّلَ فيه القولَ فى أكثرَ من موضعٍ - وكحديثه عن توسُّعهم فى الكلام وحَمْل بعضه على بعض ...

وهذه - غالبا - هى الطريقة التى ترد بها نظراته وآراؤه فى الفن القولى، والمبادئ التى تحكمه ، إذْ ترد هذه النظرات فى سياقات قد يكون ظاهرها الاستطراد والإطالة بينما تحمل فى حقيقتها الوَعْيَ بمبدأ الترتيب والنظام .

هذه - عزيزى القارئ - بعض ملامح الكتاب الذى احتدم حوله الجدل فى القديم ، ودار حوله الكثير من الدراسات فى العصر الحديث ، والذى نقدمه لك اليوم .. أعنى **كتاب البيان والتبيين** .

عبد الحكيم راضى

---

(١) البيان ١/ ٢٣٠ .

إهداء

حَفِظَكَ اللهُ وَأَبقَاكَ وَأَمْتَعَ بِكَ ، وَجَعَلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ وُدٍّ مَوْصُولًا أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ صَدِيقًا لَا يَشُوبُ صَدَاقَتَهُ زَيْفٌ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنيا ، وَعَرَفْتُكَ عَلَى تَقَادُمِ الْعَهْدِ وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ ، أَخًا ثَابِتَ الْإِخَاءِ وَثِيقَ النَّفْسِ ، لَيْسَ كَمَنْ يَدُورُ بِخُلَّتِهِ بَيْنَ النَّاسِ مُلْتَمِسًا بِهَا الْغُنْمَ ، وَبَاغِيًا بِهَا النَّفْعَ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، أَيَّدَكَ اللهُ ، مِمَّا أَكْبَرَكَ فِي عَيْنِي ، وَأَعْظَمَكَ فِي نَفْسِي ، وَبَسَطَنِي أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيكَ هَذَا الكِتَابَ الْخَالِدَ لِتَرَى فِيهِ ، وَلِتَعْلَمَ أَيُّهَا السَّمِيُّ الْكَرِيمُ ، أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ فِي نَفْسِي مِثْلَ مَا تَحْفَظُ لِي مِنْ وَفَاءٍ ، وَأَطْوِي لَكَ صَدْرِي عَلَى مِثْلِ مَا تَطْوِي مِنْ وَلَاءٍ .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التى أخذتُ نفسى بإخراجها وجِلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أسْيَر كتب أبى عثمان وأكثرها تداولا ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فبِه تخرّج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسُنهم على الطريقة المثلَى . فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ممن صقلوا ذوقهم بصِقال الجاحظ ، ورفعوا فنّهم بالتأمل فى فنه وعبقريته .

٢ — بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى [(١)] فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ؛ لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالَّة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازَه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

---

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيرواني (٣٩٠ — ٤٦٣) فى العمدة [1] يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علّامة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلَغ جودة وفضلا ، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرته ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربى (٧٣٢ — ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء فى هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب [2] : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها ، وفروع عنها » .

٣ — تفصيل الكتاب

إنّ دأب الجاحظ فى تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسَّمه ، ولا يلتزم نَهجًا مستقيما يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام فى قضية من القضايا ، ثم يدعها فى أثناء ذلك ليدخل فى قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل . وقد كانت هذه سبيلَ كثير من علماء دهره ، كما أن علوّ سنه وجِدّةَ التأليف فى تلك الأبحاث التى طَرَقها ، كل أولئك كان شفيعاً له فى هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فهو يقول عند الكلام على البيان [3] : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكنا أخّرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعِدُ فى أواخر هذا الجزء [١] أن يتكلم فى الجزء الثانى على طعن الشعوبية على العرب فى اتخاذ المِخصرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، فى الجزء الثانى ، ولكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : ولكنا أحببنا أن نصدِّر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجِلَّة من التابعين ». ويمضى الجزء الثانى بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا فى صدر الجزء الثالث من الكتاب.

ونحن نستطيع أن نردَّ مباحث الكتاب وقضاياه إلى الضروب التالية :

(١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول فى مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرْضٌ لبعض كلام النوكى والحمقى ونوادِرِهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ فى تعريفَ البيان ، وساق فى تفصيلِ أنواعَ الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والعَقْد ، والنِّصبة [٢] . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان [٣] ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين [٤] ، ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب فى عصره [٥] ، وروى مقطَّعات من نوادر الأعراب وأشعارهم [٦] وتحدث فى لُكْنة النبط والروم [٧] ، وعَرَض نماذج من كلام الموالى [٨] ، وعقد فى الجزء الثانى باباً للَّحن وأخبار اللحانين ، بعد أن تكلَّم

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .
(٢) انظر ١ : ٧٥ .
(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٥٧ .
(٦) الجزء الثالث .
(٧) ١ : ٧٠ .
(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

فى الجزء الأول [١] على اللحن ومتى يُستملَح ومتى يُستهجَن . وفى الجزء الثانى عرض صوراً من صور العى والحَصَر ، وبسط مذهباً له فى وجوب أداء القصص والنوادر كما هى ، إن معربةً فمعربةً ، أو ملحونة فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين .

ولم ينس أن يسوق فى صدر كتابه طائفة من الآيات التى تنوِّهُ بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة فى الحث على البيان والتبيين [٢] ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لايُغْفِل أن يتكلم فى مخارج الحروف ، ويبيِّنَ أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها فى البيان [٣] ، وكذلك أثر لحم اللِّثة [٤] ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومى [٥] : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها » .

ويعقد باباً للحروف التى تدخلها اللثغة ، ويبيِّن : أىُّ لثغة أشنع وأيها أظرف [٦] . ولعل الذى دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلى ، الذى حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذى كان يتغلب عليه ، كمالاً وعبقرية يسوق فيها الدليل إثر الدليل [٧] .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء [٨] ، ومن جمع بين الخطابة والشعر [٩] ، ويعرض نماذج من كلام الرسول فى صدر الجزء الثانى [١٠] ، كما عقد باباً للغز فى الجواب فى ذاك الجزء .

فإذا ما حاول الكلام فى البلاغة ، وهى المرتبة التى فوق البيان ، ذهب

---

(١) ١ : ١٤٦ . (٢) ١ : ١٤٥ . (٣) ١ : ٢٠٠ . (٤) ١ : ٥٨ .

(٥) ١ : ٦١ . (٦) ١ : ٦١ . (٧) ١ : ٦٤ .

(٨) ١ : ١٤ . (٩) ١ : ٩٨ . (١٠) ١ : ٥١ .

يسرُدُ تعريفها عند الفرس والروم والهند ، والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابى وسهل بن هارون ، وعَمرو بن عبيد ، وابن المقفع (١) . ثم لايرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها (٢).

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التى عرفت فيما بعد ، إلا ما قَدَّمَ من كلام فى تنافر الحروف وائتلافها (٣) ، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال (٤) . وهو يتكلم فى الإيجاز والإطناب ويعيِّن المواضع الصالحة لكل منهما (٥) ، ويروى لنا الشعر الذى يمدح فيه الشعراء الإيجاز (٦) . ويتكلم فى المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر (٧) .

القول فى مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهوداً طريفاً ، فهو قد عقد باباً للصَّمت والحث عليه (٨) ، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت (٩) ، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُغْرِبين وأصحاب التقعير (١٠) ، وأبوابا أخرى فى مديح اللسان وشدة العارضة (١١) ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله فى إصابة القَدْر فى الكلام (١٢) ، وأن تكون الألفاظ والمعانى أوساطاً بينَ بينَ (١٣) .

(١) ١ : ٨٨ . (٢) ١ : ٩٢ . (٣) ١ : ٦٩ .
(٤) ١ : ١٤٩ . (٥) ١ : ١٤٩ . (٦) ١ : ٢٧٦ .
(٧) ١ : ١٥٢ . (٨) ١ : ١٩٤ .
(٩) ١ : ٢٦٩ . (١٠) ١ : ٣٧٧ .
(١١) ١ : ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٣١ . (١٢) ١ : ٢٧٧ .
(١٣) ١ : ٢٥٥ .

الخطابة :

وقد عنى الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة . ولا غرو ، فالخطابة دِعامة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال فى تأييد أمرهم ، وبيان مذاهبهم ومقالاتهم [١] . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر [٢] ، ويبين ما ينبغى اتباعه فى ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح [٣] ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفيع الصوت ، ذاكراً فى ذلك الخبر والمثل [٤] ومن عُرف بجهارة الصوت [٥] ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جَهارة ، وينقل خبراً غريباً : « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمِع الناس جميعا صوتَ وجوبِ القرص فى المغرب [٦] » . ويتكلم فى الدمامة ومدَى أثرها فى قدر الخطيب والشاعر [٧] ،ويتعرض للخلاف فى تأثير حركة الخطيب وإشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، فى سامعيه [٨] . ويتكلم فى استعمال المخاصر والعصىِّ فى الخطبة [٩] وطَعْن الشعوبية على العرب فى ذلك [١٠] ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم [١١] وأخبار خطباء الخوارج خاصة [١٢] ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان [١٣] ، وكما نوه بخَصلة إياد وتميم فى الخطب [١٤] . وهو فى أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

---

(١) ١ : ١٤ .
(٢) ١ : ١١٨ .
(٣) ١ : ١١٦ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٢٣ .
(٦) ١ : ١٣٣ .
(٧) ١ : ٢٣٧ .
(٨) ١ : ٩١ .
(٩) ١ : ٣٧٠ .
(١٠) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثانى ، ثم أول الثالث .
(١١) ١ : ٣٠٧ .
(١٢) الجزء الثالث .
(١٣) ١ : ٣٥٨ .
(١٤) ١ : ٥٢ .

الشعر

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله مِيسَم يبقَى على الدهر فى المدح والهجاء [١] ، وله أوزان لابد منها ولابد من القصد إليها ؛ فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد القرآن وفى الحديث كلام موزون على أعاريض الشِّعر ولكنه لا يسمى شعرا [٢] . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل [٣] . وليس ينبغى للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنها إذا كانت كذلك لم تسِرْ ولم تجرِ مجرى النوادرِ [٤] وفى المولدين شعراء مطبوعون [٥] ، وللشعراء رسوم خاصة [٦] ، وقد كان بعض أبيات الشعر سبباً من أسباب تسمية الشاعر [٧] . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عُشْرُه [٨] » .

السجع :

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والدِّيانيين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهلية ؟! » .فهو فى ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستهجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق [٩] . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منهيًّا عنه فى نأناة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، حيث كان السجع يجرى فى

(١) ١ : ١٥٦ .
(٢) ١ : ٢٨٧ — ٢٨٩ .
(٣) ١ : ٤٥ .
(٤) ١ : ٢٠٦ .
(٥) ١ : ٥٠ .
(٦) ١ : ٩٣ .
(٧) ١ : ٣٧٤ .
(٨) ١ : ٢٨٧ .
(٩) ١ : ٢٨٧ .

الكهانة والترجيم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم [١] . ولهذا شبيهٌ فى النهى عن مرثية ابن أبى الصلت لقتلى أهل بدر فى أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهى [٢] . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك مأثورا من متخير السجع وبديعه [٣] .

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربى ، فهو ينثر فى تضاعيف كتابه قدراً صالحا مختارا منها [٤] ، لتكون إماما يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النساك والقصاص :

وللنساك حظ وافر من عناية الجاحظ فى الكتاب . فهؤلاء النساك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ فى البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببليغ القول وحُسن المحاضرة ، وكانت لهم جَوْلات فى مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تُؤْثَر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع .

وأما القُصَّاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء ، وكانوا ذوى فصاحة وبلاغة ، فمنهم: موسى بن سيار الأسوارى «كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسيةِ فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور بِهِ ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ

(١) ١ : ٢٩٠ .

(٢) ١ : ٢٩١ .

(٣) ١ : ٢٧٤ ، ٢٩٧.

(٤) انظر الجزء الثانى .

الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ، فلا يُدرى بأىّ لسان هو أبين [(١)]»

لذلك ولهذا عقد الجاحظ بابا لذكر النساك والزهاد من أهل البيان [(٢)] ، وآخر لذكر القصاص [(٣)] كما روى طائفة من كلام النساك [(٤)] ومقطعات من كلام القصاص [(٥)] ، كما خصص فى الجزء الثالث من الكتاب بابًا كبيراً فى الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداودَ عليهما السلام ، ومواعظَ الحسن وعمر وآخرين من النساك ، ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرِح الضاحك ، لا يفتأ يعجّب الناس من هذا الخَلْق الطريف ، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق لبعضهم من البيان السّاحر ، ومن التبيين العجيب ، مايكون فى الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفيا ، فيكون كلامه عُواراً جديراً بأن ينبه الجاحظُ على التحذير منه ، وبأن يكشف عما به من خطل ومجانبة للصواب ، كما صنع فى باب العى . وهو يروى فى الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفةً من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون فى ذلك ترويح عن نفس المتصفّح ، ونفع له فى بيانه وعبارته ، وهدًى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكى والحمقى طائفةً خاصّة من المعلمين [(٦)] ، لا يلبث أن يستثنىَ منهم

(١) ١ : ٣٦٨ .
(٢) ١ : ٣٦٢ .
(٣) ١ : ٣٦٧ .
(٤) ١ : ٢١٠ .
(٥) فى الجزء الثانى .
(٦) ١ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

جماعة من جِلّة المعلمين والمؤدبين .

الاختيارات :

والجاحظ بين الفينة والأخرى يوشّع كتابه بالجيِّد المتخيَّر من النثر والشعر ، ولا سيمّا فى الجزأين الثانى والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسانُ والفقر المستملَحة . فمنها مايكون شاهداً لما يَبْغي أن يدعمه ويؤيِّده من قضايا البيان ، ومنها مايرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المراثى ، ومن الخمريات ومن هجاء البرامكة ومديحهم ، ومما قيل فى الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونوادرهم ، وطائفة من أدب بنى العباس ومجموعة من قصار الخطب وطوالها ، ومتخَّل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرِّب الكتاب إلى قارئه تقريباً ، وتخط الخطوط الرئيسة التى يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ ــ أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول فى عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكننى أن أقول فى ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابهٌ فى العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفِد منه . وقلَّما تجد أديباً من المحدَثين لم يتمرَّسْ بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء فى مؤلفاتهم كابن قتيبة [١] فى عيون الأخبار ، والمبرد [٢] فى الكامل ، وابن عبد ربه [٣] فى العقد ، والعسكرى [٤] فى الصناعتين ، والحُصْرى [٥] فى زهر الآداب وجَمْع الجواهر ،

---

(١) سنة ٢١٣ ــ ٢٧٦ .

(٢) سنة ٢١٠ ــ ٢٨٦ .

(٣) ٢٤٦ ــ ٣٢٨ .

(٤) توفى بعد ٣٩٥ .

(٥) توفى سنة ٤٥٣ .

وابن رشيق [1] فى العمدة ، وعبد القاهر الجرجانى [2] فى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ [3] فى لباب الآداب .

٥ — تاريخ تأليفه

ذكرت طَرفاً من ذلك فى مقدمة الحيوان [4] ، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألّفه فى أخريات حياته ، حين علت به السنُّ وقَعَد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألّفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أننى عثرت على نَصٍّ قاطع فى البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشرَ ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لِمَا ذكرتَ من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله ».

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضى أحمد بن أبى دواد [5]، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاهُ خمسة آلاف دينار[6].

والذى يعنينا من هؤلاء هو القاضى أحمد بن أبى دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع فى الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلى ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حُظْوةٍ عند المأمون ، وقد أُوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضىَ القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده

(1) ٣٩٠ — ٤٦٣ .
(2) توفى سنة ٤٧١ .
(3) ٤٨٨ — ٥٨٤ .
(4) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .
(5) ١٦٠ — ٢٤٠ .
(6) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦)

الواثق حسنت حال أبى دواد فى أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُزل وقلد يحيى بن أكثم ثانية ، وتوفى أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبى دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصًّا به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبى دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : « خفت أن أكون ثانى اثنين إذ هما فى التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صنَعه ليعذب الناس فيه ، فعذِّب هو فيه حتى مات .

ويروى ياقوت [1] ، أنه بعد قتل ابن الزيات جىءَ بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبى دواد ، فجرت بينه بين القاضى محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضىَ عنه ابن أبى دواد وأجازه وقربه إلى نفسه .

وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهى السنة التى قتل فيها ابن الزيات .

٦ — نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت [2] أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صُنْع الله حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضِها ببعض ، أنْ تبيَّن لى فى أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلى ، هى أصحّ نسخةٍ من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات ، التى لا توجد فى

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .

(٢) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارةٍ أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق فى ذكر نصوص وعبارات لا نجدها فى نسخة كوپريلى ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شئ فلا ريب عندى أن نسخة كوپريلى هى أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كوپريلى ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التى قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى [1] .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا فى ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك فى أول الجزأين الثانى والثالث . وقد توافر لى من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :

(الأولى) : نسخة مكتبة كوپريلى [2] المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة فى أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبِّه فى آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذى يليه . والجزء الأول فى ٣٥٦ صفحة والثانى فى ٣٥٥ ، وفى كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفى نهايتها : « كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على سيدنا محمد وآله فى الجمعة سابع المحرم بن سنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى » .

---

(١) تجد أيضا أن افتتاح نسخة كوپريلى وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » ، أما سائر النسخ فتتفق فى أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبى الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسيرك » .

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة « هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد ، عرف بكوبريلى ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

(الثانية) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهى المرموز لها بالرمز (ب) وهى فى مجلد واحد يقع فى ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهى مكتوبة بالخط الفارسى الجميل وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب فى صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية . ومضاف فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيماه » مكونة من « فى » العربية ، و « ماه » الفارسية التى بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهى المرموز إليها بالرمز (جـ) وهى فى مجلد يقع فى ٥٧١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهى مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة فى الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً . وفى خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابه هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجى عفو الكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهى فى مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسى المعتاد ، وبكل صفحة ١٩ سطراً وبكل سطر نحو ١٧ كلمة ، وبهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة

بخط الناسخ وكتب فى صدرها : « من كتب الفقير عبد السلام المويلحى فى ٢ رجب سنة ١٢٨٥ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط قَيَّد موضعَها فى أول الكتاب العلاَّمة المغفور له أحمد تيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(١) النشرة الأولى فى مجلدين فى ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ ــ ١٣١٣ ، عنى بها حسن أفندى الفاكهانى إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقى الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، وهذه النشرة مجردة من الضبط ، وبها تعليقات يسيرة فى الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثانية فى ثلاث مجلدات فى ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦ صفحة . وذلك فى مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد فى نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشى هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجمونى الأزهرى [(١)] ، عُفى عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(٣ ، ٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوبى ١٣٤٥ ، ١٣٥١ وكل منهما فى ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع فى

---

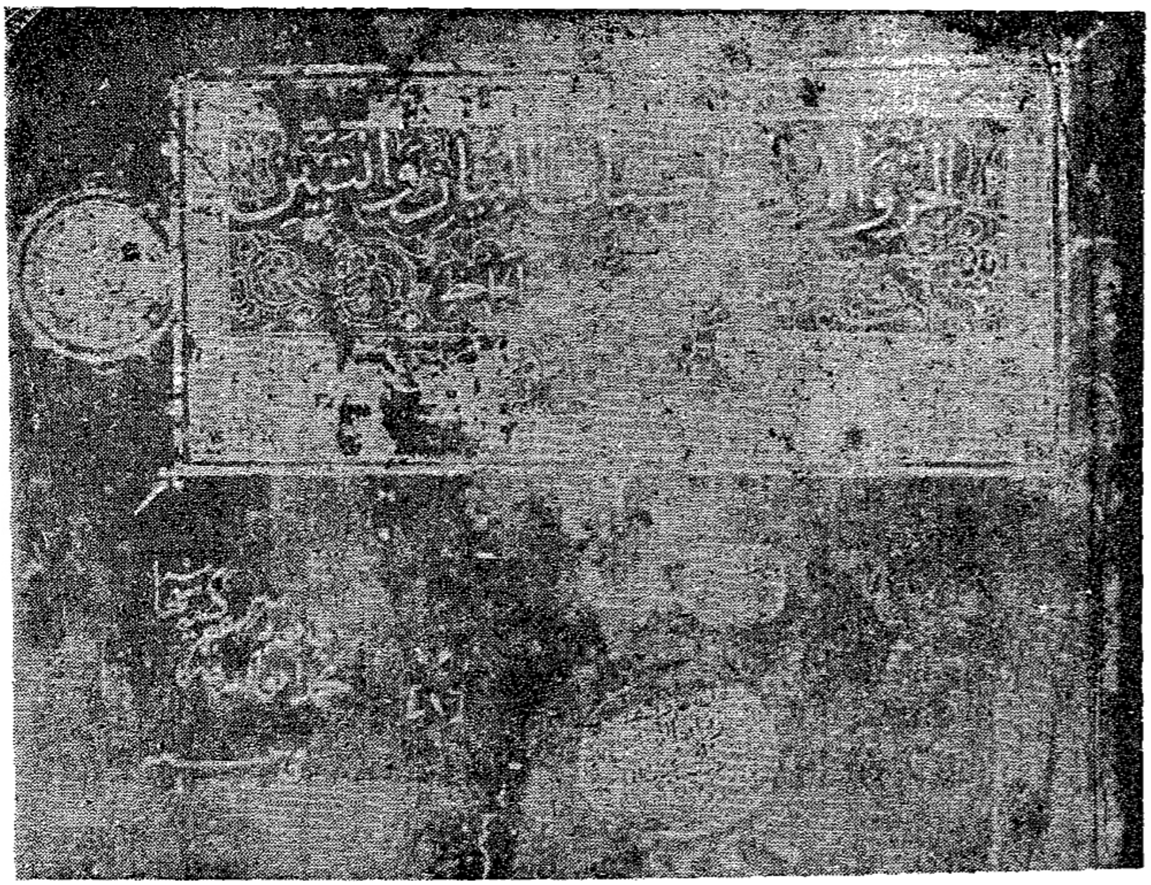
(١) كان غفر الله له من أعلام أدباء الأزهر ، وقد تلمذت له عاما فى الأزهر سنة ١٣٤٠. ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ؛ ونشرة من كامل المبرد .

ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتناء الأديبين : خليل بيدس ، وشريف النشاشيبى ، وهو فى ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ ـــ تحقيق الكتاب

عندما فرغت من تحقيق تلك المَعْلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن ألتمس شيئاً من الهدوء والرَّوح ، إثر ذلك المجهود العاتى ، ولكن تلك الرغبة الملحة فى بعث مكتبة الجاحظ،وهى رغبة توشك أن تكون جهاداً، حملتنى أن أدخل فى الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثيرٍ لدىَّ، هو الأستاذ « **عبد السلام محمد الناظر** » ، الذى سعدتُ بأخوته وزمالته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمانَ الطلب بدار العلوم ، فقد أرادنى على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة فى تفقات الطبع،صاحب فضل عظيم فى ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التى جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها من إشارة ، وحل مافيها من رموز ، فلما شرعت فى تحرير هذا الكتاب هالنى ما رأيت فى الطبعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذلك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التى أسلفت وصفها فى الفصل السابق وصنعت ـــ فيما نرى ـــ على ما تقتضيه أساليب النشر الحديث ، وأُعدَّت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .



صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي

وقد اتَّخذتُ نسخة كوبريلى أصلاً لهذه النشرة ، منبهاً على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة فى سائر النسخة على سائر النسخ لم أنبه عليه . وهو كثير ، وما كان من زيادة فى سائر النسخ أضفته بين معقفين : [ ]ونبهت عليه . على أننى فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تجنُّباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقفين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثانى من الأصل إنما يبدأ فى نحو منتصف الجزء الثانى من نشرتنا هذه ، وسأنبِّه على ذلك فى حينه .

وعُنيت بضبط الكتاب محققاً مابه من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عنيت خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما فى ذلك من عسر شديد وجهد جهيد ، فقد أرْبَت الأعلام المترجمة فى هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية فى تحقيق النصوص وتخريجها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منبهاً على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسِّيَر والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أُضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم فى التفسيرات اللغوية التى وردت فى صلب الكتاب ،فظن أنها من زيادات القراء والناسخين،وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ فى ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التى تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن أستخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية فى كتاب

الحيوان ، وقع فى نحو ٢٧ صفحة [١]، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها فى مكانها من صلب الكتاب .

٨ — الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهى :

١ — فهرس البيان والبلاغة

٢ — « الخطب .

٣ — « الرسائل والوصايا .

٤ — « الأشعار والأرجاز .

٥ — « الأمثال .

٦ — « اللغات .

٧ — « الأعلام .

٨ — « القبائل والأرهاط والطوائف .

٩ — « البلدان .

١٠ — « أيام العرب .

١١ — « معالم الحضارة .

١٢ — « الكتب

ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفة من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين .

منشية الصدر فى صبيحة الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ هـ
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ م

عبد السلام محمد هارون

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ — ٦١٥) .

مقدمة الطبعة الثانية

كنت قد أشرت فى أواخر الجزء الرابع من الطبعة الأولى أننى عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب ، جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة (فيض الله) بالآستانة . ورقم هذه النسخة فى المكتبة هو ١٥٨٠ ورقمها فى المعهد ٨٨٧ وهى مخطوطة بخط أندلسى كتبها بخطه لنفسه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمى ، وهو نقلها من نسخة أبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى ، وعليها بخط أبى ذر ما يفيد أنّ نسخة أبى ذر منسوخة من نسخة أبى جعفر البغدادى . ونسخة أبى جعفر هذه كتبت فى غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .

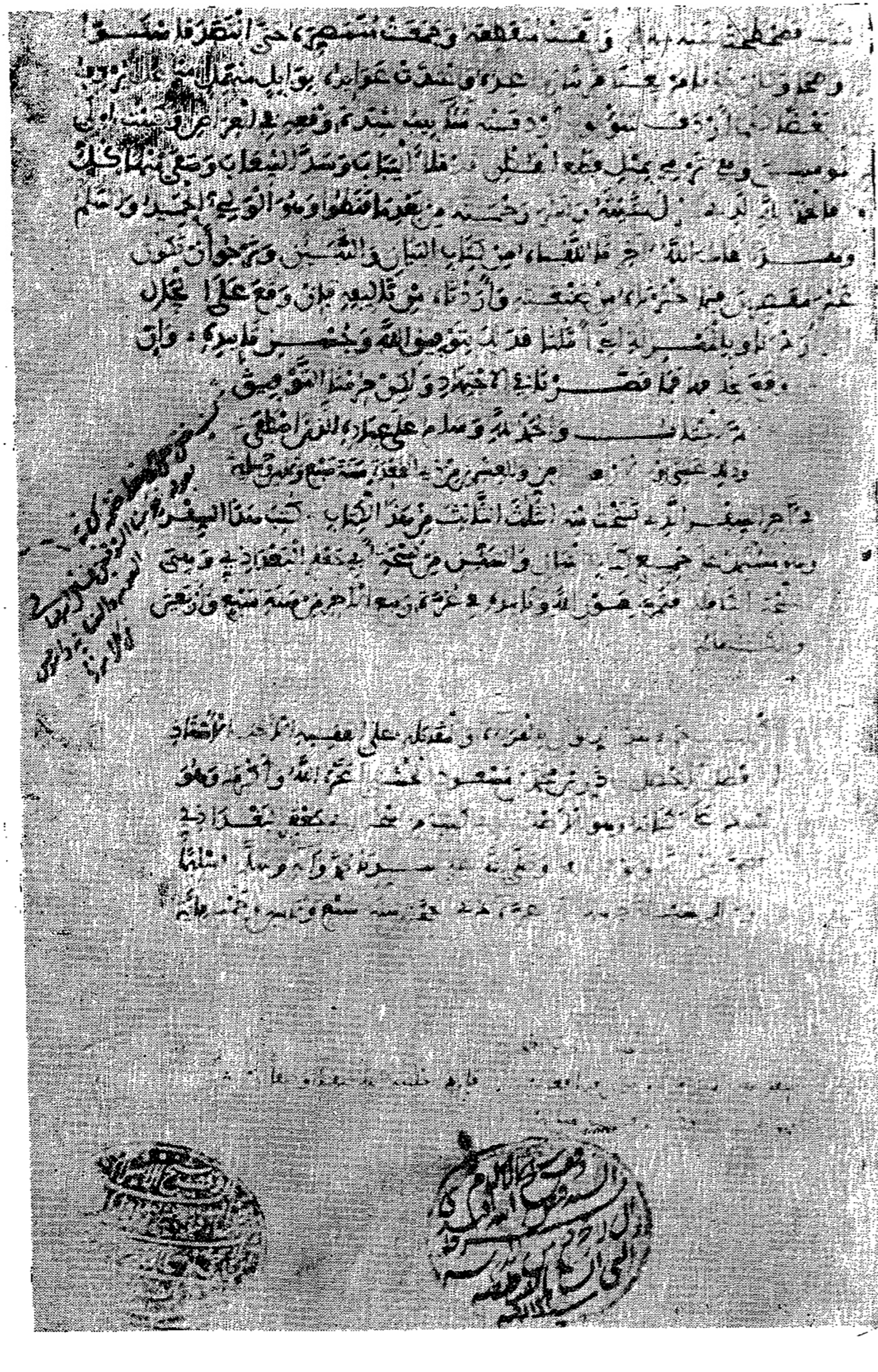
فكان من حظ هذه النشرة الثانية أن تظفر بمقابلة كاملة على نسخة مكتبة (فيض الله) . وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات ، وتعديل فى الشروح والتعليقات ، وببعض الإضافات الحديثة .

وقد وجدت اشتراك نسختى (ل) و (هـ) فى كثير من الإضافات التى كنت قد وضعتها فى النشرة الأولى بين علامتى الزيادة [ ] مقتبسة من نسخة (ل) فقط ، فلما وجدت هذا الاشتراك ساريا فى الجمهور من هذه المواضع أغفلت وضع علامتى الزيادة فى كل مااشتركا فيه ؛ لما وضح لى أنهما أصلان عظيمان من أصول الكتاب .

وقد أدخلت فى أصول الكتاب وحواشيه ما كان قد عنّ لى من تصحيحات ، وماظهر لى من صواب أخطاء الطبع ، فجاءت هذه النشرة أصح من سابقتها وأدنى إلى الكمال الذى نبغى . والحمد لله وحده .


يشتمل هذا السفر على جميع كتاب البيان والتبيين
تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رواية أبي جعفر
البغدادي
١٥٨٠

صورة الصفحة الأولى من نسخة مكتبة فيض الله



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة فيض الله

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر ، رحمه الله :

اللهم إنّا نَعوذ بك من فِتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نُحسِن كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلّاطة والهَذَر [1] ، كما نعوذ بك من العِيّ والحَصَر . وقديماً ماتَعوَّذُوا بالله من شرّهما ، وتضرَّعوا [2] إلى اللهِ فى السلامة منهما .

وقد قال النَّمر بن تولب [3]:

أعِذْنى ربٌّ مِن حصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أعالجُهَا عِلاجَا

وقال الهُذَلىّ [4] :

ولا حَصِرٌ بخُطبَتِهِ إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ [5]

وقال مكّىٌّ بنُ سَوادة [6] :

---

(١) السلاطة : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

(٢) كتب إزاءها فى ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك فى نسخة .

(٣) النمر بن تولب : شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى ﷺ وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم . الإصابة ٨٨٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة . والخزانة (١ : ٢٩١) . ويقال « النمر » بكسر الميم . وصحح ابن دريد فى الاشتقاق ١١٣ أنه بفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، أحد الشعراء المخضرمين ، عمر وعاش إلى خلافة معاوية ، وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها فى خلافة عمر بن الخطاب ، الأغانى (٢٠ : ١٦٧) والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات فى الأغانى . والقصيدة فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ١٣٧ ، ومخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٩٥ . وفى شرح السكرى : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو فى جمع » .

(٦) مكى بن سوادة البرجمى البصرى ، ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٧١ .

حَصِرٌ مُسْهَبٌ جرِىءٌ جَبانٌ   خيرُ عِىٍّ الرجال عِىّ السُّكوتِ

وقال الآخر :

مَلِىٌّ بِبُهْرٍ والتفَاتٍ وسَعْلةٍ   ومسحةِ عُثْنونٍ وفتل أَصابعِ [١]

ومما ذمُّوا به العِىَّ قولُه [٢]:

وما بِىَ مِن عِىٍّ ولا أنطقُ الخَنَا   إذا جمع الأقوامَ فى الخطب مَحْفِلُ

وقال الراجز وهو يمتَحُ بدلوه :

علقتُ يا حارثُ عند الوِرِدِ   بجابِىءٍ لا رَفِلِ التَّرَدِّى [٣]

* ولا عَيِىٍّ بابْتِناءِ المجدِ [٤] *

وهذا كقول بشّارٍ الأعمى :

وعِىُّ الفَعَالِ كعِىِّ المقال   وفى الصَّمت عِىٌّ كعِىِّ الكلِمْ

وهذا المذهب شبيهٌ بما ذهَبَ إليه شُتَيْم بن خُويلد [٥] فى قوله :

ولا يَشعبون الصَّدْع بعد تفاقُمٍ   وفى رِفقِ أيديكم لِذِى الصَّدْع شاعبُ [٦]

ومثل هذا قول زَبّان بن سَيّار [٧] :

ولسنا كأقوامٍ أجدُّوا رِيَاسة   يُرَى مالُها ولا يُحَسُّ فَعَالُها

يُرِيغون فى الخِصْبِ الأمورَ ونفعهمْ   قليلٌ إذا الأموالُ طال هُزالُها [٨]

---

(١) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ والكامل ٢٠ ليبسك : «الأصابع» .

(٢) هو يحيى بن سعيد ، كما فى العققة والبررة لأبى عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٤) .

(٣) الجابئ : الذى يطلع فجأة . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء ل : « فجاءنى » صوابه فى سائر النسخ . والرجز فى الحيوان (٣ : ٤١٩) .

(٤) ل : « ولا عيياً » وفى هامشها : « الرواية : بجابئ . ولا عَيِّى » .

(٥) شتيم بن خويلد : شاعر جاهلى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤) . وشتيم بهيئة التصغير .

(٦) ل : « لذى الصدع » .

(٧) هـ : « وهذا كقول » . وزبان بن سيار بن عمرو الفزارى . شاعر جاهلى كان بينه وبين الحادرة الذبيانى مهاجاة . الأغانى (٣ : ٧٩ — ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .

(٨) يريغون : يطلبون ويدبرون . الأموال : الإبل .

وقُلْنا بلا عِيٍّ وسُسْنَا بطاقةٍ   إذا النارُ نارُ الحربِ طال اشتعالُها

لأنَّهم يجعلون العجزَ والعِيَّ من الخُرْق ، كانا فى الجوارح أم فى الألسنة .

وقال ابن أحمر الباهلىّ :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لى   بالعلم بعد تَدَبُّرِ الأمرِ (١)

وقالوا فى الصمت كقولهم فى المنطق . قال أُحَيْحَة بن الجُلاح :

والصمت أجْمَل بالفتى   مالم يكن عِيٌّ يَشينُهْ (٢)
والقول ذو خَطَل إذا   مَالم يكن لُبٌّ يُعِينُهْ

وقال مُحرِزُ بن علقمة :

لقد وارَى المقابرُ من شَرِيكٍ   كثِيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عابِ (٣)
صموتاً فى المجالس غير عَيٍّ   جديراً حين ينطق بالصّوابِ

وقال مكّىٌّ بنُ سوادةَ :

تسَلَّمَ بالسُّكوت من العيوب   فكان السُّكْتُ أجلَبَ للعيوبِ
ويرتجِلُ الكلامَ وليس فيه   سوى الهَذَيانِ من حَشْدِ الخطيبِ

وقال آخر (٤)

جَمَعْتَ صنوفَ العِيِّ من كلِّ وِجهَةٍ   وكنتَ جديراً بالبلاغةِ من كَثَبْ (٥)

---

(١) فى هامش ل : « تدبر ها هنا من الإدبار » . وفى اللسان : « وعرف الأمر تدبراً ، أى بأَخَرَةَ . قال جرير :

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا » .

(٢) فيما عدا ل : « أحسن بالفتى » . وسيعاد البيتان فى (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : « كبير تحلم » ، والوجه ما فى سائر النسخ .

(٤) فى الكامل ٢٠ ليبسك : « وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى ، وكان أبوه خطيباً وخاله » .

(٥) فيما عدا ل : « وكنت حرياً » . وفى الكامل : « وكنت مليئاً » .

أبوكَ مُعِمٌّ فى الكلام ومُخْوَلٌ   وخالك وثّابُ الجراثيمِ فى الخُطَبْ

وقال حُمَيدُ بن ثورٍ الهلالىّ (١):

أتانا ولم يعدِلْهُ سحبانُ وائلٍ   بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ
فما زال عنه اللَّقْمُ حتَّى كأنه   من العِىِّ لما أنْ تكلّمَ باقلُ

سحْبانُ مثَلٌ فى البيان ، وباقِلٌ مثل فى العِىّ ، ولهما أخبارٌ .

وقال الآخر :

ماذا رُزِينــا منكِ أمَّ الأسْودِ   من رَحَبِ الصدَّرِ وعقلٍ مُتْلَدِ (٢)
* وهى صنَاعٌ باللسانِ واليدِ *

وقال آخر (٣) :

لو صَحِبَتْ شَهْرينِ دأْباً لم تَمَلّْ   وجعلَتْ تُكثر من قولٍ وَبَلْ (٤)
حبُّكَ للباطل قِدْماً قد شَغَلْ   كسْبَكَ عن عِيالنا ، قلتُ : أجَلْ
* تضجُّراً مِنّى وعِيًّا بالحِيَلْ *

---

(١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما فى اللسان (بقل ٦٥) . وحميد الأرقط شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما فى الخزانة (٢ : ٤٥٤) نقلا عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج فى قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسى للقرى   أبن لى ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الهلالى فصحابى عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رجب رحباً ، كحسن حسناً ، ورحب رحَباً كتعب تعبا . والمتلد : القديم . وفى اللسان (تلد) :

ماذا رزينا منك أم معبــد   من سعة الحلم وخلق متلد

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهْدلى ، شاعر كان فى عصر هارون الرشيد ، كما فى أمالى ثعلب ١٩٤ .

(٤) تقرأ أيضاً « وبل » كفرح ، كما أشير ذلك فى هامش ل . وفى أمالى ثعلب : « من قول العلل » .

قال : وقيل لبُزُرْجِمِهْرَ بن البختكان الفارسىّ (١) : أىُّ شئٍ أستَر للعَىّ ؟ قال : عقلٌ يجمِّله . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يستره . قالوا : فإن لم يكن له مال . قال : فإخوانٌ يعبِّرون عنه . قالوا : فإن لم يكن له أخوانٌ يعبِّرون عنه . قال : فيكون عيِيًّا صامتا . قالوا : فإن لم يكنْ ذا صَمْت . قال : فموت وحىٌّ خيرٌ له من أن يكونَ فى دار الحياة .

وسأل الله عزّ وجلّ موسى بنُ عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانةِ عن حجّته ، والإفصاح عن أدِلّته ، فقال حين ذكر العُقْدة التى كانت فى لسانه ، والحُبْسةَ التى كانت فى بيانه : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى ﴾ .

وأنبأنا اللهُ تبارك وتعالى عن تعلُّق فرعونَ بكلِّ سببٍ ، واستراحتِه إلى كل شَغَب ، ونبَّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحدٍ معاند ، وكلِّ مُحْتالٍ مكايِد ، حينَ خبَّرنا بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكادُ يُبِينُ ﴾ .

وقال موسى ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِى ﴾ . وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى ﴾ ، رغبةً منه فى غاية الإفصاح بالحجّة ، والمبالغةِ فى وضوح الدّلالة ؛ لتكون الأعناقُ إليه أَمْيَل ، والعقولُ عنه أفهمَ ، والنفوسُ إليه أسرعَ ، وإن كان قد يأتى من وَراءِ الحاجة ، ويَبْلغ أفهامَهم على بعض المشقّة .

ولِلهِ عزّ وجلّ أن يمتحِنَ عبادَه بما شاء من التخفيف والتّثقيل ، ويبلُوَ أخبارَهم كيف أحَبَّ من المحبوب والمكروه . ولكلِّ زمانٍ ضربٌ من المصلحة ونوعٌ من المِحْنة ، وشكلٌ من العبادة .

(١) بزرجمهر بن البختكان ، حكيم فارسى ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كليلة ودمنة وترجمته من كتب الهند . وتجد كثيراً من أقواله وحكمه منثورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة . و « بن البختكان » من هـ .

ومن الدَّليل على أنّ الله تعالى حَلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والحُبْسة ، قولُه : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة (١) على شيءٍ من دُعائه دون شيء ، لعُموم الخير .

وسنقُول فى شأنِ موسى عليه السلام ومسألتِه ، فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر اللهُ تبارك وتعالى جميلَ بلائه فى تعليمِ البيان ، وعظيمَ نِعمته فى تقويم اللسانِ ، فقال : ﴿ الرَّحْمنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآنَ بالبيان والإفصاح ، وبِحسن التّفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماه فرقاناً كما سمّاه قرآنا . وقال : ﴿عَرَبِيٌّ مُبِين (٢)﴾ ، وقال : ﴿ وَكَذلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبيَاناً لكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ .

وذكر الله عزّ وجلّ لنبيّه عليه السلام حالَ قريش فى بلاغةِ المنطق ، ورجاحة الأحلامِ ، وصحّة العقول ، وذكر العربَ وما فيها (٣) من الدَّهاء والنَّكْراء والمَكْر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللّدَدِ عند الخُصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

---

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) فى النحل ١٠٣ : « وهذا لسان عربى مبين » . وفى الشعراء ١٩٥ : « بلسان عربى مبين » .

(٣) ل : « وما فيهم » .

﴿ ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم ذكَر خلابةَ ألسنتهم ، واستمالتَهم الأسماعَ بِحُسنِ منطقهم ، فقال : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ . ثمَّ قال:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ مع قوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْض لِيُفْسِدَ فِيهاَ وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ .

وقال الشاعر فى قوم يُحسنون فى القول ويسيئون فى العمل ، قال أبو حفص [١] : أنشدنى الأصمعىّ للمكَعْبَر الضَّبّىّ [٢] :

كُسالى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ يُلَهَّى بِهِ المحروبُ وهو عناءُ

وقيل لزُهمان [٣]: ما تقول فى خُزاعة ؟ قال : جوعٌ وأحاديث !

وفى شبيه بهذا المعنى قال أُفنون بن صُرَيم التغلبىّ :

لو أنّنى كنتُ مِن عادٍ ومن إرَمٍ غذِىَّ قَيلٍ ولقمانٍ وذى جَدَنِ [٤]
لَمَا وقَوْا بأخيهم من مهوَّلَةٍ أخا السَّكونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ [٥]
أنّى جَزَوْا عامراً سُوءَى بِفعلِهِمُ أم كيفَ يَجزُوننى السُّوءَى من الحَسَنِ [٦]

---

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أبى عثمان الشمرى .

(٢) المكعبر الضبى اسمه حريث بن عفوظ ، كما فى حواشى الكامل ٤٨ ليبسك . والبيت التالى من أبيات منسوبة إليه فى الكامل . ولكنها فى الحماسة (٢ : ١٩١ – ١٩٣) منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبر . وهو يهجو بالشعر بنى عدى بن جندب ، وكان استنجد بهم ليستردوا له إبله التى اغتصبتها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبر » بكسر الباء . وفى اللسان : « ويقال كعبره بالسيف ، ومنه سمى المكعبر الضبى ، لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط فى الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزى الكسر أيضاً ، تبعاً لابن جنى فى المبهج ٣٦ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « لنو همان » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « ربيت فيهم ومن لقمان أرجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة فى المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) . وانظر أمالى الزجاجى ٥١ والقالى (٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما فدوا » وأشير فى هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جاروا » .

(٦) ل ، هـ : « سوءا » وأشير فى هامشهما إلى رواية : « سوءى » .

أَمْ كيفَ ينفَعُ ماتُعطِى العَلُوقُ به   رِئمَانُ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ

رئمان ، أصله الرِّقة والرَّحمة . والرَّءوم أرقُّ من الرءوف . فقال : « رئمان أنف » ، كأنها تَبَرُّ ولدَها بأنفها وتمنعُه اللبن .

ولأنّ العربَ تجعلُ الحديثَ والبَسط ، والتأنيس والتلقِّى بالبِشر ، من حقوق القِرَى ومن تمام الإكرام به . وقالوا : « مِن تمام الضِّيافةِ الطَّلاقةُ عند أوّلِ وَهْلة ، وإطالةُ الحديث عند المواكلة » . وقال شاعرهُم — وهو حاتم الطائىّ[1] — :

سَلِى الجائعَ الغَرثَانَ يا أمّ مُنْذِرٍ   إذا ما أتانى بين نارى ومَجْزِرِى
هَلَ ٱبسُطُ وجهى أنّه أوّلُ القِرَى   وأبذلُ معروفى له دون مُنكَرِى

وقال الآخر[2] :

إنّكَ يا ابنَ جعفرٍ خيرُ فتَى   وخيرهُمْ لطارِقٍ إذا أتَى
ورُبَّ نِضوٍ طَرَقَ الحىَّ سُرَى   صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى
* إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى *

وقال الآخر[3]:

لحافِى لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُه   ولم يُلهِنى عنه غزالٌ مقنَّعُ
أُحَدِّثُه إنّ الحديثَ من القِرى   وتعلمُ نفسى أنّه سوف يهجعُ

ولذلك قال عمرو بن الأهتم[4] :

---

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس حاتم ، بل هو لعروة بن الورد فى ديوانه ٩٩ والحماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو الشماخ ، وليس فى ديوانه . وانظر معجم الشواهد ٢ : ٥٦٤ .

(٣) هو عروة بن الورد العبسى ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان فى الحماسة (٢ : ٣٣٥) إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمى . ونسبا مع غيرهما فى الأغانى (١١ : ١٤٩) إلى العجير السلولى ، وذكر أن من الناس من ينسبهما لعروة .

(٤) هو عمرو بن سنان — وهو الأهتم — بن سمى بن سنان بن خالد ، كان سيداً من سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جميلا ، وكان يقال لشعره : « الحلل المنشرة » . وفد إلى رسول الله ﷺ فى وفد بنى تميم ، وسأله عن الزبرقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ، ولم يكذب فى الحالين ، فقال=

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً　　فهذا مَبيتٌ صالحٌ وصديقُ (١)

وقال آخر (٢):

أُضاحِكُ ضيفى قبلَ إنزال رَحْلِه　　ويُخصب عندى والمحلُّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضياف أن يكثُر القِرَى　　ولكنّما وجهُ الكريـــم خصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهٰذَا﴾ وقال : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ﴾ وقال : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ . وقال : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ . وقد قال الشاعر فى نظر الأعداء بعضِهم إلى بعض :

يتقارضون إذا التقَوْا فى موقِفٍ　　نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأقدامِ (٣)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ
٨ لَهُمْ﴾ ؛ لأنّ مدار الأمرِ على البيان والتبيُّن (٤) ، وعلى الإفهام والتفهُّم (٥). وكلّما كان اللِّسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ ، كما أنّه كلما كان القلبُ أشدّ استبانةً كان أحمد . والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان فى الفضل ، إلّا أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم

= رسول الله : « إن من الشعر حكماً وإن من البيان سحراً » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن الأهتم فى المفضليات (١ : ١٢٣ — ١٢٥) برواية : « فهذا صبوح راهن وصديق » .

(٢) هو الخريمى ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخريمى هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى الحيوان (١ : ٢٢٤) .

(٣) وكذا ورد إنشاده فى اللسان (قرض) . وقد أشير فى هامش ل إلى رواية : « يزل مواقع الأقدام » فى نسخة . وفيما عدا ل : « يزيل مواقع » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « التبيين » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « والتفهيم » .

وكذلك المعلّم والمتعلّم . هكذا ظاهرُ هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ، إلا في الخاصّ الذى لا يُذكَر ، والقليلِ الذى لا يُشهَر .

وضرب الله عزّ وجل مثلاً لعىِّ اللسان ورداءة البيان ، حين [١] شبّه أهلَه بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال النَّمر بن تولَب :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعا ثُ والحُبُلاتُ ، ضعيفٌ مَلِقْ [٢]

الرِّعاث : القِرَطَة . والحُبُلات : كلُّ ما تزيَّنت به المرأةُ من حَسَن الحلْى ، والواحدةُ حُبْلَة .

وليس ، حَفِظك الله ، مضرَّةُ سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسَقَطات الخطل يوم إطالة الخُطبة ، بأعظمَ مما يحدُث عن العىّ من اختلال الحجّة ، وعن الحَصَر مِنْ فوت دَرَك الحاجة . والناس لا يعيِّرون الخُرْس ، ولا يلومون مَن استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحَصِرَ ، ويؤنِّبون العيىّ ، فإن تكلّفا مع ذلك مقاماتِ الخطباء ، وتعاطَيَا مناظرة البلغاء [٣] ، تضاعف عليهما الذمّ وترادَف عليهما التأنيب . ومماتنةُ العَىِّ الحصرِ للبليغ المِصقَع ، فى سبيلِ مماتَنَة المنقطع المفحَم للشاعر المفلق [٤] ؛ وأحدُهما ألْومُ من صاحبه ، والألسنةُ إليه أسرع .

وليس اللَّجلاج والتَّمتام ، والألثغ والفأفاء ، وذو الحُبسَة والحُكلة والرُّتَّة [٥] وذو اللَّفَفِ والعجلة [٦] ، فى سبيل الحَصِر فى خطبته ، والعيىّ فى مناضلة خصومه ،

---

(١) ل : « حتى » .

(٢) البيت فى اللسان (رعث) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : « مناضلة البلغاء » .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه فى جدل أو خصومة .

(٥) الحكلة : شبه العجمة ، لايبين صاحبها الكلام . والرتة : عجلة فى الكلام وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أى عيى بطىء الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فمه .

كما أن سبيلَ المُفْحَم عند الشعراء ، والبكِئ عند الخطباء ، خلافُ سبيل المسْهَب الثَّرثار ، والخَطِل المِكْثار .

ثم اعلم — أبقاك الله — أنّ صاحب التشديق والتقعير والتقعيب (١) من الخطباء والبلغاء ، مع سماحة التكلّف ، وشُنعةِ التزيُّد ، أعذَرُ من عيِيّ يتكلف الخطابة ، ومن حَصِرٍ يتعرض لأهل الاعتياد والدُّرْبَة . ومَدارُ اللائمة ومستقَرُّ المَذَمّة حيث رأيتَ بلاغةً يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيّد . إلاّ أنّ تعاطِيَ الحَصِرِ المنقوصِ مَقامَ الدرِبِ التامّ ، أقبَحُ من تعاطى البليغ الخطيب ، ومن تشادُقِ الأعرابيِّ القُحّ . وانتحالُ المعروفِ ببعض الغَزارة فى المعانى والألفاظ ، وفى التحبير والارتجال ، أنّه البحرُ الذى لايُنزَح ، والغَمْر الذى لايُسبَر ، أيسَرُ من انتحال الحَصِرِ المنخُوب أنّه فى مِسلاخِ التام (٢) الموفّر ، والجامع المحكّك (٣) . وإن كان النبى ﷺ قد قال : « إياى والتشادُقَ » ، وقال : « أبغضكُم إلىَّ الثّرثارون المتفيهقون (٤) » ، وقال : « مَن بدا جَفا » . وعاب الفَدَّادِينَ (٥) والمتزيِّدين ، فى جَهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ، ورُحْبِ الغلاصم وهَدَل الشِّفاه ، وأَعْلَمنَا أنّ ذلك فى أهل الوبر أكثَر ، وفى أهل المَدَر أقلّ — فإذا عابَ المَدَرىَّ بأكثَرَ مما عاب به الوبرىّ (٦) ، فما ظنُّك بالمُولَّد القَرَوىّ والمتكلِّف البلدىّ . فالحَصِرُ المتكلّف والعيىُّ المتزيّد ، ألوَمُ من البليغ المتكلِّف

---

(١) التقعير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه . والتقعيب فى الكلام كالتقعير فيه .

(٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسلاخ ، الجلد ، أراد أنه فى هيئته ومنزلته .

(٣) المحكك : المنجذ ، الذى جرب الأمور وعرفها .

(٤) المتفيهقون : الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .

(٥) فى الحيوان (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام » . وقد ساق فى ذلك خبراً وحديثا .

(٦) المدرى : الحضرى ، ومبانى أهل الحضَر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . والوبرى : ساكن البادية ، والبداة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثَرَ مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنّ الشُّبهة الداخلةَ عليه أقوى . فَمنْ أسوأ حالاً ــ أبقاك الله ــ ممّن يكون أَلْوَمَ من المتشدِّقين ، ومن الثّرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبي ﷺ نصاً ، وجعل النَّهى عن مذهبه مفسَّراً ، وذكر مقْته له وبغضَه إياه .

ولَّما علم واصلُ بنُ عطاء [(١)] أنّه ألثغُ فاحش اللَّثغ ، وأنّ مَخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعيةَ مقالةٍ ، ورئيسَ نحلة ، وأنّه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنّه لا بُدَّ له من مقارعَة الأبطال ، ومن الخطب الطِّوال ، وأنّ البيان يحتاج إلى تمييزٍ وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجَهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة ، كحاجته إلى الجزالة والفخامة [(٢)] ،وأن ذلك من أكثر ماتُستمال به القلوب ، وتُثْنَى به الأعناق [(٣)]، وتزيَّن به المعانى ؛ وعلِمَ واصلٌ أنّه ليس معه ما ينوب عن البيان التامّ ، واللسان المتمكِّن والقوة المتصرِّفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيَّه موسى عليه السلام من التوفيق والتَّسديد ، مع لباس التّقوى وطابَع النبوة،ومع المِحْنة[(٤)] والاتّساع فى المعرفة ، ومع هَدْىِ النبيِّين وسَمْت المرسَلين، وما يُغَشِّيهم الله به من القَبول

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزل ، وكان يجلس إلى الحسن البصرى ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت : الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر ــ خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٨١ . وابن خلكان ، ولسان الميزان (٦ : ٢١٤) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى الجلالة والفخامة » .

(٣) فيما عدا ل : هـ : « وتثنى إليه الأعناق » .

(٤) المحنة : الامتحان والاختبار . فيما عدا ل : « المحبة » .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراء النبى ﷺ (١) :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبيِّنةٌ كانت بداهتُه تُنْبيك بالخَبرِ

ومع ما أعطى اللهُ تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجَّة البالغة ، ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّ الله تلك العقدة وأطْلَقَ تلك الحُبْسة (٢) ، وأسقط تلك المحنة ؛ ومن أجْل الحاجة إلى حُسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقَها من الفصاحة — رامَ أبو حذيفةَ إسقاطَ الراء من كلامه ، وإخراجَها من حروفِ منطِقِه ؛ فلم يزل يكابِد ذلك ويغالبُه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجْنته ، حتَّى انتظم له ما حاول ، واتَّسق له ما أمَّل .

ولولا استفاضةُ هذا الخبرِ وظهورُ هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلاً ، ولطَرافته مَعْلماً ، لما استجزْنا الإقرارَ به ، والتأكيدَ له . ولستُ أعْنى خُطَبه المحفوظة ورسائله المخلَّدة ، لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة ، وإنما عَنيْتُ محاجَّة الخصوم ومناقلَة الأكْفاء ، ومفاوضةَ الإخوان .

واللُّثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء ، والغينُ أقلُّها قبحاً ، وأوجَدُها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .

وكانت لُثْغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء . وقد ذكره فى ذلك أبو الطُّروق الضبّىّ (٣) فقال :

عليمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ لكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُه

---

(١) هو عبد الله بن رواحة الأنصارى . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض أبيات القصيدة فى السيرة ٧٩٢ جوتنجن والمؤتلف ١٢٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ورفع تلك الحبسة » .

(٣) أبو الطروق ، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام . انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وانظر الحيوان (٦ : ٩٢) .

وكان واصلُ بن عطاءٍ قبيحَ اللُّثغة شنيعَها ، وكان طويلَ العنق جِداً ؛ ولذلك قال بَشَّارٌ الأعمى :

مالِى أشايِعُ غزَّالاً له عنقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وإن مَثَلا[(١)]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالُكُمُ أتُكْفِرون رجالاً أكفَروا رجُلا

فلما هجا واصلا وصوَّبَ رأىَ إبليسَ فى تقديمِ النَّارِ على الطِّين ، وقال : ١١

الأرض مظْلمةٌ والنارُ مُشرِقةٌ والنار معبودةٌ مذْ كانت النارُ

وجعل واصل بنَ عطاءٍ غَزَّالا ، وزعَم أنَّ جميعَ المسلمين كفَروا بعد وفاة الرسول ﷺ ، فقيل له : وعليٌّ أيضاً ؟ فأنشد :

ومـا شَرُّ الثلاثـةِ أمَّ عمـــرٍو بصاحبك الذى لا تَصْبَحينا[(٢)]

قال واصلُ بن عطاءٍ عند ذلك : « أَمَا لهذا الأعمى الملحِد المُشنَّف المكَنَّى بأبى معاذٍ مَن يقتله[(٣)] . أما والله لولا أن الغِيلَة سجِيَّةٌ من سجايا الغالية ، لبعثْتُ إليه من يبعَج بطنه على مضجعه ، ويقتُله فى جوف منزِله وفى يوم حَفْله ،ثم كان لا يتولَى ذلك منه إلا عُقَيلِيٌّ أو سَدُوسِىٌّ[(٤)] » .

قال إسماعيل بن محمّدٍ الأنصارىُّ ، وعبدُ الكريم بن رَوح الغِفَارىّ : قال أبو حفص عُمر بن أبى عثمان الشَّمَّرِىُّ : ألا تَريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما لِلَّذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلُّف فيه لا تظُنّان به التكلّف ، مع امتناعه من حَرْفٍ كثير الدَّوران فى الكلام . ألا تريانِ أنّه حين لم يستطعْ

---

(١) النقنق ، بكسر النونين : ذَكر النعام . والدو ، والدوِّيّة ، والداوِيَّة ، والدَّاوِيَةُ : الفلاة .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم فى معلقته . ل : « وما دون الثلاثة » وهى رواية غريبة . صبح القوم :سقاهم الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا هـ : « لا تصحبينا » .

(٣) المشنف : الذى لبس الشنف ، وهو بالفتح : القرط فى أعلى الأذن . وفيما عدا ل : « المكتنى » بدل « المكنى » . وانظر الكامل ٥٤٨ ليبسك .

(٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأم الظباء العقيلية السدوسية ، فادعى بشار أنه مولى بنى عقيل لنزوله فيهم . الأغانى (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشّار ، وابن بُرد ، والمرعَّث ، جعل المشنَف بدلا من المرعَّث ، والملحِد بدلاً من الكافر ؛ وقال : لولا أنّ الغِيلة سجيَّةٌ من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصوريّة ولا المُغِيريَّة [١] ؛ لمكان الراء ؛ وقال : لبعثت من يبعج بطنه ، ولم يقل : لأرسلتُ إليه ؛ وقال : عَلَى مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وكان إذا أراد أن يَذْكُر البُرّ قال : القمح أو الحنطة . والحنطةُ لغةٌ كوفيَّة والقمح لغة شاميّة . هذا وهو يعلم أنّ لغةَ من قال بُرّ ، أفصحُ من لغةِ مَن قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذليّ [٢] :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعمتُ نازلَهم   قِرفَ الحَتِيِّ وعندى البُرّ مكنوزُ [٣]

وقال أميّة بن أبى الصلت فى مدح عبد الله بن جُدْعان [٤] :

له داعٍ بمكة مشمعِلٌّ   وآخرُ فوقَ دارَتِه يُنادِى

---

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلى ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ماخلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبى طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرية : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى . وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على غلواً ظاهراً . انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكذا نسبه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيما عدا ل : « المتنخل الهذلى » . وهذه النسبة الأخيرة فى القسم الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥/ ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ .

(٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحتى : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبى الصلت ، مدحه بقوله :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى   حياؤك إن شيمتك الحياء

ثم بقوله :

عطاؤك زين لامرىء إن حبوته   ببذل وما كل العطاء يزين

وكان له أمتان تسميان : الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغانى (٨ : ٢ — ٤).

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها لُبابَ البُرِّ يُلبكُ بالشِّهادِ (١)

وقال بعض القرشيِّين يذكر قيسَ بن مَعْد يكرِبَ ومَقدمَهُ مكة فى كلمةٍ له :

قيسٌ أبو الأشعثِ بِطْرِيقُ اليمنْ لا يسأل السائلُ عنه ابنُ مَنْ (٢)

* أشبَعَ آلَ اللهِ من بُرِّ عَدَنْ *

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أتُرَوْنَ إنِّى لا أعرف رقيق العيش ؟ لُبابُ البُرّ بصغار المِعْزَى (٣) .

وسمع الحسنُ رجلاً يعيب الفالوذَق ، فقال : « لُبابُ البُرّ ، بُلعاب النَّحل ، بخالص السَّمن ، ما عاب هذا مسلمٌ ! » .

وقالت عائشة : « ما شَبع رسولُ الله ﷺ من هذه البُرّة السّمراء حتّى فارقَ الدُّنيا » .

وأهلُ الأمصار إنّما يتكلمون على لُغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تَجد الاختلافَ فى ألفاظٍ من ألفاظِ أهل الكوفة والبَصرة والشام ومصر .

حدّثنى أبو سعيدٍ عبدُ الكريم بن رَوحٍ قال : قال أهل مكّةَ لمحمد بن المُناذِر الشاعر (٤) : ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة ، إنّما الفصاحة

---

(١) الردح : جمع رداح ، كسحاب ، وهى الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع . واللباب : الخالص . والشهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت فى اللسان (شيز) إلى ابن الزبعرى ، وفى (روح ، شهد) إلى أمية .

(٢) ل : « يا ابن من » . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) .

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع ، كان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكًا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد تسكه . وكان معاصرا للأصمعى ، وخلف الأحمر ، وأبى العتاهية ، وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . ولمحمد أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ – ٣٠) .

لنا أهلَ مكّة . فقال ابن المُناذِر : أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظِ للقرآن ، وأكثرُها له موافقةً ، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئتم . أنتم تُسمُّون القِدر بُرْمَة وتجمعون البُرمة على بِرَامٍ ، ونحن نقول قِدر ونجمعها على قُدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وجِفَان كالجَوَابِي وقُدورٍ رَاسِياتٍ (١) ﴾ . وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عُلِّيَّةً (٢) ، وتجمعون هذا الاسم على عَلالِيّ ، ونحن

١٢ نسمِّيه غرفة ونجمعها على غُرفاتٍ وغرفٍ . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيةٌ ﴾ وقال : ﴿ وَهُمْ في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ . وأنتم تسمُّون الطّلعَ الكافورَ والإغْريضَ ،ونحن نُسمِّيه : الطَّلْع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ . فعَدّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا . ألا ترى أنّ أهلَ المدينة لما نزل فيهم ناسٌ من الفُرْس في قديم الدّهر عَلِقُوا بألفاظٍ من ألفاظهم ، ولذلك يسمُّون البِطِّيخ : الخِرْبِز ، ويسمُّون السميط : الرَّزْدَق (٣) ، ويسمُّون المَصُوص : المَزُور (٤) ، ويسمون الشِّطرنج : الأَشْتَرَنْج ، فى غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهلُ الكوفة ؛ فإنّهم يسمُّون المِسحاة : بَالْ ، وبَالْ بالفارسيّة .

ولو عَلِق ذلك لغةَ أهل البصرة إذْ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبَهَ ، إذ كان أهلُ الكوفة قد نزلُوا بأدنى بلاد النَّبط وأقصى بلاد العرب .

---

(١) كالجوابى ، هذا ما فى ل ، هـ : وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وابن كثير ويعقوب فى الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : كالجواب . وهى ما فى سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤ : ٩١/٦ : ١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .

(٣) السميط ، كشريف وبهيئة التصغير أيضاً : الآجُرّ القائم بعضه فوق بعض . والرزدق ، فارسى معرب ، وأصله بالفارسية « رَسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفى الأصول : « الروذق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع فى الخل ويطبخ .

ويسمى أهلُ الكوفة الحَوْك : الباذَرُوج (١) ، والباذروج بالفارسية ، والحَوْك كلمة عربيّة . وأهلُ البصرة إذ التقت أربعُ طرق يسمُّونَها : مُربَّعة ، ويُسمِّيها أهلُ الكوفة : الجِهار سوك . والجهار سُوك بالفارسيّة . ويسمّون السُّوق والسُّوَيقة : « وازار » ، والوازار بالفارسيّة . ويسمُّون القِثَّاء : خِيَاراً ، والخيار بالفارسيّة . ويسمُّون المجذوم : وَيذِى ، بالفارسية .

وقد يستخفُّ النّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكُر فى القرآن الجوعَ إلاّ فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المُدْقِع والعجز الظّاهر . والنّاس لا يذكرون السّغَب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذِكر المطر ؛ لأنّك لا تجد القرآنَ يلفظِ به إلاّ فى موضع الانتقام . والعامّة وأكثرُ الخاصّة لا يَفصِلون بين ذِكر المطر وبين ذكر الغَيث . ولفظُ القرآن الذى عليه نزَلَ أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقُل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرَضين . ألا تراه لايجمع الأرض أرَضين ، ولا السمعَ أسماعا . والجارى على أفواه العامةِ غيرُ ذلك ، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعضُ القرّاء أنّه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن إلاّ فى موضع التزويج .

والعامّة ربمّا استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفَهما ، وتستعمل ماهو أقلُّ فى أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ماهو أظهر وأكثر ، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ماهو أجودُ منه ، وكذلك المَثل السّائر .

وقد يبلغ الفارسُ والجوادُ الغايةَ فى الشهرة ولا يُرزَق ذلك الذكرَ والتنويهَ بعضُ من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أنّ العامّةَ ابنُ القِرِّيّة (٢) عندها أشهر فى

---

(١) الباذروج ، ذكر فى المعتمد ١٠ أنه ريحانة معروفة .

(٢) ابن القرية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعرابياً أمياً . وهو معدود فى الخطباء المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقرية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة مِن سحبان وائل . وعُبَيدُ الله بن الحُرّ (١) أذكَرُ عندهم فى الفروسيّة من زُهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبُهم فى عنترةَ بن شدّاد ، وعُتَيبة بنِ الحارث ابن شهاب (٢) . وهم يضربون المثل بعمرو بن مَعْديكَرِب ، ولا يعرفون بِسطام ابنَ قيس (٣) .

وفى القرآن معان لا تكاد تفترق ، مثل الصلاةِ والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرّغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجنّ والإنس .

قال قطرب : أنشدنى ضِرار بن عمرو (٤) قولَ الشاعر فى واصل بن عطاء :

ويجعل البُرَّ قمحاً فى تصرُّفه ... وجانَبَ الراءَ حتّى احتال للشّعَرِ (٥)

= الراء المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهانى فى الأغانى أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود فى الدنيا ، وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبى العقب . انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغانى (١ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه فخاف أن يُؤسر فألقى بنفسه فى الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٨ والحيوان (١ : ١٠٣ – ١٠٤) .

(٢) كان فارس تميم ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلقنى دونها عبداها أو حراها » . يعنى بالحرين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث ، وبالعبدين : عنترة ، والسليك بن السلكة . الأغانى (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهَر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وكان فى بدء أمره تلميذا لواصل بن عطاء المعتزلى ، ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازى ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) .

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء « السَبَد » بالتحريك ، و« الهلب » بالضم ، و « المسيحة » ، وجمعها مسائح . و« الجمة » : ماطال من الشعر ، و « اللمة » : مازاد على الجمة . و « الخصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ – ٦٩) .

ولم يُطِقْ مطَراً والقول يُعجِلُه ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطَرِ

قال وسألت عُثمانَ البُرّى [١] : كيف كان واصلٌ يصنع فى العدد ؛ وكيف كان يصنع بعشرةٍ وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقَمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخِر وجمادى الآخِرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ماقال صفوان :

ملقَّن ملهَـمٌ فيمـا يحاولـه ... جَمٌّ خواطرُه جوّابُ آفـاقِ

وأنشدنى ديسمٌ [٢] قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدىّ :

وخَلّةُ اللفظِ فى الياءات إنِ ذكِرَت ... كخَلَّةِ اللفظ فى اللاماتِ والألِفِ [٣]

وخَصْلَـة الـرّاء فيها غيـرُ خافيـةٍ ... فاعرِفْ مواقعَها فى القَول والصّحُفِ [٤]

يزعم أنّ هذه الحروفَ أكثر تَرداداً من غيرها ، والحاجة إليها أشدّ . واعتبِرْ ذلك بأن تأخذ عِدّةَ رسائلَ وعدة خطـبٍ . من جملةِ خطب الناس ورسائلهم ؛ فإنّك متى حَصَّلتَ جميع حروفها ، وعددْت كلَّ شكل على حِدَة ، علمت أنّ هذه الحروفَ الحاجةُ إليها أشدّ .

---

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البرى الكِندى البصرى . قال السمعانى فى الأنساب ٧٧ : هذه النسبة إلى البر وهو الحنطة ، وهذة النسبة إلى بيعه ، والمشهور بهذا الانتساب أبو سلمة عثمان بن مِقْسم البرى الكِنْدى مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبى إسحاق ، وحماد بن أبى سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبى النجود » . وكان قدريا معروفا بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو ديسم العنزى أحد من هجاهم بشّار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءَه . الأغانى (٣ : ٢٧) .

(٣) الخلة ، بالفتح : الخصلة . فيما عدا ل : « إن فقدت » ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .

(٤) أشير فى هامش هـ إلى رواية : « وحصة » فى نسخة .

ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبّرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سُويد العدوىّ :

برئت من الخوارج لستُ منهم من الغَزّال منهم وابنِ بابِ (١)
ومِن قومٍ إذا ذَكَروا عليًّا يَرُدُّون السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنّى أحبّ بكلِّ قلبى وأعلمُ أنّ ذاكَ من الصَّوابِ
رسولَ اللهِ والصِّدّيقَ حُبًّا به أرجُو غداً حُسْنَ الثوابِ (٢)

وفى مِثل ذلك قال بشار :

مالى أُشايعُ غَزّالاً له عنق كنِقْنِقِ الدّوّ إن ولّى وإن مثَلا (٣)

ومن ذلك قول مَعْدانَ الشُّمَيطىّ (٤) :

يوم تشفى النّفوسُ من يَعْصُرِ اللؤ مِ ويُثنَى بِسَامَةَ الرحَّالِ (٥)
وعَدِىٍّ وتَيمِها وثَقِيـ‍ـفٍ وأُمَىٍّ وتغـلِبٍ وهـلالِ
لا حَرُورا ولا النواصِبُ تَنْجُو لا ولا صَحْبُ واصِلِ الغَزَّالِ (٦)

---

(١) يعنى بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين . توفى بمران سنة ١٤٤ ورثاه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج الفرق بين الفرق ٩٩ حيث أنشد البيتين . وفى اللسان (عزل ٤٦٧) : « من العزال » بالعين المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ .

(٢) فيما عدا ل : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت فى ص ١٦ .

(٤) هو أبو السرى معدان الأعمى الشميطى المديرى . ونسبته إلى الشميطية ، وهى فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنتمى إلى أحمر بن شميط صاحب المختار . وقد قتلهما معاً مصعب بن الزبير . ما عدا هـ : « السميطى » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ ، وكامل المبرد ٦٤٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر – ويقال أعصر أيضا – بن سعد بن قيس بن غطفان . انظر الاشتقاق ١٦٤ ، والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة بن لؤى ، ولقبه بالرحال لأن أخاه عامر بن لؤى توعده حين فقأ عينه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقى حتفه فى الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصبية ، وأهل النصب : المتدينون ببغضه على ؛ لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشَّارٌ كثيرَ المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بَشَّارٌ بالرَّجْعة ، ويكفِّرَ جميع الأُمَّة.وكان قد قال فى تفضيله على خالدِ بن صفوانَ (١) وشبيبِ ١٦
ابن شَيبة (٢) ، والفضل بن عيسَى (٣) ، ويومَ خطَبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق :

أبا حُذيفَة قد أُوتِيتَ مُعْجِبةً ... فى خُطبةٍ بَدَهَتْ من غير تقديرِ
وإنَّ قولاً يروق الخالِدَين معاً ... لمُسْكِتٌ مُخرِسٌ عن كلِّ تحبيرِ (٤)

لأنه كان مع ارتجاله الخطبةَ التى نزع منها الراء (٥) ، كانت مع ذلك أطولَ من خطبهم . وقال بشّار :

تكلَّفوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلوا ... وحَبّروا خطباً ناهِيكَ من خُطبِ
فقام مرتجِلاً تغلى بداهُته ... كمِرْجَل القَيْنِ لما حُفَّ باللّهبِ
وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بها أحد ... قبلَ التصفُّح والإغْراق فى الطَّلبِ (٦)

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديهٌ لا كتحْبيرِ قائِلٍ ... إذا ما أراد القول زَوَّره شهرا (٧)

= أى عادوه . فيما عدا ل ، هـ : « النوائب » تحريف ، صواب هذه « النوابت » كافى هـ . وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة فى هامش ل .

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، كان قريباً لشبيب ، وعلما من أعلام الخطابة ، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبى العباس ، وكان مطلاقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائى ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلىَّ بنتى بسليلة فيها طعامى ، وتبعث إلىَّ الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ .

(٢) شبيب بن شيبة ، كان من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . وسيرد ذكره فيما بعد .

(٣) فى هامش هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى ، وسيترجم له فى باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الراء ، محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقة بنهاية نسخة فيض الله من البيان ونشرتها محققة فى نوادر المخطوطات ١ : ١١٧ — ١٣٦ .

(٦) فيما عدا ل : « لم يشعر به أحد » ، وهى رواية الأغانى (٣ : ٥٩) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وهيأه .

فلما انقلب عليهم بشّارٌ ومَقاتِلُه لهم بادية ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عُبيد . وقال صفوان الأنصارى :

متى كان غَزّال له ياابن حَوْشَبٍ   غلامٌ كعمرٍو أو كعيسى بن حاضِرِ (١)
أمَا كان عُثمانُ الطَّويلُ ابنُ خالدٍ   أو القَرْمُ حَفصٌ نُهيةً للمُخاطِرِ (٢)
له خلفَ شَعْبِ الصِّين فى كل ثُغْرةٍ   إلى سُوسها الأقصى وخَلْفَ البرابِرِ (٣)
رجالٌ دُعاةٌ لا يُفَلُّ عزيمَهُم   تهكُّم جَبّارٍ ولا كيدُ ماكرِ (٤)
إذا قال مُرُّوا فى الشتاءِ تطوَّعُوا   وإن كان صيفٌ لم يُخَفْ شهرُ ناجرِ (٥)
بهجرةِ أوطانٍ وبَذْلٍ وكُلْفةٍ   وشدّة أخطارٍ وكَدِّ المسافرِ
فأنجَحَ مَسعاهم وأثْقَبَ زَنْدَهم   وأوْرَى بفَلْجٍ للمُخاصِمِ قاهِرِ (٦)
وأوتادُ أرضِ الله فى كلِّ بلدةٍ   وموضعُ فُتياها وعلمِ التشاجُرِ (٧)   ١٧
وما كان سحبانٌ يشقُّ غُبارَهم   ولا الشُّدْقُ من حَيَّىْ هلالِ بن عامرِ (٨)
ولا النّاطق النَّخّار والشيخ دَغفل   إذا وصَلُوا أيمانهم بالمخاصِرِ (٩)

---

(١) عيسى بن حاضر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان (١ : ٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك ، وذكر أنه من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . والنهية ، بالضم : غاية كل شىء ، كالنهاية . والمخاطر : الذى يخاطر غيره ، أى يراهنه .

(٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .

(٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتهكم : التكبُّر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .

(٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدا ل : « تطاوعوا » و : « وإن كان صيفاً » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيراء : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف فى الخصومات ، أراد النزاع الكلامى .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المتفوِّه ذو البيان .

(٩) النخار ، هو النخار بن أوس العذرى ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) . وسيأتى قول الجاحظ فى علة تسميته بالنخار ، أنه ربما حمى فى الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالةُ الأعلَوْن رهطُ مكَحَّلٍ ... إذا نَطقُوا فى الصُّلح بين العشائرِ (١) ١ٸ
بجمعٍ من الجُفَّينِ راضٍ وساخطٍ ... وقد زحفَتْ بُدّاؤهم للمَحَاضِرِ (٢)

الجُفَّانِ : بكر وتميم . والرَّوْقان : بكر وتغلب . والغاران : الأزْد وتميم . ويقال ذلك لكل عِمارةٍ من الناس (٣) ، وهى الجمع ، وهم العمائر أيضاً : غارٌ . والجُفُّ أيضاً : قِشْر الطَّلْعة —

تَلقَّبَ بالغَزَّال واحدُ عصرِهِ ... فَمنْ لليتامى والقَبيل المكاثرِ
ومَن لِحَرُورِيٍّ وآخرَ رافضٍ ... وآخرَ مُرْجِيٍّ وآخرَ جائرِ (٤)
وأمرٍ بمعروفٍ وإنكار منكَرٍ ... وتحصين دين الله من كل كافِرِ
يُصيبون فَصْلَ القول فى كلِّ موطنٍ ... كما طَبَّقتْ فى العظم مُدْيةُ جازرِ
تراهُمْ كأنّ الطيرَ فوقَ رءوسهم ... على عِمّةٍ معروفةٍ فى المعاشرِ
وسيماهُمُ معروفةٌ فى وجوههمْ ... وفى المشيِ حُجَّاجاً وفوق الأباعرِ
وفى رَكعة تأتى على الليل كلِّهِ ... وظاهرِ قولٍ فى مِثال الضمائرِ
وفى قَصِّ هُدّابٍ وإحفاء شاربٍ ... وكَوْرٍ على شَيبٍ يُضيء لناظرِ (٥)
وعَنْفَقةٍ مصلومة ، ولنعلِهِ ... قِبالانِ ، فى رُدْنٍ رحيب الخواصرِ (٦)
فتلك علاماتٌ تحيط بوصفهم ... وليس جَهُول القوم فى علم خابرِ (٧)

= السدوسى ، أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية . وقتله الأزارقة . انظر أمثال الميدانى فى : « أنسب من دغفل » والإصابة ٢٣٩٥ .

(١) مكحل ، هو عمرو بن الأهتم المنقرى ، كما سيأتى فى ص ٣٥٥ .

(٢) البداء : جمع باد ، وهو ساكن البادية . والمحاضر : المناهل يجتمعون عليها .

(٣) الجف ، والروق ، والغار : الجمع الكثير من الناس .

(٤) هـ ، ب « حائر » .

(٥) الكور : لوث العمامة ، أى إدارتها على الرأس .

(٦) العنفقة : مابين الشفة السفلى والذقن . قبال النعل : زمامها .

(٧) هـ ، ب : « فى جرم خابر » .

وفى واصلٍ يقول صفوان :

١٨ فما مَسَّ ديناراً ولا صرَّ درهما ولا عرف الثوبَ الذى هو قاطعُه

وفيه يقول أسْباط بن واصل الشيبانىّ :

وأشهد أنَّ الله سمَّاكَ واصلا وأنَّك محمود النقيبة والشِّيَمْ

ولما قام بشّار بِعُذر [١] إبليس فى أنّ النّار خيرٌ من الأرض ، وذكر واصلا بما ذكره به ، قال صفوان :

زَعمتَ بأنَّ النارَ أكرمُ عنصراً وفى الأرض تَحْيا بالحجارة والزَّنْدِ [٢]
وتُخْلَق فى أرحامها وأُرومها أعاجيبُ لا تُحصَى بخَطٍّ ولا عَقْدِ [٣]
وفى القَعر من لُجِّ البحار منافعٌ من اللؤلؤ المكنون والعنبر الوَرْدِ
كذلك سِرُّ الأرض فى البحر كلِّه وفى الغَيضة الغَنَّاءِ والجبل الصَّلْدِ
ولا بدَّ من أرض لكل مُطَيِّرٍ وكلِّ سَبُوحٍ فى الغمائر من جُدٍّ [٤]
كذاك وما ينساحُ فى الأرض ماشيا على بطنه مَشْىَ المُجانِب للقَصْدِ [٥]
ويَسْرى على جلد يقيم حُزوزَه تَّعمُّجَ ماء السَّيل فى صَبَبٍ حَرِدِ [٦]
وفى قُلَلِ الأجبال خلفَ مُقطَّم زَبرجَدُ أملاك الوَرَى ساعةَ الحشدِ [٧]

---

(١) فيما عدا ل : ، هـ : « يعذر » .

(٢) يعنى أن النار كامنة فى الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل . والعقد : ضرب من الحساب .

(٤) ما عدا هـ : « لكل مطهر » ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من هـ والفرق بين الفرق حيث أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجد ، بالضم والفتح : شاطئ النهر . أى لابد لكل سابح من شاطئ .

(٥) ينساح : يمشى على بطنه . ل : « كذلك ماينساح » .

(٦) التعمج : التلوى . والصبب : الموضع المنحدر . والحرد : المتنحى المعتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرق حتى يكون منقطعه طرف القاهرة . قال ياقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك : الملوك .

وفى الحَرَّةِ الرَّجلاءِ تُلْفَى معادنٌ ... لهنَّ مغارات تَبَجَّسُ بالنَّقْدِ (١)
مِن الذّهبِ الإبريزِ والفضة التى ... تروقُ وتُصبِى ذا القَناعة والزُّهد
وكلّ فِلِزّ من نُحاس وآنُكٍ ... ومن زِئْبَقٍ حَىّ ونُوشَاذُرٍ يُسْدِى (٢)
وفيها زَرانيخ ومَكْــرٌ ومَــرْتَكٌ ... ومن مَرْقَشِيثا غيرِ كابٍ ولا مُكْدِى (٣)
وفيها ضُروب القارِ والشَّبِّ والمَهَا ... وأصنافُ كِبريتٍ مُطاوِلةُ الوقدِ (٤) ١٩
ترى العِرْق منها فى المقاطع لائحاً ... كما قَدَّتِ الحسناءُ حاشية البُرْدِ
ومن إثْمِدٍ جَونٍ وكِلْسٍ وفِضَّة ... ومن تُوتِياء فى معادنه هِنْدِى
وفى كلِّ أغوارِ البلاد معادنٌ ... وفى ظاهر البيداء من مَسْتوٍ نَجدِ (٥)
وكلُّ يواقيتِ الأنامِ وحَلْيِها ... من الأرض والأحجارِ فاخرةِ المَجْدِ
وفيها مَقامُ الخِلِّ والركنُ والصَّفا ... ومُستَلمُ الحُجَّاجِ من جَنّة الخُلْدِ

---

(١) الحرة : أرض حجارتها سُود . والرجلاء : التى لا يستطيع المشى فيها حتى يترجل فيها ؛ لخشونتها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أى تنفجر بالذهب والفضة .

(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآنك : الأسربّ ، وهو الرصاص القلعى . وقال كراع : هو القزدير . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشاذر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر صاف كالبلور . انظر حواشي الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيما عدا ل ، هـ : « ونوشادر » . وفى الفرق بين الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندى » نسبة إلى السند . قال داود : « يكون بالبلاد الحارة » .

(٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأغبر ، وأجودها الصفائحى الذى يستعمله النقاشون الذى له لون كلون الذهب ، وكانت صفائحه تنقشر وكأنها مركبة بعضها فوق بعض . المعتمد لابن رسولا ١٤٠ . وفى اللسان أنه لفظ أعجمى ، وضبط فيه وفى المعرب ١٧٤ بكسر الزاى . والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهى طين أحمر يصبغ به . والمرتك : مبيض المرداسنج . والمرادسنج : رصاص عيط وأسرنج أو رصاص محروق ، يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف فى صوف ويطبخ بفول ، وكلما نضج غير الصوف والفُول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو فارسى معرب . والمرقشيثا : صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس . المعتمد .

(٤) المها : جمع مهاة ، وهى البلورة التى تبِصُّ لشدة بياضها . فيما عدا ل ، هـ : « النهى » ، وهو بالفتح : ضرب من الخرز .

(٥) النجد : ماغلظ من الأرض وارتفع واستوى .

وفى صخرة الخِضر التى عند حُوتِها … وفى الحجر المُمْهِى لمُوسى على عَمْدِ (١)
وفى الصَّخرة الصماء تُصْدَعُ آيةٌ … لأمِّ فصيلٍ ذى رُغاءٍ وذى وَخْدِ (٢)
مفاخرُ للطِّين الذى كان أصلَنا … ونحن بَنُوه غيرَ شكٍّ ولا جَحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمة … وأوضحُ برهانٍ على الواحد الفرد
أتجعلُ عَمْراً والنَّطاسىَّ واصلاً … كأتباعِ دَيْصَانٍ وهم قُمُشُ المَدِّ (٣)
وتفخر بالميلاء والعِلْجِ عاصمٍ … وتضحك من جِيد الرَّئيس أبى الجَعْدِ (٤)
وتحكِى لدى الأقوام شُنْعَةَ رأيِهِ … لتصرفَ أهواءَ النُّفوس إلى الرَّدِّ
وسمَّيتَه الغَزَّالَ فى الشِّعر مطنِباً … ومولاك عند الظُّلم قِصَّتُه (٥) مُرْدِى

ـــ يقول : إن مولاك ملّاح ؛ لأن الملّاحين إذا تظلّموا رفعوا المَرادى ـــ

فيا ابنَ حليفِ الطِّين واللُّومِ والعَمَى … وأبعدَ خلقِ الله من طُرُق الرُّشْدِ (٦)
أتهجُو أبا بكرٍ وتخلع بعْدَه … علياً وتعْزو كلَّ ذاك إلى بُرْدِ
كأنَّك غَضبانٌ على الدِّين كلِّه … وطالبُ ذَحْلٍ لا يَبِيت على حِقْدِ
رجَعتَ إلى الأمصارِ من بعد واصل … وكنتَ شريداً فى التَّهائم والنُّجْدِ (٧)

---

(١) صخرة الخضر : التى نسى عندها الحوت وفى سورة الكهف : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت) . والخضر ، بكسر الخاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككتف . أمهى الحجر : ظهر ماؤه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .

(٢) إشارة إلى الصخرة التى ظهرت منها ناقة صالح عشراء ، ونتجت سقبا . والوخد ، ضرب من سير الإبل . ب ، جـ . « وجد » بالجيم ، وأثبت مافى ل ، هـ ، والتيمورية .

(٣) ديصان : صاحب الديصانية من المجوس الثنوية . والقمش ، جمع قماش ، وهو الرذال من كل شىء .

(٤) الميلاء ، هى حاضنة أبى منصور العجلى صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .

(٥) فى هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .

(٦) فى هامش ل : «إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخاراً يصنع الجرار » .

(٧) التهائم : الأرض المتصوِّبة إلى البحر . ومنه تهامة . والنجد بضمتين ، وسكن الجيم الشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أتجعل ليلَى النَّاعِظية نِحلة ... وكلٌّ عريقٍ فى التناسُخ والرّدِّ (١)
عليك بدَعْدٍ والصَّدوف وفَرْتَنَى ... وحاضِنَتَىْ كِسْفٍ وزاملتَىْ هِنْدِ (٢)
تُوَاثِب أقماراً وأنت مُشوَّهٌ ... وأقربُ خلقِ الله من شَبَه القِرْدِ

ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَدٍ (٣) بعد ذلك :

ويا أقبحَ مِن قِردٍ ... إذا ما عَمِىَ القِردُ

ويقال إنه لم يجزعْ بشار من شىء قطُّ جزعَه من هذا البيت (٤).

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأُمّه فقال :

لقد ولدتْ أمُّ الأُكيمِهِ أعرَجـاً ... وآخرَ مقطوعَ القفا ناقص العَضُدْ (٥)

وكانوا ثلاثةً مختلفى الآباء والأمُّ واحدةٌ ، وكلُّهم وُلِد زَمِناً . ولذلك قال بعضُ من يهجوه :

إذا دَعاهُ الخالُ أقعى ونكَصْ ... وهُجْنَةُ الإقراف فيه بالحِصَصْ (٦)

وقال الشاعر :

لا تشهدَنّ بخارجيٍّ مُطْرِفٍ ... حتَّى ترى مِن نَجله أفراسا (٧)

---

(١) ليلى الناعظية : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بنى ناعظ ، بالظاء المعجمة ، وهم بطن من العرب . انظر القاموس واللسان والجمهرة (٣ : ١٢١) . نحلة : أى صاحبة نِحلة ومذهب .

(٢) دعد ، وأختاها من الأسماء الشائعة فى غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلى . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩) . والزامل : من يزمل غيره ، أى يتبعه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمى الدولتين ، ٢٠ ولم يشتهر إلا فى العباسية ، وكان بينه وبين بشار مهاجاة فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨) .

(٥) الأكيمه : مصغر الأكمه ، وهو الذى ولد أعمى .

(٦) الإقراف : الهجنة من قبل الأب ، عنى أنه لئيم الأم والأب .

(٧) أى لا تشهد به المحافل والحروب . والخارجى من الخيل : الذى يخرج بنفسه من غير أن يكون له عرق فى الجودة . والمطرف ، كالطارف : المستحدث .

وقال صفوانُ الأنصاريّ فى بشّارٍ وأَخَوَيْهِ ، وكان يخاطِبُ أمهم :

ولَدْتِ خُلْداً وذِيخاً فى تشتُّمه ... وبعده خُزَزاً يشتدّ فى الصُّعُدِ (١)
ثلاثَةٌ من ثلاثٍ فُرِّقوا فِرَقاً ... فاعرف بذلك عِرقَ الخالِ فى الولدِ

الخُلْد : ضربٌ من الجُرذان يولَد أعمى . والذِّيخ : ذكَرُ الضِّباع ، وهو أعرج . والخُزَز : ذكر الأرانب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصُّعُد (٢) .

وقال بعد ذلك سُليمان الأعمى ، أخو مسلمِ بن الوليد الأنصارى الشّاعر (٣) ، فى اعتذار بشّارٍ لإبليسَ وهو يخبر عن كَرَم خصال الأرض :

لابدَّ للأرض إن طابتْ وإنْ خَبُثَت ... من أن تُحِيل إليها كلُّ مغروسِ
وتُربةُ الأرضِ إن جِيدت وإن قُحِطَتْ ... فحَمْلُها أبداً فى إثْرِ منفُوسِ (٤)
وبطنها بِفِلزّ الأرض ذو خَبَرٍ ... بكل ذى جوهر فى الأرض مرموسِ (٥)

ــ الفِلزُّ : جوهر الأرض من الذهب والفِضّة والنحاس والآنُك وغير ذلك ــ

وكلُّ آنيةٍ عَمّتْ مرافقُها ... وكلّ مُنتَقَدٍ فيها وملبوسِ
وكلُّ ماعُونها كالمِلح مِرْفقةٌ ... وكلُّها مُضْحِكٌ مِن قول إبليسِ (٦)

وقال بعض خُلَعاء بغداد (٧) :

---

(١) التشتم ، أراد به الشتامة : وهى القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهى العقبة الشاقة .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٦/٤٤٧ : ٣٥٦ : ٣٧٥/ ٧ : ١٣٢) .

(٣) وكذلك فى الحيوان (٤ : ١٩٥) لكن ياقوتاً فى معجم البلدان (١١ : ٢٥٥) والصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ قد جعلاه ابناً لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : «وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف ، كان كأبيه شاعراً مجيداً » .

(٤) جيدت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغزير . والمنفوس : المولود .

(٥) ل ، هـ : « بكل جوهرة » . والمرموس : المدفون .

(٦) الماعون : كل ما انتفع به .

(٧) الخلعاء : جمع خليع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذى أعطى نفسه هواها . فيما عدا ل ، هـ : « خلفاء بغداد » وهو تحريف . وسيعاد البيتان فى (٣ : ١٥٢) الأصل . وقبلهما : « وقال بعض الطياب » . والطياب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزاح . انظر سيبويه (٢ : ٢١١) والحيوان (٣ : ٢٧) .

عجبتُ من إبليس فى كِبْرِهِ   وقُبْحِ ما أظهَرَ من نِيّته (١)
تاه على آدَمَ فى سجدةٍ   وصار قَوّاداً لذُرّيّته (٢)

وذكره بهذا المعنى سليمانُ الأعمى ، أخو مسلم الأنصاريّ (٣) ، فقال :

يأبَى السّجودَ له من فَرْط نَخْوتِه   وقد تحوَّل فى مِسلاخ قَوّادِ

وقال صفوانُ فى شأن واصلٍ وبشّارٍ ، وفى شأن النّار والطّين ، فى كلمةٍ له :

وفى جوفها للعَبد أستَرُ منزلٍ   وفى ظهرها يَقضِى فرائضَه العبدُ
تمجُّ لُفَاظَ المِلح مَجّا وتصطفى   سبَائِكَ لا تَصْدَا وإن قدُم العهدُ
وليس بِمُحصٍ كُنْهَ مافى بُطونِها   حسابٌ ولا خَطٌّ وإن بُلِغَ الجَهْدُ
فسائِلْ بعبد الله فى يومِ حَفْلِهِ   وذاك مَقامٌ لا يشاهده وَغْدُ (٤)
أقام شبيبٌ وابنُ صَفوانَ قبلَه   بقولِ خطيبٍ لا يجانبه القَصْدُ (٥)
وقام ابنُ عيسى ثُمَّ قفّاه واصلٌ   فأبدَعَ قولاً ماله فى الورى نِدُّ
فما نقَصتْهُ الرّاءُ إذْ كان قادراً   على تَرْكِها واللفظُ مطّرِدٌ سَرْدُ
فَفضّل عبدُ اللهِ خُطبةَ واصلٍ   وضُوعِف فى قَسْمِ الصِّلاتِ له الشُّكْدُ (٦)
فأقنَع كُلَّ القومِ شُكرُ حِبائِهم   وقَلّل ذاك الضّعْفَ فى عينه الزُّهدُ

* * *

قد كتبنا احتجاجَ مَن زعم أنّ واصلَ بنَ عطاءٍ كان غزّالا، واحتجاجَ مَن

---

(١) هـ ، ب : « وخبث ما ابداه » .

(٢) ل : « فى سجدته » .

(٣) انظر ما سبق فى ٣١ س ٦ .

(٤) يشير إلى ماكان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق فى ص ٢٤ .

(٥) القصد : المعتدل الذى لا يميل إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط . ل ، هـ : « أقام شبيباً » .

(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفَع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أنّ قَولَ الناس : واصلٌ الغزّال ، كما يقولون : خالد الحَذَّاء (١)، وكما يقولون : هِشامٌ الدَّستَوائىّ (٢) . وإنما قيل ذلك لأنّ الإباضيّة (٣) كانت تبعثُ إليه من صَدَقاتها ثياباً دَسْتَوائية ، فكان يكسوها الأعرابَ الذين يكونون بالجَنَاب (٤) ، فأجابوه إلى قول الإباضيَّة ، وكانوا قبلَ ذلك لا يزوِّجون الهُجنَاء ، فأجابوه إلى التَّسوية وزَوَّجوا هجيناً ، فقال الهجين فى ذلك :

إنا وجَدْنا الدَّسْتَوائيِّينا الصائمين المتعبِّدينا
أفضلَ منكمْ حَسَباً ودِينا أخزى الإلهُ المتكبِّرينا
* أفيكُمُ مَن يُنكِح الهَجِينا (٥) *

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنَّه كان يكثر الجلوسَ (٦) فى سوق الغزّالين ، إلى أبى عبد الله ، مولى قَطَن الهِلالىّ . وكذلك كانت حالُ خالدِ الحَذّاءِ الفقيه . وكما قالوا : أبو مسعودٍ البدرى (٧) ، لأنه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

---

(١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن كريز . قيل إنما سمى حذاء لأنه كان يتكلم فيقول : احذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها فى الحذائين فنسب إليها . السمعانى ١٦٠ .

(٢) هو أبو بكر هشام بن بن أبى عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى ، وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والتاء ، من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .

(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج فى أيام مروان بن محمد . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .

(٤) الجناب ، بالفتح : موضع فى أرض كلب فى السماوة ، بين العراق والشام . ل : « بالحباب » تحريف .

(٥) الهجين : عربى وُلد من أمَة ، أو من أبوه خير من أمّه .

(٦) فيما عدا ل « لكثرة جلوسه » .

(٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى البدرى ، وشهرته بكنيته . صحابى شهد العقبة وبدرا ، توفى سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعانى ٦٨ .

السُّدِّىّ (١) ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر فى سُدَّة المسجد (٢) .

وهذا الباب مستقصًى فى كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة منه فى كتاب « أبناء السَّرارى والمَهيرات » .

ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

قال أبو عثمان : وهى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء . فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شىء لا يصوِّره الخَطّ ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مَخْرجٌ من المخارج ، والمخارجُ لا تُحصَى ولا يُوقف عليها . وكذلك القولُ فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك فى شىءٍ أكثَرَ مِنه فى لغة الخوز . وفى سواحل البحر من أسياف فارسَ ناسٌ كثير ، كلامهُم يشبه الصَّفير (٣) . فمَنْ يستطيع أن يصوِّر كثيراً من حروف الزَّمزمة ، والحروفِ التى تظهر من فم المجوسىّ إذا تَرك الإفصاحَ عن معانيه ، وأخَذَ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟!

فاللُّثغة التى تعرِض للسِّين تكون ثاء ، كقولهم لأبى يَكسوم (١) : أبى يَكثوم ؛ وكما يقولون : بُثْرَةٌ ، وبِثْم اللهِ ، إذا أَرادوا بُسْرة ، وبسم الله .

والثانية اللثْغة التى تعرِض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلْت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى .

---

(١) فى القاموس (سدد) : « وإسماعيل السدى لبيعه المقانع فى سدة مسجد الكوفة » . ومثله فى اللسان . وفى تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ، أبو محمد الكوفى . مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعانى ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، حجازى الأصل ، سكن الكوفة .

(٢) السدة : بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدا ل : « شبيه بالصفير » .

(٤) أبو يكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشى ، صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة ، وكان له ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فإن مِن أهلها مَن يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتَلَلْتُ : اعتييْت ، وبدل جَمَل : جَمَىْ . وآخرون يجعلون اللامَ كافاً ، كالذى عرض لعُمَر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ، قال : مَكْعِكَّة فى هذا .

وأمّا اللُّثغة التى تقع فى الراء فإنّ عددَها يُضعِف على عدد لثغة اللام ؛ لأنّ الذى يعرِض لها أربعةُ أحرف : فمنهم مَن إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْى ، فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْذ ، فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر [(١)] :

واستبدَّت مَرَّةً واحدة إنما العاجزُ مَن لايستبدّ

قال :

واستبدَّت مَذَّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

فمن هؤلاء علىّ بن الجُنيد بن فُرَيدى .

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

يقول :

واستبدَّت مَظَّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

ومنهم من يجعل الرّاء غَيناً معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال :

واستبدت مغَّةً واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

كما أن الذى لُثغته بالياء ، إذا أراد أن يقول : « واستبدّت مرة واحدة » يقول « واستبدت مَيَّةً واحدة » .

---

(١) هو عمر بن أبى ربيعة ، من قصيدة فى ديوانه ٧٦ مطلعها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيدَ العدوىّ (١) الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى السين (٢) كنحو ماكان يعرِض لمحمَّد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإنّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ فى الخط تُرى بالعين ، وإنما يصوِّرها اللِّسان وتتأدَّى إلى السمع . وربَّما اجتمعت فى الواحد لُثْغتان فى حرفين ، كنحو لثغة شَوْشَى ، صاحب عبد الله خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللامَ ياءً والراء ياء . قال مرّةً : مَويایَ ویِيٌّ ایّیّ . يريد: مولاى ولىّ الرَّىّ . واللُّثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهنَّ وأوضَعُهنَّ لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأمّا التى على الغين فهى أيسرهنَّ ، ويقال إنّ صاحبَها لو جَهَد نفسَه جَهْدَه ، وأحَدّ لسانَه (٣) ، وتكلّف مَخرج الراء على حقِّها والإفصاح بها ، لم يكُ بعيداً من أن تُجيبه الطَّبيعة ، ويؤثِّر فيها ذلك التعهُّد أثراً حسناً .

وقد كانت لُثغة محمَّد بن شبيبٍ المتكلِّم ، بِالغَين ، وكان إذا شاء أن يقول عَمْرو ، ولعمرى ، وما أشبه ذلك على الصحَّة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلُّف والتهيُّؤَ لذلك ، فقلت له : إذا لم يَكن المانعُ إلا هذا العذرَ فلستُ أشكُّ أنك لو احتملتَ هذا التكلُّفَ والتتبُّعَ شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم .

فأمَّا من تعتريه اللُّثغة فى الضاد وربَّما اعتراه أيضاً فى الصَّاد والراء ، حتَّى إذا أراد أن يقول مُضَر قال مُضَى ، فهذا وأشباهُه لاحقون بشَوشَى .

وقدْ زعم ناسٌ من العوامّ أن موسى عليه السلام كان ألثَغ ، ولم يقِفوا من الحروف التى كانت تعرِض له على شئ بعينه . فمنهم مَن جعل ذلك خِلقة ، ومنهم من زعَم أنَّه إنما اعتراه حين قالت آسيةُ بنتُ مُزاحِم امرأة فرعون لفرعون :

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القالى شعراً فى (٣ : ٢٨) .

(٢) فيما عدا ل : « الشين » .

(٣) هـ : « وأخذ لسانه » .

« لا تَقْتُلْ طفلاً لا يعرف التَّمر من الجمر [١] » . فلمَّا دعا له فرعونُ بهما جميعاً تناول جَمرةً فأهوى بها إلى فِيه ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما اللُّثغة فى الراء فتكون بالياء والظّاء والذال والغين ، وهى أقلُّها قبحاً وأوجدُها فى ذَوِى الشرف وكبار الناس وبُلغائهم وعلمائهم .

وكانت لثغة محمد بن شبيبٍ المتكلّمُ ، بالغين ، فإذا حَمَل على نفسه وقوّم لسانَه أخرج الرَّاء على الصّحة فتأتّى له ذلك . وكان يَدَعُ ذلك استثقالاً . أنا سمعت ذلك منه .

قال : وكان الواقديُّ [٢] يروى عن بعض رجالِه ، أنّ لسان موسَى كانت عليه شأْمة [٣] فيها شَعَرات . وليس يدلُّ القرآنُ على شئٍ من هذا [٤] ؛ لأنّه ليس فى قوله : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى ﴾ دليلٌ على شئٍ دونَ شئٍ .

وقال الأصمعيّ : إذا تتعتع اللسانُ فى التاءِ فهو تمتام ، وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجّاج :

يا حَمْدَ ذَاتَ المنطقِ التّمتامِ [٥]   كأنَّ وَسْواسَكِ فى اللِّمامِ [٦]

* حديثُ شيطانِ بنى هِنّامِ [٧] *

---

(١) فيما عدا ل : « لا يفرق » بدل « لا يعرف » .

(٢) الواقدى ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، مولى الأسلميين . كان من أهل المدينة ، وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون . وكان عالماً بالمغازى والسير والفتوح والأخبار . ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٢٠٧ . الفهرست لابن النديم ١٤٤ والمعارف ٢٢٦ وتاريخ بغداد (٣: ٣ ــ ٢١) وابن خلكان (١ : ٥٠٦) والسمعانى ٥٧٧ .

(٣) الشأمة ، بالهمز وبدونه : الخال فى الجسد . فيما عدا ل : « شامة » .

(٤) فيما عدا ل : « مما قالوا » .

(٥) فى الديوان ١٤٤ : « يا هال » مرخم هالة . والبيت مطلع أرجوزة له يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

(٦) يقال : ما يزورنا إلا لماما : أى إلا أحياناً على غير مواظبة .

(٧) فى اللسان : « بنو هنام : حى من الجن ، وقد جاء فى الشعر الفصيح » . وفى الأصول : « بنى همام » صوابه من الديوان .

وبعضهم ينشد :

* ياحَمْد ذاتَ المنطق النَّمْنامِ *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزَّحْف [١]:

لست بفأفاءٍ ولا تَمتامِ ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلامِ

وأنشد أيضاً للخَوْلانىِّ فى كلمةٍ له :

إنّ السِّياط تَركن لاستِك منطِقاً كمقالة التمتامِ ليس بِمُعْرِبِ

فجعل الخَولانىُّ التمتامَ غيرَ مُعْرِبٍ عن معناه ، ولا مفصحٍ بحاجته .

وقال أبو عبيدة : إذا أدخَلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه فى بعضٍ فهو ألَفُّ ، وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدنى لأبى الزَّحْف الراجز :

كأنّ فيه لَفَفاً إذا نطَقْ من طُولِ تحبيسٍ وهَمّ وأَرَقْ

كأنّه لما جلس وحْدَه ولم يكن له مَن يكلِّمه،وطال عليه ذلك،أصابه لففٌ فى لسانه .

وكان يزيدُ بن جابرٍ ، قاضى الأزارقة [٢] بعد المُقَعْطِل ، يقال له الصَّموت ؛ لأنّه لما طال صمتُه ثقُل عليه الكلام ، فكان لسانُه يلتوى ، ولا يكاد يبين .

وأخبرنى محمدُ بنُ الجهم [٣] أنّ مثل ذلك اعتراه أيامَ محاربة الزُّطّ [٤] ، من طول التفكُّر [٥] ولزوم الصَّمت .

---

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

(٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختيار مؤهلا لحصوله على هذه الولايات .

(٤) الزط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم فى حواشى الحيوان (٥ : ٤٠٧) . وقد كان هؤلاء ممن حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

(٥) هـ : « التفكير » .

قال : وأنشدَنى الأصمعىّ :

حديث بنى قُرْطٍ إذا ما لقيتَهم　　كنَزْو الدَّبا فى العرفج المتقارِبِ [١]

قال ذلك حين كان فى كلامهم عَجَلة . وقال سلمة بن عَيَّاش [٢] :

كَأَنَّ بنى رألاَن إذْ جاء جمعُهم　　فراريجُ يُلقَى بينهنّ سَويق [٣]

فقال ذلك لِدقّة أصواتهم [٤] وعَجَلة كلامهم . وقال اللَّهَبىُّ [٥] فى اللجلاج :

ليس خَطيبُ القوم باللجلاجِ　　ولا الذى يَزْحَلُ كالهِلباجِ [٦]

ورُبَّ بيداءَ وليلٍ داجِ　　هتكتُه بالنَّصِّ والإدلاجِ

وقال محمد بن سَلَّام الجُمَحى : كان عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى رجلا يتلجلج فى كلامه ، قال : « خالقُ هذا وخالقُ عمرِو بن العاصى واحد [٧] » .

ويقال : فى لسانه حُبْسة ، إذا كان الكلام يثقُل عليه ولم يبلُغْ حدَّ الفأفاء والتمتام . ويقال فى لسانه عُقْلةٌ ، إذا تَعقَّل عليه الكلام [٨] . ويقال فى لسانه

---

(١) بنو قرط : بطن من بنى بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس (قرط) . فيما عدا ل ، هـ « بنى زط » تحريف ، اجتليه ما سبق من الكلام . والدبا : الجراد قبل أن يطير .

(٢) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، يمدحهما . انظر الأغانى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) .

(٣) بنو رألان : قبيلة من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « لرقة أصواتهم » تحريف .

(٥) اللهبى ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، أحد شعراء بنى هاشم ، وكان ممن وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغانى (١٥ : ٢ — ١٠) ، والمؤتلف ٣٥ والمرزبانى ٣٠٩ .

(٦) يزحل : يزل عن مقامه . قال لبيد :

لو يقوم الفيل أو فَيَّاله　　زل عن مثل مقامى وزحل

والهلباج : الأحمق الشديد الحمق .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « إذا رأى الرجل » و « عمرو بن العاص » . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) . والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٧) وعيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٨) الكلام بعد « التمتام » إلى هنا من ل ، هـ .

لكنَةٌ ، إذا أدخل بعضَ حروف العجَم فى حروف العرب ، وجَذبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأوّل . فإذا قالوا فى لسانه حُكْلة فإنما يذهبون إلى نُقصان آلة المنطق ، وعَجْز أداة اللفظ ، حتى لا تُعْرَفَ معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج :

لو أنّنى أوتيتُ عِلْمَ الحُكَلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ[(١)]

وقال محمد بن ذُؤَيب [(٢)] ، فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهمُ قول الحُكْلِ لو أنّ ذَرَّةً تساوِدُ أُخرى لم يَفُتْه سِوَادُها [(٣)]

وقال التَّيمى [(٤)] فى هجائه لبنى تَغلب :

ولكنّ حُكْلاً لا تُبِينُ ودينُها عبادةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ [(٥)]

قال : وأنشَدَنى سُحيمُ بن حفص [(٦)] ، فى الخطيب الذى تَعرِض له النَّحنحة والسُّعلة ، وذلك إذا انتفخَ سَحْرُه ، وكَبا زَنده ، ونَبا حدُّه ؛ فقال :

نَعوذُ باللهِ مِن الإهمالِ ومِن كَلالِ الغَرْب فى المَقَالِ

* ومن خطيب دائمِ السُّعالِ *

---

(١) وكذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٨٥ : ٢/٤٥٤) والحيوان (٤ : ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمى العمانى الراجز ، وقيل له العمانى وهو بصرى ولم يكن من أهل عمان ؛ لأن دكيناً الراجز نظر إليه فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقرباً من الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ — ٨٣) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) فى الحيوان (٤ : ٢٤) : « وقال التيمى الشاعر المتكلم » .

(٥) أنشده فى الحيوان برواية : « عجم وحكل لا تبين » .

(٦) ويقال أيضاً فى اسمه « عامر بن حفص » ولقبه « سحيم » . وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست لابن النديم ٩٤ ليبسك ١٣٨ . مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ :

إنَّ زياداً ليس بالبكىِّ ‏‏ ولا بَهيَّابٍ كثيرِ العِىِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ناديتُ هَيْذَانَ والأبوابُ مغلقةٌ ‏‏ ومثلُ هَيْذانَ سَنَّى فتحةَ البابِ (١)

كالهُنِدُوانىِّ لم تُفْلَلْ مَضارِبهُ ‏‏ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابِ (٢)

وقال آخر :

* إذا الله سَنَّى عقْدَ شىءٍ تيسرا (٣) *

وقال بشر بن المُعتَمِر (٤) ، فى مثل ذلك :

ومِن الكبائرِ مِقْوَلٌ متتعتعٌ ‏‏ جمُّ التنحنح مُتعَبٌ مبهورُ (٥)

وذلك أنّه شهد رَيْسان ، أبا بُجَير بن رَيْسانَ ، يخطُب . وقد شهدتُ أنا هذه الخطبةَ ولم أر جباناً قط أجرأ منه ، ولا جريئا قطُّ أجبنَ منه .

وقال الأشلُّ الأزرقىّ — من بعض أخوالِ عمرانَ بنِ حِطّان الصُّفرىِّ القَعَدىِّ (٦) .

---

(١) سَنَّى : فتح وسهل . والبيتان محرفان فى العقد (٣ : ٣٩٠) .

(٢) الهندوانى ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرها : السيف المطبوع من حديد الهند . تفلل : تثلم . والوجَّاب : الخفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : ‏‏ « وأعلم علماً ليس بالظن أنه »

و : ‏‏ « فلا تيأسا واستغفرا الله إنه »

انظر اللسان (غور ، سنا) وأمالى القالى ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل أوردتها فى كتابى « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق . توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل والنحل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ واللسان (ربح) . فيما عدا ل ، هـ : « بشر بن معمر » تحريف . ولبشر قصيدتان فى الحيوان (٦ : ٢٨٤—٢٩٧) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشراة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره . توفى سنة ٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

– فى زيد بن جندبٍ الإيادىّ (١) خطيبِ الأزارقة ، وقد اجتمعا فى بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأشَلُّ البكرىّ (٢) : ٢٨

نَحنَحَ زيدٌ وسَعَلْ لمّا رأى وَقْعَ الأسَلْ
ويلُ آمِّهِ إذا ارتَجَلْ ثمَّ أطالَ واحتَفَلْ

وقد ذكر الشّاعر زيدَ بنَ جندبٍ الإيادىّ ، الخطيبَ الأزرقىَّ ، فى مرثيتِهِ لأبى دُوَادِ بنِ حَرِيز الإيادى (٣) ، حيثُ ذكره بالخطَابة وضرب المثَل بخطباء إياد ، فقال :

كقُسٍّ إياد أو لَقيطِ بن مَعْبدٍ وعُذْرَةَ والمِنطيقِ زَيدِ بن جُندبِ

وزيدُ بن جندبٌ هو الذى قال فى الاختلاف الذى وَقع بين الأزارقة :

قل للمحِلّين قد قَرَّتْ عيونكمُ بفُرقة القومِ والبغضاءِ والهَرَبِ (٤)
كنّا أُناساً على دينٍ ففرَّقَنا طولُ الجِدال وخَلْطُ الجِدِّ باللعبِ(٥)
ما كان أغْنى رجلاً ضلَّ سعيهُم عن الجِدال وأغناهُمْ عن الخُطَبِ
إنّى لَأَهوَنُكُمْ فى الأرضِ مُضطرَباً مالى سِوى فَرَسى والرُّمحِ مِن نَشَبِ

وأمّا عُذْرة المذكور فى البيت الأوَّل فهو عُذْرة بن حُجَيرة (٦) الخطيبُ الإيادىّ .

ويدل على قَدره فيهم ، وعلى قَدْره فى اللَّسَن وفى الخُطَب ، قولُ شاعرهم :

وأىُّ فَتَى صَبْرٍ على الأينِ والظَّما إذ اعتَصرُوا لِلُوح ماءَ فِظاظِها(٧)
إذا ضَرَّجُوها ساعةً بِدمائها وحُلَّ عن الكَوْماء عَقْدُ شِظاظِها(٨)

---

(١) له شعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) .

(٢) هـ : « النكرى » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « بن جرير » تحريف . انظر اللآلى ٧١٨ .

(٤) فيما عدا ل : « قد قرت عيونكم » .

(٥) فيما عدا ل : « قرع الكلام » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ « عذرة بن حجرة » .

(٧) اللوح ، بالفتح والضم : العطش . والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون ماء الكرش إذ عز عليهم الماء فى المفاوز .

(٨) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . والشظاظ : العود الذى يدخل فى عروة الجوالق .

فإنّك ضَحَّاكٌ إلى كلِّ صاحبٍ ... وأنطَقُ من قُسٍّ غداةَ عُكاظِها
إذا شَغَبَ المَوْلَى مُشاغِبُ مَعْشَرٍ ... فعُـذْرَةُ فيها آخِــذٌ بكِظَاظِهــا(١)

فلم يضرِبِ هذا الشّاعرُ الإياديُّ المثَلَ لهذا الخطيبِ الإياديِّ ، إلاّ
٢٩ برجُلٍ من خُطباء إياد ، وهو قُسُّ بنُ ساعدة . ولم يضرِبْ صاحبُ مرثية أبي
دُوَادِ بن حَرِيزٍ الإياديِّ (٢) المثَلَ إلاّ بخطباءِ إيادٍ فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم ،
حيث قال في عُذرة بن حُجَيرة (٣) :

كقُسٍّ إيادٍ أو لَقيطِ بن مَعْبَدٍ ... وعُذْرَةَ والمِنَطيقِ زيدِ بن جُندبِ

وأول هذه المرثِيَة قوله :

نعى ابنَ حَرِيز جاهلٌ بمُصابِه ... فعَمَّ نزاراً بالبُكا والتَّحَوُّبِ (٤)
نعاهُ لنا كاللَّيثِ يحمي عرينَه ... وكالبَـدْرِ يُعْشِي ضوؤُه كلَّ كوكبِ
وأصْبَرُ من عَوْدٍ وأهْدَى إذا سَرَى ... من النَّجمِ في داجٍ من اللّيل غَيْـهَبِ(٥)
وأذْرَبُ من حَدِّ السِّنـانِ لسانُــه ... وأمْضَى من السَّيف الحسام المشطَّبِ(٦)
زعيمُ نزارٍ كلِّها وخَطِيبُها ... إذا قام طاطا رأسَه كلُّ مِشْغَبِ
سليلُ قُرومٍ سادة ثُمَّ قالةٍ ... يبذُّون يومَ الجمع أهل المُحصَّبِ(٧)
كقُسٍّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبدٍ ... وعُذْرَةَ والمنطيق زيدِ بن جُندبِ

---

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدا ل ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدا ل ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوب : البكاء في جزع وصياح . والبيت في سمط اللآلئ ٧١٨ .

(٥) العود ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفي أمثالهم : « زاحم بعود أودع » ، أي استعن على حربك بأهل السن والمعرفة ، فإنّ رأيَ الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذي فيه طرائق في متنه .

(٧) أشير في هامش ل إلى رواية « ثم قادة » في نسخة . والمحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

فى كلمةٍ له طويلة .. وإيَّاهُم عَنَى الشّاعرُ بقوله :

يرْمُون بالخُطَب الطِّوالِ وتارةً وَحْىَ المَلاَحِظ خيفةَ الرُّقَباءِ[١]

قال : أخبرنى محمَّد بن عبَّاد [٢] بن كاسِب ، كاتبُ زهيرٍ ومولى بَجِيلة من سَبْي دابق [٣] ، وكان شاعراً راوية ، وطَلّابة للعلم عَلاّمة ، قال : سمعت أبا داود بن حَرِيز [٤] يقول وقد جَرى شيءٌ من ذكر الخُطَبِ وتحبيرِ الكلام واقتضابِه ، وصعوبةِ ذلك المَقام وأهوالِه ، فقال : « تلخِيص المعانى رِفْقٌ [٥] ، والاستعانة بالغريب عَجْز ، والتَّشادقُ مِن غير أهل البادية بُغْض ، والنَّظَر فى عيون النَّاس عِيّ ، ومَسُّ اللِّحية هُلْك ، والخروجُ مِمَّا بُنِى عليه أوَّلُ الكلام إسهاب » .

قال : وسمعتُه يقول : « رأس الخَطابة الطبْع ، وعَمُودُها الدُّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحَلْيُها الإعراب ، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ [٦] . والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه » . وأنشدنى بيتاً له فى صفةِ خطباءِ إياد :

يَرْمُون بالخُطب الطِّوالِ وتارةً وَحْىَ المَلاَحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ

فذكر المبسوطَ فى موضعه ، والمحذوفَ فى موضعه ، والموجَز ، والكناية والوحْىَ باللَّحظِ ودَلالة الإشارة . وأنشدنى له الثِّقة فى كلمةٍ له معروفة :

الجودُ أخْشَنُ مسًّا يابنى مَطَرٍ مِنْ أن تَبُزَّكُمُوه كَفُّ مستلِبِ[٧]
ما أعْلَمَ النَّاسَ أنَّ الجودَ مَدْفعةٌ للذّمّ لكنَّه يأتى على النَّشَبِ

---

(١) عنى بالملاحظ العيون ، لحظه لحظا : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبى دواد بن حريز . وهو بهذه النسبة فى زهر الآداب (١ : ٩٦) .

(٢) هـ : « عتاب » .

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدا ل : « جرير » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والتقريب .

(٦) فيما عدا ل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رهط معن بن زائدة الشيبانى ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيبانى الممدوح بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما فى وفيات الأعيان وغيرها . بزَّه الشىءَ : استلبه منه .

قال : ثمَّ لم يحفِل بها ، فادَّعاها مسلمُ بن الوليد الأنصاريّ ، أو ادُّعِيَت له . وكان أحدَ مَن يجيد قريضَ الشِّعر وتحبيرَ الخطب (١) .

وفى الخطباء مَن يكون شاعراً ويكونُ إذا تحدَّث أو وصَف أو احتجَّ بليغاً مفوَّهاً بيِّنا ، وربما كان خطيباً فقطْ ، وبيِّن اللسان فقط .

فمن الخطباء الشعراء ، الأبيناءِ الحكماء : قُسُّ بن ساعِدة الإياديّ . والخطباءُ كثيرٌ ، والشعراء أكثَرُ منهم ، ومن يجمع الشِّعرَ والخطابةَ قليل .

ومنهم : عمرو بن الأهتم المِنْقَرى ، وهو المُكَحَّل ، قالوا : كأنَّ شِعره فى مجالس الملوك حُلَلٌ منشورة (٢) . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسيّةِ : أىُّ منظرٍ أحسن ؟ فقالت : قصورٌ بيضٌ فى حدائقَ خُضْر » ، فأنشد عند ذلك عمرُ بن الخطاب ، بيتَ عدىّ بن زيدٍ العِبَادِىّ :

كَدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـ ... ـبَيض فى الرَّوض زَهْرُهُ مُستَنِيرُ

قال : فقال قَسامة بن زُهير (٣) : « كلام عَمرِو بنِ الأهتم آنَقُ ، وشعره أحسن » . هذا ، وقَسامة أحدُ أبيناء العرب .

ومن الخطباء الشعراء : البَعِيث المُجاشِعىّ ، واسمه خِداش بن بِشْر بن بَيْبَة (٤) .

ومن الخطباء الشعراء : الكُمَيْتُ بن زيدٍ الأسدى (٥) ، وكنيته أبو المستَهلّ .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الكلام » .

(٢) هـ : « منشرة » .

(٣) قسامة بن زهير المازنى ، له إدراك ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان ، وكان رأسا فى تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٤) فى المؤتلف ٥٦ ، أنه خداش بن بشر بن خالد بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع . دخل بين جرير وغسان السليطى ، وأعان غسان ، فلج الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق ، وسقط البعيث . فيما عدا ل : « لبيد » بدل « بيبة » تحريف .

(٥) من يقال له الكميت من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدى ، من بنى أسد بن خزيمة . وأعرفهم وأشهرهم الكميت بن زيد ، وكان مكثرا جداً ، يتعمل لإدخال الغريب فى شعره ، وله فى أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهى أجود شعره . وهذا الكميت هو الكميت الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائىّ (١) ، وكنيته أبو نَفْرٍ قال القاسم بن مَعْن : قال محمَّد بن سهلٍ راويةُ الكميت : أنشدتُ الكميت قولَ الطرِمّاح :

إذا قُبِضت نَفسُ الطِّرِمّاحِ أَخلَقَت   عُرَى المَجْد واسْتَرْخَى عِنانُ القَصائِدِ

قال : فقال الكميت : إى واللهِ ، وعِنان الخَطابة والرِّواية .

وقال أبو عثمان الجاحظ : ولم يَرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكُميتِ والطرِمّاح . وكان الكميتُ عدنانيًّا عصبيًّا ، وكان الطرِمّاح قَحطانيا عَصَبيًّا . وكان الكميت شِيعيًّا من الغالية ، وكان الطرِمّاح خارجيًّا من الصُّفْرِيّة . وكان الكميت يتعصَّب لأهل الكوفة ، وكان الطرِمّاح يتعصب لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصَّة والمخالَطة مالم يكن بين نَفْسَيْنِ قطّ ، ثم لم يَجْرِ بينهما صُرْمٌ ولا جَفْوةٌ ولا إعراض ، ولا شئ مما تدعو هذه الخصالُ إليه . ولم يَرَ الناسُ مثلَهما إلا ماذكروا من حالِ عبد الله بن يزيد الإِباضى (٢) ،وهِشام بن الحكَم الرافضى (٣) ؛ فإنّهما صارا إلى المشارَكة بعد الخِلْطة والمصاحبة (٤).

= وأما الأكبر فهو الكميت بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد الكميت الأوسط : الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضاً . انظر المؤتلف ١٨٠ والمرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطرماح بن حكيم : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة ، وكان فصيحا يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٠ : ١٤٨) والخزانة (٣ : ٤١٨) .

(٢) فيما عدا ل : « بن زيد الإباضى » .

(٣) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه . وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ ــ ٥٣ والملل والنحل (٢ : ٢١ ــ ٢٣) . وانظر الحيوان (٣ : ١١) .

(٤) الخلطة ، بالكسر : العشرة ؛ وبالضم : الشركة .

وقد كانت الحال بين خالدِ بن صَفْوانَ وشبيبِ بن شيبةَ ، الحالَ التى تدعو إلى المفارَقة بعد المنافسة والمحاسَدة ؛ للذى اجتمع فيهما من اتّفاق الصِّناعة والقَرابة والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكمُ تميمٍ لتبايَنَا تبايُنَ الأُسْدِ والنُّمْر . وكذلك كانت حالُ هشامِ بن الحكم الرَّافضىّ ، وعبد الله بن يزيد الإباضىّ (١) ، إلا أنهما أفْضَلا (٢) على سائر المتضادِّين ، بما صارا إليه من الشَّرِكةِ فى جميع تجارَتِهما . وذكر خالدُ بنُ صفوانَ شبيبَ بنَ شيبة فقال : « ليس له صديقٌ فى السِّرّ ، ولا عدوٌّ فى العلانِيَة (٣) » ، فلم يعارِضْه شبيب . وتدلُّ كلمةُ خالدٍ هذه على أنه يُحسِن أن يسُبّ سَبَّ الأشراف .

٣٢ ومن الشعراء الخطباء : عِمْرانُ بن حِطَّانَ ؛ وكنيته أبو شهاب ، أحدُ بنى عمرو بن شيبانَ إخوةِ سَدُوس .

فمن بنى عمرِو بن شيبانَ مع قِلّتهم من الخطباء والعلماء والشعراء: عِمرانُ بن حِطّانَ رئيسُ القَعَدِ من الصُّفْرِيّة ، وصاحبُ فُتْياهم ، ومَفْزَعهُم عند اختلافهم .

ومنهم : دَغْفَلُ بن حنظلةَ النَّسَّابةُ ، الخطيب العلّامة . ومنهم القَعقاع بن شَوْر (٤) . وسنذكُر شأنَهم إذا انتهَينا إلى موضع ذكرِهم إن شاء الله .

ومن الخطباء الشعراء: نصر بن سَيّار (٥)،أحد بنى لَيث بن بكر، صاحب

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « فضلا » وهما سيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أى زاد .

(٣) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) والعقد (٢ : ٢٧١) وسيأتى فى ٣٤٠ .

(٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية . وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقَى بقعقاع جليس

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠،ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصوناً وغنم كثيراً ، وأقام بمرو . وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خراسان . وهو يُعَدُّ فى أصحاب الوِلايات والحروب ، فى التدبير ، وفى العَقل وشِدَّة الرأى

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جُندب الإيادىّ ، وقد ذكرنا شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عَجلانُ بن سَحْبانَ الباهلىّ ؛ وسحبانُ هذا هو سحبانُ وائلٍ ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، وممن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى هَمْدَان .

ومن الشعراء الخطباء : عِمران بنُ عِصام العَنَزِىّ (٢) ، وهو الذى أشار على عبد المَلِك بخلْع عبد العزيز أخيه ، والبيعةِ للوليد بن عبد الملك ، فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذى لمّا بلغ عبدَ الملك بن مروان قَتْلُ الحجَّاج له قال : ولِمَ قَتَله ، ويْله ؟ ألاَّ رَعَى له قولَه فيه :

وبَعثْتَ من وَلَد الأغرِّ مُعَتِّبٍ   صَقراً يلوذُ حمامُه بالعَرْفجِ (٣)
فإذا طبخْتَ بنارِهِ أنْضَجْتَها   وإذا طَبَخْتَ بغيرها لم تَنْضَجِ
وهو الهِزَبْرُ إذا أرادَ فَرِيسةً   لم يُنْجِها منه صِياحُ مُهَجْهِجِ (٤)

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزى : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد بن عبد الملك ، فقام بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج ، فأتى به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغانى (١٦ : ٥٨ — ٥٩) . والعنزى : نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بنى أسد . فيما عدا ل ، هـ : «العرنى» تحريف . وهو معدود فى رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ، والطبرى (٧ : ٢٥) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف .

(٤) هجهج بالسبع : صاح به وزجره . ما عدا هـ : «المجهج» ، تحريف .

ومن خطباء الأمصارِ وشعرائهم والمولَّدين منهم : بَشّارٌ الأعمى ، وهو بشارُ بن بُرْد ، وكنيته أبو مُعاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيل . فإن كان مولى أُمِّ الظِّباء على ما يقول بَنُو سَدوس ، وعلى ما ذكره حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، فهو من موالى بنى سَدوس . ويقال إنه من أهلِ خراسانَ نازلاً فى بنى عُقَيل . وله

٣٣ مديحٌ كثيرٌ فى فُرسانِ أهلِ خُراسانَ ورجالاتهم . وهو الذى يقول :

من خُراسانَ وبيتى فى الذُّرَى ولَدَى المَسعَاة فَرْعِى قد بَسَقْ

وقال :

وإنِّى لمِنْ قَوْمٍ خُراسانُ دارُهم كرامٍ وفَرْعِى فيهمُ ناضِرٌ بَسَقْ

وكان شاعراً راجزاً ، وسجَّاعاً خطيباً ، وصاحب منثورٍ ومزدَوِج . وله رسائلُ معروفة .

وأنشد عُقْبةُ بنُ رؤبة ، عقبةَ بن سَلْم (١) ، رجزاً يمتدحه به ، وبشّارٌ حاضر ، فأظهرَ بشارٌ استحسانَ الأُرجوزة ، فقال له عقبةُ بن رؤبة : هذا طراز يا أبا مُعاذٍ لاتُحسِنُه . فقال بشّار : أَلِمثلِى يُقال هذا الكلام ؟ أنا واللهِ أرجَزُ منك ومِن أبيكَ ومن جَدِّك . ثم غدا عَلَى عُقبةَ بنِ سَلْمٍ بأرجوزته التى أوّلها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ الصَّمْدِ باللهِ خبِّر كيف كُنتَ بَعْدِى

وفيها يقول :

اسْلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ للهِ أيامُك فى مَعدِّ

وفيها يقول :

---

(١) عقبة بن سلم ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هناءة فى الإسلام : عقبة بن سلم ، صاحب دار عقبة بالبصرة ، ابن نافع بن هلال بن أهبان بن هراب بن عائذ بن خنزير بن أسلم بن هُناءة » . والخبر مفصل فى الأغانى (٣ : ٣٦ ــ ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعَبْد   وليس للمُلْحِف مِثْلُ الرَّدّ

وفيها يقول :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدّ   حَمَلتُه فى رُقْعةٍ من جِلْدِى

* وما دَرى ما رَغبتِى من زُهْدى *

أى لم أُرِهِ زُهداً فيه ولا رغبةً (١) . ذهب إلى قول الأغَرّ الشاعر (٢) :

لقد كنتَ فى قومٍ عليكَ أشِحَّةٍ   بنفسك ، لولا أنّ مَن طاح طائحُ

يَوَدُّون لو خاطُوا عليكَ جُلودَهُمْ   وهَلْ يدفَع الموتَ النّفوسُ الشحائحُ (٣)

* * *

والمطبوعون على الشعر من المولَّدين بشارٌ العُقيليّ ، والسَّيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية ، وابن أبى عُيَيْنة (٤) . وقد ذكر الناسُ فى هذا الباب يَحيى بن نوفلٍ ، وسَلْماً الخاسرَ ، وخَلَفَ بن خليفة (٥) . وأبانُ بنُ عبد الحميدِ اللاحقىُّ أَوْلى بالطَّبع من هؤلاء ، وبشّارٌ أطبَعُهم كلِّهم .

---

(١) قال أبو الفرج : وذكر لى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة » .

(٢) كلمة « الأغر » من ل فقط . وفى المؤتلف ص ٤٠ شاعران من بنى يشكر بن وائل ، يقال لكل منهما « الأغر » .

(٣) انفردت ل بهذه الرواية وكتب فيها فوق « هل » : « لا » إشارة إلى أنهما روايتان . وفيما عدا ل وكذا زهر الآداب (٢ : ١٢١) : « ولا » .

(٤) هو أبو عيينة بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، من شعراء الدولة العباسية وساكنى البصرة ، أنفد أكثر أشعاره فى هجاء ابن عمه خالد . انظر الأغانى (١٨ : ٨ — ٢٩) .

(٥) من شعراء الحماسة ، وكان يقال له « الأقطع » لأنه قطعت يده فى سرقة ، فاستعاض عنها بأصابع من جلود ، وكان من معاصرى جرير والفرزدق ، دخل يوماً على يزيد بن عمر بن هبيرة ، فى يوم مهرجان ، وقد أهديت له هدايا وهو يفرقها فى الناس ، وكان إذ ذاك أميراً على العراق ، فوقف ثم قال :

كأنا شماميس فى بيعة   تقسَّس فى بعض عيداتها

وقد حضرت رسل المهرجان   وصفُّوا كريم هَدَايـــاتها

=

ومن الخطباء الشعراء ومَن يؤلِّف الكلامَ الجيِّدَ ، ويصْنَع المناقلاتِ الحسانَ ويؤلِّف الشعر والقصائدَ الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة ، وحُسْن دَلٍّ وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأْب ، أحد بنى ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخَطابةَ والشِّعرَ الجيِّدَ والرسائلَ الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العَتَّابىّ ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظِه وحَذْوه ومثاله فى البديع يقولُ جميعُ من يتكلَّف مِثلَ ذلك من شعراء المولَّدين ، كنحو مَنْصُورٍ النَّمَرى ،ومسلم بن الوليد الأنصارىّ وأشباهِهما .

وكان العتابىُّ يحتذِى حَذْوَ بشَّار فى البديع . ولم يكن فى المولَّدين أصوبُ بديعاً من بشَّارٍ ، وابن هَرْمَة .

والعتابىُّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :

إنِّى امرؤٌ هدَمَ الإقتارُ مأْثَرَتِى ... واجتاحَ مابَنَتِ الأيامُ من خَطرِى
أيَّامَ عمرُو بنَ كلثوم يسوِّدُه ... حَيًّا ربيعةَ والأفنْاءُ من مُضَرِ (١)
أُرُومةٌ عطَّلتْنِى مِن مكارِمِها ... كالقَوس عَطَّلها الرَّامى مِن الوتَرِ

ودَلَّ فى هذه القصيدة على أنَّه كان قصيراً بقوله (٢) :

نَهَى ظِرَافَ الغَوانِى عن مُواصَلَتى ... ما يفجأُ العينَ من شَيبِى ومن قِصَرِى

* * *

= علوت برأسى فوق الرءوس ... وأشخصته فوق هاماتها
لأكسب صاحبتى صحفة ... تغيظ بها بعض جاراتها

وكان بين يديه جامات من ذهب وفضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباقىَ ويقول :

لا تبخلنَّ بدنيا وهى مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فليس تبقى وباق شكرها خلف

انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفتاء : الأخلاط من القبائل ، واحدها فتو ، بالكسر ، وفتا ، كعصا .

(٢) هـ : « قولهُ » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمعُوا الشِّعر والخطبَ ، والرسائلَ الطِّوالَ والقِصارَ ، والكتبَ الكبارَ المخلدة [١] ، والسِّيَر الحِسانَ المدوَّنة ، والأخبارَ المولَّدة : سَهلُ بن هارون بن راهَيونى [٢] الكاتب ، صاحب كتاب ثُعلة وعُفرة ، فى معارضة كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان [٣] وكتاب المسائل ، وكتاب المخزوميّ والهذلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : علىّ بن إبراهيم بن جَبلَة بن مَخْرَمة ، ويُكنى أبا الحسن [٤] . وسنذكر كلام قُسّ بن ساعدة وشأن لَقيط بن معبد ، وهند بنت الخُسِّ ، وجُمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صِرْنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

ولإيادٍ وتميمٍ فى الخُطب خَصلةٌ ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ هو الذى رَوَى كلامَ قُسٍّ بن ساعدةَ وموقفَه على جمله بعُكاظ وموعظتَه ، وهو الذى روَّاهُ لقريشٍ والعرب ، وهو الذى عَجَّبَ من حُسْنه وأظْهَر من تصويبه . وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفَّق الله ذلك الكلامَ لقُسٍّ بن ساعدةَ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبَعْث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « المجلدة » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « راهيونى » وقد ضبطت الهاء فى هـ بالفتح والكسر معا . وفى الفهرست ١٠ ليبسك « راهبون » . وسهل بن هارون ، نسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالمأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسى الأصل ، شعوبى المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله فى ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه فى خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليبسك و ١٧ مصر وسرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ — ٢٧٢) .

(٣) عند ابن النديم « كتاب اسباسيوس فى اتخاذ الإخوان » .

(٤) فيما عدا ل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحدٍ فى ذلك مثلُ الذى لبنى تميم ؛ لأنّ النبىَّ عليه السلام لما سأل عمرَو بنَ الأهتمِ عن الزِّبرقان بن بدر [١] قال : « مانعٌ لحَوْزتِه ، مطاعٌ فى أَدْنَيه [٢] » . فقال الزبرقان : « أما إنَّه قد علِمَ أكثر ممَّا قال ، ولكنَّه حسَدنى شرفى » . فقال عمرو : « أمَا لئنْ قال ما قال فوالله ما علمتُه إلاّ ضَيِّق الصدر [٣]، زَمِرَ المروءة [٤] لئيمَ الخال ، حديثَ الغِنَى » ، فلما رأى أنه خالف قولُه الآخرُ ، قولَه الأوَّل ، ورأى الإنكار فى عَيْنَىْ رسول الله قال : « يارسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضِبتُ فقلتُ أقبَحَ ماعلِمتُ ؛ وما كذَبْتُ فى الأُولى ولقد صدَقْتُ فى الآخِرة » . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إنّ من البيان لسِحْرا » .

فهاتان الخَصلتان خُصَّت بهما إيادٌ وتميم ، دون جميع القبائل [٥] .

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ سفيان ، فأشار له إلى الوِساد فقال له : اجلِسْ . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : ومامنعك يا أحنَفُ مِن الجلوس على الوِساد ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمٍ

---

(١) عمرو بن الأهتم ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمى ، والأهتم لقب أبيه سنان . وفد عمرو إلى رسول الله فى وفد تميم ، وكان سيداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٦٧٦٥ ومعجم المرزبانى ٢١٢ . والزبرقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأهتم ممن نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا فى بنى تميم ، وله شعر فى كتاب الحيوان (٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ — ٧) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع فى عشيرته » . وانظر القصة فى زهر الآداب (١ : ٥) ولباب الآداب ٣٥٤ — ٣٥٥ وأول أمثال الميكالى .

(٣) فى زهر الآداب والأمثال : « ضيق العطن » . والعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروءة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفى زهر الآداب : « زمن » محرف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « دون سائر القبائل » .

المِنقرىُّ وَلَده أنْ قال : « لا تَغْشَ السُّلطانَ حتَّى يَمَلَّك ، ولا تقطعه حتَّى ينساك ، ولا تجلس له على فِراشٍ ولا وِساد ، واجعلْ بينك وبينه مجلِسَ رجلٍ أو رجُلين ؛ فإنَّه عسى أن يأتِيَ مَن هو أولى بذلك المجلس منك فتُقامَ له ، فيكونَ قيامُك زيادةً له ، ونُقصاناً عليك [١] » . حَسْبِى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين ، لعلَه أن يأتىَ مَن هو أولى بذلك المجلس منِّى ؛ فقال معاوية : « لقد ٣٦ أُوتِيتْ تَمِيمٌ الحِكمَة ، مع رِقَّة حواشى الكلِم [٢] » . وأنشأ يقول :

يأيُّها السائلُ عَمَّا مضى   وعِلْمِ هذا الزَّمنِ العائبِ [٣]
إن كنتَ تبغِى العلمَ أو أهلَه   أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأَرضَ بسُكَّانها   واعتبرِ الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

• • •

وذهبَ الشاعرُ فى مرثِيَة أبى دُؤادٍ فى قوله :

وأصبَرَ من عَوْدٍ وأهدَى إذا سَرَى   من النَّجمِ فى داجٍ من الليل غَيهَبِ [٤]

إلى شبيهٍ بقول جبَّارِ بن سُلْمَى [٥] بن مالك بن جعفر بن كِلَاب ، حين وقَفَ على قبر عامرِ بن الطُّفيل فقال : « كان واللهِ لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يعطَش حتَّى يعطَشَ البعير ، ولا يَهابُ حتَّى يهابَ السَّيل ، وكان واللهِ خيرَ ما يكونُ حين لا تَظُنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً [٦] » .

---

(١) فيما عدا ل : « ونقصا عليك » .

(٢) فيما عدا ل : « الكلام » .

(٣) ل ، هـ : « العاتب » .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٣ س ١١ .

(٥) سلمى ، بضم السين ، وقيل بفتحها ، كما نص ابن حجر فى الإصابة ١٠٥١ . ب : « سليمان » تحريف . وجبار ، أحد الصحابة الفرسان ، أسلم بعد وقعة بئر معونة ، لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر السيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن .

(٦) انظر الحيوان (٣ : ٤٨١) وشروح سقط الزند ٥٠٠ . هـ : « ما كان يكون » .

وكان ريدُ بن جندبٍ أشْغَى أفلح [١] ، ولولا ذلك لكان أخطبَ العربِ قاطبةً . وقال عَبِيدة بن هلال اليشكُرىّ [٢] فى هجائه له :

أشْغَى عَقَنْباةٌ ونابٌ ذو عَصَلٍ [٣] وقَلَحٌ بادٍ وسِنٌّ قد نَصَلْ [٤]

وقال عَبِيدة أيضاً فيه :

ولَفُوكَ أشْنَعُ حين تنطِقُ فاغراً مِن فِي قَرِيحٍ قد أصاب بَرِيرَا [٥]

وقد قال الكميت :

تُشبَّه فى الهام آثارُهـا مَشافرَ قَرْحَى أكَلْنَ البريرا [٦]

وقال النَّمرُ بنُ تولَبٍ فى شُنْعة أشداق الجَمَل :

كم ضَرْبةٍ لك تَحْكِي فا قُرَاسِيَةٍ من المَصَاعب فى أشداقه شَنَعُ [٧]

القُراسِيَةُ : بعيرٌ أضجَم [٨] . والضَّجَم : اعوجاجٌ فى الفم ، والفَقَم مثله . والرَّوَق : ركوبُ السنِّ الشَّفَة .

وفى الخطباء مَن كان أشغَى ، ومن كانَ أشدَق ، ومن كان أرْوَق ، ومن كان أضْجَم ، ومن كان أفقم . وفى كلٍّ ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

---

(١) الشغا : اختلاف نِبتة الأسنان بالطول والقصر ، والدخول والخروج . والفلَح : شق فى الشفة العليا ، فإذا كان فى العليا فهو عَلَم . ل : « أفلج » بالجيم ، تحريف .

(٢) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٥٤ . وفى الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا تساوك هزلى مخهن قليل »

(٣) العقنباة : العقاب الحديدة المخالب . والعصل : الالتواء .

(٤) ل : « وفلج » تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت فى الحيوان (٣ : ٣١٠/ ٦ : ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ : ٣١٠) . والتفسير التالى ساقط من هـ .

(٨) الذى فى المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثمُ بن عدى (١) عن أبي يعقوبَ الثّقفيّ ، عن عبد الملك بن عُمير (٢)، قال : قَدِم علينا الأحنفُ بنُ قيسٍ الكوفةَ ، مع المُصعَب بن الزبير ، فما رأيتُ خَصلةً تُذَمّ فى رجلٍ إلّا وقد رأيتُها فيه : كان صَعْل الرأس أحجَنَ الأنف ، أغضَفَ الأذن (٣) ، متراكِب الأسنان ، أشدَق (٤) ، مائل الذَّقن ، ناتئ الوَجْنة ، باخق العين (٥) ، خفيف العارضَين ، أحنفَ الرِّجلين ، ولكنّه كان إذا تكلَّم جلَّى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثمُ أن يمنَعه البيانَ أيضاً لمنَعَه . ولولا أنّه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لَمَا أقرّ بأنه إذا تكلَّم جلّى عن نفْسه (٦) .

وقوله (٧) فى كلمتِه هذه كقول هند بنت عُتبة ، حين أتاها نَعِيُّ يزيدَ بن أبى سفيان ، فقال لها بعض المعَزِّين : إنّا لنرجو أنْ يكونَ فى معاويةَ خلفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثلُ معاويةَ لا يكونُ خلَفاً من أحد ، فوالله أنْ لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُمِى به فيها ، لخَرَج من أىِّ أعراضِها شاء » . ولكنّا نقول : أمثل الأحنف يقال : « إلا أنّه كان إذا تكلَّمَ جلَّى عنْ نَفْسه » ؟

* * *

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخبارى ، كان ممن جالس المنصور والمهدى والهادى ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل ... فقدم الدال قبل العين فى النسب

وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٣٠ وتوفى سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

(٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى — ويقال الفَرَسىّ — أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالقبطى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه:ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الروثة نحو الفم . أغضف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البخق : أن تخسف العين بعد العور .

(٦) هذه الفقرة ليست فى ل . والكلام فى الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى .

(٧) فى النسخ : « وقولنا » .

ثم رجَع بنا القول إلى الكلام الأوَّل فيما يعترى اللِّسانَ من ضُروب الآفات . قال ابنُ الأعرابىّ : طلّق أبو رَمادة (١) امرأتَه حين وجدَها لثغاء ، وخاف أن تجيئه بولدٍ ألثغ ، فقال :

لثغاء تأتى بِحِيَفْسٍ ألثغ ‏ ‏ ‏ ‏ تَميسُ فى المَوْشِىِّ والمصبَّغ

الحِيَفْس : الولد القصير الصغير (٢) .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ كلمةً جامعةً لكثير من هذه المعانى ، وهى قول الشاعر :

اسكُتْ ولا تَنطِقْ فأنتَ حَبْحابْ (٣) ‏ ‏ ‏ ‏ كلُّك ذو عيبٍ وأنت عَيَّابْ
إنْ صدَق القومُ فأنت كذّاب ‏ ‏ ‏ ‏ أو نطَقَ القومُ فأنتَ هيَّابْ
أو سكَتَ القومُ فأنت قَبْقَابْ (٤) ‏ ‏ ‏ ‏ أو أقدموا يوما فأنت وجّاب (٥)

وأنشدنى فى هذا المعنى أيضاً :

ولست بِدُمَّيْجَةٍ فى الفِرا ‏ ‏ ‏ ‏ ش وجّابةٍ يحتمِى أن يُجِيبا (٦)
ولا ذِى قَلازِمَ عند الحِياضِ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا ماالشَّرِيبُ أرابَ الشَّرِيبا (٧)

الدُّمَّيْجة : الثقيل عن الحركة (٨) . والقَلازم : كثرة الصيَّاح . وأنشدنى :

---

(١) ل : «أبو زمعة» . وفى عيون الأخبار (٤ : ٨) . «طلق زياد» .

(٢) الحيفس : كهزبر وصيقل . وقيل فى تفسيره : الدميم الخلقة . والتفسير ساقط من هـ .

(٣) الحبحاب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : «خبخاب» تحريف . وأنشده فى أمالى ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب) ، وهو القداح الذى لا يورى . والقداح والقداحة : حجر القدح . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٥) .

(٤) قبقاب : كثير الكلام مخلطه .

(٥) الوجاب : الجبان الفرق . وأنشده فى اللسان (قدم) : «أو قدموا» شاهداً على أن قدم ، بالتشديد ، بمعنى تقدم .

(٦) الدميجة ، بالدال المهملة . وفى الأصول : «بزميجة» تحريف صوابه فى اللسان (دمج ، وجب) ونوادر أبى زيد ٢٤٢ وما سيأتى فى ص ٦٨ و ٣ : ٣٢٩ ، حيث أنشد البيت . والوجابة : الفزع الفرق . ورواية النوادر : «هيابة» .

(٧) البيت فى اللسان (وجب ، قلزم) .

(٨) فسر فى اللسان (دمج) بأنه المتداخل ، وفى (وجب) بأنه الذى يندمج فى الفراش . وفى النوادر : «ابن الأعرابى : رجل دميجة ، إذا كان ملازما لفراشه» .

رُبَّ غريب ناصح الجيبِ ... وابن أَبٍ مُتَّهَم الغَيبِ (١)
ورُبَّ عيَّاب له منظرٌ ... مُشتمِلُ الثَّوبِ على العَيبِ (٢)

وأنشدنى أيضاً :

وأجرأُ من رأيتُ بظهْرِ غيب ... على عَيب الرِّجال ذوُو العيوبِ (٣)

* * *

وقال سهلُ بن هارون : « لو عَرفَ الزَّنجى فَرط حاجته إلى ثناياه فى إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان (٤) ، لما نزع ثناياه » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى سُهَيل بن عمرو الخطيب (٥): « يارسولَ الله ،انزَع ثَنِيَّتَيْهِ السُّفْلَيَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لسانُه، فلا يقومَ عليك خطيباً أبداً (٦) » .

وإنَّما قال ذلك لأنَّ سهيلاً كان أعلمَ مِن شفته السُّفلَى (٧) .

وقال خَلَّاد بن يزيدَ الأرقط (٨) : خطب الجمحىُّ خطبةَ نكاحٍ أصابَ فيها معانىَ الكلام ، وكان فى كلامه صفيرٌ يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيدُ بنُ علىِّ بنِ الحسين بكلام فى جودة كلامه ، إلا أنَّه فَضَلَه بحُسن المخرج

---

(١) رجل ناصح الجيب : نقى الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب » .

(٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلا عيابا . قال « التمسه بفضل معايب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليبسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .

(٤) هـ ، حـ : « وتكميل جميل البيان » .

(٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذى تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسيرة ٤٧٦ جوتنجن .

(٦) فى الإصابة : « قال عمر للنبى ﷺ : دعنى أنزع ثنيتى سهيل فلا يقوم علينا خطيبا . فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوما . فلما مات النبى ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فالله حى لا يموت » .

(٧) كذا . وإنما الأعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح .

(٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل ، والعارفين بالقبائل والأشعار. توفى سنة ٢٢٠ . ابن النديم ١٧ ليبسك ١٥٦ مصر وتهذيب التهذيب (٣ : ١٧٦) .

والسَّلامةِ من الصفير ، فذكر عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، سلامةَ لفظ زيدٍ لسلامة أسنانه ، فقال فى كلمةٍ له :

قَلّت قوادحُها وتمَّ عديدُها   فله بذاك مَزِيَّةٌ لا تنكرُ [(١)]

ويروى : « صحَّت مخارجُها وتمَّ حروفها » . المزيَّة : الفضيلة .

وزعم يَحيى بن نُجَيم بن معاوية بن زمَعة ، أحدُ رواةِ أهلِ البصرة [(٢)] ، قال : قال يونس بن حبيبٍ ، فى تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزَّافرِيَّة أرضعَتْنى   بثديٍ لا أجَدَّ ولا وخيمِ [(٣)]

أتمَّتْنى فلم تنقص عظامى   ولا صَوتى إذا جَدَّ الخصومُ [(٤)]

قال : إنما عنى بقوله عظامى أسنانَه التى فى فمِه ، وهى التى إذا تَمَّت تمت الحروفُ ، وإذا نقصت نقصت الحروف .

وقال يونس : وكيف يقول مثله : « أتَمّتْنى فلم تنقصْ عِظامى » وهو يريد
٣٩ بالعظام عظامَ اليدين والرجليْنِ ، وهو أحنفُ من رجليه جميعاً ، مع قول الحُتات له [(٥)] : « والله إنكَ لضئيلٌ ، وإن أمَّك لَوَرْهَاءُ [(٦)] » . وكان أعرَف بمواقع العيوب وأبصرَ بدقيقها وجليلِها . وكيف يقول ذلك وهو نُصْب عيونِ الأعداء والشُّعراءِ

---

(١) القادح : أُكال يقع فى الأسنان .

(٢) ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٧٠ ليبسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب .

(٣) الزافرية ، لم أجد فى قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هى حبة بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية ، كما فى الإصابة ٤٢٦ . والأجدُّ : اليابس الذى ذهب لبنه .

(٤) فيما عدا ل : « اصطك الخصوم » . وفى البيت إقواء .

(٥) الحتات ، كغراب ، هو الحتات بن يزيد بن علقمة التيمى الدارمى المجاشعى ، وكان الرسول قد آخى بينه وبين معاوية ، فمات فى خلافته ، فورثه بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو أحد من وفد من بنى تميم على رسول الله . السيرة ٩٣٣ ـــ ٩٣٤ .

(٦) الورهاء : الحمقاء التى لا تمالك حمقا .

والأكْفاء ، وهو أنفُ مُضَرَ الذى تَعطِس عنه ، وأَبْيَنُ العربِ والعجم قاطبة .

قالوا : ولم يتكلمْ معاويةُ على مِنبر جماعةٍ منذُ سقطَتْ ثناياه فى الطَّست .

قال أبو الحسن وغيرُه : لما شَقَّ على معاويةَ سقوطُ مَقادمِ فيه قال له يزيدُ ابن معنٍ السُّلَمىّ : « والله ما بلغ أحدٌ سِنَّكَ إلا أبغض بعضُه بعضاً ، ففوك أَهْوَنُ علينا من سمعك وبصرك » . فطابت نفسُه .

وقال أبو الحسن المدائنىّ : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانَه بالذهب قال : « لولا المنابر والنِّساء ، ما باليتُ متى سقطَتْ » .

قال : وسألْتُ مباركا الزِّنجىَّ الفاشكَار (١) ، ولا أعلم زِنْجِيًّا بلغ فى الفَشكرةِ مبلغَه ، فقلت له : لِمَ تنزع الزنجُ ثناياها ؟ ولِمَ يحدِّدُ ناسٌ منهم أسنانَهم ؟ فقال : أمَّا أصحاب التحديد فللقِتال والنَّهش ، ولأنَّهم يأكلون لحومَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلا أكله ، وكذلك إذا قاتَل بعضَهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأما أصحاب القَلْع فإنّهم قالوا : نَظَرْنا إلى مَقادم أفواهِ الغَنَم فكرهْنا أن تشبه مقادمُ أفواهنا مقادمَ أفواهِ الغَنَم ، فكم تظنُّهم ــ أكرمَكَ الله ــ فقَدُوا من المنافع العِظام بفقْد تلك الثنايا .

وفى هذا كلامٌ يقع فى كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندىّ فى اللّثَغ :

سَقَيتُ أبا المصرَّح إذْ أتانى ... وذُو الرَّعَثاتِ منتصبٌ يَصيحُ (٢)
شراباً تَهْرُبُ الذِّبَّانُ منه ... ويَلْثَغُ حين يشربهُ الفَصيحُ (٣)

---

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ . وفى هامش هـ : « الفاشكار هو الفلاح . والفشكرة : الفلاحة » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « إذا تأتى » تحريف . والرعثة ، بالضم ، والتحريك : عثنون الديك .

(٣) الذبان تسقط على النبيذ الحلو ولا تسقط على الحازر . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ، ٣٨٠) . هـ : « الذبان عنه » .

وقال محمد بن عمرٍو الرُّوميّ ، مولى أمير المؤمنين : قد صحَّت التجربة وقامت العِبرة على أنّ سقوطَ جميع الأسنان أصْلَحُ فى الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرُها ، وخالف أحدُ شَطريها الشَّطر الآخر .

وقد رأينا تصديقَ ذلك فى أفواه قومٍ شاهَدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانِهم ، وبعد أن بقىَ منها الثُّلث أو الرُّبع .

فممن سقطت جميع أسنانِه وكان معنَى كلامِه مفهوماً : الوليدُ بن هشامٍ القَحْذَمى (١) صاحبُ الأخبار . ومنهم : أبو سفيان بن العلاءِ بن لبيدٍ التَّغلبى (٢) ، وكان ذا بيانٍ ولَسن .

وكان عبيد الله بن أبى غَسَّان ظريفاً يصرِّف لسانه كيف شاء (٣) ، وكان الإلحاح على القَيسىّ (٤) قد بَرَد أسنانَه ، حتّى لا يَرى أحدٌ مِنها شيئاً إلاّ إن تطلَّعَ فى لحم اللِّثة ، أو فى أُصول منابتِ الأسنان .

وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبىّ (٥) كثيراً ما يجمع بين الحارّ والقارّ ، فتساقطت أسنانه جُمَعُ ، وكان فى ذلك كلِّه خطيباً بيِّنًا .

وقال أهل التجرِبة : إذا كان فى اللحم الذى فيه مَغاوزُ الأسنان تشميرٌ وقِصَر سَمْك (٦)،ذهبت الحروفُ وفسَد البيان . وإذا وَجَدَ اللسانُ من جميع

---

(١) الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعانى ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ فى (١ : ١٩١) من الأصل ، فيمن كنيته اسمه ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى ، خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : « كيف أحب » .

(٤) القيسى : المشمش باللغة التركية ، كما فسره استينجاس فى معجمه ٩٩٨ . وفيه : « Apricot : قيسى T » . ل ، هـ : « القىء » ، تحريف لا يستقيم .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى : أحد قواد بنى أمية ، كان ذا ضلع كبيرة فى حرب الخوارج ، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر ، انظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٦٤) ، وابن خلكان فى ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليص . والسمك ، بالفتح : الارتفاع .

جهاته شيئاً يقرعُه ويصكُّه ، ولم يمرَّ فى هواءٍ واسعِ المجال ، وكان لسانُه يملأ جَوْبَةَ فمِه ، لم يضرَّه سقوطُ أسنانه إلا بالمقدار المغتفَر ، والجزء المحتَمل . ويؤكِّد ذلك قولُ صاحب المنطق (١) ، فإنَّه زعم فى كتاب الحيوان أنَّ الطائرَ والسبُع والبهيمةَ كلَّما كان لسانُ الواحد منها أعرضَ كان أفصحَ وأبْيَنَ ، وأحكى لما يُلَقَّن ولما يَسَمع ، كنحو الببغاء والغُداف وغراب البَيْن (٢) ، ومأأشبه ذلك ؛ وكالذى يتهيَّأ من أفواه السنانير إذا تجاوبَتْ ، من الحروف المقطَّعة المشارِكة لمخارج حروفِ الناس . وأمَّا الغنمُ فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء أوَّل مايتهيَّأ فى أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وإنَّما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيءٌ من الحروف أدخلَ فى باب النقص والعجز من فم الأهتم ، من الفاء والسين إذا كانا فى وسط الكلمة . فأما الضَّاد فليست تخرجُ إلّا من الشِّدق الأيمن ، إلّا أن يكون المتكلِّم أعْسَرَ يَسَراً (٣) ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان يُخرج الضَّادَ من أىِّ شِدقيه شاء . فأمَّا الأيْمَن والأعْسَر والأضْبَط (٤) ، فليس يمكنُهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاسُ مقسومة على المنخرين ، فحالاً يكون فى الاسترواح (٥) ودَفْع البُخار من الجوف من الشِّق الأيمن ، وحالاً يكون من الشِّق الأيسر ،

---

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء فى الحيوان (٢ : ٣١٥) . « وغراب البين نوعان : أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشاءم به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذى يعمل بيده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر اليسر الذى يعمل بكلتا يديه . وتأمل .

(٥) الاسترواح : التشمم .

ولا يجتمعان على ذلك فى وقتٍ إلا أن يستكرِهَ ذلك مستكرِهٌ ، أو يتكلفه متكلِّف . فأمّا إذا ترك أنفاسَه على سجيّتها لم تكن إلا كما قالوا (١) .

وقالوا : الدَّليل على أنَّ من سقط جميعُ أسنانه أنَّ عِظَم اللِّسان نافعٌ له ، قول كَعب بن جُعَيلٍ ليزيدَ بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : « أرادِّى أنت إلى الكفر بعد الإيمان (٢) ، لا أهجوُ قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآوَوْه ، ولكنّى سأدلُّك على غلامٍ فى الحىِّ كافرٍ ، كأنَّ لسانَه لسانُ ثور » . يعنى الأخطل .

وجاء فى الحديث : « إنَّ الله تبارك وتعالى يُبغض الرجلَ الذى يتخلَّل بلسانه كما تتخلَّل الباقرةُ الخَلَا بلسانها (٣) » .

قالوا : ويدلُّ على ذلك قولُ حسَّانِ بن ثابت ، حين قال له عليه السلام : « ما بَقِى من لسانك ؟ » . فأخرج لسانَه حتَّى قَرَع بطرَفه طرَف أرْنَبته ، ثم قال : « والله أنْ لو وضعتُهُ على شعرٍ لحلَقه ، أو على صخرٍ لفلقه (٤) وما يسرُّنى به مِقْوَلٌ من مَعَدّ » .

وأبو السِّمط مَروانُ (٥) بن أبى الجَنوب بن مروانَ بن أبى حفصة (٦) ، وأبوه

---

(١) كذا وردت العبارة فى جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحقها الإثبات كما فى قول عمر :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت   فيضحى وأما بالعشى فيخصر

(٢) ل : « الإسلام » .

(٣) يقال بقر وبقير وبيقور وباقر . انظر المعاجم والحيوان (٤ : ٤٦٩) . ومنه قراءة (إن الباقر تشابه علينا) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، وتخرجها على أنها واحد الباقر . وفى الجامع الصغير السيوطى ١٨٤٩ : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » ، وخرج الحديث من مسند أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيما عدا ل : « على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده : مروان الأكبر . وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ، عاصر الواثق والمتوكل . وله فى المتوكل وأحمد بن أبى دواد قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغانى (١١ : ٢) .

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وابنه ، فى نسقٍ واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطرافَ آنفهم .

وتقول الهند : لولا أنَّ الفيلَ مقلوبُ اللِّسان لكان أنطقَ من كلِّ طائرٍ يتهيأ فى لسانه كثيرٌ من الحروف المقطَّعة المعروفة (١).

وقد ضرب الذين زعموا أنَّ ذهابَ جميع الأسنان أصلحُ فى الإبانة عن الحروف مِن ذَهاب الشَّطر أو الثُّلثين ، فى ذلك مثلا ، فقالوا : الحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدرُ أن يطير مِن الذى يكون جناحاه أحدهما وافراً والآخر مقصوصاً .قالوا : وعلّة ذلك التعديلُ والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك كذلك ارتفع أحدُ شِقَّيه وانخفضَ الآخرَ ، فلم يَجْدِف ولم يَطِرْ (٢).

والقطا من الطير قد يتهيَّأُ من أفواهها أن تقول : قَطَاقطا . وبذلك سمِّيت (٣) ويتهيأ من أفواه الكلاب العَيْنَاتُ والفاءات والواوات ، كنحو قولها : وَوْ وَوْ ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ .

قال الهيثم بنُ عدىّ : قيل لصبىّ : من أبوك ؟ فقال : وَوْ وَوْ ؛ لأنّ أباه كان يسمَّى كلبا (٤) .

قال : ولكلِّ لغةٍ حروفٌ تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الرُّوم للسين . واستعمال الجرامقة للعين (٥) .

= مجوِّد من أهل اليمامة ، قدم بغداد ومدح المهدى والرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية فى شعره ، وله فى معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٨٢ . وفيات الأعيان وتاريخ بغداد ٧١٢٧ ومعجم المرزبانى ٣٩٦ وابن خلكان (٢ : ٨٩) .

(١) انظر الحيوان (١ : ٣١٠ / ٧ : ٣ ، ١ ، ١٩٢) .

(٢) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافاه جناحاه . يقال بالدال والذال جميعاً . انظر الحيوان (١ : ٢٦٢/٣ : ٢٣٠) .

(٣) ل : « ولذلك سميت » .

(٤) الخبر فى الحيوان (٢ : ٦٨ / ٥ : ٢٨٨).

(٥) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، أى السريانيين . قال المسعودى فى التنبيه والإشراف ٦٨ : «وكانوا شعوبا وقبائل ، منهم النونويون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرامقة ، ونبط العراق ، وأهل السواد» .

وقال الأصمعيّ : ليس للروم ضادٌ ، ولا للفُرس ثاء ، ولا للسُّريانيٍّ ذال .

قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً فى بيت شعرٍ لم يستطع المنشدُ إنشادَها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرُ حربٍ بمكان قَفرٍ   وليس قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ [(١)]

ولما رأى مَن لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت [(٢)] ثلاثَ مرَّاتٍ فى نسَقٍ واحدٍ فَلا يتتعتعُ ولا يتلجْلج ، وقيل لهم إنّ ذلك إنما اعتراه ، إذْ كان من أشعار الجِنّ ، صدَّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يَسير [(٣)] فى أحمدَ بنِ يوسفَ [(٤)] حين استبطأه :

هَلْ مُعينٌ على البُكا والعويلِ   أم مُعَزٍّ على المُصاب الجليلِ
ميِّتٌ مات وَهو فى وَرَق العَيش   مقيمٌ به وظِلٍّ ظليلِ [(٥)]
فى عِدَادِ الموتَى وفى عامِرى الدُّنْـ   ـيا أبو جعفرٍ أخى وخليلى [(٦)]

---

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن ، وصنعوا فى ذلك قصة . انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعاهد التنصيص (١ : ١٢). وقد روى بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .

(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدا ل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الرياشى ، يقال إنه كان مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشى الأخبارى الأديب ، وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقلّلا ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من بخلاء الناس . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ١٢٤ ــ ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى فى كتاب الحيوان . وفى الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفى القاموس (يسر) . « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر ». وجاء فى ترجمته من الأغانى (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمانَ المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر فى الغزل والمديح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدى ، وأبى العتاهية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفى سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغانى (٢٠ : ٥٦ ــ ٥٨) . والأبيات فى العقد (٦ : ١٩٢) .

(٥) ورقَ العيش : نضرته وحَداثته .

(٦) ما عدا هـ : « عامر » .

لم يمُتْ مِيتة الوفاةِ ولكنْ مات عن كلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أُذيل الآمالَ بعدك إنّى بَعْدَها بالآمالِ حقٌّ بَخيلِ
كم لها وَقفةً بباب كريمٍ رجعَتْ من نَدَاه بالتعطيل (١)

ثم قال :

لم يَضِرْها ، والحمدُ لله ، شيءٌ وانثنَتْ نحو عَزْفِ نفسٍ ذَهُولِ (٢)

فتفقَّدِ النصفَ الأخيرَ من هذا البيت ؛ فإنك ستجد بعضَ ألفاظه يتبرأُ من بعض .

وأنشدنى أبو العاصى قال : أنشدنى خلفٌ الأحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَريضِ القوم أولادُ عَلَّةٍ يَكُدُّ لسانَ الناطقِ المتحفِّظِ (٣)

وقال أبو العاصى : وأنشدنى فى ذلك أبو البَيداء الرِّياحىّ (٤) :

وشِعرٍ كبعر الكَبْش فرَّق بينَه لسان دعِىٍّ فى القريض دخيلِ (٥)

وأما قولُ خلف :

* وبعض قريضِ القومِ أولاد عَلّة *

فإنّه يقول : إذا كان الشعرُ مستكرَهاً ، وكانت ألفاظُ البيت من الشِّعر لا يقع بعضُها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التَّنافُر مابين أولاد العَلَّات . وإذا

---

(١) التعطيل : الإخلاء وترك الشئ ضياعاً . فيما عدا ل : « موقفاً بباب كريم » .

(٢) فى اللسان : « عزفت نفسى عن الشئ تعزف وتعزف عزفاً وعزوفاً : تركته بعد إعجابها وزهدت فيه » . والذهول ، من الذهل ، بالفتح ، وهو تركك الشئ تناساه على عمد ، أو يشغلك عنه شغل . فيما عدا ل ، هـ : « نحو عرف » تحريف .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والبيت فى العمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ وقال إنه زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة . وكان أبو مالك راوية أبى البيداء . واسم أبى البيداء أسعد بن أبى عصمة ، وهو أعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة .

(٥) انظر العمدة (١ : ١٧٢) .

كانت الكلمةُ ليس موقعُها إلى جنب أُختها مَرْضِيًّا موافقا ، كان على اللِّسان عند إنشاد ذلك الشعر مَؤُونة .

قال : وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء ، سهلَ المخارج ، فتعلمُ (١) بذلك أنه قد أُفرغ إفراغا واحداً ، وسُبِك سبكاً واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدِّهان .

وأما قوله : « كبعر الكبش » ، فإنما ذهب إلى أنَّ بعرَ الكبشِ يقع متفرقاً غيرَ مؤتلِف ولا متجاور . وكذلك حروفُ الكلام وأجزاءُ البيتِ من الشِّعر ، تراها متَّفقة مُلْساً ، وليِّنة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفةً متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه . والأخرى تراها سهلةً ليِّنة ، ورَطْبة مُتواتية ، سلِسةَ النِّظام ، خفيفةً على اللِّسان ؛ حتى كأنَّ البيتَ بأَسْرِه كلمةٌ واحدة ، وحتّى كأن الكلمةَ بأسرها حرفٌ واحد .

وقال سُحَيم بن حفص (٢) : قالت بنتُ الحطيئة للحطيئة : « تركتَ قوماً كراما ونزلتَ فى بنى كُليبٍ بعرِ الكبش » . فعابتْهم بتفرُّق بيوتهم .

فقيل لهم : فأنشِدُونا بعضَ ما لا تتباينُ ألفاظهُ ، ولا تتنافر أجزاؤُه .

فقالوا : قال الثّقفى (٣):

من كانَ ذا عضُدٍ يدرِكْ ظُلامتَه ... إنّ الذَّليلَ الذى ليست له عضدُ
تَنْبُو يداه إذا ماقلَّ ناصرُه ... ويأنَفُ الضَّيمَ إنْ أثْرَى له عددُ

وأنشدوا (٤) :

---

(١) فيما عدا ل : « فيعلم » وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٤٠ .

(٣) هو الأجرد الثقفى ، كما فى الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣ : ٤٥) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأبى حية النميرى ، كما فى الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رمَتْنِى وسِتْرُ اللهِ بينى وبينَها   عشيَّةَ آرامِ الكِناسِ رميمُ (١)
رميمُ التى قالتْ لجاراتِ بيتِها   ضمِنْتُ لكم ألّا يزالَ يهيمُ (٢)
ألا رُبَّ يومٍ لو رمَتْنى رميتُها   ولكنَّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ (٣)

٤٤ وأنشدوا :

ولستُ بِدُمَّيجَةٍ فى الفرا   شِ وجَّابةٍ يحتمى أن يُجيبا (٤)
ولا ذى قَلازِمَ عند الحِياض   إذا ما الشَّرِيب أرابَ الشَّرِيبا

وقال أبو نوفل بن سالم (٥) لرؤبةَ بن العجاج : يا أبا الجَحَّاف ،مُتْ إذا شئت (٦) . قال : وكيف ذاك ؟ قال : رأيت عُقبة بنَ رُؤْبة ينشد رجزاً أعجبنى . قال : إنَّه يقولُ ، لو كان لقولِه قِران (٧) ! وقال الشاعر :

مَهاذِبةٌ مَناجِبةٌ قِرانٌ   مَنَادِبةٌ كأنهمُ الأُسُودُ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

وبات يدرُس شِعراً لا قِرانَ له   قد كان نَقَّحه حولاً فما زادا

وقال الآخر ، بشَّار :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائلٍ   إذا ما أراد القولَ زوَّرهُ شَهرا (٨)

* * *

---

(١) رمتنى ، أى بطرفها . ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » ، وهو اسم موضع . ورميم : اسم خليلته .

(٢) يصح فى « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٣) قال المبرد فى تفسيره : « لو كنت شابا لرميتُ كما رُميت ، وفَتَنت كما فُتِنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب » .

(٤) سبق البيتان والكلام عليهما فى ٥٧ . وفى الأصول : « ولست بزميجة » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « قال نوفل بن سالم » .

(٦) فيما عدا ل : « متى شئت » . وكتب فوقها فى هـ : « إذا » .

(٧) فى هامش هـ : « القران : التشابه والموافقة » .

(٨) سبق البيت فى ٢٤ .

فهذا فى اقتران الألفاظ . فأمّا فى اقتران الحروف [١] فإنّ الجيمَ لا تقارِن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزّاى لا تقارنُ الظّاءَ ولا السّين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا بابٌ كبير . وقد يُكتفَى بذكر القليل حتّى يُستَدَلّ به على الغاية التى إليها يُجرَى .

وقد يتكلّم المِغْلاق [٢] الذى نشأ فى سَواد الكوفة بالعربيّة المعروفة ، ويكون لفظُه متخيّراً فاخرا ، ومعناه شريفاً كريما ، ويَعلمُ مع ذلك السامعُ لكلامه ومَخارجِ حروفهِ أنّه نَبطىّ . وكذلك إذا تكلم الخُرَاسانىُّ على هذه الصّفة ، فإنّك تعلم مع إعرابه وتخيُّر ألفاظِه فى مَخرج كلامه ، أنّه خُراسانىٌّ . وكذلك إن كان من كتّاب الأهواز .

ومع هذا إنّا نجِدُ الحاكية من الناس [٣] يَحكى ألفاظَ سُكان اليَمن مع مَخارج كلامهم ، لا يُغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايتُه للخُرَاسانىّ والأهوازىّ والزّنجى والسِّندىّ والأجناسِ وغيرِ ذلك [٤] . نعم حتّى تجدُه كأنه أطْبَعُ منهم ، فإذا ما حَكى كلامَ الفأفاء فكأنما قد جُمِعَتْ كلُّ طُرْفةٍ فى كل فأفاءٍ فى الأرض فى لسانٍ واحد . وتجدُه يحكى الأعمى بصُوَرٍ ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تكاد تجد مِن ألْفِ أعْمَى واحداً يجمع ذلك كلَّه ، فكأنّه قد جَمَع جميعَ طُرَف [٥] حركاتِ العُميان فى أعمىً واحد .

ولقد كان أبو دَبُّوبة الزّنجى ، مولى آل زيادٍ ، يقف بباب الكَرْخ ،

---

(١) فيما عدا ل : « افتراق » فى هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذى يستعصى عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذى يحكى كلام الناس ويفعل مثلهم فى الحديث . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٤) ما عدا هـ : « والأجناس وغير » تحريف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « طرق » بالقاف .

بحضرةِ المُكَارِين (١) ، فينهق ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرِم حسيرٌ ، ولا مُتعَبٌ بهيرٌ إلا نَهَقَ . وقبل ذلك تسمع نُهيق الحِمار على الحقيقة ، فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرَّك منها متحرِّك حتَّى كانَ أبو دبُوبة يحرِّكه . وقد كان جَمَعَ جميعَ الصورِ التى تجمع نهيقَ الحمار فجعَلَها فى نهيقٍ واحد . وكذلك كان فى نُباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائلُ أنّ الإنسانَ إنما قيل له العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَم الكبير ، لأنّه يصوِّر بيديه كلَّ صورة ، ويحكى بفمه كل حكايةٍ (٢) ولأنه يأكُل النَّباتَ كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السِّباع وأنّ فيه من أخلاق جميع أجناسِ الحيوان أشكالاً .

وإنما تهيَّأ وأمكنَ الحاكيةَ لجميع مخارِجِ الأمم ، لِمَا أعطى اللهُ الإنسانَ من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضَّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبِطُول استعمال التكلُّف ذلَّتْ جوارحُه لذلك . ومتى تَرَكَ شمائلَه على حالها ، ولسانَه على سجيته ، كان مقصوراً بعادة المَنْشإ على الشكل الذى لم يزل فيه . وهذه القضيَّةُ مقصورةٌ على هذه الجملة مِن مخارج الألفاظ ، وصُوَر الحركات والسُّكون . فأمَّا حروفُ الكلامِ فإنّ حُكْمَها إذا تمكّنَتْ فى الألسنة خلافُ هذا الحكم . ألا ترى أنّ السِّنْدى إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلّا أنْ يَجعلَ الجيم زاياً ولو أقامَ فى عُلياَ تميم ، وفى سُفْلَى قيس ، وبين عَجُز هوازنَ ، خمسين عاماً . وكذلك النبطىُّ القُحُّ ، خلافُ المِغلاق الذى نشَأَ فى بلاد النَّبَط ؛ لأنَّ النَبطىَّ القُحَّ (٣) يجعل الزَّاىَ سيناً ، فإذا أراد أن يقول زَورَق قال : سَورْق ، ويجعل العين همزة ؛ فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلّ ، قال : مُشْمَئِلّ .

---

(١) المكارين : جمع مكار ، وهو من يكريك دابته تنتفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣).

(٣) ما بعد « القح » الأولى إلى هنا ليس فى ل .

والنّخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنّ أنها رومية وأهلُها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ، ثلاث مرّاتٍ متواليات .

والذى يعترى اللّسان ممّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّثغة التى تعترى الصّبيان إلى أن ينشئوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشّيخ الهرِمَ الماجّ (١) ، المسترخِىَ الحَنَك ، المرتفعَ اللّثة ؛ وخِلافُ ما يعترى أصحاب اللّكَن من العَجَم ، ومن يُنَشَّأُ (٢) من العرب مع العجَمْ . فمن اللُّكْن ممَّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهيا (٣) زيادُ بن سَلْمَى أو أُمامة ، وهو زِيادٌ الأعجم . قال أبو عُبيدة : كان يُنشِد قوله :

فتًى زادَهُ السُّلطان فى الوُدِّ رِفعةً ... إذا غيَّر السلطانُ كلَّ خليلِ (٥)

قال : فكان يجعل السِّين شيناً والطاء تاءً ، فيقول : « فتًى زَادَه الشُّلْتَان » .

ومنهم سُحَيْم عبدُ بنى الحَسحاس (٦) ، قال له عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، وأنشد قصيدته التى يقول أوّلَها :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجهّزتَ غادياَ ... كفى الشّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

---

(١) الماج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبسه .

(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتبا داهياً » .

(٣) هـ : « نشأ » .

(٤) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى الأشعرى ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والمؤتلف ١٣١ والشعراء لابن قتيبة ٣٩٥ ، والأغانى (١٤ : ٩٨ — ١٠٥) ومعجم الأدباء (١١ : ١٦٨) .

(٥) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣١٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة . ونسب فى الحماسة ١٧٩١ إلى حبيب بن عوف .

(٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكنه حبشية . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة إليه فاردده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبّب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجُوَهم . فرده عبد الله . قتل سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغانى (٢٠ : ٢) والخزانة (١ : ٢٧٢ — ٢٧٤) .

فقال له عُمر (١) : لو قدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتكُ . فقال له : ما سَعَرْت . يريد ماشَعَرت ، جعَلَ الشين المعجمة سيناً غير معجمة .

ومنهم:عُبيد الله بن زِيادٍ (٢) ، والِى العراق ، قال لهانئ بن قَبِيصة : أهَروِرِىٌّ سائرَ اليوم ! يريد : أحَرُورىّ .

ومنهم: صُهَيب بن سِنان النَّمَرىّ (٣) صاحبُ رسول الله ﷺ كان يقول : إنّك لهائنٌ ، يريد إنك لَحَائن (٤) . وصُهَيب بن سنان يرتضخ لُكْنة روميّة ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنةً فارسية ، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاءً .

وأزدانْقاذارُ لكنته لكنةٌ نَبَطيَّة ، وكان مثلَهما فى جعل الحاء هاء . وبعضُهم يَروِى أنّه أَملى على كاتبٍ له فقال:اكتب:« الهاصل ألفُ كُرٍّ (٥) » فكتبها الكاتب بالهاء كاللَّفظ بها (٦) فأعاد عليه الكلامَ ، فأعاد الكاتب . فلما فَطِن لاجتماعهما على الجهل (٧) قال:أنت لاتُهسن أن تكتب ، وأنا لا أُهسِن أن أُملِى ، فاكتُبْ : « الجاصل ألف كُرّ » : فكتبها بالجيم معجمة .

---

(١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك . هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب » . وهو كلام مقحم من زيادة قارئ أو ناسخ . والقصة فى الكامل ٣٦٦ .

(٢) فى الكامل ٣٣٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية ، وإنما أتته من قبل زوج أمه : شيرويه الأسوارى » . وسيأتى فى كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك النمرى الرومى ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ، فنشأ فيهم فصار ألكن . وكان ممن عذب فى بدء الإسلام . توفى سنة ٣٨ .

(٤) حائن : أى هالك . ما عدا هـ : « لخائن » والسياق يأباه .

(٥) الكر ، بالضم ، مكيال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين إردباً .

(٦) فيما عدا ل : « كما لفظ بها » .

(٧) ل : « باجتماعهما على الخطأ » .

ومنهم أبو مسلم صاحبُ الدَّعوة (١) ، وكان حسَنَ الألفاظ جيِّدَ المعانى ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُلْت لك . فشارك فى تحويل القاف كافاً عبيدَ الله بنَ زياد . كذلك خبَّرنا أبو عبيدة .

قال : وإنَّما أُتِى عُبيد الله بن زيادٍ فى ذلك أنَّه نشأ فى الأساورة (٢) عند شيرَويه الأسوارىّ ، زوجِ أمِّه مَرجانة . ٤٧

وقد كان فى آل زيادٍ غيرُ واحد يسمى شِيرَوَيه . قال : وفى دار شِيرويه عاد علىٌّ بنُ أبى طالبٍ زياداً من عِلةٍ كانت به .

فهذا ما حضَرَنا من لُكْنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأمَّا لُكنة العامَّة ومَن لم يكن له حظٌّ فى المنطق فمثلُ فيلٍ مولى زياد (٣) فإنه قال مَرَّةً لزياد: «أَهْدَوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ» . يريد حمارَ وحش . فقال زياد : ما تقولُ ويْلكَ ! قال: « أهدَوا إلينا أيراً » . يريد عيراً. فقال زياد : الأوَّلُ أهْوَن! وفَهِمَ ما أراد(٤)

وقالت أمُّ ولدٍ لجرير بن الخَطَفَى ، لبَعضِ ولَدِها : « وقع الجُرْدَان فى عِجان أمِّكم (٥) » ، فأبدلت الذّال من الجُرذان (٦) دالاً وضمَّت الجيم ، وجعلت العَجِين عجانا . وقال بعض الشّعراءِ فى أمِّ ولدٍ له ، يذكر لُكْنَتها :

أوَّلُ ما أسمَعُ منها فى السَّحَر (٧) ... تذكيرُها الأنثَى وتأنيثُ الذَّكَرْ
* والسَّوءَةُ السَّوآءُ فى ذكر القَمَر *

---

(١) هو أبو مسلم الخراسانى ، الذى قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان (٧ : ٨٢ ــ ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) الجردان ، بالضم : قضيب ذوات الحوافر ، أو هو عام . والعجان : ما بين السوءتين .

(٦) الجرذان ، بكسر الجيم وضمها : جمع جرذ ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر ما أسمع » . وسيعيده الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » .

لأنّها كانت إذا أرادَت أن تقول القمر ، قالت : الكَمَر .

وقال ابنُ عبّاد (١) : ركِبَتْ عجوزٌ سِنديّةٌ جملاً ، فلما مضى تحتها متخلِّعاً اعتراها كهيئة حركة الجِماع ، فقالت : هذا الذَّمَل يذَكِّرنا بالسَّرّ . تريد أنه يذكّرها بالوطء ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالا . وهذا كثير .

وباب آخرُ من اللكنة . قيل لنَبَطيٍّ : لِمَ ابتعتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركَبها وتَلَدُ لى » فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنّه فتح المكسور حين قال:وتلَدُ لى ، ولم يقل:تَلِد لى .

قال : والصَّقْلَبىُّ (٢) يجعل الذال المعجمة دالاً فى الحروف .

* * *

---

(١) هو محمد بن عباد بن كاسب ، كما فى الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبى : نسبة إلى صقلب ، وهى بلاد بين بلغاريا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت . فيما عدا ل : « الصقلى » تحريف ، فإن الذين يعنيهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة . انظر الحيوان (١ : ١١٣ ، ١١٨ ـــ ٣/١٢٠ : ١٤٦ ، ٤/٢٤٥ ; ٧١ ، ٥/١٠٩ ; ٧/٣٦ : ٢٣٦) .

باب البيان (١)

قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقَّادِ المعانى : المعانى القائمة فى صدور النّاس (٢)المتصوَّرَة فى أذهانهم ، والمتخلِّجة فى نفوسهم ، والمتَّصِلة بخواطرهم ، والحادثة عن فِكَرهم ، مستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وحشية ، ومحجوبةٌ مكنونة ،

٤٨ وموجودةٌ فى معنًى معدومةٍ ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه ، ولا حاجة أخيه وخليطِه ، ولا معنَى شريكِهِ والمعاونِ له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيرِه . وإنما يُحيِي تلك المعانىَ ذكرُهم لها (٣) ، وإخبارُهم عنها ، واستعمالُهم إيّاها . وهذه الخصالُ هى التى تقرّبها من الفهم ، وتُجَلِّيها للعقْل ، وتجعل الخفىَّ منها ظاهراً ، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريباً . وهى التى تلخِّص الملتبِس (٤) ، وتحلُّ المنعقد ، وتجعل المهمَل مقيَّداً ، والمقيَّد مطلقاً ، والمجهولَ معروفاً ، والوحشيَّ مألوفاً ، والغُفْل موسوماً ، والموسومَ معلوما . وعلى قَدْر وُضوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودِقّةِ المَدْخَل ، يكون إظهارُ المعنى . وكلّما كانت الدّلالة أوضحَ وأفْصَح ، وكانت الإشارةُ أبيَنَ وأنورَ ، كان أنفَعَ وأنجَع . والدِّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفىِّ هو البيانُ الذى سمِعْتَ الله عزّ وجلّ يمدَحُه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نَطَقَ القُرآنُ ، وبذلك تفاخَرَت العَرب ، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم (٥) .

---

(١) كلمة « البيان » ليست فى ل ، هـ ؛ وهى فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « العباد » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وإنّما تحيى تلك المعانى فى ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفى حديث على « أنه قعد لتلخيص ما التبس على غيره » .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « الأعجام » .

والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى ، وهتَكَ الحِجَابَ دونَ الضمير ، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته ، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ ، ومِن أيِّ جنسٍ كان الدّليل ؛ لأنَّ مَدارَ الأمرِ والغايةَ التى إليها يجرِى القائل والسّامع ، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام ؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ فى ذلك الموضع .

ثم اعلم ـــ حفِظَكَ الله ـــ أنّ حُكْمَ المعانى خلافُ حُكمِ الألفاظ ؛ لأنّ المعانِيَ مبسوطةٌ إلى غير غاية ، وممتدّةٌ إلى غير نهاية ، وأسماءَ المعانى مقصورةٌ معدودة ، ومحصَّلةٌ محدودة .

وجميعُ أصنافِ الدِّلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد : أولها اللفظِ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْد (١) ، ثمّ الخَطّ ، ثمَّ الحالُ التى تسمّى نِصبْةً (٢) . والنِّصبة هى الحال الدالّةُ ، التى تقوم مقامَ تلك الأصنافِ ، ولا تقصِّرُ عن تلك الدِّلالات ، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائنةٌ من صورةِ صاحبتها ، وحليةٌ مخالفةٌ لحِلْية أُختها ؛ وهى التى تكشِف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثمَّ عن حقائقها فى التَّفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصِّها وعامِّها ، وعن طبقاتها فى السارّ والضارّ ، ٤٩
وعمّا يكون منها لَغْواً بَهْرَجاً (٣) ، وساقطا مُطَّرَحاً .

قال أبو عُثمان : وكان فى الحقِّ أن يكون هذا البابُ فى أوَّل هذا الكتاب ، ولكنّا أخَّرْناه لِبعض التَّدبير .

---

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد فى الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد أُلفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧) والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) كذا ضبطت فى هـ بكسر النون ، ضبط اسم الهيئة .

(٣) لغواً : أى لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة . ل : « لهواً » تحريف . والبهرج : الباطل .

وقالوا : البيان بَصَرٌ والعِيُّ عمىً ، كما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى . والبيانُ من نِتاج العِلم ، والعِيُّ من نِتاج الجهل .

وقال سهلُ بن هارون (١) : العقل رائد الرُّوح ، والعلمُ رائدُ العقل ، والبيان تَرجمان العلم (٢) .

وقال صاحبُ المنطق : حَدُّ الإنسانِ : الحيُّ النَّاطق المُبِين .

وقالوا : حياةُ المروءة الصِّدق ، وحياة الرُّوح العفاف ، وحياة الحِلم العلم ، وحياة العِلم البيان .

وقال يونسُ بنُ حبيب : ليس لعييٍّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حَكَّ بيافوخِهِ أَعْنَانَ السَّماء (٣) .

وقالوا : شِعرُ الرَّجل قِطعةٌ من كلامه ، وظَنُّهُ قطعةٌ من علمِه ، واختيارُه قطعةٌ من عقلِه .

وقال ابنُ التَّوْأَم (٤) : الرُّوح عِماد البدَن ، والعِلْم عِماد الرُّوح ، والبيان عماد العلم .

قد قلنا فى الدِّلالة باللفظ . فأمّا الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمَنْكِب ، إذا تباعَدَ الشخصان ، وبالثَّوب وبالسَّيف . وقد يتهدَّد رافعُ السَّيف والسَّوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً .

---

(١) سبقت ترجمته فى ٢٥ .

(٢) الترجمان ، كزعفران وعنفوان ، وبفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(٣) أعنان السماء : نواحيها ، واحدها عَنَنٌ وعَنّ . فيما عدا ل : « عنان » . وقد روى صاحب اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان السماء : ما عن لك منها وقد ضبط فى اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفى القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ فى البيان ، وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن حكمته وصواب رأيه . ولعله « صبار بن التوأم اليشكرى » ، الذى ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٤٢١) .

والإشارة واللّفظ شريكان ، ونِعْمَ العونُ هى له ، ونعم الترجمانُ هى عنه . وما أكثَرَ ما تنوب عن اللّفظِ ، وما تُغْني عن الخطّ . وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ ، وحِلْية موصوفة ، على اختلافها فى طبقاتها ودلالاتها . وفى الإشارة بالطَّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفقٌ كبير [١] ومَعُونة حاضرة ، فى أمورٍ يستُرها بعضُ النَّاسِ من بعض ، ويخفونها من الجليسِ وغيرِ الجليس . ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النّاسُ معنَى خاصّ الخاصّ ، ولَجهِلوا هذا الباب البتّة . ولولا أن تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل فى باب صناعة الكلام لفسَّرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دِلالات الإشارة :

أشارتْ بطَرْفِ العينِ خِيفةَ أهلِها ⁂ إشارةَ مذْعورٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قال مرحباً ⁂ وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ [٢] ٥٠

وقال الآخر :

وللقلب على القلب ⁂ دليلٌ حينَ يلقاهُ
وفى النَّاس من الناس ⁂ مقاييسُ وأشباهُ
وفى العينِ غنىً للمر ⁂ ءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر فى هذا المعنى :

ومَعشرٍ صِيدٍ ذَوِى تَجِلَّهْ ⁂ ترى عليهم للنّدى أدلّه

وقال الآخر :

ترى عينُها عَيْنِى فتعرف وَحْيَها ⁂ وتَعْرف عينى ما به الوَحْىُ يرجعُ

وقال آخر :

---

(١) المرفق ، بفتح الميم والفاء : وكمنبر ومجلس : ما استعين به .

(٢) ل : « المسلم » . وما أثبت من سائر النسخ يوافق ما فى العمدة (١ : ٢١٢) .

(٣) هو أبو العتاهية .انظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

وعينُ الفتى تُبدِى الذى فى ضميره ... وتعْرِف بالنجوَى الحديثَ المعَمَّسا (١)

وقال الآخر :

العينُ تُبدِى الذى فى نفسِ صاحبها ... من المحبّة أو بُغضٍ إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ ... حتَّى ترى من ضمير القلب تِبْيانا

هذا ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مبلغ الصَّوت . فهذا أيضاً باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ .

والصوتُ هو آلةُ اللّفظِ ، والجوهرُ الذى يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَد التأليف (٢) . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسنُ الإشارة باليدِ والرأسِ ، مِن تمام حسن البيانِ باللسان ، مع الذى يكون مع الإشارة من الدَّلِّ والشِّكل (٣) والتقتُّل والتثَنِّى (٤) ، واستدعاء الشّهوة ، وغير ذلك من الأمور .

قد قُلْنا فى الدّلالة بالإشارة . فأمّا الخطُّ ، فمما ذكَرَ اللهُ عزّ وجلّ فى كتابه من فضيلة الخَطِّ والإنعامِ بمنافع الكتاب ، قولُه لنبِّيه عليه السلام : ﴿ إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾ . وأقسم به فى كتابه المُنْزَل ، على نبيّه المُرسَل ، حيث قال : ﴿ نٓ . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ ﴾ ، ولذلك قالوا : القَلَم أحَدُ اللّسانين . كما قالوا : قِلّة العِيال أَحَدُ اليَسارَين . وقالوا : القلمُ أبقى أثراً ، واللسان أكثرُ هَذَراً .

---

(١) المعمس ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر وبالفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثنى والتكسر فى المشى . ما عدا هـ : « التفتل » ، تحريف .

وقال عبدُ الرحمن بن كيسان (١) : استعمال القلم أجدَرُ أن يحضَّ الذِّهن على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام . ٥١

وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلمُ مطلقٌ فى الشاهد والغائب ، وهو للغابرِ الحائن (٢) ، مثلُه للقائم الرّاهن .

والكتاب يُقرَأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس فى كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو سامِعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأمّا القَول فى العَقْد ، وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ ، فالدَّليلُ على فضيلته ، وعِظَم قَدْر الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَاعِلُ اللَّيلِ (٣) سَكَناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسباناً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ . وقال جلَّ وتقدَّس : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإنْسانَ . عَلَّمَهُ البَيَانَ . الشمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ إلاّ بِالْحَقِّ ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنا اللّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمحَوْنآ آيَةَ اللّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

والحسابُ يشتمل على معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة ، ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الحِساب فى الدنيا لَمَا فهِمُوا عن الله عز وجل معنَى الحسابِ فى الآخرة . وفى عدم اللّفْظِ ، وفَساد الخطّ ، والجهلِ بالعقد فَسادُ جُلِّ النِّعَم ، وفِقْدانُ جُمهور المنافع ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزّ وجلّ لنا قِواماً ، ومَصْلحةً ونِظاماً

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفى الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) ، وباقى السبعة : (وجاعل) . انظر تفسير أبى حيان (٤ : ١٨٦) .

وأما النِّصبة (١) فهى الحالُ النَّاطقة بغير اللّفظ ، والمشِيرة بغير اليد . وذلك ظاهرٌ فى خَلْق السموات والأرض ، وفى كلِّ صامتٍ وناطق ، وجامدٍ ونامٍ ، ومُقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدِّلالة التى فى الموَات الجامد ، كالدّلالة التى فى الحيوان الناطق . فالصَّامتُ ناطق من جهة الدّلالة ، والعَجْماء مُعْرِبةٌ من جهة البُرهان . ولذلك قال الأوَّل (٢) .

« سَل الأرضَ فقُلْ : مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَس أشجارَك ، وجَنَى ثِمارَكَ ؟ فإن لم تجِبْكَ حِواراً ، أجابتك اعتباراً » .

وقال بعضُ الخطباء : « أشهَدُ أنّ السمٰواتِ والأرضَ آياتٌ دالاّت (٣) وشواهدُ قائمات ، كلٌّ يؤدِّى عنك الحجة ويَشْهَدُ لك بالرُّبوبية (٤) ، موسومةٌ ٥٢ بآثار قُدْرَتِك ، ومَعَالِم تدبيرِك ، التى تَجَلَّيْتَ بها لخلْقك ، فأوصَلت إلى القلوب مِن معرفتك ما أنَّسَها مِن وَحشة الفكر ، ورَجْم الظّنون . فهى على اعترافها لك ، وافتقارها إليك (٥) شاهدةٌ بأنك لاتُحيط بك الصِّفات ، ولا تحدُّك الأوهام ، وأنّ حَظَّ الفِكْر فيك ، الاعترافُ لك » .

وقال خطيبٌ من الخطباء ، حين قام على سَرير الإسكندر وهو ميّت (٦) : « الإسكندر كان أمْسِ أنطَقَ منه اليومَ ، وهو اليوَم أوْعَظُ مِنْه أمس » .

ومتى دلَّ الشىءُ على معنىً فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً ، وأشار إليه وإن

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما فى الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) وما سيأتى فى ص ٣٠٨ .

(٣) ل : « ودلالات » .

(٤) فيما عدا ل : « ويعرب عنك بالربوبية » .

(٥) فيما عدا ل . « وذلها إليك » .

(٦) القول التالى ينسب أيضاً إلى الموبذ حين قام يرثى قباذ الملك . الكامل ٣٢٠ ليبسك والعقد (٢ : ١٥٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) والحيوان (٦ — ٥٠٥) والصناعتين ١٤ — ١٥ .

كان ساكناً . وهذا القولُ شائعٌ فى جميع اللغات ، ومتَّفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنترةُ بنُ شدّادٍ العَبْسىّ وجعَلَ نعيبَ الغُراب خبراً للزّاجِر :

حَرِقُ الجناح كأنَّ لَحْيَىْ رأسِهِ   جَلَمَان بالأخبار هَشٌّ مُولَعُ (١)

الحَرِق : الأسوَد . شبَّه لَحْييه بالجَلَمين ، لأنّ الغراب يخبِّر بالفرقة والغُربة ويَقطع كما يقطع الْجَلَمانِ (٢) . وأنشدنى أبو الرُّدَينىّ العُكْلىّ (٣) ، فى تنسُّمِ الذِّئب الرِّيحَ واستنشائِهِ (٤) واستِرواحِه :

يَستخبِرُ الرِّيح إذا لم يَسمَعِ (٥)   بِمِثل مِقراعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ

المِقراع : الفأس التى يُكسَر بها الصَّخر . والموقَّع : المحدَّد . يقال وقَّعت الحديدة إذا حدَّدْتَها . وقال آخرُ ، وهو الرّاعى :

إنّ السَّماءَ وإنّ الرِّيحَ شاهدةٌ   والأرضُ تشهَدُ والأيّامُ والبَلَدُ

لقد جَزَيتَ بنى بدرٍ ببَغْيِهِم   يومَ الهَباءَةِ يوماً مالَه قَوَدُ (٦)

وقال نُصيبٌ فى هذا المعنى ، يمدح سليمانَ بنَ عبد الملك :

---

(١) انظر الحيوان (١ : ٣٤ /٢ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالى والتعليق عليه ، هو فيما عدا ل سابق لذاك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الردينى العكلى هو الدلهم بن شهاب ، أحد بنى عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى الجاحظ فيما سيأتى أنه هجا بنى نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدنى لتقتلنى نمير   متى قتلت نمير من هجاها

فشهد عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية.انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ١٥٩ / ٦ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدا ل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٣٤/ ٤ : ١٣٣/٧ : ١٤٠) . وفى اللسان (فخر ، قرع) : « يستمخر » .

(٦) يوم الهباءة ، كان لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم البلدان والكامل لابن الأثير (١ ، ٣٥٢) والعقد (٣ : ٣١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣/٢ : ٥٣٨ /٤ : ٥٨٥) .

أقولُ لرَكبٍ صادِرِينَ لقيتُهم قَفَا ذَاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ (١)
قِفُوا خَبِّرونا عن سليمانَ إنَّنى لمعروفه مِنْ أهْلِ وَدَّانَ طالبُ (٢)
٥٣ فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنتَ أهْلُه ولو سكتُوا أثنتْ عليكَ الحقائِبُ

وهذا كثيرٌ جداً .

* * *

وقال علىٌّ رحمه الله (٣) : « قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِن (٤) » . فلو لم نَقِف من هذا الكتابِ إلاّ على هذه الكلمة لوجدْناها شافيةً كافية ، ومجزئة مغْنِية ؛ بل لوَجدناها فاضلةً عن الكفاية ، وغيرَ مقصِّرة عن الغاية . وأحسنُ الكلام ما كان قليلهُ يُغْنيك عن كثيرِه ، ومعناه فى ظاهرِ لفظِه ، وكان اللهُ عزّ وجلَّ قد ألبسَه من الجَلالة ، وغَشّاه من نُور الحكمة على حَسَب نيّة صاحبه وتقوَى قائله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظُ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ، ومنزَّها عن الاختلالِ مصوناً عن التكلُّف ، صنَعَ فى القُلوب صنيعَ الغَيث فى التُّربة الكريمة . ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشّرِيطة ، ونفذَتْ من قائلها على هذه الصِّفة ، أصحَبَها اللهُ من التوفيق ومَنَحَها من التأييد ، مالا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة ، ولا يذهَل عن فهمها معه عقولُ الجَهَلة .

وقد قال عامر بن عبد قيس (٥) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعتْ فى

---

(١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . هـ ، ب : «لاغب» وكتب فى هامش ل : «خ : لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليبسك وزهر الآداب (٢ : ٤١ ، ٤٢) والعمدة (١ : ٤٤) .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره » . وأنشد هذه الأبيات . هـ ، جـ : « آل ودان » وكذا ياقوت .

(٣) فيما عدا ل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه » .

(٤) فيما عدا ل : « قيمة كل إنسان » . وفى زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .

(٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمى ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعى ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة الصفوة (٣ : ١٢٦ ـــ ١٣٥) . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما سترى فى مواضع كثيرة . توفى فى خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللّسان لم تجاوِز الآذان (١) » .

وقال الحسنُ رحمه الله ، وسمِع رجلاً (٢) يَعِظ ، فلم تقع موعظتُه بموضع مِن قلبه ، ولم يرِقَّ عندها ، فقال له : « يا هذا، إنّ بقلبك لَشرّاً أو بقلبى » .

وقال علىُّ بنُ الحسَين بنِ على رحمه الله (٣) : لو كان النّاسُ يعرِفون جُملةَ الحال فى فضلِ الاستبانة ، وجملةَ الحال فى صواب التّبيين ، لأعرَبُوا عن كلِّ ما تخلَّجَ فى صدُورِهم ، ولوَجَدوا من بَرْدِ اليقين ما يُغْنيهم عن المنازَعة إلى كلِّ حالٍ سوى حالهم . وعلى أنّ دَرَك ذلك كان لا يُعْدِمهُم فى الأيّام القليلة العِدّة (٤) ، والفِكْرة القصيرة المُدّة ، ولكنَّهم من بين مغمورٍ بالجَهْل ، ومفْتُون بالعُجْب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب التثبُّت ، ومصروفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التّعلُّم .

وقد جَمَع محمَّدُ بنُ علىّ بن الحسين صلاحَ شأن الدُّنيا بحذافيرِها فى كلمتين ، فقال : « صلاحُ شأن جميع التّعايُشِ والتعاشرِ ، مِلءُ مكيالٍ ثلثاه فِطنة ، وثلثُه تغافُل » . فلم يجعَلْ لغير الفِطنة نصيباً من الخير ، ولا حَظًّا فى ٥٤
الصلاح ،لأنّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شىءٍ قد فَطِن له وعَرَفه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبارَ إبراهيمُ بنُ داحَة ، عن محمَّد بن عمير . وذكرها صالح بن علىّ الأفقم ، عن محمد بن عُميْر . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشّيعة ، وكان ابنُ عمير أغْلاهم .

وأخبرنى إبراهيمُ بن السِّندىّ ، عن علىّ بن صالح الحاجب ، عن العباس ابن محمد قال : قيل لعبد الله بن عبّاس : أنّى لك هذا العِلمُ ؟ قال : « قلبٌ عَقُولٌ ،

(١) انظر الحيوان (٤ : ٢١٠) .

(٢) فيما عدا ل : « وسمع متكلماً » .

(٣) كلام على هذا فى زهر الآداب (١ : ٥٩) .

(٤) يقال : أعدمه الشئ ، إذا لم يجده .

(٥) فى الكامل ٤٦ : « فى ملء مكيال » ، وفى زهر الآداب (١ : ٧١) : «وهو ملء مكيال » .

ولسانٌ سَؤُول » . وقد رووْا هذا الكلامَ عن دَغفَلِ بن حنظلةَ العلّامة [١] وعبدُ الله أَوْلَى به منه . والدّليل على ذلك قولُ الحسن : إنّ أوّلَ مَن عرَّف بالبَصرة ابنُ عباسٍ ، صعِد المنبر فقرأَ سورةَ البقرة ، ففسَّرها حرفاً حرفاً ، وكان مِثَجًّا يسيل غَرْبا [٢] .

المِثَجُّ : السائل الكثير ، وهو من الثَّجّاج . والغَرْب ، ها هنا : الدَّوَام .

هشام بن حسّانَ وغيرُه ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إنّ قوماً زعمُوا أنّك تذمُّ ابنَ عباسٍ . قالوا : فبكى حتّى اخضلَّت لحيتُه ، ثم قال : إنّ ابنَ عباسٍ كان من الإسلام بمكان ، إنّ ابن عبّاس كان من القرآنِ بمكان [٣] ، وكان والله له لسانٌ سَؤُولٌ ، وقلب عَقُول ،وكان الله مِثَجًّا يسيل غَرْباً .

قالوا : وقال عليُّ بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجهل فى عقله ، وذُلَّ المعصية فى قلْبه ، ولم يَستبِنْ موضِع الخَلَّةِ فى لسانه ، عند كلال حَدِّه عن حَدِّ خَصمِه ، فليس ممّن يَنزِع [٤] عن رِيبة ، ولا يَرغَبُ عن حال مَعْجَزةٍ ، ولا يكترث لفَصْلِ ما بين حُجة وشُبهة .

قالوا : وذكَر محمَّدُ بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، بلاغَةَ بعضِ أهلِه فقال : إنّى لأكْرَهُ أن يكون مقدارُ لسانه فاضلاً على مقدار عِلمه ، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله .

وهذا كلامٌ شريفٌ نافع ، فاحفظوا لفْظَه وتدبَّروا معناه ، ثمّ اعلموا أنّ المعنى الحقيرَ الفاسدَ ، والدنىَّ الساقط ، يعشِّش فى القلب ثم يَبيض ثم يفرِّخ ،

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأخبار (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه وكان منها هذا السؤال . انظر الميدانى (٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخبر فى اللسان (ثجج ، غرب) . وفى حواشى هـ : « معنى عرف بالبصرة : فعل فعل الحاج بعرفة فى جمع الناس للذكر والدعاء » .

(٣) فيما عدا ل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « يفزع » .

فإذا ضَرَب بجِرانِهِ ومَكَّن لعُروقه ، استفحل الفساد وبَزَل ، وتَمكَّن الجهل وقَرَحَ (١) ، فعند ذلك يقوى داؤه ، ويمتنع دواؤُه ؛ لأنّ اللفظَ الهجينَ الرديَّ ، والمستكْرَهَ الغبيَّ ، أعلَقُ باللِّسان ، وآلَف للسمع ، وأشدُّ التحاماً بالقلب (٢) من اللفظ النَّبيه الشّريف ، والمعنى الرَّفيع الكريم . ولو جالَسْتَ الجُهّالَ والنَّوْكى ، والسُّخَفاءَ والحَمقَى ، شهراً فقط ، لم تَنْقَ من أوضارِ كلامِهم ، ٥٥ وخَبَال معانيهم ، بمجالَسة أهل البيان والعقل دهراً ؛ لأنّ الفسادَ أسرعُ إلى النَّاس ، وأشَدُّ التحاماً بالطبائع . والإنسانُ بالتّعلُّم والتكلُّف ، وبطُول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارَسَةِ كُتُبِ الحكماء ، يَجُودُ لفظُه ويحسُن أدبُه ، وهو لا يحتاج فى الجهل إلى أكثَرَ من ترك التعلُّم ، وفى فساد البيان إلى أكثَرَ من ترك التخيُّر .

ومما يؤكِّد قولَ محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، قولُ بعضِ الحكماء حين قيل له : متى يكون الأدبُ شراً مِن عدمه ؟ قال : إذا كثُر الأدب ، ونَقَصَت القريحة .

وقد قال بعضُ الأوّلين : « مَن لم يكن عقْلُه أغلبَ خصال الخَير عليه ، كان حتْفُه فى أغلَب خصال الخير عليه » . وهذا كلّه قريبٌ بعضُه من بعض .

وذكر المغيرةُ بن شُعْبة عُمَر بنَ الخطّاب رحمه الله فقال « كان والله أفضَلَ من أن يَخْدَع ، وأعْقَلَ من أن يُخْدَع » .

وقال محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عباس : « كفَاكَ مِن عِلْمِ الدِّين أن تعرِف مالا يسَعُ جَهلُه ، وكفاكَ مِن علم الأدب أن تروِى الشّاهدَ والمثَل » .

وكان عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ القاضى يروى عن جده إبراهيم بن سلمة ،

---

(١) بزل : بلغ سن البزول ، وهو التاسعة . وقرح : بلغ سن القروح ، والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل . كنى بها عن القوة .

(٢) من « وأشد » ساقط من ل .

قال : سمعتُ أبا مسلمٍ (١) يقول : سمِعت الإمام إبراهيمَ بنَ محمّدٍ (٢) يقول : يكفي من حَظِّ البلاغة أن لا يُؤتَى السَّامعُ من سوء إفهام النَّاطق ، ولا يُؤتَى النَّاطقُ من سوء فهم السَّامع .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القَوْلَ جدًّا .

* * *

(١) هو أبو مسلم الخراسانى الداعى للدولة العباسية .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبى العباس السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل فى محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولا [حول ولا (١)] قُوَّة إلا بالله ، وصلّى الله على محمّدٍ خاصَّة ، وعلى أنبيائِه عامة .

خبَّرنى أبو الزُّبير كاتبُ محمَّدِ بن حَسَّان (٢) ، وحدّثنى محمد بن أبان – ولا أدرى كاتب مَن كان – قالا :

قيل للفارسىّ : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفَصْل من الوصل .

وقيل لليونانىّ : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكَلام .

وقيل للرومىّ : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغَزارة يَوْمَ الإطالة .

وقيل للهندىّ : ما البلاغة ؟ قال : وضُوح الدّلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعضُ أهل الهند : جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحُجة ، والمعرفةِ بمواضع الفُرصة ، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً . وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ فى الدَّرَك ، وأحقَّ بالظَّفَر . ٥٦

قال : وقال مَرَّةً : جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع ، والمعرفةُ بساعات القول ، وقلة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعانى أو غَمُضَ (٣) ، وبما شَرَد عليك من اللّفظ أو تعذّر .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد التيمى ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٣) الخرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة . فيما عدا ل ، هـ : « الحرف » تحريف .

ثم قال : وزَينُ ذلك كلِّه ، وبهاؤه وحلاوتهُ وسناؤه ، أن تكون الشّمائلُ موزونةً ، والألفاظُ معدَّلةً ، واللّهجة نقيَّة [١] . فإنْ جامَعَ [٢] ذلك السنَّ والسمتُ والجمال وطولُ الصَّمت ، فقد تَمَّ كلَّ التمام ، وكمل كلَّ الكمال .

وخالَف عليه سهلُ بن هارونَ فى ذلك ، وكان سهلٌ فى نفسه عتيقَ الوجه ، حسنَ الشّارةِ ، بعيداً من الفَدَامة ، معتدل القامة ، مقبول الصُّورة ، يُقضَى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرِقّةِ الذِّهن قبل المخاطبة ، وبدقّة المذهب قبل الامتحان، وبالنُّبْل قبل التكشُّف . فلم يمنَعْه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عِنده وإن أدخَلَ ذلك على حالِه النَّقْص .

قال سهلُ بن هارون : لو أنَّ رجلَين خطبَا أو تحدّثا ، أو احتجَّا أو وصَفَا وكان أحدُهما جميلاً جليلاً بهياً ، ولَبَّاساً نبيلا [٣] ، وذا حَسَبٍ شريفاً ، وكان الآخَر قليلاً قميئاً ، وباذَّ الهيئة دَميماً ، وخامِلَ الذِّكر مجهولًا ، ثم كان كلامُهما فى مقدارٍ واحدٍ من البلاغة ، وفى وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لَتصدَّع عنهما الجَمْع وعامّتُهم تَقضى للقليل الدَّميم على النَّبيل الجسيم ، وللباذّ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشَغَلهم التعجب منه عن مساواةِ صاحبه به ، ولصار التعجُّب منه سبباً للعَجَب به ، ولصار الإكثارُ فى شأنِه عِلّةً للإكثار فى مدحه ، لأنَّ النفوسَ كانت له أحقَر ، ومِن بيانِه أيأس ، ومن حَسَدِه أبعَد . فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونُوا يَحتَسِبُونه ، وظهَرَ منه خلافُ ما قدَّرُوه ، تضاعَفَ حُسْنُ كلامه فى صدورهم ، وكَبُر فى عيونهم ؛ لأنَّ الشّىءَ من غير معدنه أغرب ، وكلّما كان أغرَبَ كان أبْعَدَ فى الوهْم ، وكلّما كان أبعَدَ فى الوهم كان أطْرَف ، وكلّما كان أطْرَفَ كان أعجب ،

---

(١) ل : « والألفاظ معتدلة ، والبهجة نقية » ، وفيها تحريف .

(٢) فيما عدا حـ : « جاء مع » .

(٣) ل فقط : « ولبيسا » والمعروف فى المعاجم المتداولة « لباساً » كما فى سائر النسخ .

وكلما كان أعجبَ كان أبدع . وإنَّما ذلك كنوادِرِ كلام الصِّبيان ومُلَح المجانين ؛ فإنّ ضَحِك السامعين من ذلك أشدُّ ، وتعجُّبَهم به أكثر . والنّاسُ ٥٧ مُوَكَّلُون بتعظيم الغريب ، واستِطراف البعيد (١) ، وليس لهم فى الموجود الرَّاهن ، وفيما تحتَ قُدرتِهم من الرّأى والهوى ، مِثْل الذى لهم فى الغريب القليل ، وفى النادر الشاذّ ، وكلِّ ما كان فى مِلْك غيرِهم . وعلى ذلك زَهِدَ الجِيرانُ فى عالِمِهم ،والأصحابُ فى الفائدة من صاحِبِهم . وعلى هذا السّبيلِ يستَطْرفون القادمَ عليهم ، ويرحَلُون إلى النّازح عنهم ، ويتركون مَن هو أعمُّ نفعاً وأكثرُ فى وجوه العِلم تصرُّفا ، وأخفُّ مَؤُونةً وأكثرُ فائدة . ولذلك قدّم بعضُ الناس الخارجيَّ على العريق (٢) ، والطّارفَ على التّليد .

وكان يقول (٣) : إذا كان الخليفةُ بليغاً والسيِّد خطيباً ، فإنَّك تجدُ جمهورَ الناس وأكثَر الخاصَّة فيهما على أمرَين : إمّا رجلاً يُعطى كلامَهما من التعظيم والتّفضيل ، والإكبار والتبجيل ، على قدر حالِهما فى نفسه ، ومَوقِعهما من قلبه ؛ وإما رجُلاً تعرِضُ له التُّهمة لنفسه فيهما ، والخوفُ من أن يكون تعظيمُه لهما يُوهِمه من صَوابِ قولهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس عندهما ، حتَّى يُفرط فى الإشفاق ، ويُسْرِف فى التُّهمة . فالأوّل يزيد فى حقِّه للذى له فى نفسه ، والآخر ينقُصه من حقِّه لتُهمتِه لنفسه ، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره . فإذا كان الحُبُّ يُعمِى عن المساوى فالبُغْض أيضاً يُعمِى عن المحاسن . وليس يَعْرِف حقائقَ مقاديرِ المعانى ؛ ومحصولَ حدود لطائف الأمور ، إلّا عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ الأخلاط عَليم ، وإلا القوىُّ المُنَّة ، الوَثيق العُقْدة ، والذى لا يمَيل مع مايستميل الجمهورَ الأعظمَ ، والسوادَ الأكبر (٤) .

(١) فيما عدا ل ، هـ : « واستظراف البديع » .

(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) أى سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيما عدا ل : « وكانوا يقولون » .

(٤) هـ : « الأكثر » .

وكان سهلُ بن هارونَ شديدَ الإطناب فى وصف المأمون بالبلاغة والجَهارة ، وبالحلاوة والفخامة ، وجَودة اللّهجة والطّلاوة .

وإذا صِرْنا إلى ذِكْر ما يحضُرنا مِن تسميةِ خطباء بنى هاشم ، وبُلَغاء رجال القبائل ، قلْنا فى وصفهما على حسَب حالهما ، والفَرْقِ الذى بينهما ؛ ولأنّنا عسى أن نذكر جملةً من خطباء الجاهليّين والإسلاميّين ، والبدويّين والحضَريّين ، وبعضَ ما يحضُرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق .

ثم رجع القولُ بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شَمِر [١] عن مُعَمَّرٍ أبى الأشعث [٢]، خلافَ القول الأوّل فى الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازَعة الرجال ومناقَلة الأكْفاء . ٥٨

وكان أبوشَمِرٍ إذا نازع لم يحرِّكْ يديه ولا مَنْكِبيه ، ولم يقلِّبْ عينيه ، ولم يُحرِّكْ رأسَه ، حتّى كأنَّ كلامَه إنّما يخرج من صَدْع صخرة . وكان يَقضِى على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بُلوغ إرادته . وكان يقول : ليس من حقِّ المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتّى كلّمه إبراهيمُ بن سيَّار النَّظّامُ عند أيوبَ بن جعفر [٣] ، فاضطرَّه بالحجَّة ، وبالزيادة فى المسألة ، حتّى حرَّكَ يديه وحَلَّ حُبْوَتَه ، وحَبَا إليه حتى أخذ بيديه . وفى ذلك اليومِ انتقل أيُّوبُ من قول أبى شَمِر إلى قول إبراهيم . وكان الذى غَرَّ أبا شَمِرٍ ومَوَّهَ له هذا الرأى، أنَّ أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلِّمون له ويميلون إليه ، ويَقْبلون كلّ ما يُورِده

---

(١) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . انظر السمعانى . وتجد آراءه فى الفرق ١٩٠ — ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . انظر ابن النديم ١٤٧ ، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما فى لسان الميزان (٦ : ٧١) . توفى سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة وبرجال الدعوة كما سيأتى . وذكر الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٧٨) أنه كان لا يحب أكل الضباب .

عليهم ، ويُثبِّته عندهم . فلما طالَ عليهِ توقيرُهم له ، وتَرْكُ مجاذبتهم إيّاه ، وخفّت مؤونة الكلامِ عليه – نَسِيَ حالَ منازعة الأكْفاء ومجاذبةِ الخصومِ . وكان شيخاً وقوراً ، وزِمِّيتاً رَكيناً [١] ، وكان ذا تصرُّف فى العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

قال معمَّر ، أبو الأشعث : قلت لبَهْلَة الهندىّ أيّامَ اجتلب يحيى بنُ خالدٍ أطبّاءَ الهند ، مثل مَنكَة وبازَيْكر [٢] وقلِبرَقْل [٣] وسِنْدباذ وفُلان وفُلان : ما البلاغةُ عندَ الهند ؟ قال بَهْلة : عندنا فى ذلك صحيفةٌ مكتوبة ، ولكنْ لا أُحسن ترجمتها لك [٤] ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثِقَ من نفسى بالقيام بخصائصها ، وتلخيصِ لطائِف معانيها .

قال أبو الأشعث : فلقِيتُ بتلك الصحيفة التَّراجمةَ فإذا فيها [٥] :

أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأْش ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللّحْظ ، متخيِّر اللّفْظ ، لا يكلِّم سيِّدَ الأُمَة بكلام الأَمَة ولا الملوكَ بكلام السُّوقة . ويكونَ فى قُواه فضْلُ التصرُّف فى كلِّ طبقة ، ولا يدقِّق المعانىَ كلَّ التدقيق ، ولا يُنقِّحَ الألفاظ كل التنقيح ، ولا يُصفِّيهَا كلَّ التّصفية ، ولا يهذِّبَها غاية التهذيب ، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومَن قد تعوَّد حذف فُضول الكلام ، وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظ ، وقد نَظَر فى صناعة المنطق على جهة الصِّناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والتظرُّف . قال : ومِن عِلْم حَقِّ

---

(١) الزميت : الحليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .

(٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية فى ل ، هـ . لكن ضبطت « سندباد » فى هـ بضم السين. وفى الحيوان (٧ : ٢١٣) أن « منكة » كان صحيح الإسلام .

(٣) ل : « وقل بن قل » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » . وكلمة « لك » ساقطة من هـ .

(٥) ذكر العسكرى فى الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . كذلك ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار(٢ : ١٧٣) .

المعنى (١) أن يكون الاسمُ له طِبْقاً ، وتلك الحالُ له وَفْقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلا [ولا مفضولا (٢)] ،ولا مقصِّراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمّناً ، ويكونَ مع ذلك ذاكراً لما عَقَدَ عليه أوَّلَ كلامه ، ويكونَ تصفُّحه لمَصادِرِه ، فى وزن تصفُّحه لموارده ، ويكونَ لفظُه مُونِقاً ، ولهَوْل تلك المقامات معاوِداً (٣) . ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم ، والحملِ عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تُواتِيَهُ آلاتُه ، وتتصرَّفَ معه أداتُهُ ، ويكونَ فى التُّهمَة لنفسه معتدِلاً ، وفى حسن الظنِّ بها مقتصداً ؛ فإنه إنْ تجاوَزَ مِقدارَ الحقِّ فى التُّهمة لنفسه ظَلَمها ، فأودَعها ذِلّة المظلومين ، وإن تجاوَزَ الحقَّ فى مقدار حُسْن الظنِّ بها ، آمنها فأودَعَها تهاوُنَ الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل ، ولكل شغْلٍ مقدارٌ من الوهَن ، ولكل وهَنٍ مقدارٌ من الجهل .

وقال إبراهيم بن هانئ (٤) ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العبَثِ متمرِّدا . ولولا أنّ كلامه هذا الذى أراد به الهزْل يدخُلُ فى باب الجِدّ ، لَمَا جعلْته صِلَةَ الكلام الماضى . وليس فى الأرض لفظٌ يسقط البتّة ، ولا معنًى يبور حتّى لا يصلحَ لمكانٍ من الأماكن .

قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القَصَص أن يكون القاصُّ أعمَى ، ويكونَ شيخاً بَعيدَ مدَى الصوت . ومن تمام آلة الزَّمْرْ أن تكون الزَّامرةُ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال من علم حق المعنى» وفى الصناعتين : « قال واعلم أن حق المعنى » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) بدله فى الصناعتين : « ومعناه نيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التى حصل عليها العسكرى غير التى حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هانئ : أحد معاصرى الجاحظ ، روى عنه أخباراً فى الحيوان ، وخبراً فى البخلاء ١٠٦ .

سوداءَ . ومن تمام آلة المُغَنِّى أن يكون فارِهَ البِرْذَوْن ، برّاقَ الثِّياب [(١)] ، عظيمَ الكِبْر ، سيِّىء الخُلُق . ومن تمام آلة الخَمَّار أن يكون ذِمِّياً ، ويكون اسمه أذِين أو شَلُومَا ، أو مازِيار ، أو أزدانِقاذار ، أو مِيشاَ ، ويكونَ أرقَطَ الثِّياب ، مختومِ العُنق . ومن تمام آلة الشِّعر أن يكون الشّاعرُ أعرابيًّا ، ويكونُ الداعى إلى الله صوفيًّا . ومن تمام آلة السُّؤْدُدِ أن يكون السيِّد ثقيلَ السَّمع ، عظيمَ الرّأس . ولذلك قال ابن سنان الجُدَيدىّ [(٢)] ، لراشد بن سَلَمَة الهُذَلىّ : « ما أنتَ بعظيم الرأس [ولا ثقيلِ السمع] [(٣)] فتكون سيِّدا ، ولا بأرسَحَ فتكون فارساً » .

وقال شَبِيبُ بن شَيْبَةَ الخطيب ، لبعضِ فتيان بني مِنْقَرٍ : « والله ٦٠ ما مُطِلْتَ مَطْل الفُرسان ، ولا فُتِقْتَ فَتْقَ السّادة » .

وقال الشاعر :

فقبّلْتُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّدٍ   وكفاً ككَفِّ الضَّبِّ أو هى أحقَرُ [(٤)]

فعاب صِغَر رأسه وصِغر كفّه ، كما عاب الشّاعر [(٥)] كفَّ عبدِ الله ابن مطيع العَدَوىّ ، حين وجدَها غليظة جافية ، فقال :

دَعا ابنُ مُطيعٍ للبِيَاعِ فجئتُه   إلى بَيْعةٍ قلبى لها غَيْرُ آلِفِ

فناوَلَنِى خَشْناءَ لمَّا لمسْتُها   بكَفِّىَ ليست من أكُفِّ الخلائِفِ

وهذا الباب يقَعُ (فى كتابِ الجوارح) مع ذكر البُرْصِ والعُرج والعُسْر

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الثنايا » . ولكل وجه . وفى حواشى هـ : « خ : الثنايا » .

(٢) كذا ضبط فى ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهى خطة لبنى جديد بالبصرة ، أو إلى « الجديدة » وهى قلعة فى كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « تقلب رأساً » .

(٥) هو فضالة بن شريك . وكان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن مطيع بن الأسود الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فقال فضالة هذا الشعر فى هجائه . انظر الأغانى (١٠ : ١٦٤) . وسيعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأُدْر والصُّلع (١) [والحدب والقُرْع (٢)] ، وغير ذلك من عِلَل الجوارح . وهو واردٌ عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة الشِّيعىِّ أن يكون وافرَ الجُمّة ، صاحب بازْيُكَنْد (٣) . ومن تمام آلة صاحب الحرَسِ أن يكون زِمِّيتاً قَطُوباً أبيضَ اللِّحية ، أقنى أجنى (٤) ، ويتكلّمَ بالفارسيّة (٥) .

وأخبرنى إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : دخل العُمانىّ الراجز على الرشيد ، ليُنْشده شعراً ، وعليه قَلَنْسُوةٌ طويلة ، وخُفٌّ ساذَج ، فقال : إياك أن تُنشدَنى إلّا وعليك عمامةٌ عظيمة الكَوْر ، وخُفّان دُمَالِقان (٦).

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكَرَ عليه من الغدِ وقد تَزَيّا بزِىِّ الأعراب ، فأنشده ثم دَنا فقبّل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مَرْوانَ ورأيتُ وجهه وقبَّلتُ يده وأخذتُ جائزتَه ، وأنشدتُ يزيد بن الوليد وإبراهيم ابن الوليد ورأيتُ وجوهَهما وقبَّلت أيديهما وأخذْتُ جوائزَهما ، وأنشدتُ السفّاح ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذتُ جائزته ، وأنشدْتُ المنصورَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يده وأخذتُ جائزتَه ، وأنشَدْت المهدىَّ ورأيتُ وجْهَه وقبَّلْت يدَه وأخذْتُ جائزته ، وأنشدْتُ الهادِىَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذت جائزته . هذا إلى كثيرٍ من أشباه الخُلَفاء وكبار الأُمَراء ، والسّادة الرؤساء ، ولا والله

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « والفلج » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فى هامش ل : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة فى المتن والتعليق ، بفتح الزاى وضم الياء وفتح الكاف .

(٤) الأقنى : المرتفع أعلى الأنف المحدودب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجنأ ، وهو الأحدب الظهر .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « صاحب تكلم بالفرسية » .

(٦) الدمالق : المستدير الأملس . ل : « ذلقمان » صوابه فى سائر النسخ . وانظر الشعر والشعراء ٣٧١ وعيون الأخبار (١ : ٩٣ — ٩٤) .

إن رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعَمَ كَفاً ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . ووالله لو أُلقى فى رُوعى أنّى أتحدَّث عنك ما قلتُ لك ما قلت . قال : فأعظَمَ له الجائزةَ على شِعره ، وأَضعَف له على كلامِه ، وأقبل عليه فبسطَه ، حتّى تمنّى والله جميعُ مَن حضر أنهم قامُوا ذلك المَقام .

* * *

ثم رجع بنا القولُ إلى الكلام الأوّل . قال ابنُ الأعرابىّ : قال معاوية بن أبى سفيان لصُحارِ بن عَيّاشٍ العبدىّ [1] : ما هذه البلاغةُ التى فيكم ؟ قال : شئٌ تَجِيش به صدورُنا فتَقذِفُه على ألسنتنا . فقال له رجل مِن عُرْض القَوم [2] : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب ، أبصرُ منهم بالخُطَب . فقال له صُحار : أجَلْ والله ، إنّا لنعلم إنّ الرِّيح لَتُلْقِحُه [3] ، وإن البَرد ليَعقِدُه ، وإن القمرَ ليَصْبِغُهُ ، وإن الحَرّ ليُنْضِجهُ .

وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاويةُ : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيب فلا تبطىء ، وتقولَ فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول ياصُحَار ؟ قال صُحار : أقِلْنى يا أمير المؤمنين ، ألّا تُبطِئَ ولا تُخْطِئَ [4] .

وشأن عبد القَيس عجَبٌ ، وذلك أنهم بعد مُحارَبة إيادٍ تفرَّقوا فرقَتَين ، ففرقةٌ وقعَتْ بعُمَانَ وشقِّ عُمان ، وهم خطباء العرب ؛ وفرقةٌ وقعت إلى البَحْرَيْن

---

(١) هو صحار بن عياش – ويقال ابن عباس – بن شراحيل بن منقذ العبدى ، من بنى عبد القيس ، خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علّامة نسابة . توفى نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لتنفخه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فيما عدا ل : « لاتبطئ ولا تخطئ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطئ ولا تبطئ » . وفى الصناعتين ٣٢ : « هو ألا تخطئ ولا تبطئ » .

[وشِقّ البحرَين (١)] ، وهم من أشعر قَبيلٍ فى العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سُرَّة البادية (٢) وفى مَعدِن الفَصاحة . وهذا عَجَب .

ومن خُطَبائهم المشهورين : صَعصعة بن صُوحان ، وزَيد بن صُوحان ، وسَيْحان بن صوحان (٣) . ومنهم صُحار بن عَيَّاشٍ . وصحارٌ من شيعة عثمان ، وبنو صوحانَ من شيعة علىّ .

ومنهم مَصْقَلة بن رَقَبة ، ورقَبة بن مَصْقَلة ، وكَرِب بن رَقَبة .

وإذا صِرْنا إلى ذكر الخُطَباء والنَّسَّابين ، ذكَرْنا من كلامِ كلِّ واحدٍ منهم بقَدْر ما يحضُرنا ، وبالله التوفيق .

قال لى ابنُ الأعرابىّ : قال لى المفضَّل بن محمد الضبىُّ : قلت لأعرابىّ منّا : ما البلاغة ؟ قال لى : الإيجازُ فى غير عَجزْ ، والإطناب فى غير خَطَلٍ . قال ابنُ الأعرابىّ : فقلتُ للمفضَّل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حَذْف الفضول (٤) ، وتقريب البعيد .

قال ابنُ الأعرابىّ ، قيل لعبد الله بن عُمَر : لو دعَوْتَ الله بدَعَواتٍ . فقال : اللهمَّ ارحَمْنا وعافِنا وارزُقْنا ! فقال له رجلٌ : لو زِدْتَنا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب .

* * *

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « فى هذه البادية » .

(٣) ذكرهم ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٩ وقال : « بنو صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس . وسيحان فعلان من السيح ، ساح الماء يسيح سيحاً » . فيما عدا ل : « شيخان » تحريف .

(٤) ل : « ما الإيجاز عندكم ؟ قال : ترك الفضول » .

باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن كان لايكاد يسكت مع قلة الخطأ والزَّلل

منهم : زيد بن صُوحَان . ومنهم : أبو واثلة إياس بن معاوية المُزَنىّ (١) القاضى القائف ، وصاحب الزَّكَن ، والمعروف بجَودة الفِراسة . ولِكَثْرة كلامه قال له عبد الله بن شُبْرُمة (٢) : « أنا وأنت لانتّفق . أنت لاتشتهى أن تسكتَ وأنا لا أشتهى أن أسْمَع » .

وأتَى حَلْقةً من حَلَقِ قُرَيشٍ فى مسجد دمشق ، فاستولَى على المجلس ، ورأوه أحمَرَ دميماً باذَّ الهيئة ، قَشِفاً ، فاستهانُوا به فلما عرَفوه اعتذروا إليه وقالوا له : الذّنْب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتَنا فى زِىٍّ مسكينٍ ، تكلِّمُنا بكلام الملوك.

ورأيتُ ناساً يستحسنون جوابَ إياسٍ بن معاوية حين قيل له : ما فيك عيبٌ غير أنّك مُعْجَبٌ بقولك . قال : أفأعْجَبَكم قولى ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحقُّ بأن أُعجَبَ بما أقول ، وبما يكون مِنّى مِنكم (٣) .

والناسُ ، حفِظَكَ الله ، لم يَضَعُوا ذِكْر العُجْب فى هذا الموضع . والمعيبُ عند النّاسِ ليس هو الذى لا يَعرِف ما يكون منه من الحُسْن . والمعرفةُ لا تَدْخُل فى بابِ التَّسمية بالعُجبِ ، والعُجْبُ مذموم . وقد جاء فى الحديث . « إنّ المؤمنَ

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، من مزينة مضر ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن لطيفاً فى الأمور ، وكان لأم ولد ؛ ومنزله عند السى ، ومات بها سنة ١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعانى .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى ، أبو شبرمة الكوفى القاضى . ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب

(٣) ل : « منى » فقط .

مَن ساءته سيِّئتُه وسرَّته حسنته » . وقيل لعمر : فلانٌ لا يَعرف الشرَّ . قال : « ذاك أجْدَرُ أن يقعَ فيه » . وإنما العُجْب إسرافُ الرَّجُلِ فى السُّرور بما يكون منه والإفراطُ فى استحسانه ، حتَّى يظهر ذلك فى لفظه وفى شمائله . وهو الذى وَصَف به صَعْصعةُ بن صُوحان [١] ، المنذرَ بنَ الجارود [٢] ، عند علىّ بن أبى طالب رحمه الله ، فقال : « أمَا إنّه مع ذلك لَنَظّارٌ فى عِطفَيه ، تَفّالٌ فى شِراكيه ، تُعْجِبُهُ حُمرة بُرْدَيه [٣] » .

قال أبو الحسن : قيل لإياسٍ : ما فيك عيبٌ إلّا كثرةُ الكلام . قال : فتسمعون صواباً أم خطأً ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزِّيادة من الخير خير » . وليس كما قال ؛ للكلام غايةٌ ، ولنشاط السَّامعين نِهاية ، وما فَضَل عن قدْر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمَلال ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ، وهو الخَطَل ، وهو الإسهاب الذى سمِعتَ الحكماءَ يَعيبُونه [٣].

وذكر الأصمعىُّ أنّ عمر بن هُبَيْرة لما أرادَهُ على القضاء قال : إنِّى لا أصلحُ له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّنى عَيِىٌّ ، ولأنّى دَميمٌ ، ولأنّى حديد . قال ابنُ هبيرة : أمَّا الحِدّة فإنّ السّوطَ يقوِّمك ، وأما الدَّمامة فإنِّى لا أريد أن أُحاسِنَ بك أحداً ، وأمَّا العِىّ فقد عبَّرتَ عمَّا تُريد .

فإن كان إياسٌ عند نفسه عيِيًّا فذاك أجدَرُ بأن يَهجُر الإكثار .

وبعدُ فما نعْلَمُ أحداً رَمَى إياساً بالعِىّ ، وإنّما عابُوه بالإكثار .

وذكر صالح بن سليمان ، عن عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . الاشتقاق ١٩٩ والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٨) .

(٢) المنذر بن الجارود العبدى ، ولد فى عهد النبى ، ولأبيه صحبة ، وشهد الجمل مع على وولاه عبيد الله بن زياد الهند فى إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٢٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) والبيان (٣ : ١١٢) .

ما رأيتُ عقولَ النّاسِ إلّا قريباً بعضُها من بعضٍ ، إلا ما كان مِن الحجّاج بن يُوسُف ، وإياسِ بن معاوية ؛ فإنَّ عقولَهما كانت ترجِحُ على عقول الناس كثيراً .

وقال قائلٌ لإياس : لِمَ تَعْجَلُ بالقضاء ؟ فقال إياس : كم لكفِّك من إصبَع ؟ قال : خمس . قال : عجِلْتَ . قال : لَمْ يَعجل مَن قال بَعد ما قَتل الشيءَ علْما ويقيناً . قال إياس : فهذا هو جوابى لك [1] .

وكان كثيراً ما يُنشِد قولَ النابغة الجَعْدِىّ :

أَبَى لى البلاءُ وأنّى امرؤٌ إذا ما تَبيَّنْتُ لم أرتَبِ [2]

قال : ومدح سلمة بن عَيَّاش [3] ، سَوّارَ بن عبد الله [4] ، بِمثلِ ما وصف به إياسٌ نفسَه حين قال :

وأُوقَفُ عندَ الأمرِ ما لم يَضِحْ له وأمضى إذا ما شكَّ مَن كان ماضيا [5]

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله ، إلى عدىّ بن أَرْطاةٍ : إنَّ قِبَلَكَ رجلين من مُزَينة ، فوَلِّ أحدَهما قضاءَ البَصرة . يعنى بكرَ بن عبد الله المُزَنى [6] وإياس ابن معاوية . فقال بَكر : والله ما أُحْسِنُ القضاءَ ، فإن كنتُ صادقاً فما ٦٤

---

(١) ل : « فهذا جوابى » .

(٢) أنشده فى الحيوان (٣ : ٤٩٥) وقال : « ليس يريد أنه فى حالة تبينه غير مرتاب ، وإنما يعنى أن بصيرته لا تتغير » . لم أرتب ، بفتح التاء من الريبة ، وبضمها أيضاً من الرتوب ، وهو التوقف .

(٣) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ولدى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . وترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) .

(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان فقيهاً فصيحاً ، أديباً شاعراً . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفى سنة ٢٤٥ . انظر تاريخ بغداد ٤٧٨٨ .

(٥) بكر بن عبد الله المزنى ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة جليل ، توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

يَحِلّ لك أن تولّيني ، وإنْ كنت كاذباً إنّها لأحراهما (١) .

وكانوا إذا ذَكروا البصرة قالوا : شيخُها الحسَن ، وفتاها بكر .

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبّ والخَبّ لا يخدعني . وقال : الخِبُّ (٢) لا يخدعُ ابنَ سيرين ، وهو يَخْدع أبي ويخدع الحَسَن .

ودخل الشّامَ وهو غلامٌ ، فتقدَّمَ خصماً له ، وكان الخَصم شيخاً كبيراً ، إلى بعضِ قُضاةِ عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له القاضي : أتقْدُم شيخاً كبيراً ؟ قال: الحقُّ أكبر منه . قال : اسكتْ . قال : فمن ينطِقُ بحُجَّتي . قال : لا أظنُّك تقولُ حقاً حتَّى تقوم . قال : لا إله إلّا الله ، [أحقاً هذا أم باطلا (٣) ؟] . فقام القاضي فدخل على عبد الملك مِن ساعته ، فخبَّره بالخبَر ، فقال عبد الملك : اقْضِ حاجتَه السّاعةَ وأخرِجْه من الشامِ ، لا يُفْسِدْ عليَّ الناس .

فإذا كان إياسٌ وهوِ غلامٌ يُخافُ على جماعة أهلِ الشّام ، فما ظنُّك به وقد كَبِرَت سنُّه ، وعضَّ على ناجذِه .

وجملةُ القول فى إياسٍ أنّه كان من مفاخر مُضر ، ومن مُقَدَّمى القضاة ، وكان فقيه البَدنِ (٤) ، دقيقَ المسلك فى الفِطَن ،وكان صادقَ الحَدْسِ نِقَاباً (٥) ، وكان عجيب الفِراسة مُلْهَما ، وكان عفيفَ الطُّعَمِ (٦) ، كريم المَداخِلِ والشِّيَم ، وجيهاً عند الخلفاء ، مقدَّما عند الأَكْفاء . وفى مُزَينة خيرٌ كثير .

---

(١) أى هذه الحالة أجدر الحالتين بإقصائى عن الولاية . ل : « فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني » .

(٢) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . وهذه الكلمة والتى قبلها فى ل فقط ، وليستا فى الحيوان (٢ : ٢٧٩) .

(٣) التكلمة من هـ .

(٤) فى هامش هـ : « أى كأن بدنه مطبوع على الفقه لذكائه ولنفوذه فيما أشكل منه أو غمض » . وانظر تهذيب التهذيب فى ترجمة بشر بن المفضل .

(٥) الحدس ، بالفتح : الظن والتخمين . والنقاب ، ككتاب : الرجل العلامة الفطن . قال أوس بن حجر :

نجيح جواد أخو مأقط نقاب يحدث بالغائب

(٦) فى حواشى هـ : أى إنه لا يأكل إلا من حلال » . ماعدا هـ : « المطعم » .

ثم رجَعنا إلى القول الأوَّل .

ومنهم ربيعةُ الرَّأيِ [١] ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلمَ يوماً فأكثَرَ وأعجِبَ بالذى كان منه ، فالتفت إلى أعرابىٍّ كان عنده فقال : يا أعرابىَّ : ما تعدُّون العىَّ فيكم ؟ قال : ما كنْتَ فيه منذُ اليوم .

وكان يقول : السَّاكت بين النائم والأخْرس .

ومنهم عُبيد الله بن محمد بن حفصٍ التَّيمى [٢] . ومحمدُ بن حفصٍ هو ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثيرَ العِلم والسَّماع ، متصرِّفا فى الخبر والأثَر .وكان من أجْوَاد قريش [٣] ، وكان لا يكاد يسكُت ، وهو فى ذلك كثيرُ الفوائد . وكان أبوه محمَّد بنُ حفصٍ عظيمَ الشأن ، كثير العِلم ، بعث إليه يَنْخَاب [٤] خليفته فى بعضِ الأمر ، فأتاه فى حَلْقته فى ٦٥ المسجِد ، فقال له فى بعض كلامه : أبو مَنْ أصلحَكَ الله ، فقال له : هَلاَّ عرَفْتَ هذا قبل مجيئك ! وإنْ كان لابدَّ لك منه فاعترِضْ مَن شئت فَسَلْه . فقال له : إنِّى أريد أن تُخلِيَنى . قال : أفى حاجةٍ لك أم فى حاجة لى ؟ قال : بل فى حاجةٍ لى . قال : فالقَنِى فى المنزِل.قال : فإنَّ الحاجة لك . قال : ما دونَ إخوانى سِتر .

ومنهمْ محمد بن مِسْعَرٍ العُقَيْلىُّ ، وكان كريماً كريم المجالَسة ، يذهب مَذهبَ

---

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأى . انظر الكلام على أصحاب الرأى فى المعارف لابن قتيبة ٢١٦ ـــ ٢١٩ وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر التيميين ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للقضاء فلم يفعل . ومات بالأنبار سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٣ ـــ ٨٦) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى ، يقال له ابن عائشة،والعائشى ، والعيشى : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفى بالبصرة سنة ٢٨٨. انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيوان (٢ : ١٢) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدا ل ، هـ : « من أجود قريش » .

(٤) ل : بعث إليه زياد ينخاب » وكلمة « زياد » مقحمة . هـ : « تيخاب » . بدل « ينخاب » .وضبط «ينخاب» « هو ماق ل . وفى سائر النسخ : « ميخاب » .

النسّاك ، وكان جواداً . مرَ صديقٌ له من بنى هاشم بقصرٍ له وبُستانٍ نفيس ، فبلغه أنّه استحسنَه ، فوَهَبه له .

ومنهم أحمد بن المُعَذَّل بن غَيلانَ (١) ، كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ فى المعانى ، وتصرُّفٍ فى الألفاظ .

وممن كان يُكْثِر الكلام جداً الفضْل بن سهل، ثم الحسن بن سَهْل (٢) فى أيّامه .

وحدَّثنى محمد بن الجهم ودُوَاد بن أبى دُوَاد قالا : جلس الحسن بن سهل فى مصلّى الجماعة ، لنُعَيم بن خازم (٣) ، فأقبل نُعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذَنْبى أعظم من السماء ، ذنْبى أعظم من الهواء ، ذنْبى أعظم من الماء ! قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِك ، تقدّمَتْ منك طاعةٌ ، وكان آخرُ أمْرِك إلى تَوبة ، وليس للذّنب بينهما مكان ، وليس ذنبُك فى الذُّنوب بأعظَمَ مِن عَفو أمير المؤمنين فى العفو .

ومن هؤلاء علىُّ بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدرى كيف كان كلامه .

قال : وحدَّثنى مَهدىُّ بن ميمون ، قال : حدَّثنا غَيلان بن جرير ، قال : كان مطرِّف بن عبد الله (٤) يقول : « لا تُطعِم طعامَك مَن لا يشتهيه » . يقول :

---

(١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، كلاهما من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج فى أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضا شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة و دين وتقدم فى المعتزلة » . الأغانى (١٢ : ٥٤) والفوات (١ : ٣٥٣) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢ . أما الحسن فقد توفى سنة ٢٣٦ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التى فيها يقول الباهلى :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن بينت من

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « ابن حازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ؛ أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحبة . وكان يقص فى مكان أبيه بمسجد البصرة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقبِلْ بحديثك على مَن لا يقبلُ عليه بوجهه .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : « حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم ، وأَذِنُوا لك بأسماعِهم ، [ولحظوك بأبصارهم (١)] ، وإذا رأيت منهم فترةً فأمسِكْ » .

قال : وجعل ابن السَّمَّاك (٢) يوماً يتكلَّم ، وجاريةٌ له حيثُ تسمع كلامَه ، فلما انصرَفَ إليها قال لها : كيف سمِعتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسنَه ، لولا أنّك تكْثر ترداده . قال : أردِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفهمْه . ٦٦
قالت : إلى أن يَفْهَمَه مَن لا يفْهَمُه قد مَلّه من فهِمَه (٣) .

عَبّاد بن العَوّام ، عن شعبة عن قتادة قال : مكتوب فى التوراة : « لا يعادُ الحديث مَرّتَين (٤) » .

سفيان بن عُيَيْنَة (٥) ، عن الزُّهرى قال : « إعادةُ الحديث أشدُّ مِن نَقْل الصّخر (٦) » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السماك ، سمع هشام بن عروة ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثورى ، وروى عنه الحسين الجعفى ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفى قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يبكى هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة (٣ : ١٠٥) ولسان الميزان (٥ : ٢٠٤) .

(٣) ل : « يفهمه » . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٨) .

(٤) ل فقط : « لا يعد » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٧٩) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى ، الكوفى ثم المكى ، ثقة حافظ . سمع الزهرى وعبد الله ابن دينار وغيرهما ، وحدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه يقول الشافعى : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث فى موسم الحج ، وقد حج سبعين سنة. ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وتهذيب التهذيب .

(٦) فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٩) : « من وقع الصخر » صواب هذه : « من رفع الصخر » .

وقال بعضُ الحكماء : « مَن لم يَنْشط لحديثك فارفَعْ عنه مَؤونَة الاستماع منك » .

وجملة القول فى الترداد ، أنّه ليس فيه حدٌّ ينتهَى إليه ، ولا يُؤتَى على وَصْفه [(١)] . وإنّما ذلك على قدر المستمعين ، ومَن يحضُره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردَّدَ ذِكْر قِصّة موسى وهودٍ ، وهارونَ وشعيبٍ ، وإبراهيمَ ولوطٍ ،وعادٍ وثمودَ . وكذلك ذِكرَ الجَنّةِ والنّارِ وأمورٍ كثيرة ؛ لأنّه خاطَبَ جميعَ الأمم من العرَب وأصناف العَجَم ، وأكثَرُهم غَبِيٌّ غافِل [(٢)] ، أو مُعانِدٌ مشغولُ الفِكْرِ ساهِي القلب .

وأمّا أحاديث القَصَص والرِّقّة فإنِّى لم أرَ أحداً يعيب ذلك .

وما سمِعْنا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادةَ بعضِ الألفاظ وتَرْدَادَ المعانى عِيًّا ، إلا ما كان من النّخّار بن أوسٍ العُذْرى ؛ فإنّه كان إذا تكلّم فى الحمالات [(٣)] وفى الصَّفح والاحتمال وصَلاح ذاتِ البَين ، وتخويف الفريقَين من التّفانى والبَوَار — كان رُبّما ردَّد الكلامَ على طريق التّهويل والتّخويف ، وربّما حَمِىَ فنَخَر .

وقال ثُمامة بنُ أشرس [(٤)] : كان جعفرُ بنُ يحيى [(٥)] أنطَقَ الناس ، قد جَمَع

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « يؤتى إلى وصفه » تحريف .

(٢) ل : « عى غافل » .

(٣) الحمالة ، كسحابة : الديه يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثمامة بن أشرس النميرى مولى بنى نمير ، كان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق . وهو الذى دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذاك العربى بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة فى زمان الواثق الذى تولى الخلافة من ٢٢٧ — ٢٣٢ . وقيل مات فى ٢١٣ انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان (٢ : ٨٤) وتاريخ بغداد (٧ : ١٤٥ — ١٤٨) ، وكذا معجم الفرق الإسلامية (رسم الثمامية) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد .

الهُدوءَ والتمُّهل ،والجزالةَ والحلاوة ، وإفهاماً يُغْنيه عن الإعادة . ولو كان فى الأرض ناطقٌ يَستغنِى بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة .

وقال مَرّةً : ما رأيتُ أحداً كان لا يتحبَّس ولا يتوقَّف ، ولا يَتلجلج ولا يتنحنح ، ولا يَرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعْد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنىً قد تَعصَّى عليه طلبُه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلُّفا ، من جعفرِ بن يحيى .

وقال ثُمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك ، ويجلِّى عن مَغزاك ، وتُخْرِجَه عن الشِّرْكة ، ولا تستعين عليه بالفِكرة . والذى لابُدّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلُّف ، بعيداً من الصَّنعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنِيًّا عن التأويل [١] .

وهذا هو تأويلُ قولِ الأصمعىَ : « البليغُ مَن طَبَّقَ المَفْصِل [٢] ، ٦٧
وأغنَاك عن المُفسَّر » .

وخَبَّرنى جعفرُ بن سَعيد [٣] ، رضيع أيوبَ بن جعفرٍ وحاجبُه [٤] ، قال : ذُكِرَتْ لعَمرو بن مَسْعَدة [٥] ، توقيعاتُ جعفرِ بن يحيى ، فقال : قد قرأت

---

(١) كلام جعفر هنا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ؛ ثم جعل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩.وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتى .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب فى زمان المأمون ، ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد (١٢ : ٢٠٣) أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولى الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

سأشكر عمراً ماتراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت =

لأم جعفرٍ توقيعاتٍ فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجودَ اختصاراً ، وأجمَعَ للمعانى .

قال : ووصف أعرابى أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله يَضَع الهِناءَ مواضِع النُّقب [١] » . يظنُّون أنه نَقل قولَ دريدِ بن الصِّمَّة [٢] ، فى الخنساء بنتِ عمرِو بن الشَّريد ، إلى ذلك الموضع ، وكان دريدٌ قال فيها [٣] :

ما إنْ رأيت ولا سمِعتُ به ... فى النّاسِ طالىَ أيْنُقٍ جُرْبِ
متبـذِّلاً تبـدو محاسِنُـه ... بضع الهِناءَ مَواضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى إصابة عين المعنى بالكلام الموجَز : « فلان يُفُلُّ المحَزَّ ، ويصيب المَفْصِل » . وأخَذُوا ذلك من صِفَة الجزّار الحاذق ، فجعلوه مثلاً للمصيب الموجِز .

وأنشدنى أبو قَطَن الغَنَوى ، وهو الذى يقال له شهيد الكَرَم [٤] ، وكان أبيَنَ مَن رأيتُه من أهل البَدْو والحَضر :

= فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ومسعدة ، بفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفى سنة ٢١٧ . وبعض الناس يعده فى الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطلى به الإبل : والنقب ، بسكون القاف وضمها : جمع نقبة ، بالضم ، وهى أول مايبدو من الجرب .

(٢) دريد بن الصمة كان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق فى واحدة منها . وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهراً للمشركين ، وقتل على شركه . الأغانى (٩ : ٢) .

(٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فردته ، وكان رآها تهنأ بعيراً فقال :

حيوا تماضر واربعوا صحبى ... وقفوا فإن وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبــل من الحب

وبعدها البيتان التاليان انظر الأغانى (١٣ : ١٣٠) .

(٤) روى الجاحظ عنه أيضاً فى الحيوان (٣ : ٩٤) . والشعر التالى من روايته وليس له ، بل هو لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنتُ مولى قيسِ عَيلانَ لم تَجِدْ   عَلَيَّ لمخلوقٍ مِن النَّاس دِرهَما
ولكنَّنى مولى قُضاعةَ كلِّها   فلستُ أُبالِى أن أَدين وتَغْرَمَا
أولئك قومٌ بارَكَ اللهُ فيهِمُ   على كلِّ حالٍ ماأعفَّ وأكرما
جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصيبون مَفْصِلاً   ولا يأكلون اللّحمَ إلا تخذُّما (١)

يقول : هم ملوكٌ وأشباهُ الملوك ، ولهم كُفَاةٌ فهمْ لا يحسِنون إصابة المْفصِل .

وأنشدنى أبو عبيدةَ فى مثلِ ذلك :

وصُلْع الرّءوسِ عِظَام البُطون   جفاة المَحزِّ غِلاظَ القَصَرْ (٢)

ولذلك قال الراجز (٣) :

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ   ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

وقال الآخر ، وهو ابنُ الزِّبَعْرَى (٤) :

وفتيانِ صِدْقٍ حسانِ الوُجو   هِ لا يجِدُون لشىءٍ أَلَمْ
مِنَ آلِ المُغيرةِ لا يَشْهدُو   نَ عند المَجازر لَحْمَ الوضَمْ

وقال الرَّاعِى فى المعنَى الأوَّل :

فطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ ثمَّ جَزَعْنَهُ   كما طَبَّقَتْ فى العظم مُدْيةُ جازِرِ (٥)

---

(١) قال التبريزى فى شرح الحماسة : « أى لا يتأنقون فى فصل اللحم كعمل الجزار ؛ لأنهم ليسوا بجزارين ، ولا ذلك من عادتهم . والخذم : سرعة القطع ، وفى التخذم زيادة تكلف . يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لانهشاً بالأسنان » .

(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وقرئ : (ترمى بشرر كالقصر) .

(٣) هو رشيد بن رميض العنزى . انظر اللسان (حطم) . ورشيد هذا ممن أدرك الإسلام . انظر الإصابة ٢٧٢٣ .

(٤) هو عبد الله بن الزبعرى ، كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه. جزعنه : قطعنه . فيما عدا ل : « حتى لقينه » ، لكن فى هـ : « حين لقينه » .

وأنشد الأصمعي :

وكفّ فتىً لم يعرف السَّلْخَ قَبْلَها ... تَجُور يداه في الأديم وتَجرَحُ

وأنشد الأصمعي :

لا يُمسِكُ العُرْف إلاّ ريث يُرسلُه ... ولا يُلاطِم عند اللّحمِ في السُّوق [١]

وقد فسَّر ذلك لَبيدُ بن ربيعة ، وبيَّنه وضرب به المثل ، حيث قال في الحُكْم بين عامر بن الطُّفيل ، وعَلقمةَ بن عُلاَثة [٢] :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمِينَ مَنْصِبَا [٣] ... إنّكَ قد أُوتيت حُكْماً مُعْجِبا

* فطَبِّق المَفْصِلَ واغنَمْ طيِّبا *

يقول : احكُمْ بين عامرِ بن الطُّفيل وعَلقمةَ بن عُلاثة بكلمةِ فَصْل ، وبأمرٍ قاطع ، فتفصِلَ بها بين الحقِّ والباطل ، كما يَفْصل الجزّارُ الحاذق مَفْصِل العظمَين .

وقد قال الشاعر في هَرِمٍ :

قَضَى هرِمٌ يوم المُرَيْرَة بينهم ... قضاءَ امرئٍ بالأَوَّليَّة عالِمِ [٤]

قَضَى ثم وَلَّى الحكم مَنْ كان أهلَه ... وليس ذُنَابَى الرِّيش مِثلَ القوادِمِ [٥]

ويقال في الفحل إذا لم يُحْسِن الضِّراب : جمل عَيَاياء ، وجمل طَبَاقاء .

وقالتْ امرأةٌ في الجاهلية تشكو زَوجها « زوجي عَيَاياءُ طَبَاقَاء ، وكل داءٍ له داءٌ [٦] » .

---

(١) ل : « إلا ريث يبعثه » .

(٢) انظر لمنافرة عامر وعلقمة ، الأغاني (١٥ : ٥٠ – ٥٥) .

(٣) هرم هذا ، هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، أحد حكام العرب . وهو غير هرم ابن سنان بن أبي حارثة المري ، ممدوح زهير . انظر الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الأولية : مفاخر الآباء . قال ذو الرمة :

وما فخر من ليست له أولية ... تعد إذا عد القديم ولا ذكر

(٥) ذنابى الريش : ريشات أربع في جناحه بعد الخوافي . والخوافي : ريشات أربع بعد القوادم .

(٦) ما عدا هـ : « له دواء » تحريف . انظر اللسان (طبق ، عيي ، دوا) . أي كل عيب يكون في الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ – ٨٧ والمزهر (٢ : ٥٣٢ – ٥٣٥) .

حتَّى جعلوا ذلك مثلاً للعَيِيِّ الفَدْم ،والذى لا يتّجه للحجة . وقال الشّاعر [١]:

طَبَاقاء لم يشهَدْ خُصوماً ولم يَقُدْ ... رِكاباً إلى أكوارها حين تُعْكَفُ [٢]

وذكر زهير بن أبى سُلمى الخَطَل فعابه فقال : ٦٩

وذى خَطَلٍ فى القول يحسِبُ أنّه ... مُصيبٌ فما يلمِمْ به فهو قائلُه [٣]

عبأْتَ له حلماً وأكرَمْتَ غيرَه ... وأعرضْتَ عنه وهو بادٍ مقاتلُه

وقال غيره [٤] :

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحديثُ أوانسٌ ... يرقُبْنَ كلَّ مجذَّرٍ تنبالِ

الشُّمُسُ ، مأخوذٌ من الخيل ، وهى الخيل المرِحَة الضاربة بأذنابها من النّشاط . والمُجذَّر :القصير . والتِّنبَال : القصير الدَّنىء .

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ ، وكان من المقدَّمين فى العلم ، واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو :

وشاعرِ سَوْءٍ يَهضِبُ القَولَ ظالماً ... كما اقْتَمَّ أعشى مُظْلِمُ الليلِ حاطبُ

يَهضِب : يُكثِر . والأهاضيب : المطر الكثير . اقتمّ : افتعَلَ من القُمامة . وأنشد :

أعوذُ باللهِ الأعزِّ الأكرم ... مِنْ قَوْلِيَ الشيءَ الذى لم أعلَمِ [٥]

* تخَبُّطَ الأعمَى الضَّرِيرِ الأيهَمِ [٦] *

---

(١) هو جميل بن معمر ، كما فى اللسان ومقاييس اللغة (طبق) .

(٢) الكور ، بالضم : الرحل بأداته . تعكَف : تحبس .

(٣) ما يلمم به ، أى ما يحضره . وهذه الرواية تطابق رواية الديوان ١٣٩ . وكتب فى ل فوق « يلمم » : « يهمم » ، ولعله إشارة إلى رواية ، ولم أجدها عند ثعلب والشنتمرى .

(٤) نسب فى ص ٢٧٩ إلى الأخطل .

(٥) « قولى » كتب فوقها فى ل : « قوف » إشارة إلى رواية أخرى . والقوف : التتبع .

(٦) الأيهم : الأعمى ، والرجل الذى لا عقل له ولا فهم . وفى هامش هـ : « فى العين : الأيهم من الرجال : الأصم » .

وقال إبراهيم بن هَرْمَة (١) ، فى تطبيق المفصِلِ – وتُلحَق هذه المعانى بأخواتها قَبْلُ (٢) :

وعَمِيمَةٍ قد سُقْتُ فيها عائراً   غُفْلا ومنها عائرٌ مَوْسُومُ (٣)
طَبَّقتُ مَفصِلَها بغير حديدةٍ   فرأى العدُوُّ غَناىَ حيث أقوم (٤)

* * *

وهذه الصِّفات التى ذكرها ثُمامة بن أشْرسَ ، فوصف بها جعفرَ بن يحيى (٥) ، كانَ ثمامةُ بنُ أشْرَسَ قد انتظَمَها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهلِ عصره.وما علمتُ أنّه كان فى زمانه قَرَوىٌّ ولا بَلَدىٌّ، كان بَلَغَ من حُسْن الإفهام مع قلّة عدد الحروف ، ولا من سُهولةِ المَخرَج مع السلامة من التكلُّف ، ما كان بلغَه . وكان لَفْظُه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طَبَقة لَفظِه ، ولم يكن لفظُه إلى سمعك بأسرَعَ مِن معناه إلى قلبك .

قال بعضُ الكتّاب : معانى ثُمامةَ الظّاهرةُ فى ألفاظه ، الواضحةُ فى مخارج كلامه ، كما وصف الخُرَيْمىُّ شِعرَ نفسه فى مديح أبى دُلَف ، حيث يقول :

له كَلِمٌ فيك معقولةٌ   إزاءَ القُلوب كركب وُقوفِ (٦)

---

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير.وكان الأصمعى يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها:

إن الغوانى قد أعرضن مقلية   لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جنى فى المبهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٠٧ ـــ ١٠٩ هـ : « وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل » .

(٣) عميمة ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العائر : الذى لا يدرى من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفاصل المعانى بكلامه الصائب، فبهر بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق فى ص ١٠٥ ـــ ١٠٦ .

(٦) روى البيت فى زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأوَّل هذه القصيدة قولَه :

أبا دُلَفٍ دَلَفتْ حاجتى إليك وما خِلتُها بالدَّلوفِ [(١)]

ويظنُّون أن الخُرَيمىَّ إنَّما احتذى فى هذا البيت على كلام أيُّوب بن القِرّيَّة [(٢)] حينَ قال له بعضُ السلاطين [(٣)] : ما أعدَدْتَ لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروفٍ [(٤)] كأنَّهنَّ ركْبٌ وقوف : دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف [(٥)] » .

وحدَّثنى صالح بن خاقان ، قال : قال شَبيب بن شيبة [(٦)] : « النَّاس موكَّلُون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبِه ، وأنا مُوَكَّل بتفضيل جودة القَطْع ، وبمدح صاحبِه . وحَظُّ جودةِ القافية وإن كانت كلمةً واحدة ، أرفَعُ من حظِّ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتُلِيتَ بمَقامٍ لابُدَّ لك فيه من الإطالة ، فقدِّمْ إحكامَ البلوغ فى طلب السَّلامة من الخطَل ، قَبل التقدُّم فى إحكام البلوغ فى شَرَف التَّجويد . وإيَّاك أن تَعْدِلَ بالسَّلامة شيئاً ؛ فإنَّ قليلاً كافياً خيرٌ من كثير غيرِ شاف » .

ويقال إنّهم لم يَرَوْا خطيباً قَطّ بلديًّا إلاّ وهو فى أوّل تكلّفه لتلك المقامات كان مُستثْقَلاً مستصلَفاً أيّامَ رياضته كلّها ، إلى أن يتوقّح وتستجيبَ له المعانى ،

---

(١) بدل هذا البيت فى ل :

ألا من دعانى ومَن دلنى على رائدى ورسولى خروف

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسره فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث . انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلكان (١ : ٨٣) .

(٤) ل : « صروف » . وفى هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف هنا الكلمات .

(٥) زاد فى زهر الآداب : « فقال له الحجاج : بئسما منيت به نفسك يا ابن القرية . أترانى ممن تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلى هذا . قال : أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ؛ فإنه لابد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من صبوة . قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ .

ويتمكّنَ من الألفاظ ، إلاّ شبيب بن شيبة ؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوةٍ ورشاقة ، وسهولةَ وعُذوبة ؛ فلم يزل يزدادُ منها حتى صار فى كلِّ موقفٍ يبلغُ بقليل الكلام مالا يبلُغه الخطباءُ المصاقع بكثيرِه .

قالوا : ولمّا مات شَبيب بن شَيبة أَتاهم صالح المُرّىّ (١) ، فى بعض مَنْ أتاهم للتَّعزية ، فقال : « رحمةُ الله على أديب الملوك ،وجليس الفقراء ، وأخى المساكين » .

وقال الرَّاجز (٢) :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شَبيبِها   على فتاها وعلى خَطيبِها
مِن مَطْلَع الشمس إلى مَغيبِها   عجِبْتَ مَن كثرتها وطيبِها

حدثنى صديق لى قال : قلت للعَتَّابىّ : ما البلاغة ؟ قال : كلُّ مَنْ أفهمك حاجته من غير إعادةٍ ولا حُبْسَة ولا استعانةٍ فهو بليغ ، فإن أردتَ اللِّسانَ الذى يرُوق الألسنة (٣) ، ويفوق كلَّ خطيب ، فإظهارُ ما غَمُض من الحقِّ ، وتصويرُ الباطل فى صورة الحقّ . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبْسَة ، فما الاستعانة ؟ قال : أمَا تَرَاه إذا تحدّثَ قال عِند مقاطع كلامه : ياهَنَاهُ ، ويا هذا ، ويَاهيَه ، واسمَعْ منى واستمعْ إلىَّ ، وافهمْ عنّى ، أوَلست تفهمُ ، أوَلست تعقِل . فهذا كلُّه وما أشبهه عىٌّ وفساد .

---

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرىّ ، أبو بشر البصرى ، القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بنى مرة بن الحارث فأعتقته . توفى سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٦٥) .

(٢) هو أبو نخيلة الراجز ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا   الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأنشد فى اللسان :

راقت على البيض الحسا   ن بحسنها وبهائهـــــا

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفَارىّ ، حدثنى عُمَر الشَّمَّرىُّ ، قال : قيل لعمرو بن عُبيد (١) : ما البلاغة ؟ قال : مابَلَغَ بك الجنّة ، وعدَلَ بك عن النّار ، وما بصَّرَك مواقعَ رُشْدِك وعواقبَ غَيِّك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَن لم يُحسِنْ أن يسكُتَ لم يُحسن أن يَستمِع ، ومَن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبىّ ﷺ : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياء بِكَاءٌ » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بَكِئٌ . وكانوا يكرَهون أن يزيد منطِقُ الرجُل على عقْله . قال : قال السائل : ليس هذا أُريد . قال : كانوا يخافون مِن فِتنة القول ، ومن سَقَطات الكلام ، ما لا يخافون من فِتنة السكوت ومن سَقَطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنَّك إنّما تريد تخيُّر اللّفظ (٢) ، فى حسن الإفهام ، قال : نعم . قال : إنك إنْ أُوتيتَ تَقريرَ حُجّة الله فى عقول المكَلَّفِين (٣) ، وتخفيفَ المَؤُونة على المستمعين ، وتزيينَ تلك المعانى فى قلوب المريدينَ ، بالألفاظِ المستحسَنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً فى سُرعة استجابتهم ، ونَفْىِ الشّواغِلِ عن قلوبهم بالموعظة الحسنة ، على الكِتاب والسّنّة ، كنْتَ قد أُوتِيتَ فَصلَ الخِطاب ، واستوجبتَ (٤) على الله جزيلَ الثّواب . قلت لعبد الكريم : مَن هذا الذى صَبَر له عَمروٌ هذا الصّبر ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كَان يجترِئ عليه هذه الجُرأة إلاّ حفص بن سالم .

قال عُمَر الشَّمَّرِى : كان عمرو بن عُبيدٍ لا يكاد يتكلّم ، فإذا تكلّم لم يكَدْ ٧٢

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٠) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « تحيير اللفظ » .

(٣) فى الأصول : « المتكلمين » ، صوابه من عيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٤) وكذا فى عيون الأخبار : « واستوجبت » . وفى ل : « واستحققت » .

يُطيل . وكان يقول : لا خير فى المتكلِّم إذا كان كلامه لَمنْ شهِدَه دونَ نفسه. وإذا طال الكلامُ عرضَت للمتكلِّم أسبابُ التَّكلف ، ولا خيرَ فى شىءٍ يأتيك به التكلُّف .

وقال بعضهم — وهو مِن أحسَن ما اجتَبَيْناه ودَوَّنّاه — لا يكون الكلامُ يستحق اسمَ البلاغة حتَّى يسابقَ معناه لفظَه ،ولفظُهُ معناه ، فلا يكونَ لفظُه إلى سمعك أسبَقَ من معناه إلى قلبك .

وكان مُوَيْسُ بن عمران (١) يقول : لم أرَ أنطَقَ من أيّوبَ بنِ جعفر ، ويحيى بنِ خالد .

وكان ثُمامةَ يقول : لم أر أنطَقَ من جعفرِ بنِ يحيى بن خالد .

وكان سهلُ بن هارونَ يقول : لم أر أنطَقَ من المأمونِ أميرِ المؤمنين .

وقال ثُمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكُتّابِه : « إن استطعتم أن يكون كلامُكم كله مِثلَ التّوقيع فافعلوا » .

وسمعت أبا العتاهِيَة يقول : « لو شئتُ أن يكون حديثى كلُّه شعراً موزوناً لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قُوهىّ (٢) : لم يفسِّر البلاغَة تفسيرَ ابنِ المقفَّع أحدٌ قَطُّ . سُئِل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجرِى فى وجوهٍ كثيرة.

---

(١) مويس بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، ومن أصحاب النظام. سئل عنه أبو شعيب القلال فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس . انظر البخلاء ٥٨ . وفى القاموس « ومويس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم » . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٨) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى ، قال الخطيب فى تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان بن خريم .. وأبوه خريم الموصوف بالناعم » . ثم قال : وله مدائح فى محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما » . وما سيرويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أورده العسكرى فى الصناعتين ١٤ وفسره تفسيرا .

فمنها ما يكون فى السُّكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الإشارة ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سَجعْا وخُطبا ، ومنها ما يكون رسائل . فعامّةُ ما يكون من هذه الأبوابِ الوحىُ فيها ، والإشارةُ إلى المعنى (١) ، والإيجازُ ، هو البلاغة . فأمّا الخُطَب بين السِّماطَين ، وفى إصلاح ذاتِ البَين ، فالإكثارُ فى غير خَطَل ، والإطالةُ فى غير إملال . وليكن فى صدر كلامك دليلٌ على حاجتك ، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذى إذا سمِعْتَ صدْرَه عرَفْتَ قافيتَه كأنّه يقول : فَرِّقْ بينَ صدر خطبة النكاح وبين صَدْر خُطْبة العيد ، وخُطبة الصُّلْح وخُطبة التّواهُب (٢) ، حتّى يكونَ لكلِّ فنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجُزِه ؛ فإنّه لا خيرَ فى كلامٍ لا يدلُّ على معناك ، ولا يشير إلى مَغْزَاك ، وإلى العَمود الذى إليه قصدتَ ، والغرضِ الذى إليه نزَعت . قال : فقيل له : فإنْ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التى ذكَرْتَ أنّها حقُّ ذلك الموقِف ؟ قال : إذا أعطَيْتَ كلَّ مَقامٍ حَقَّه ، وقمتَ بالذى يجبُ ٧٣
من سياسة ذلك المقام ، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ ؛ فإنّه لا يرضيهما شىءٌ . وأمّا الجاهلُ فلستَ منه وليس منك . ورِضاَ جميعِ النّاسِ شيءٌ لا تنالُه .وقد كان يُقال : « رضا النّاسِ شىءٌ لا يُنال » .

قال : والسُّنّة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ ويقصِّر المُجيب . ألا تَرَى أنّ قيسَ بنَ خارجةَ بنِ سِنانٍ (٣) ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤَخِّرةَ راحلَتَي الحامِلَيْن فى شأن حَمَالة داحسٍ والغبْراء (٤) ، وقال : مالى فيها أيُّها

(١) فى الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدا ل : « المواهب » .

(٣) ضرب الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل فى الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء =

العَشَمتان [١] ؟ قالا له : بل ما عندك ؟ قال : عندِى قِرى كلِّ نازل ، ورِضا كلِّ ساخط ،وخطبةٌ من لدُن تطلُع الشّمس إلى أن تغرُب ، آمُرُ فيها بالتّواصلُ وأنْهَى فيها عن التَّقاطُع . قالوا : فخطب يوماً إلى اللّيل فما أعادَ فيها كلمةً ولا معنىً،فقيل لأبى يعقوب [٢] : هلاَّ اكتَفَى بالأمر بالتّواصُل عن النّهى عن التّقاطع ؟ أوَ ليس الأمرُ بالصّلَة هو النّهىَ عن القطيعة ؟ قال : أو ما علِمْتَ أنّ الكنايةَ والتعريض لا يعملانِ فى العقول عملَ الإفصاح والكَشْف [٣] .

قال : وسُئِل ابنُ المقفَّع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصَعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدَنى خطبةُ النّكاح [٤] » . قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قُربَ الوجوه من الوجوه ، ونَظَر الحِداق من قُربٍ فى أجواف الحِداق . ولأنّه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنّهم نُظَراءُ وأكْفاءٌ ، فإذا عَلَا المِنبرَ صارُوا سُوقَةً ورَعِيّةً .

وقد ذهب ذاهبونَ إلى أنّ تأويلَ قولِ عمرَ يرجع إلى أنّ الخطيب لا يجد بُداً من تزكية الخاطب ، فلعله كرِه أن يمدَحه بما ليس فيه ، فيكونَ قد قال زُوراً وغَرَّ القومَ من صاحبِهِ . ولعمرى إنّ هذا التأويل لَيجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخَطابة . فأمّا عمرُ بنُ الخطّاب ، رحمه الله ، وأشباهُه من الأئمة الراشدين ، فلم يكونوا ليتكلّفوا ذلك إلا فيمن يستحقّ المدح .

= الأغانى (٧ : ١٤٣) والعقد (٣ : ٣١٣) ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٤٣) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٥٩ / ٢ : ٥١) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذى تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ١١٥ .

(٣) فيما عدا ل : « والتكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعد به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مِخْنَف (١) ، عن الحارث الأعور (٢) ، قال : « واللهِ لقد رأيتُ عليًّا وإنّه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارِبا كمُسالم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثمُ بن عِدِىّ : لم تكن الخطباءُ تخطب قُعوداً إلاّ فى خُطْبة النكاح . ٧٤

* * *

وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخُطَبِ يومَ الحَفْل ، وفى الكلام يوم الجَمْع آىٌ من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاءَ والوَقار ، والرِّقة ، وسَلَس الموقِع (٣) .

قال الهيثم بن عدىّ : قال عِمران بن حِطّان : إنّ أوّلَ خطبةٍ خطبتُها ، عند زياد — أو عند ابن زياد (٤) — فأُعجِبَ بها النّاس ، وشهدها عَمِّى وأبى . ثم إنِّى مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطَبُ العربِ لو كان فى خطبته شىءٌ من القرآن .

وأكثرُ الخُطباء لا يتمثّلون فى خطبهم الطِّوالِ بشىءٍ من الشّعر ولا يكرهونه فى الرسائل ، إلاّ أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مُؤمَّل بنَ خاقانَ ، وذكر فى خطبته تميمَ بن مُرّ ، فقال : « إنّ

---

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى . شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . روى عنه المدائنى ، وعبد الرحمن ابن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال على فى حرب صفين ، وكان جهير الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدا ل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدا ل : « أو قال عند ابن زياد » .

تميماً لها الشَّرفُ العَوْدُ (١) ، والعزُّ الأقعَس ، والعدد الهَيْضَل (٢) . وهى فى الجاهليّة القُدّامُ ، والذِّروةُ والسَّنام . وقد قال الشاعر :

فقلتُ له وأنْكَرَ بعضَ شأنِى ألم تعرِفْ رِقابَ بنى تميمِ

وكان المؤمَّل وأهلُه يخالفون جُمهور بنى سعدٍ فى المقالة ، فلِشدةّ تَحَدُّبه على سَعْدٍ وشفقته عليهم ، كان يناضِل عند السُّلطان كلَّ مَن سعى على أهل مقالتهم ، وإن كان قولُه خلافَ قولهم ؛ حدَباً عليهم .

وكان صالح المُرِّىّ ، القاصُّ العابد ، البليغ ، كثيراً ما ينشد فى قَصَصه وفى مواعظه ، هذا البيت :

فباتَ يُرَوِّى أُصولَ الفسيلِ فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجُلْ (٣)

وأنشد الحسنُ فى مجلِسه ، وفى قَصَصه وفى مواعظه :

ليس مَن ماتَ فاستراحَ بميْتٍ إنما الميت ميت الأحياء (٤)

وأنشد عبدُ الصمد بن الفَضْل بن عيسى بن أبانٍ الرَّقاشىُّ ، الخطيب القاصُّ السَّجّاع ، إمّا فى قَصَصه ، وإمّا فى خُطْبة من خُطَبه ، رحمه الله :

أرضٌ تخيَّرها لِطيب مَقِيلِها كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِّ دُوَادِ (٥)
جَرَتِ الرِّياحُ عَلَى مَحلِّ دِيارِهم فكأنَّهُــمْ كانـوا على مِيعـادِ
فأَرَى النعيمَ وكُلَّ ما يُلهَى به يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ (٦)

---

(١) فى هامش هـ : « ح : العد » . والشرف العود ، بفتح العين : القديم . قال الطرماح :

هل المجد إلا السودد العود والندى ورأب الثأى والصبر عند المواطن

(٢) العز الأقعس : الثابت المنيع . والعدد الهيضل : الكثير .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٤) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى ٥١ . وانظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة فى المفضليات (٢ : ١٦ – ٢٠) . والثانى والأخير منها ليس فى ل .

(٦) الرواية المعروفة كما فى المفضليات : « فإذا النعيم » .

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن [١] على منبر البصرة فى العيد وأنشد فى خطبته : ٧٥

أين الملوكُ التى عن حَظِّها غَفلَتْ حتَّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقيها
تلك المدائنُ بالآفاقِ خاليةً أمست خلاءً وذاق الموتَ بانِيها

قال : وكان مالكُ بن دينارٍ [٢] يقولُ فى قَصَصه : « ما أشَدَّ فِطام الكبير ». وهو كما قال القائل :

وتَرُوضُ عِرسَكَ بعدما هَرِمَتْ ومن العَنَاءِ رياضة الهَرِمِ [٣]

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القُدُّوس :

والشيخُ لا يترُكُ أخلاقَه حتَّى يُوارَى فى ثرَى رَمْسِهِ [٤]
إذا ارعَوَى عادَ إلى جَهْله كذى الضَّنَى عاد إلى نُكْسِه

وقال كلثومُ بن عمرٍو العَتَّابىّ :

وكنتَ امرأً لو شئْتَ أن تَبلُغ المدى بَلَغْتَ بأدنَى نعمةٍ تستديمُها
ولكن فِطامُ النَّفسِ أثقَلُ مَحْمَلاً من الصَّخرةِ الصَّمَّاء حين تَرومُها

* * *

وكانوا يَمْدحون الجهيرَ الصّوتِ ، ويذُمُّون الضَّئيلَ الصَّوت ؛ ولذلك تشادقوا

---

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبى الحر العنبرى البصرى ، كان من قضاة البصرة وفقهائها العالمين بالحديث . توفى بالبصرة سنة ١٦٨ . وتهذيب التهذيب والسمعانى ٤٠٠ . وسيأتى فى قول الجاحظ ص ٢٩٤ : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال بن أبى بردة ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبى رباح » . فيما عدا ل ، هـ : « عبد الله بن الحسن » تحريف

(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، وكان من كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفى نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٩٧ — ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزى كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيوان (١ : ٤١ / ٣ ١٠٢) .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) .

فى الكلام ، ومدَحُوا سَعة الفم ، وذمُّوا صِغَر الفم .

قال : وحدّثنى محمد بن يَسيرٍ الشّاعر قال : قيل لأعرابىّ : ما الجمال ؟ قال : طُولُ القامة وضِخَم الهامة ، ورُحب الشِّدق ، وبُعْد الصوْت .

وسأل جعفرُ بن سليمانَ أبا المِخشّ عن ابنه المِخَشّ ، وكان جَزِع عليه جزعاً شديداً ، فقال : صِفْ لى المِخشّ . فقال : كان أشدق خُرطُمانيًا [١] ، سائِلاً لعابُه ، كأنّما ينظر من قَلْتَيْن [٢] ، وكأنَّ تَرقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالِفَةٌ [٣] ، وكأن مَنْكِبَه كِرْكِرةُ جملٍ ثَفَالٍ [٤] . فقأ اللهُ عينىَّ إن كنتُ رأيتُ قبلَه أو بعدَه مِثلهُ [٥] .

قال : وقلتُ لأعرابىٍّ : ما الجمال ؟ قال : « غُؤُور العَينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الشِّدقين » .

وقال دَغْفَل بن حنظلة النسّابة ، والخطيب العلاّمة ، حين سألَه معاوية عن قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بنى مخزوم قال : « مِعْزَى مَطيرةٌ [٦] ، علَتْها قُشَعْريرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإن فيهم تشادُقَ الكلام ، ومصاهرةَ الكرام [٧] » .

وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقهُ وكلُّ خطيبٍ لا أبالَكَ أشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

---

(١) الخرطمانى ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة فى الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود فى الخباء فى مقدمه . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى خف . والثفال ، كسحاب : البطىء .

(٥) الخبر فى الكامل ١٣٦ ليبسك وأمالى ثعلب ٦١٦ . وسيعيده الجاحظ فى (٢ : ٢٧١) .

(٦) المعزى تؤنث وتذكر ، ففيها التنوين وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٧) الخبر فى الحيوان (٦ : ٤٦٠) .

وضُلع الرُّؤوس عِظام البُطون   رِحاب الشِّداق غلاظ القَصَرْ (١)

قال : وتكلَّم يوماً عند معاويةَ الخطباءُ فأحسنوا ، فقال : واللهِ لأرمينهمْ بالخطيب الأشدَق ! قم يا يزيدُ فتكلَّمْ .

وهذا القولُ وغيرُه من الأخبار والأشعار ، حُجّةٌ لمن زَعم أنّ عمرو بن سعيدٍ لم يُسمَّ الأشدقَ للفَقَم ولا للفَوَه .

وقال يحيى بن نوفل ، فى خالد بن عبد الله القسرىّ (٢) :

بَلَّ السّراويلَ مِن خوفٍ ومن وَهَلٍ   واستَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ فى الهَرَبِ
وألحَنُ النّاسِ كلِّ النّاسِ قاطبةً   وكان يُولَع بالتشديق فى الخُطَبِ

ويدلُّك على تفضيلهم سَعةَ الأشداقِ ، وهجائهم ضيقَ الأفواه، قول الشاعر :

لحى اللهُ أفْواهَ الدَّبَى مِن قَبيلَةٍ   إذا ذُكرت فى النّائبات أمورُها

وقال آخر :

وأفواهُ الدبى حامَوْا قليلاً   وليس أخو الحِمايةِ كالضَّجُورِ

وإنّما شبّهَ أفواهَهم بأفواه الدَّبَى ، لصِغَر أفواههم وضيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عَبْدة بن الطبيب (٣) حُيَىَّ بن هَزّالٍ وابنَيه ، فقال :

تدعو بُنَيَّيْكَ عَبّاداً وحِذيمَـةً   فا فأرةٍ شجَّها فى الجُحْرِ مِحفَارُ (٤)

---

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدتها قصرة . هـ : « طوال القصر » .

(٢) كان خالد القسرى قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلى صاحب المغيرية ، ففزع لذلك . ويروى الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . وانظر ما سيأتى فى (٢ : ٢١٦) .

(٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطبيب — واسم الطبيب يزيد — بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى ابن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذى حارب الفرس بالمدائن .

(٤) انظر هذا البيت فى أبيات رواها فى الحيوان (٥ : ٢٦٣ — ٢٦٤) : شجها ، أى شج الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمحفر والمِحْفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً (١)] جهيرَ الصوت . وقد مُدح بذلك ؛ وقد نفَع اللهُ المسلمينَ بجهارة صوته يوم حُنين ، حين ذهَب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباسُ : يا أصحابَ سُورةِ البقَرة (٢) ، هذا رسول الله . فتراجَعَ القومُ . وأنزل اللهُ عزّ وجلّ النّصرَ (٣) وأتى بالفتح .

ابنُ الكلبيِّ عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قَيسُ بنُ مَخْرَمةَ بنِ المطَّلب بن عبد مناف ، يمكُو حَولَ البيت ، فيُسمَع ذلك من حِرَاء . قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ، فالتصدية : التصفيق .والمُكاء : الصَّفيرُ أو شبيهٌ بالصَّفير . ولذلك قال عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركت مُجدَّلاً   تمكُو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

وقال العُجَيْرُ السَّلُوليُّ (٥) في شِدّة الصوت :

ومِنْهنَّ قَرعِى كلَّ بابٍ كأنّما   به القومُ يَرجُونَ الأَذِينَ نُسُورُ (٦)
فجئتُ وخَصْمِى يَصدِفُونَ نُيوبَهم   كما قُصِّبَت بين الشّفَار جَزُور (٧)
لدى كلِّ موثوق به عندَ مِثْلها   له قدمٌ في النّاطقين خطيرُ
جهيرٌ وممتدُّ العِنانِ مُناقِلٌ   بصيرٌ بعَوْرات الكلامِ خبيرُ (٨)

---

(١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة : وهذه التكملة مما عدا ل .

(٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هى الشجرة التى تمت عندها بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) فى كتب التاريخ والسيرة .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « النصرة » .

(٤) قيس بن مخرمة : أحد الصحابة . وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .

(٥) العجير ، ويقال أيضاً « العجير » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨) والأغانى (١١ : ١٤٦ ـــ ١٥٤) .

(٦) الأذين والآذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات فى الحيوان (٤ : ٢٩١) ، وأمالى ثعلب والأغانى (١١ : ١٤٦ – ١٥٤) .

(٧) الخصم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرقه فسَمِع له صوتا . قصبت : قطعت .

(٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فظَلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلقًى كأنّه   سَلَى فرسٍ تحتَ الرِّجال عقير (١)
لوَ آنّ الصُّخورَ الصُّم يَسمَعن صَلْقَنا   لَرُحْنَ وفى أعراضِهن فُطور (٢)

الصَّلْقُ : شدة الصوت . وفُطُور : شقوق .

وقال مُهلْهِل :

ولولا الرِّيح أُسْمِعَ أهلُ حَجْرٍ   صَليلَ البَيض تُقرَعُ بالذكورِ (٣)

والصَّريف : صوت احتكاك الأنياب ، والصَّليل:صوت الحديد هاهنا.وفى شِدَّة الصَّوت قال الأعشى (٤) فى وصف الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّماحة والنجـ   ـدَةُ جَمْعاً والخَاطبُ الصَّلّاقُ (٥)

٧٨ وقال بشّار بن برد فى ذلك يهجو بعضَ الخطباء :

ومِن عجَب الأيام أنْ قمتَ ناطقاً   وأنتَ ضئيلُ الصّوت منتفخ السَّحْرِ

ووقع بين فتًى من النَّصارى وبين ابن فِهْريز المِطران كلامٌ ، فقال له الفتى : ما ينبغى أن يكون فى الأرض رجلٌ واحدٌ أجهلَ منك ! وكان ابنُ فِهْريز (٦) فى نفسه أكثرَ النّاسِ علماً وأدباً ، وكان حريصاً على الجَثْلقِة . فقال للفتى : وكيف

---

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلى : الجلدة التى يكون فيها الولد.وفى البيت إقواء .

(٢) الأعراض : الجوانب والنواحى .

(٣) حجر ، بالفتح : قصبة اليمامة . والبيض بالكسر : السيوف ، جمع أبيض.وبالفتح جمع بيضة الحديد التى تقى الرأس .وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم المرزبانى ٣٣١ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة (٢ : ٥٠) والأغانى (٤ : ١٤٦)،فيما عدا ، هـ : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية فى هامش ل .

(٤) فيما عدا ل : « يقول الأعشى » .

(٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق ». انظر اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فهريز ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مِطران حران ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التى يقول بها اليعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ليبسك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقة بالجزء السابع منه .

حلَلْتُ عندَك هذا المحلَّ ؟ قال : لأنّك تَعلم أنّا لا نتّخذ الجاثَلِيقَ (١) إلاَّ مَدِيدَ القامة ، وأنت قصيرُ القامة ؛ ولا نتّخذه إلاّ جهيرَ الصوت جيِّد الحَلق ، وأنت دقيق الصَّوت رديء الحلْق (٢) ؛ ولا نتَّخذه إلاّ وهو وافرُ اللِّحية عظيمُها وأنت خفيفُ اللِّحية صغيرها ؛ وأنت تعلم أنّا لا نختار للجَثْلَقة إلاّ رجلاً زاهداً فى الرِّياسة ، وأنت أشدُّ النَّاس عليها كَلَباً ، وأظهرهُم لها طلباً . فكيف لا تكونُ أجهَلَ النّاسِ وخصالُك هذه كلُّها تمنع من الجثْلقة ، وأنتَ قد شَغلْتَ فى طلبها بالَكَ ، وأسهرت فيها لَيْلَك .

وقال أبو الحَجْناء (٣) فى شِدَّة الصوت :

إنى إذا مازبّبَ الأشداقُ(٤) والتجَّ حولِى النّقْع واللَّقْلاقُ (٥)

* ثَبتُ الجَنانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ *

المِرْجم : الحاذق بالمراجمة (٦) بالحجارة . والوَدَّاق : الذى يُسيل الحجارةَ كالوَدْق من المطَر .

وجاء فى الحديث : « مَن وُقِيَ شَرّ لَقلقِه وقَبْقَبه وذَبذَبه وُقِيَ الشرّ » . يعنى لسانَه وبطنَه وفرْجه .

وقال عمر بن الخطاب فى بَواكى خالدِ بن الوليد [بن المغيرة (٧)] : « وما عليهنَّ

---

(١) فى هامش هـ : « الجاثليق عندهم : القسيس الأكبر الذى لا يقطع الأمر دونه والمطران دون ذلك » .

(٢) فى النسخ : « الخلق » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، تصحيف . وفى الحيوان (٣ : ٤٣٥) : « وفى السند حلوق جياد » . وفى رسائل الجاحظ ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(٣) أبو الحجناء ، هو نصيب الأصغر ، مولى المهدى ، وكانت له بنت تسمى « حجناء » . وهو القائل فى الفضل بن يحيى :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

الأغانى (٢٠ : ٢٥ — ٣٤) .

(٤) زبب الأشداق : ظهر عليها الزبد . والرجز فى اللسان (زبب ، لقق) .

(٥) اللقلاق واللقلقة : الصوت والجلبة .

(٦) ل : « بالمواجهة » صوابه فى سائر النسخ .

(٧) هذا مما عدا ل .

أن يُرِقن مِن دموعهنّ على أبى سُليمان ما لم يكن نَقْع أو لَقلَقةٌ (١) » .

وجاء فى الأثر : « ليس منا مَن حَلَق أو صَلَق ، أو سَلَق ، أو شَقَّ (٢) » .

ومما مَدَح به العُمانىُّ هارونَ الرّشيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قولُه :

جَهيرِ العُطَاس شَديد النِّيـاطِ　　جَهِير الـرُّوَاء جَهيـرُ النَّغَـمْ

ويخطو على الأَيْنِ خَطْوَ الظّليمِ　　وَيعلُـو الرّجـالَ بجسمٍ عَمَـمْ

النِّياط : معاليق القلب . والأَينُ : الإعياءُ . والظّليم : ذكر النعام . ٧٩

ويقال إنه لعَمَم الجسم ، وإن جسمَه لعَمَمٌ ، إذا كان تامًّا . ومنه قيل نبتٌ عمم . واعتمَّ النّبت ، إذا تَمّ .

وكان الرَّشيد إذا طاف بالبيت جعَلَ لإزاره ذنبَيْنِ عن يمينٍ وشِمالٍ ، ثمّ طاف بأوسَعَ مِن خطو الظّليم ، وأسرعَ من رَجْعِ يدِ الذّئب .

وقد أخبرنى إبراهيم بن السِّندىّ بمحصول ذَرْع ذلك الخَطْو ، إلا أنى أحسِبه فراسخَ فيما رأيته يذهب إليه .

وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرابىٌّ فى تلك الحال [والهيئة (٣)] فقال :

* خَطوَ الظّليمِ رِيع مُمْسًى فانشمَرْ *

رِيع : فُزِّع . مُمسًى : حين المَساء . انشمر : جَدّ فى الهرب .

وحدَّثنى إبراهيم بن السِّندىّ قال : لما أُتِى عبدَ الملك بن صالحٍ وفدُ الرّوم وهو فى بلادهم (٤) ، أقام على رأسه رجالاً فى السِّماطين لهم قَصَرٌ وهامٌ ، ومناكبُ وأجسام ، وشواربُ وشعور ، فبيناهم قيامٌ يكلِّمونه ومنهم رجلٌ وجهُه فى قفا

---

(١) فسر « النقع » فى اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الخدود إذا ضربت ؛ أو وضعهن النقعَ ، وهو الغبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفى حواشى هـ : « ليس فى الحديث أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لغتان بمعنى »

(٢) الصلق : الصياح والولولة . والسلق مثله ، أو خمش الوجوه عند المصيبة .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل : « فى البلاد » .

البِطْرِيق إذْ عَطَس عَطسةً ضئيلة ، فلحظه عبدُ الملك ، فلم يدر أىَّ شيء أنكَرَ منه ، فلما مضى الوفدُ قال له : ويلَكَ ، هَلا إذْ كنتَ ضيِّق المنخر كزَّ الخَيْشوم ، أتبَعْتَها بصيحةٍ تخلع بها قلب العِلْج ؟!

وفى تفضيل الجَهارة فى الخُطب يقول شَبَّةُ بن عِقَالٍ (١) بعَقِبِ خطبته عند سليمانَ بنِ علىّ بن عبد الله بن عباس :

ألا ليتَ أمَّ الجهم واللهِ سامعٌ ... ترى ، حيثُ كانت بالعراق ، مَقامى
عشيّةَ بَذَّ الناسَ جهرى ومَنْطِقِى ... وبَذَّ كلامَ النَّاطقين كلامى

وقال طحلاءُ يمدح معاويةَ بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ المنابر وثَّابُها ... مِعَنٌّ بخُطبته مِجْهَرُ
تَرِيعُ إليه هَوادى الكلامِ ... إذا ضَلَّ خُطبتَه المِهْذَرُ

مِعَنٌّ : تَعِنّ له الخطبة فيخطُبُها مقتضِباً لها . تَرِيع : ترجع إليه . هوادى الكلام : أوائله . فأراد أنَّ معاويَةَ يخطب فى الوقت الذى يذهب كلامُ المِهْذَر فيه . والمِهْذَرُ : المِكْثارُ . ٨٠

وزعموا أنّ أبا عطيّةَ عُفَيفاً النَّصرىّ ، فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نَصر ، لمّا رأى الخيل بعَقْوته يومئذ دَوَائِسَ (٢) نادى : ياصَباحاه ! أُتِيتم يابنى نَصر . فألقت الحَبالَى أولادَها مِن شدّة صوته . قالوا : فقال ربيعةُ ابن مسعودٍ (٣) يصف تلك الحربَ وصوتَ عُفَيف (٤) :

---

(١) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ٨٥٥ . وروى ابن سلام ١٥٩ أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه .

(٢) العقوة : ما بين الدار والمحلة . دوائس : جمع دائس . فيما عدا ل ، هـ : « وأيس » .

(٣) فى نهاية الجزء الأول من كامل ابن الأثير : « ربيعة بن سفيان » .

(٤) بضم العين وفتح الفاء ، كما ضبطه ابن الأثير . وضبط فى هـ بفتح العين .

عُقاماً ضَرُوساً بين عوفٍ ومالك   شديداً لَظَاها تترك الطِّفلَ أشْيَبا
وكانت جُعَيلٌ يوم عَمْرٍو أراكـةٍ   أُسودَ الغَضَى غَادَرْنَ لحماً مُتَرَّبا (١)
ويومٍ بِمَكْرُوثاءَ شَدَّتْ مُعَتِّبٌ   بِغاراتِها قد كان يوماً عَصَبْصَبَا (٢)
فأسقَطَ أحبالَ النِّساء بصوته   عُفَيفٌ وقد نادى بنصرٍ فَطَرَّبا (٣)

وكان أبو عروة ، الذى يقال له أبو عُروةِ السِّباع (٤) ، يصيح بالسَّبُع وقد احتمَل الشَّاة ، فيخلِّيها ويذهبُ هاربا على وجهِه (٥) . فضرب به الشّاعرُ المثَلَ — وهو النابغةُ الجعدىّ — فقال :

وأَزْجُر الكاشحَ العدُوَّ إذا اغْـ   ـتابَكَ عندى زَجْراً على أضَمِ (٦)
زَجْرَ أبى عُروةَ السِّباعَ إذا   أشفَقَ أن يلتَبِسْنَ بالغَنَمِ

وأنشد أبو عمرٍو الشّيبانىُّ لرجلٍ من الخوارج يصف صيحةَ شبيبِ بن يزيد بن نُعَيم (٧) . قال أبو عبيدة وأبو الحَسَن (٨) : كان شبيبٌ يصيح فى جنَبات

---

(١) عمرو وأراكة : موضعان .

(٢) مكروثاء ، بفتح أوله : موضع . والعصبصب : الشديد .

(٣) الأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة : هـ : « لدن نادى » .

(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره . وفى التيمورية فقط : « السباح » .

(٥) فى اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت ، ويزجر الذئب فيموت مكانه ، فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه ! » .

(٦) الأضم : الغضب . وفى اللسان (١٩ : ٢٨٠) : « على وضم » تحريف .

(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل — دجيل الأهواز لادجيل بغداد — فغرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجته غزالة على الحجاج فى الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان — وكان الحجاج قد لج فى طلبه — :

أسد علىّ وفى الحُروبِ نعامة   ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى   بل كان قلبك فى جناحَى طائر

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ والأغانى (١٦ : ١٤٩ / ٢١ : ٨) ووفيات الأعيان .

(٨) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى .

الجيش إذا أتاه ، فلا يَلوِى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :

إنْ صاح يوماً حسِبتَ الصَّخرَ منحدِراً   والرِّيحَ عاصفةً والموجَ يلتطمُ

قال أبو العاصى : أنشدنى أبو مُحرِز خلفُ بنُ حيَّانَ ،وهو خلفٌ الأحمر (١) مولى الأشعريِّين ، فى عيب التشادق :

له حَنْجرٌ رَحْبٌ وقول منقَّحٌ   وفَصْلُ خطابٍ ليس فيه تشادقُ (٢)
إذا كان صوتُ المرء خَلْفَ لَهاتِهِ   وأنْحَى بأشداقٍ لهنَّ شَقاشِقُ
وقبقَبَ يَحكِى مُقْرَماً فى هِبابِه   فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقُ (٣)

وقال الفرزدق :

* شقاشِقُ بين أشداق وهامِ (٤) *

وأنشد خلفٌ :

وما فى يديه غيرُ شِدقٍ يُميله   وشِقْشِقةٍ خَرساءَ ليس لها نَعْبُ
متَى رامَ قولاً خالفته سجيّةٌ   وضِرس كقَعْب القَينِ ثَلّمه الشّعْبُ

وأنشد أبو عمرٍو وابنُ الأعرابىّ :

وجاءت قريشٌ قريشُ البطَاح   هى العُصَبُ الأُوَلُ الدَّاخِلَهْ

---

(١) هو أبو محرز خلف بن حيان ، المعروف بالأحمر البصرى ، مولى أبى بردة بلال بن أبى موسى الأشعرى ، وهو معلم الأصمعى وأهل البصرة ، وأستاذ أبى نواس . توفى فى حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأريب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهى رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفحل المكرم . والهباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات فى ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهى :

نمتك قروم أولاد المعلى   وأبناء المسامعة الكرام
تخمط فى ربيعة بين بكر   وعبد القيس فى الحسب اللهام
اذا سمت القروم لهم علتهم   شقاشق بين أشداق وهام

يقودُهُم الفِيلُ والزَّنْدَبيلُ وذو الضِّرس والشَّفةِ المائلهْ (١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سَلَمة المخزوميّ الخطيب . الفيلُ والزَّنديل : أبان والحكم ابنا عبدِ الملك بن بشر بن مروان . يَعنى دُخُولَهم على ابن هبيرة . والزَّنديل : الأنثى من الفِيَلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سُحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذَّكر . فلم يقِفُوا من ذلك على شئ .

وقال الشاعر فى خالد بن سَلَمة المخزوميّ :

فما كان قائلَهم دَغْفَلٌ ولا الحيقُطَان ولا ذو الشَّفَهْ

قوله « دَغفل » يريد دَغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسب . والحَيْقُطَان : عبدٌ أسودُ ، وكان خطيباً لا يُجارَى .

وأنشد بعضُ أصحابِنا (٢) :

وقافيــةٍ لجْلجتُهــا فرددتها لِذى الضرس لو أرسلتُها قَطرتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولُرُبَّما كان نزْعُ ضِرسٍ أيسرَ علىَّ من أن أقول بيت شعر .

قال : وأنشدنا منيع :

فجئتُ ووَهبٌ كالخَلاة يضمُّها إلى الشِّدق أنيابٌ لهنّ صريفُ (٣)
فقَعقعتُ لَحيَىْ خالدٍ واهتضمتُه بحُجَّة خَصمٍ بالخصوم عنيفِ

أبو يعقوب الثَّقفى عن عبد الملك بن عميْر ، قال : سئل [الحارث] بن أبى ربيعة (٤)

---

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر الحيوان (٧ : ٨١) .

(٢) هـ : « وأنشد أصحابنا » .

(٣) الخلاة : واحدة الخلى ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » مما عدا ل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، وكان يلقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كان رجلا صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان حاول أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغانى (١ : ٤٧) .

عن علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه فقال : كم كان له ماشئتَ من ضرسٍ قاطعٍ فى العلم بكتاب الله ، والفقهِ فى السنّة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبَسطة فى العَشيرة ، والنَّجدة فى الحرب ، والبذلِ للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفِنى فَهًّا ولم تُلْفِ حُجّتى ملجلَجةً أبغِى لها مَن يُقيمُها [١]
ولا بتُّ أُزْجيها قَضِيباً وتَلتوِى أراوِغُها طوراً وطوراً أُضِيمُها [٢]

وأنشدنى أبو الرُّدينىّ العُكْلى :

فتىً كان يعلو مَفْرِقَ الحقِّ قولُه إذا الخطباءُ الصِّيد عَضَّل قِيلُها [٣]

وقال الخُرَيمىُّ فى تشادق علىّ بن الهيثم :

يا علىَّ بنَ هيثمٍ يا سُماقا قد ملأْتَ الدُّنْيا علينا نِفاقا [٤]
خلِّ لَحيَيْك يسكُنانِ ولا تضْـ ـرب على تغلِبٍ بلَحْيَيْك طاقا [٥]
لا تَشادَقْ إذا تكلّمتَ واعلمْ أنَّ للنّاسِ كلِّهم أشداقا

وكان علىُّ بن الهيثمِ جواداً ، بليغَ اللسان والقلم .

وقال لى أبو يعقوب الخُرَيمىّ [٦] : ما رأيت كثلاثةِ رجالٍ يأكلون الناس أكلاً حتّى إذا رأوا ثلاثةَ رجالٍ ذابوا كما يذوب الملح فى الماء ، والرّصاص فى النّار : كان هشام بن محمدٍ [٧] علّامةً نسّابة ، وراويةً للمثالب عيّابة ، فإذا رأى

---

(١) الفه : العى الذى لا يبين . والملجلجة : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان (قرن) .

(٢) أزجيها : أسوقها . والقضيب : المقتضبة ليس لها حسن . أضيمها : أنتقصها .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبراً . عضل ، هو من قولهم : عضلت الحامل ، إذا صعب خروج ولدها . وكتب فوقها فى هـ : « عضه » ، رواية أخرى .

(٤) سماق : لقب على بن الهيثم ، كما فى حواشى هـ . فيما عدا ل ، هـ : « علينا بقاقا » .

(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .

(٦) الخبر فى الأغانى (٢١ : ١٥٧) منقولا عن الجاحظ .

(٧) فيما عدا ل ، وكذا فى الأغانى : « هشام بن الكلبى » .

الهيثم بنَ عدىّ ذاب كما يذوب الرَّصاص فى النّار . وكان علىّ بن الهيثم (١) مِفْقَعانِيًّا (٢) صاحب تفقيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفِل بشاعرٍ ولا بخطيبٍ ، فإذا رأى مُوسَى الضبّىَّ ذابَ كما يذوب الرَّصاص عند النّار . وكان عَلّويه المغنِّى (٣) واحِدَ النّاسِ فى الرِّواية وفى الحكاية ، وفى صنعة الغِناء وجَوْدة الضَّرب ، وفى الإطراب وحسن الحَلْق ، فإذا رأى مُخارقاً (٤) ذاب كما يذوب الرَّصاص عند النار .

* * *

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبُعْد الصوت .

قال أبو عبيدة : كان عُروة بن عتبة بن جعفر بن كلابٍ ، رَديفاً للملوك (٥) ، ورحّالاً إليهم ، وكان يقال له عُروةُ الرَّحّال ، فكان يومَ أقبَلَ مع ابن الجَوْن ، يريد بنى عامر ، فلمَّا انتهى إلى وارداتٍ مع الصُّبح (٦) ، قال له عُروة : إنّك

---

(١) فى الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغانى . ولأجل « على بن الهيثم » ساق الجاحظ الخبر .

(٢) كذا وردت مضبوطة فى ل . وضبطت فى هـ بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة فى الأغانى : « حريفا » .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السغد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جداً فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلى بمديدة يسيرة ، الأغانى (١٠ : ١١٥ – ١٢٥) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ فى المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزاراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . الأغانى (٢١ : ١٤٣) .

(٥) المعروف فى هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك فى القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء فى الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرحّال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .

(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفتَ طولَ صحبتى لك ، ونَصيحتى إيّاك ، فائذَن لى فأهتِفَ بقومى هَتفةً . قال : نَعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يا صَبَاحَاه ! ثلاثَ مرّات . قال : فسمِعْنا شيوخَنا يزعمون أنّه أسمَعَ أهلَ الشِّعب ، فتلبَّبوا للحرب ، وبَعَثُوا الرَّبَايَا (١) ، ينظرون من أين يأتِى القوم .

قال : وتقول الرُّوم : لولا ضَجّة أهل رُومِيَّة وأصواتُهم ، لسَمِع النّاس جميعاً صوتَ وُجوب القُرْص فى المغْرِب (٢) .

وأعْيَبُ عندهم مِن دقّة الصوت وضِيق مخرَجِه وضعف قُوّته ، أن يعترِىَ الخطيبَ البُهْرُ والارتعاش ، والرِّعدة والعَرَق .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنة : تكلَّم صَعصعةُ عند معاويةَ فعرِقَ ، فقال معاوية : بَهَرك القول ! فقال صعصعة : « إنّ الجياد نَضّاحَةٌ بالماء » .

والفرس إذا كان سريعَ العرق ، وكان هَشًّا ، كان ذلك عَيْبا . وكذلك هو فى الكثرة ، فإذا أبطأ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كبا ؛ وهو فرسٌ كاب . وذلك عيبٌ أيضاً .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ ، لأبى مِسمارٍ العكلىّ ، فى شبيهٍ بذلك قولَه :

لله دَرُّ عامرٍ إذا نطَقْ ... فى حَفْلِ إمْلاك وفى تلك الحِلَقْ (٣)
ليس كقومٍ يُعْرَفون بالسَّرَقْ (٤) ... من خُطَب النّاس وممّا فى الوَرَقْ
يلفِّقُون القولَ تلفِيق الخَلَقْ (٥) ... مِن كلِّ نَضّاح الذِّفَارَى بالعَرَقْ
* إذا رمَتْه الخطباءُ بالحَدَقْ *

---

(١) الربايا : جمع ربيئة ، وهو العين والطليعة. وهذا ما فى ل . وفى هـ : « وعبوا » . وفى سائر النسخ : « وعسبوا » . وهذه محرفة .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى فى مكان الغروب. وانظر اللسان (سفر ٣٦) .

(٣) الإملاك : التزويج وعقد النكاح. وحلقة القوم ، تقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛ وجمعها حلق ، بالتحريك ، وبكسر ففتح .

(٤) السرق ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، هو السرقة. فيما عدا ل ، هـ : « بالشدق » تحريف .

(٥) ل : « الخرق » .

[والذِّفارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والذِّفريانِ للبعير ، وهما اللَّحمتان فى قفاه (١)] .

٨٤ وإنّما ذكر خطب الإملاك لأنّهم يذكرون أنّه يَعْرِض للخطيب فيها مِن الحَصَر أكثرُ ممّا يَعرِض لصاحب المِنبر. ولذلك قال عمرُ بن الخطّاب رحمه الله : « ما يتصعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدُنى خُطبة النكاح (٢)» .

وقال العُمَانىُّ :

لا ذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِى ولا بلجلاجٍ ولا هَيَّابِ

الهَشُّ : الذى يَجُود بعرقه سريعاً ؛ وذلك عَيب . والذَّفِرُ : الكثير العرق. والكابى : الذى لا يكاد يَعرق ، كالزَّنْد الكابى الذى لا يكاد يُورِى . فجعل له العُمانى حالاً بين حالين إذا خَطَب ، وخَبّر أنّه رابطُ الجأْش ، معاودٌ لتلك المقامات .

وقال الكميت بن زيد — وكان خطيباً — : « إنّ للخطبة صَعْداءَ (٣) ، وهى على ذى اللُّب أرْمَى » .

وقولهم : أرْمَى وأرْبَى سواءٌ ، يقال : فلان قد أرمَى على المائة وأربَى .

ولم أر الكميتَ أفصَحَ عن هذا المعنى ولا تَخلَّص إلى خاصّته . وإنّما يجترئ على الخطبة الغِرّ (٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يَثنيه شىءٌ ، أو المطبوع الحاذق ، الواثقُ بغَزارته واقتداره ، فالثّقة تنفِى عن قلبه كلَّ خاطرٍ يُورِث اللَّجلجة والنحنحة ، والانقطاعَ والبُهْر والعَرَق .

وقال عُبيد الله بنُ زياد ، وكان خطيباً ، على لُكْنة كانت فيه : « نِعم الشئ

---

(١) هذه التكلمة مما عدا ل .

(٢) تصعده الأمر وتصاعد به : شق عليه . وانظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما عدا ل : « الغمر » .

الإمارَةُ ، لولا قَعقعة البُرُد (١) ، والتشزُّن للخُطَبِ (٢) » .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَان : عَجِلَ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين ! قال : « وكيف لا يَعجَل عليَّ وأنا أَعرِضُ عَقْلِي على النَّاس فى كلِّ جُمُعةٍ مَرَّةً أو مرتين » . يعنى خطبةَ الجمعة وبعض ما يعرِض من الأمور .

وقال بعض الكلبيين (٣) :

فإذَا خطَبتَ على الرِّجال فلا تكن   خَطِلَ الكلام تقوله مُختالا (٤)
واعلَمْ بأنّ من السُّكوت إبانةً   ومن التكلُّم ما يكون خَبَالا (٥)

كلام بشر بن المعتمر

مرَّ بِشر بنُ المعتمر (٦) بإبراهيم (٧) بن جبلة بن مَخْرَمة السَّكونىّ الخطيبِ ، وهو يعلِّم فتيانهم الخَطابة ، فوقف بِشرٌ فظنّ إبراهيمُ أنّه إنّما وقَفَ ليستفيد أو ليكونَ رجلاً من النَّظّارة ، فقال بِشر : اضربُوا عمّا قالَ صَفْحا واطوُوا عنه كَشْحا . ثمّ دَفَع إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه ، وكان أوّل ذلك الكلام :

خُذْ من نفِسك ساعةَ نشاطِك وفراغِ بالك وإجابتِها إياك ، فإنّ قليل تلك الساعةِ أكرَمُ جوهراً ، وأشرَفُ حسَباً ، وأحسن فى الأسماع ، وأحلَى فى الصدور ، وأسلَمُ من فاحش الخطَاءِ ، وأجْلَبُ لكلِّ عين وغُرّةٍ ، مِن لفظٍ

---

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفى هامش ل : « خ : البريد » إشارة إلى ما فى نسخة أخرى . وفى هامش التيمورية ، هـ : « وإنما قال هذا لأن الوالى لا يدرى بما يأتيه من خير أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشزن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر فى نهاية (شزن) فى اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلبيين » حـ : « الكلابيين » .

(٤) ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٥) ل ، هـ : « التكلف » وكتب إزاءها : « خ : التكلم » . وهى رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٤١ . وبعدها فى ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) حـ : « لابراهيم » .

شريف ومعنىً بديع . وأعلَمْ أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يُعطيك يومُك الأطولُ ، بالكدِّ والمطاولة (١) والمجاهدة ، وبالتكلُّف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يُخطئْك أن يكون مقبولاً قَصْداً ، وخفيفاً على اللِّسان سهلاً ؛ وكما خرج من يَنبوعِهِ ونَجَم من مَعْدِنِه . وإياك والتوعُّرَ ، فإنّ التوعُّر يُسلمِكُ إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلِكُ معانيَكَ ، ويَشين ألفاظك . ومن أَرَاغَ معنىً كريماً فليلتمِسْ له لفظاً كريماً ؛ فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظُ الشّريف ، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهجِّنُهمَا ، وعماً تعودُ مِن أجله أن تكونَ أسوأَ حالاً مِنك قبل أن تلتمس إظهارَهُما ، وترتِهن نفسَك بملابستِهما وقضاءِ حقِّهما . فكُن فى ثلاثِ منازل ؛ فإن أُولَى الثلاث أن يكون لفظُك رشيقاً عذْبا ، وفخْماً سهلا ، ويكونَ معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إمّا عند الخاصَّة إنْ كنتَ للخاصَّة قصَدت ، وإمّا عند العامَّة إنْ كنتَ للعامَّة أردت . والمعنى ليس يشرُف بأن يكونَ من معانى الخاصَّة ، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكونَ من معانى العامَّة . وإنّما مَدارُ الشّرَف على الصوابِ وإحرازِ المنفعة ، مع موافَقة الحال ، وما يجب لكلّ مَقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العامّىّ والخاصّىّ . فإنْ أمكنَكَ أن تبلغ من بيان لسانِك ، وبلاغةِ قلمك ، ولُطف مَدَاخلك ، واقتدارِك على نفسك ، إلى أن تُفْهِم العامَّة معانىَ الخاصَّة ، وتكسُوَها الألفاظَ الواسطة (٢) التى لا تَلطُف عن الدَّهْماء ، ولا تَجفُو عن الأَكْفاء ، فأنت البليغ التامّ (٣).

قال بشر : فلما قُرِئت على إبراهيمَ قال لى : أنا أحوَجُ إلى هذا من هؤلاء الفتيان .

---

(١) ل : « والمكابرة » .

(٢) ل : « المبسوطة » .

(٣) وقع فى سائر النسخ اضطراب فى صحيفة بشر . ففيما عدا ل ، هـ قد وردت الصحيفة متتابعة لا يفصل بين فقرها شىء مما يلى . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قطُّ أَمْثَلَ طريقةً فى البلاغة من الكتّاب ؛ ٨٦ فإنهم قد التمَسُوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحْشيًّا ، ولا ساقطا سُوقيًّا . وإذا سمعتمونى أذكُر العَوامَّ فإنِّى لستُ أعنِى الفلّاحين والحُشْوَةَ (١) والصُّنَّاعَ والباعة ، ولستُ أعنى أيضاً الأكرادَ فى الجبال ، وسُكّانَ الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثلَ الببر (٢) والطَّيلسان (٣) ، ومثل مُوقَان وجِيلان (٤) ومثل الزَّنج وأشباه الزّنج . وإنّما الأمم المذكورون مِن جميع الناس أربع : العرب ، وفارسُ ، والهند ، والرّوم . والباقون همجٌ وأشباه الهَمج . وأما العوامّ مِن أهل مِلّتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطّبقة التى عقولُها وأخلاقُها فوقَ تلك الأمم ولم يبلُغوا منزلَة الخاصة منا . على أنّ الخاصةَ تتفاضل فى طبقاتٍ أيضاً (٥) .

ثم رجع بنا القولُ إلى بقيّة كلامِ بشرِ بن المعتمر ، وإلى ما ذَكَر من الأقسام (٦)

قال بشرٌ : فإن كانت المنزلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمَح (٧)

---

(١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم

(٢) ل : « اليبر » مع عدم نقط الحرف الثانى . وجاء فى تاريخ الطبرى (٥ : ٤٥) : « فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان » . وضبطت فى هـ بفتح أولها وكسره معا .

(٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحى الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة فى سنة ٣٤ . معجم البلدان .

(٤) قال ابن الكلبى : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن نوح . قال ياقوت فى موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعى ، فأكثر أهلها منهم » . وقال فى جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان .. وليس فى جيلان مدينة كبيرة ، إنما هى قرى فى مروج بين جبال » .

(٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدا ل ، هـ قبل : « وقال : وينبغى للمتكلم أن يعرف » . وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من النسختين هو الصحيح .

(٦) هذه العبارة من ل ، هـ فقط .

(٧) فيما عدا ل : « تسنح » .

لكَ عند أوَّل نظَرك وفى أول تكلُّفك ، وتجد اللّفظة لم تقع موقعَها ولم تَصِر إلى قرارها وإلى حقِّها من أماكنها المقسومة لها ، والقافيةَ لم تحُلَّ فى مركزها وفى نِصابها ، ولم تتَّصل بشكلها ، وكانت قلقةً فى مكانها ، نافرةً مِن موضعها ، فلا تُكرِهْها على اغتصاب الأماكن ، والنزولِ فى غير أوطانها ؛ فإنّك إذا لم تتَعاطَ قرضَ الشّعر الموزون ، ولم تتكلَّف اختيارَ الكلام المنثور ، لم يَعِبْك بترك ذلك أحد . فإنْ أنتَ تكلّفتهما (١) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحكِماً لشأنِك (٢) ، بصيراً بما عليك ومالَكَ ، عابَكَ مَن أنت أقلُّ عيباً منه ، ورأى مَن هو دونَك أنّه فوقَك .

فإن ابتُليت بأنّ تتكلفَ القولَ ، وتتعاطى الصنعةَ ، ولم تسمَح لكَ الطِّباعُ فى أوّل وَهلة (٣) ، وتعاصَى عليك بعْدَ إجالة الفكرة ، فلا تعجَلْ ولا تضْجَر ، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ ليلتِك ، وعاوِدْه عند نشاطِك وفراغ بالك ؛ فإنَّك لا تَعدم الإجابةَ والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعةٌ ، أو جرَيْتَ من الصِّناعة على عِرْق .

فإن تمنَّعَ عليك بعدَ ذلك من غير حادثِ شغلٍ عرَضَ ، ومن غير طولِ إهمال ، فالمنزلةُ الثّالثةُ أن تتحوّلَ من هذه الصناعةِ إلى أشْهَى الصناعاتِ إليك ، وأخفِّها عليك ؛ فإنَّك لم تشتهِهِ ولم تنازِعْ إليه إلاّ وبينَكما نسِب ، والشّئُ لا يحِنُّ إلاّ إلى ما يشاكلُه ، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ؛ لأن النفوسَ لا تجود بمكنونها معَ الرَّغبة ، ولا تُسْمح بمخزونها مع الرَّهْبةِ ، كما تجود به مع الشَّهوة والمحبّة . فهذا هذا .

وقال : ينبغى للمتكلِّم أن يعرِفَ أقدارَ المعانى ، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعينَ وبين أقدارِ الحالات ، فيجعلَ لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلاماً ، ولكلِّ

---

(١) فيما عدا ل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) ما عدا هـ : « لسانك » .

(٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو فى القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفى اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة . وقال أبو القاسم الزجاجى : الطباع واحد مذكر ، كالنحاس – بكسر النون فيهما – قال الأزهرى : ويجمع طبع الإنسان طباعاً » .

حالةٍ من ذلك مَقاما ، حتّى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدارَ المعانى على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات . فإن كان الخطيبُ متكلِّماً تجنَّبَ ألفاظ المتكلِّمين ، كما أنهّ إنْ عبّر عن شئ من صناعةِ الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلًا ، كان أولى الألفاظ به ألفاظَ المتكلمين إذْ كانوا لتلك العبارات أفهَمَ ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنَّ وبها أشغَف ؛ ولأنَّ كبارَ المتكلمين ورؤساءَ النظّارين كانوا فوقَ أكثرِ الخُطَباء ، وأبلَغَ من كثيرٍ من البلغاء . وهم تَخَيَّروا تلك الألفاظَ لتلك المعانى ، وهم اشتقُّوا لها مِن كلام العرب تلكَ الأسماءَ ، وهم اصطلحوا على تسميةِ ما لم يكن له فى لغة العرب اسمٌ ، فصاروا فى ذلك سلفاً لكلِّ خلف ، وقُدوةً لكلّ تابع . ولذلك قالوا العَرَض والجوهر ، وأَيْس وليس ، وفرَقوا بين البُطلان والتّلاشى ، وذكروا الهْذيّة والهُوِيةّ (١) وأشباهَ ذلك . وكما وضع الخليل بنُ أحمدَ لأوزان القصيد وقِصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعاريضَ بتلك الألقابِ ، وتلك الأوزانَ بتلك الأسماءِ ، كما ذكرَ الطَّويلَ ، والبسيطَ والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتادَ والأسباب ، والخَرْم والزِّحاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السِّناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا فى القصيد والرّجَز والسّجع والخُطَب ، وذكرُوا حروفَ الرّوىّ والقواف ، وقالوا:هذا بيتٌ وهذا مصراع . وقد قال جَندَلٌ الطهوىُّ (٢) حين مدح شعره :

* لم أُقْوِ فِيهن ولم أسانِدِ *

وقال ذو الرمّة :

٨٨ وشعرٍ قد أَرِقْتُ له غريبٍ   أجنِّبه المُسانَدَ والمُحَالا (٣)

---

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المثنى الطهوى .

(٣) ديوان ذى الرمة ٤٤٠ . فيما عدا ل : « أجانبه » .

وقال أبو حِزامٍ العُكْلىّ (١) :

بيوتاً نصبْنا لتقويمها جُذولَ الرَّبيئِينَ فى المَرْبَأه
بيوتاً عَلَى الهَا لَهَا سجحةٌ بغير السِّناد ولا المكْفَأه

وكما سمَّى النحويون ، فذكروا الحالَ والظُّروفَ وما أشبهَ ذلك ؛ لأنَّهم لو لم يضَعُوا هذه العلاماتِ لم يستطيعوا تعريف القَرويِّين وأبناء البلَديِّين علمَ العروض والنَّحو . وكذلك أصحابُ الحساب قد اجتلبوا أسماءً جعلوها علاماتٍ للتفاهُم .

قالوا : وقبيحٌ بالخطيب أن يقوم بخُطْبة العِيد أو يومَ السِّماطين ، أو على منبر جماعة ، أو فى سُدّة دار الخلافة ، أو فى يومِ جَمْعٍ وحفل ، إمّا فى إصلاح بين العشائر ، واحتمالِ دماء القبائل ، واستلالِ تلك الضَّغائنِ والسَّخائم ، فيقولَ (٢) كما قال بعضُ مَن خطَب على مِنبرٍ ضخمِ الشَّأنِ ، رفيعِ المكان : « ثم إنَّ الله عز وجل بعد أن أنشأ الخَلق وسوَّاهم ومكّن لهم ، لاشَاهم فتلاشَوْا (٣) » . ولولا أنَّ المتكلِّم افتقَرَ إلى أنِ يلفِظ بالتَّلاشى لكان ينبغى أن يُؤخَذَ فوق يده .

وخطَب آخَرُ فى وسط دار الخلافة ، فقال فى خطبته : « وأخرجَهُ الله من باب الليسيَّة ، فأدخله فى باب الأيسيَّة (٤) » .

وقال مَرَّة أخرى فى خُطبةٍ له : « هذا فرْقُ ما بين السَّارّ والضَّارّ ، والدَّفّاع والنَّفّاع » .

وقال مَرَّة أخرى : فَدلَّ ساتره على غامره ، ودلَّ غامره على منحلّه » .

---

(١) أبو حزام العكلى ، اسمه غالب بن الحارث ، كان أعرابياً فصيحاً يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى . قال الخوارزمى : « وشعره عويص ؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء ، وكان يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائى واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ – ١٤٦٧ .

(٢) بدلها فى ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالملاشاة الإفناء ، كأنه جعلهم كلا شئ .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفى اللسان : « أيس وليس ، أى من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيمُ بن السِّندىّ (١) يطير شِقَقاً(٢)، وينْقَدُّ غَيْظا (٣). هذا وإبراهيمُ من المتكلِّمين، والخطيبُ لم يكن من المتكلِّمين.

وإنَّما جازت هذه الألفاظُ فى صناعة الكلام حين عَجَزت الأسماءُ عن اتِّساع المعانى. وقد تَحسُنُ أيضاً ألفاظُ المتكلِّمين فى مثل شعرِ أبى نُوَاسٍ وفى كلِّ ما قالوه على وَجْه التَّظرُّف والتملح، كقول أبى نُوَاس:

وذات خدٍّ مُورَّد قُوهيّة المُتَجَرَّدْ (٤) ٨٩
تأمَّلُ العَيْنُ منها محاسناً ليس تنفَدْ
فبعضُها قد تَناهَى وبعضُها يتولَّدْ
والحسنُ فى كلِّ عضوٍ منها مُعادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله (٥):

يا عاقِدَ القلبِ مِنِّى هَلاَّ تذكرت حَلاَّ
تركت مِنِّى قليلاً من القليل أَقَلاَّ
يكاد لا يتجزَّا أقلَّ فى اللَّفظ مِن لا

وقد يتملَّحُ الأعرابىُّ بأن يُدْخِل فى شعره شيئاً من كلام الفارسيَّة، كقول العُمَانىّ للرَّشيد، فى قصيدته التى مدحَه فيها:

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك، يروى الجاحظ عنه كثيراً. وأبوه السندى بن شاهك، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد. انظر الجهشيارى ٢٢٦ – ٢٣٧ وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى.

(٢) هذه عبارة عن المبالغة فى الغضب. وفى حديث عائشة: « فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض ». هو مبالغة فى الغضب والغيظ، كما فى اللسان. ب، حـ: « شعفاً » ل: « شغفاً » صوابهما ما أثبت فى التيمورية.

(٣) ينقد: ينشق. ل: « ويتقد غيظاً » بمعنى يشتعل.

(٤) الأبيات يقولها فى نعت « جِنَان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى. انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبى نواس لابن منظور ١٣. قوهية، أراد بيضاء، والقوهى: ضرب من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان. وفى الديوان: « فتانة المتجرد ».

(٥) أخبار أبى نواس ١٣. وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفته بألفاظ المتكلمين.

مَن يَلْقَهُ مِن بطلٍ مُسْرَنْدِ (١)   فى زَغْفَةٍ مُحْكَمةٍ بالسَّرْدِ (٢)
* تجول بين رأسِهِ و « الكَرْدِ (٣) » *

يعنى العُنُق . وفيها يقول أيضاً (٤) .

لما هَوَى بينَ غِياض الأُسْدِ   وصار فى كفِّ الهِزَبْر الوَرْدِ
* آلَى يَذُوق الدَّهرَ آبِ سَرْدِ (٥) *

وكقول الآخر :

ودَلَّهنى وقْعُ الأسِنَّةِ والقَنا   وكافِرْكُوباتٍ لها عُجَرٌ قُفْدُ (٦)
بأيدى رجالٍ ما كلامى كلامُهم   يَسُومُونَنى مَرْداً وما أنا والمَرْدُ (٧)

ومثل هذا موجود فى شعر [أبى] العُذَافِر الكندىّ (٨) وغَيرِهِ ، ويكون أيضاً أن يكون الشعر مثل شعر بَحرٍ وشاذَ (٩) ، وأسود بن أبى كريمةَ . وكما قالَ يزيد

---

(١) المسرندى : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : نَمَر الزرد .

(٣) أصله فى الفارسية « گردن » كما فى المعرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ . وأقدم من قول العمانى هذا قول الفرزدق :

وكنا إذا القيسى نب عتوده   ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٤) فيما عدا ل : « ويقول فيه أيضا » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته فى الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهى القلب الذاهب العقل . فيما عدا ل ، هـ : « ودلهنى » . والوله : الحزن ، وذهاب العقل حزنا . وفى هامش ل : « كافر كوب هى المقرعة » . والعجر : جمع عجرة ، وهى العقدة فى الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو فى أصله الغليظ العنق .

(٧) سامه الشئ : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن معانيه فى الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفى هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى فى معجمه فى ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين . وفى الأصول : « العذافر الكندى » .

(٩) هذا ما فى هـ . وفى ل : « بحر وشار » وسائر النسخ : « الحر وشاذ » .

ابن ربيعة بن مُفَرِّغٍ (١) :

٩٠ آبَ اسْتْ نَبيذَ اسْت   عُصَاراتِ زَبِيبَ اسْتْ

* سُمَيَّةُ رُوسَبِيد اسْتْ (٢) *

وقال أسود بن أبى كَرِبَةَ :

لَزِمِ الغُـــرَّام ثوبى   بُكرةً فى يَوم سبت (٣)

فتمايـــلْتُ عليهم   مِثْل زَنكيٍّ بمَسْتِى (٤)

قد حَسا الدَّاذِىَّ صِرْفاً   أو عُقَاراً بايِخَسْتِ (٥)

---

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بنى زياد ، وتعدى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع فى يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو فى تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون « اين جيست » لما يسيل منه . أى هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغانى (١٧ : ٥١ – ٧٣) والخزانة (٢ – ٢١٠ – ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ – ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبرى (٦ : ١٧٧) .

(٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة فى الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبى سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسبيد ، أى مشهورة ، . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً : « روى » . وسبيد ، بفتح السين ، أى أبيض . فى حواشى هـ : « روسبيد : زانية » .

(٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ، لأن فعيلا لا يجمع على فعّال . وأجاز ابن سيدة أن يكون جمع غارم على النسب ، أى ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .

(٤) ل . « عليه مثل زنكى » تحريف . والزنكى : الزنجى ، بالفارسية . مستى ، بالفارسية ، أى السكر وإدمان الشراب .

(٥) الداذى ; نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره . هذا ما فى اللسان . وفى القاموس : « الداذى شراب للفساق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها فى هامش هـ ، حـ : « بايِخَسْت الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : بايخست أو باى خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

ثم كُفْتَم دُور باد ويحكم آنْ خَرِ كُفْتِ (١)
إنَّ جِلْدِى دبَغْته أهلُ صَنْعاءَ بجَفْتِ (٢)
وأبو عمرة عندى آنْ كُورِبُدْ نَمَسْتِ (٣)
جالس أندر مكناد ايا عمد ببهشت (٤)

* * *

وكما لا ينبغى أن يكون اللفظُ عامّيًّا ، وساقطاً سُوقيّا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريباً وحشيًّا ؛ إلّا أنْ يكون المتكلِّم بدويًّا أعرابيًّا ؛ فإن الوحشىَّ من الكلام يفهمه الوحشىُّ من الناس ، كما يفهَمُ السُّوقىّ رِطَانَة السُّوقىّ . وكلامُ النّاس فى طبقاتٍ كما أنّ الناسَ أنفسَهم فى طبقات . فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف ، والمليحُ والحسن ، والقبيح والسَّمجُ ، والخفيفُ والثقيل ؛ وكلُّه عربىّ ، وبكُلٍّ قد تكلَّموا ، وبكلٍّ قد تَمادَحوا وتعايبوا . فإنْ زعم زاعمٌ أنه لم يكن فى كلامهم تفاضُل ، ولا بينهم فى ذلك تفاوُت ، فلِمَ ذكروا العِىَّ والبكىءَ ، والحَصِر والمُفحَمَ ، والخَطِل والمُسهَبَ (٥) ، والمتشدِّق ، والمتفيْهق ، والمِهمارَ ، والثّرثار (٦) ، والمكثار والهمَّار (٧) ، ولِمَ ذكروا الهُجرْ والهَذَرَ ، والهَذَيانَ ، والتَّخليط

(١) كفتم ، أى قلت . دور باد أى معاذ الله ، وفى ل : « ذوزباد » .. آن : اسم إشارة معناه ذلك . وخَرْ ، معناه الحمار ، أو البليد ، أو الأحمق . وكفت ، بمعنى قال .

(٢) معجم استينجاس ٣٦٥ : « جفت بلوط ، أى ثمرة البلوط » .

(٣) أبو عمرة : كنية الجوع . گور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان. نمست ، أى ليس ثملا ، فمعناه كان أعمى وليس ثملا .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ل . فى هـ : « حابس آذر مكناد آيا عمد » . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى، ومكناد بمعنى لا تجعل . بيهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ؛ وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (همر) . وفيما عدا هـ : « المهماز » تحريف . يقال رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثار للكلام .

(٧) فيما عدا هـ : « الهماز » . وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ تِلِقَّاعَة [١] ، وفلان يتلَهْيَع فى خطبته [٢] . وقالوا : فلانٌ يُخطِئ فى جوابه ، ويُحيل فى كلامه ، ويناقِضُ فى خَبَره.ولولا أنّ هذه الأمور قد كانت تكون فى بعضهم دونَ بعض لَمَا سَمَّى ذلك البعضُ البعضَ الآخَرَ بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنّه ليس فى الأرض كلامٌ هو أمتَعُ ولا آنَق ، ولا ألذُّ فى
٩١ الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أَفتَقُ للّسان ، ولا أجودُ تقويماً للبيان ، مِن طول استماع حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماءِ البلغاء . وقد أصابَ القومُ فى عَامَّةِ ما وَصَفوا ، إلّا أنّى أزعمُ أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعانى . وقد يُحتاج إلى السَّخيف فى بعض المواضع ، ورُبّما أمتَعَ بأكثَرَ من إمتاع الجزْلِ الفخم من الألفاظ ، والشريف الكريم من المعانى . كما أنّ النادرةَ الباردة جِداً قد تكون أطيَبَ من النادرة الحارَّة جدّا . وإنّما الكَرْبُ الذى يَختِم على القلوب [٣] ، ويأخذُ بالأنفاس ، النادرةُ الفاترة التى لا هى حارّةٌ ولا باردة ، وكذلك الشِّعر الوسَط ، والغِناء الوسط ؛ وإنّما الشّأن فى الحارّ جداً والباردِ جدّا .

وكان محمّد بن عبّاد بن كاسب يقول : واللهِ لَفلانٌ أثقل من مُغنٍّ وسط ، وأبغضُ من ظريف وسَط .

ومتى سمعتَ – حفِظكَ الله – بنادرةٍ من كلام الأعراب ، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارجِ ألفاظها ؛ فإنّك إنْ غيَّرتَها بأن تلحَنَ فى إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديّين ، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك

---

(١) التلقاعة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع فى كلامه : أفرط فيه .

(٣) الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شئ ، كأنه قد طبع . فيما عدا ل ، هـ : « يحتم » تحريف .

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سمِعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ ، ومُلْحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام ، فإيَّاك وأن تستعمِلَ فيها الإعراب ، أو تتخيَّر لها لفظاً حسناً ، أو تجعل لها مِن فيك مخرجا سَرِيًّا ؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها من صورتها ، ومِن الذى أُرِيدَت له ، ويُذهب استطابَتهم إياها واستملاحَهم لها [1] .

ثمَّ اعلمْ أنَّ أقبَحَ اللَّحن لحنُ أصحاب التّقعير والتقعيب ، والتَّشديق والتمطيط والجَهْورةِ والتفخيم [2] . وأقبَحُ مِن ذلك لحنُ الأعاريب النّازلين على طُرُق السَّابلة ، وبقُرب مَجامع الأسواق .

ولأهلِ المدينة ألسنٌ ذَلِقة ، وألفاظٌ حسنة ، وعبارةٌ جيِّدة . واللَّحن فى عوامِّهم فاشٍ ، وعلى مَن لم يَنظُر فى النَّحو منهم غالب .

واللَّحن مِن الجوارى الظِّراف ، ومن الكواعبِ النّواهد ، ومن الشَّوابِّ المِلاح ، ومن ذوات الخُدورِ الغرائر ، أيْسَر . وربّما استَملح الرّجل ذلك منهنّ ما لم تكن الجاريةُ صاحبةَ تكلُّف ، ولكن إذا كان اللحنُ على سجِيّة سُكّان البلد . وكما يستملحون اللَّثغاء إذا كانت حديثةَ السِّن ، ومَقدودةً مجدولة ، فإذا ٩٢
أسنَّتْ واكتهلَتْ تغيَّر ذلك الاستملاح .

وربّما كان اسمُ الجارية غُلَيِّم أو صُبَيَّةَ أو ما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلةً جَزْلة ، وعجوزاً شَهلةً ، وحَملت اللّحمَ وتراكَمَ عليها الشحم ، وصار بَنُوها رجالاً وبناتُها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غُلَيِّمُ كيف أصبحتِ ؟ ويا صُبَيَّة كيف أمسيتِ .

ولأمرٍ ما كنَّتِ العربُ البناتِ فقالوا : فعلت أمُّ الفضل ، وقالت أمُّ عمرو

---

(١) انظر هذا الرأى أيضاً فى الحيوان (١ : ٢٨٢) .

(٢) الجهورة : مصدر جهور : رفع الصوت وأعلنه . ل : « والجهورية » .

وذهبت أمُّ حكيم . نعم حَتَّى دعاهُم ذلك إلى التقدُّم فى تلك الكنَى . وقد فسَّرنا ذلك كلّه فى كتاب الأسماء والكُنى ، والألقاب والأنباز .

وقد قال مالِكُ بن أسماءَ (١) فى استملاح اللَّحن من بعض نِسائه (٢) :

أَمُغَطًّى مِنّى على بصرى للْـ ـحُبِّ أم أنتِ أكمَلُ النّاسِ حُسنا
وحديثٍ أَلَذُّه هو مِمَّا ينعَتُ الناعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا (٣)
منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا ناً وأَحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنا

وهم يمدحون الحِذقَ والرِّفق ، والتخلُّصَ إلى حَبَّاتِ القلوب ، وإلى إصابة عيون المعانى . ويقولون : أصاب الهَدَف ، إذا أصابَ الحقَّ فى الجُملة . ويقولون : قَرطَسَ فلان ، وأصاب القِرطاسَ ، إذا كان أجودَ إصابةً من الأوّل . فإن قالوا : رمى فأصاب الغُرّة ، وأصاب عينَ القِرطاس ، فهو الذى ليس فوقَه أحد .

ومن ذلك قولُهم : فلان يفُلُّ الحزَّ ، ويصيب المَفْصِل ، ويضع الهِناء مواضع النُّقَب (٤) .

وقال زُرَارةُ بن جَزءٍ (٥) ، حين أتَى عُمرَ بنَ الخطاب رحمه الله فتكلّم عِنده ، ورَفَع حاجتَه إليه :

أتيتُ أبا حفصٍ ولا يستطيعُه من الناس إلا كالسِّنان طريرُ (٦)

---

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج. وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . الأغانى (١٦ : ٤٠ – ٤٦) .

(٢) كذا فهم الجاحظ فى شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ فى الكلام . وقد رجع عن هذا الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين فى الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التعريض والتورية . انظر تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٣) فى هامش ل : « خ : تشتهيه النفوس » .

(٤) انظر ما سبق فى ١٠٨ .

(٥) زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب الكلابى : صحابى جليل عاش إلى خلافة مروان ابن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هذا .

(٦) الطرير ، هو فى الأسنة : المحدد ، وفى الناس : ذو الرواء والمنظر .

فوفَّقني الرّحمنُ لَمّا لقيتُه   وللِباب مِن دُونِ الخصوم صَرير

قُرومٌ غَيارَى عند بابٍ مُمنَّع   تُنازِع مُلْكاً يهتدِى ويَجور (١)

فقلت له قولاً أصاب فؤادَه   وبعضُ كلام النّاطقين غُرورُ ٩٣

وفى شبيهٍ بذلك يقول عبدُ الرحمن بنُ حسّان حيث يقول :

رجالٌ أصحّاءُ الجلودِ من الخَنا   وألسنةٌ معروفة أين تذهب (٢)

وفى إصابة فَصّ الشّئ وعينِه ، يقول ذو الرُّمّة فى مديح بلال بن أبى بردة الأشعرىّ :

تُناخِى عند خيرِ فتىً يَمانٍ   إذا النّكْباءُ عارضَت الشَّمالا (٣)

وخيرِهِمُ مآثِرَ أهلِ بيتٍ   وأكرَمِهِمْ وإن كَرُموا فَعَالا

وأبعدِهِمْ مسافةَ غَوْرِ عقلٍ   إذا ما الأمرُ فى الشُّبُهات عالا (٤)

ولُبْس بينَ أقوامٍ فكُلٌّ   أعَدَّ له الشّغازِب والمِحَالا (٥)

وكلهمُ ألَدُّ له كِظَاظٌ   أعَدّ لكلِّ حالِ القوم حالا (٦)

فَصَلْتَ بحكمةٍ فأصبْتَ منها   فُصوصَ الحق فانفصَلَ انفصالا

وكان أبو سعيدِ الرّأيِ ، وهو شِرشِيرٌ المدنىّ (٧) يعيب أبا حنيفة ، فقال الشاعر :

---

(١) الغيارى ، بفتح الغين وضمها جمع غيور . يجور ، فى هامش ل : « خ : أى هو من البشر يجوز أن يجور على الغلط » . فيما عدا ل : « وتجور » أى القروم . وهذا البيت لم يروه ابن حجر .

(٢) أى قد صحت وبرئت من الخنا .

(٣) انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ — ٤٤٣ ثم ٤٤٥ والنكباء : كل ريح تهب بين ريحين .

(٤) عال : عظم وتفاقم . ل : « غالى » ، وفيما عدا ل : « غالا » صوابهما من الديوان

(٥) الشعازب : جمع شغزبية وشغزبى ، وهو ضرب من الحيلة فى الصراع . والمحال ، بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العداوة . والكظاظ : تجاوز الحد فى العداوة .

(٧) كذا ورد اسمه مضبوطاً فى الأصل . ولم أعثر له على ترجمة .

عِندى مسائلُ لا شِرْشِيرُ يُحسِنُها عندَ السُّؤالِ ولا أصحابُ شِرشيرِ
ولا يُصِيب فصوصَ الحقِّ نَعلَمُه إلا حَنيفيّةٌ كوفيَّةُ الدُّورِ (١)

ومما قالوا فى الإيجاز ، وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة ، قولُ ثابتِ قُطْنَةَ (٢):

ما زِلتُ بَعْدَكَ فى هَمٍّ يَجِيش به صَدرى وفى نَصَبٍ قد كاد يُبْلينى (٣)
لا أُكثِرُ القولَ فيما يَهضِبُون به مِن الكلام ، قليلٌ منه يكفِينى (٤)
إنّى تذكّرتُ قَتلَى لو شهِدْتُهمُ فى غَمرةِ الموت لم يَصْلَوْا بها دُونى

وقال رجلٌ من طيٍّ ومدحَ كلامَ رجلٍ [فقال (٥)] : « هذا كلامٌ يُكتَفَى بأُولاه ، ويُشتَفَى بأُخراه » .

وقال أبو وَجْزَة السعدىّ (٦) ، من سعدِ بن بكر ، يصف كلامَ رجل :

يَكفِى قليلُ كلامِهِ وكثيـرُه ثَبْتٌ إذا طالَ النِّضَالُ مُصِيبُ

ومن كلامهم الموجَز فى أشعارهم قولُ العُكْلىّ ، فى صفة قوس :

---

(١) نعلمه ، جملة حالية ، أو نعلمه أى أحد نعلمه ، حذف الموصوف كما فى قوله :

* يرمى بكفى كان من أرمى البشر *

فيما عدا ل : « تعلمه » . حنيفية ، أى جماعة منسوبة إلى أبى حنيفة . وفى همع الهوامع (٢ : ١٩٥) : « وقاس الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى ، الحنيفى ، فى النسبة إلى مذهب أبى حنيفة ، فرقا بينه وبين المنسوب إلى قبيلة بنى حنيفة حيث يقال فيه حنفى » .

(٢) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية وكان فى صحابة يزيد بن المهلب ، ولقب « قطنة » لأن سهماً أصابه فى عينه فى بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة. انظر الأغانى (١٣ : ٤٧ ـــ ٥٤) والخزانة (٤ : ١٨٥) والشعراء ٦١٢ والطبرى (٨ : ١٨٥)

(٣) الأبيات فى الأغانى (١٣ : ٥١ – ٥٢) ، وهى فى رثاء المفضل بن المهلب .

(٤) يهضبون فى الحديث : يخوضون فيه دفعة دفعة مع ارتفاع صوت .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر النبى ﷺ . وكان أبو وجزة من التابعين ، روى عن جماعة من الصحابة ، وهو أحد من شبب بعجوز. انظر الأغانى (١١ : ٧٥ ـــ ٨١) وتهذيب التهذيب ، والشعراء لابن قتيبة .

فى كَفِّهِ مُعطِيَةٌ مَنُوعُ مُوثَقَةٌ صابرةٌ جَزُوعُ (١)

وقال الآخَر ، ووصف سَهمَ رامٍ أصابَ حماراً ، فقال :

* حتَّى نَجَا من جَوفه وما نَجا (٢) *

« وقال الآخرَ [وهو (٣)] يصفُ ذئباً :

أطلس يخفى شخصَه غُبَارُه (٤) فى شِدقِهِ شَفرتُه ونارُه (٥)

هو الخَبيثُ عينُه فرارُه (٦) بَهْمُ بنى مُحارِبٍ مُزْدارُهْ (٧)

ووصف الآخر ناقة فقال :

* خَرقاءُ إلا أنها صَنَاعُ (٨) *

يَصف سُرعَةَ نقل يديها ورجلَيها ، أنّها تشبه المرأةَ الخرقاء ، وهى الخرقاء فى أمرها الطَّيَّاشَةُ (٩) . وقال الآخَر ووصف سَهماً صارِدا (١٠) ، فقال :

أَلْقَى على مفطوحها مَفطُوحا (١١) غادَرَ داءً ونَجَـا صحيحـا

---

(١) يقول : إنها تسهل على باريها مرة وتصعب أخرى . ويعنى بجزعها رنينها وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٢) وكذا فى الحيوان (٣ : ٧٥) : « من جوفه » ، أىْ نجا السهم من جوف الحمار ولم ينج الحمار من الهلاك . وفى ل : « من شخصه » .

(٣) هذه مما عدا ل . وانظر الرجز فى الكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) ومحاسن البيهقى (٢ : ١٣٤) والحيوان (٦ : ٤٣٨) .

(٤) الأطلس : مالونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس فى ل . والفرار ، مثلثة الفاء : أن يفر عن أسنان الدابة ليعلم سنه . أى تعرف خبثه فى عينه إذا أبصرته . يضرب مثلا لمن يدل ظاهره على باطنه .

(٧) مزداره : موضع زيارته وسطوه .

(٨) الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) هذا التفسير ساقط مما عدا ل .

(١٠) الصارد : النافذ المصيب ، وهو المخطئ أيضاً . والمراد الأول .

(١١) انظر العمدة (١ : ١٦٨) واللسان (فطح) . وفيه : « على فطحائها » . قال : « وعنى بالفطحاء الموضع المنبسط منها ، كالفريصة » .

[المفطوح الأوّل للقوس ، وهو العريض ، وهو هاهنا موضع مقبض القوس . والمفطوح الثانى : السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضاً [1]] .

وقال الآخر :

إنّك يا ابنَ جعفرٍ لا تُفلحُ   الليلُ أخفَى والنّهارُ أفضَحُ [2]

وقالوا فى المَثل : « الليلُ أخْفَى للوَيل » . وقال رؤبة يصف حمارا [3] :

حَشْرَجَ فى الجوف سَحيلاً وَشَهَقْ   حَتَّى يُقَالُ ناهقٌ وما نَهَقْ

الحشرجة : صوت الصَّدر . والسَّحِيل : صوت الحمار إذا مدّه . والشَّهيق : أن يقطِّع الصَّوت .

وقال بعضُ ولدِ العبّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمى ، فى فرس أبى الأعور السُّلَمىّ [4] :

٩٥ جاءَ كلمْع البَرقِ جاشَ ناظره [5]   يَسبح أُولاه ويَطفو آخِرُه

* فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُه *

قوله : جاش ناظره ، أى جاش بمائه . وناظر البرق : سحابُه . يسبح ، يعنى يمد ضَبْعَيْه ، فإذا مدَّهما علا كَفَلُه . وقال الآخر :

* إن سرَّكَ الأهوَنُ فابدَأْ بالأشدّ *

وقال العجّاج :

يمكّنُ السَّيفَ إذا السَّيفُ انأطَرّ [6]   مِن هامَةِ اللّيثِ إذا ما الليثُ هَرّ [7]

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول فى الحيوان (١ : ٢٨٥) والثانى فى (٣ : ٧٢) .

(٣) ديوان رؤبة ١٠٦ .

(٤) أبو الأعور السلمى مشهور بكنيته . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس . وهو صحابى قائد ، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية . الإصابة ٥٨٤٦ .

(٥) كتب فى ل « ماطره » فوق « ناظره » .

(٦) انأطر : انعطف وانثنى . وانظر ديوان العجاج ١٨ .

(٧) هر : زأر . فيما عدا ل ، هـ : « إذا الليث هتر » تحريف .

كجَمَل البحر إذا خاضَ جسر غَوارب اليَمّ إذا اليمُّ هَدَرْ (١)
* حتَّى يُقالُ حاسرٌ وما حَسَرْ (٢) *

قالوا : جمل البحر سمكةٌ طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما تبعد هذه السمكة بجسَارة ، لا يردُّها شئ ، حتَّى يقال كاشف وما انكشف البحر . يقال : البحر حاسرٌ وجازِرٌ . يقول : حتَّى يحسب النَّاسُ من ضِخَم ما يبدو من هذا الجمل ، أنَّ الماءَ قد نضَب عنه ، وأنَّ البحر حاسرٌ. وقال آخر:

يا دارُ قد غَيَّرها بلَاهَا كأنَّما بقَلَمٍ مَحاها (٣)
أَخْرَبهَا عُمران مَن بَناها وكَرُّ مُمساها على مَغناها (٤)
وطفِقَتْ سحابةٌ تَغشاها تَبكى على عِراصِها عيناها

قوله : أَخْرَبها عُمران مَن بناها ، يقول : عمَّرها بالخراب . وأصل العُمران مأخوذ من العَمْر ، وهو البقاء ، فإذا بقى الرَّجُل فى داره فقد عَمَرها . فيقول : إنَّ مُدّة بقائه فيها أبلَتْ منها ؛ لأنَّ الأيَّام مؤثِّرة فى الأشياء بالنّقص والبِلَى ، فلما بقىَ الخرابُ فيها وقام مَقام العُمران فى غيرها ، سُمِّى بالعُمران . وقال الشاعر (٥) :

يا عَجَّلَ الرَّحمنُ بالعذابِ لِعامرات البيتِ بالخرابِ

يعنى الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرَّجل : « ماترَى من خيرك ٩٦

---

(١) غوارب اليم : أعالى موجه .

(٢) فيما عدا ل : « جاسر وما جسر » . ورويا فى هـ بالحاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب فى هامش التيمورية ، وأشير إلى أنه فى نسخة . فى صلب سائر النسخ بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معظم الماء . وغوارب اليم : معظمه . جسر : قطع ، ومنه قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد فيه ، لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه » .

(٤) ل فقط : « مغداها » ، وهو الوجه الذى نرتضيه فى رواية البيت ، لكن التفسير الذى سيرد فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر. انظر ديوان المعانى (٢ : ١٠) الحيوان (٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٣٤ ، ٢٥٨) .

ورِفْدكَ ، إلّا ما يبلغنا مِن حَطْبِك علينا (١) ، وفَتِّك فى أعضادنا » .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين ﴾ . والعذابُ لا يكون نُزُلًا ، ولكنْ لمَّا قامَ العذابُ لهم في موضع النّعيم لغيرهم ، سُمِّى باسمه .

وقال الآخرَ :

فقلتُ أطعِمْنى عُمَيْرُ تَمْرا   فكان تَمرى كَهْرَةً وزَبْرا(٢)

والتّمر لا يكون كَهْرة ولا زَبْراً ، ولكنّه على ذا . وقال الله عزّ وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِياً ﴾ ، وليس فى الجنَّة بُكرةٌ ولا عشىّ ، ولكن على مقدارِ البُكَرِ والعشيَّاتِ . وعلى هذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَة جَهَنَّمَ ﴾ . والخَزَنَة : الحَفَظة . وجهنّمُ لا يضيع منها شيءٌفيحفظ ولا يَختار دُخولَها إنسانٌ فيُمنع منها ، ولكنْ لمّا قامت الملائكةُ مَقامَ الحافظ الخازن سُمِّيت به .

قوله : مُمْساها ، يعنى مَساءها . ومغناها : موضعها الذى أقيم فيه . والمَغانى : المنازل التى كان بها أهلُوها . وطَفِقَت ، يعنى ظَلَّت . تبكى على عراصها عَيناها ، عيناها هاهنا للسَّحاب . وجَعل المطرَ بكاءً من السَّحاب على طريق الاستعارة ، وتسميةِ الشّئِ باسم غيرِه إذا قام مَقامه . ويقال لكلِّ جَوْبةٍ مُنْفَتِقةٍ ليس فيها بناءٌ : عَرْصة .

وقال أبو عَمرِو بنُ العَلاء : اجتمع ثلاثة من الرُّواة فقال لهم قائل : أىُّ نِصفِ بيت شعْرٍ أحكَمُ وأوجَز ؟ فقال أحدهم : قول حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

---

(١) ما يبلغنا ، أى ما يصل إلينا . وفى اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به » . ل : « خطتك فينا » . فيما عدا ل : « من خطبك علينا » والصواب ما أثبت من هـ .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . وانظر للخلاف فى رواية الرجز الحيوان (٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما (١) *

ولعلّ حُميداً أن يكون أخذَه عَن النَّمر بن تولب ، فإنّ النمر قال (٢) :

يُحِبّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنى فكيفَ تَرَى طُولَ السَلامةِ يَفعلُ (٣)

وقال أبو العتاهية :

* أسْرَعَ فى نقصِ امرئٍ تَمامُه (٤) *

ذهب إلى كلام الأوّل : « كُلُّ ما أقام شَخَص ، وكلُّ ما ازداد نقَص ، ولو كان النّاسُ يمُيتهم الدّاء ، إذاً لأعاشَهم الدَّواء (٥) » .

وقال الثانى من الرُّواة الثلاثة : [بل (٦)] قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلىِّ (٧): ٩٧

* نُوكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلَّ ما يَمضِى (٨) *

وقال الثالث من الرُّواة : بل قولُ أبى ذُؤيبٍ الهُذَلىِّ :

* وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ (٩) *

---

(١) صدره كما فى ديوان حميد ٧ والحيوان (٦ : ٥٠٣) :

* أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « قال النمر » فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغانى (١٩ : ١٥٩) والمعمرين ٦٣ .

(٤) ما عدا هـ : « نقض » ، بالضاد المعجمة ، وكذا ورد فى الحيوان (٦ : ٥٠٢) لكن فى الحيوان (٣ : ٤٧٩) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمثل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) أبو خراش الهذلى : هو خويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين ، ومات فى زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغانى (٢١ : ٣٨ – ٤٨) والخزانة (١ : ١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مَرْثِيَةٍ له رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٦) يرثى بها أخاه عروة بن مرة الشاعر الهذلى ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

* على أنها تعفو الكلام وإنما *

والقصيدة بتمامها فى نسخة الشنقيطى من ديوان الهذليين .

(٩) من مرثيته المشهورة ، فى أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ – ٢٢٩) .وصدره :

* والنفس راغبة إذا رغبتها *

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذيل : أن يكون ثلاثةٌ من الرُّواة لم يصيبوا فى جميع أشعار العرب إلاّ ثلاثةَ أنصافٍ ، اثنان منها لهذيلٍ وحدها . فقيل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثةِ أنصافٍ مستغنياتٍ بأنفسها ، والنِّصف الذى لأبى ذؤيبٍ لا يَستغنى بنفسه ، ولا يَفْهم السامعُ معنى هذا النّصفِ حتّى يكون موصولاً بالنِّصف الأول ؛ [لأنك إذا أنشدتَ رجلاً لم يسمَع بالنِّصف الأوّل [1]] وسمِع :

* وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ *

قال : مَن هذه التى تُرَدُّ إلى قليلٍ فتقنع . وليس المُضمَّن [2] كالمطلق وليس هذا النِّصف مما رواه هذا العالم ، وإنّما الرِّواية قولُه :

* والدَّهر ليس بمُعْتِبٍ مَن يجزعُ [3] *

* * *

وممَّا مَدحوا به الإيجازَ والكلامَ الذى هو كالوحى والإشارة ، قولُ أبى دؤاد بن حَرِيز الإيادِىّ [4] :

يرمُونَ بالخُطَب الطِّوالِ وتارةً ... وَحْىَ المَلاحظ خِيفَةَ الرُّقَباءِ

فمَدَح كما ترى الإطالةَ فى موضعها ، والحذفَ فى موضعه .

ومما يدل على شَغَفهم وكَلَفهم ، وشِدّة حبِّهم للفَهْم والإفهام ، قولُ الأسدىّ فى صفةِ كلامِ رجلٍ نَعَت له موضعاً من تلك السباسِب التى لا أَمارة فيها ، بأقلِّ اللّفظ وأوجزه ، فوَصَف إيجازَ الناعت ، وسرعةَ فهمِ المَنعوت له ، فقال :

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « المضمر » .

(٣) هو عجز مطلع مرثيته . وصدره :

* أمن المنون وريبها تتوجع *

(٤) فى الأصول : « بن جرير الإيادى » . وانظر ما سبق فى ٤٢ ، ٤٤ .

بِضَربة نَعْتٍ لم تُعَدْ غير أنّنى　　　عَقُولٌ لأوصاف الرِّجال ذَكورُها (١)

وهذا كقولهم لابن عبّاس : أنّى لك هذا العلم ؟ قال : « قلبٌ عَقُولٌ ، ولسانٌ سؤول (٢) » .

وقال الرّاجز (٣) :

وَمَهْمَهَين قَذَفَين مَرْتَين (٤)　　　جُبْتُهما بالنَّعْتِ لا بالنَّعتَيْنْ (٥) ٩٨
ظَهراهما مِثْلُ ظُهور التُّرسَيْنْ (٦)　　　قطعته بالأَمِّ لا بالسَّمتَيْنْ (٧)

* * *

وقالوا فى التحذير من مِيسم الشِّعر ، ومن شدّة وقْع اللسان ، ومن بقاء أثره على المملوح والمهجوّ ، قال امرؤ القيس بن حُجر :

ولو عن نَثا غَيرِهِ جاءنى　　　وجُرْحُ اللِّسان كجرح اليدِ (٨)

وقال طَرَفة بن العَبْد :

بحُسَام سَيْفِكَ أو لسانِكَ والكَـ　　　ـلِمُ الأصيل كأرغب الكَلْمِ (٩)

---

(١) ل فقط : « بغت » تحريف . على أنه قد كتب فى هامشها « خ : نعت » .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف فى نسبة هذا القول ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) هو خطام المجاشعى ، أو هميان بن قحافة . انظر الخزانة (٣ : ٣٧٤ – ٣٧٦) ، وكتاب سيبويه (١ : ٢٤١/ ٢ : ٢٠٢) .

(٤) المهمه : القفر المخوف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدا ل : « فدفدين » . وقد نبه العينى على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التى لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) وصف نفسه بالحذق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .

(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتى التثنية والجمع فى المضاف إلى المثنى إذا كان بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده فى ل فقط .

(٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .

(٨) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء . وبعده فى الديوان ١٨٦ :

لقلت من القول ما لا يزا　　　ل يؤثر عنى يد المسند

(٩) حسام السيف : طرفه الذى يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب : أوسع . والكلْم : الجرح . ل « والكلم الرغيب » صوابه فى سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال : وأنشدنى محمّد بن زياد (١) :

لَحَيْتُ شَمّاساً كما تُلحَى العِصِى … سَبًّا لو أنّ السبَّ يُدمِى لدَمِى
مِن نَفَرٍ كلُّهُمُ نِكسٌ دَنِى … مَحامِدِ الرَّذْل مشاتِيم السَّرِى (٢)
مَخَابِطِ العِكْمِ مَوَاديعِ المَطِى (٣) … مَتَارِكِ الرَّفِيق بالخَرْق النَّطِى (٤)

وأنشد محمّد بن زياد :

تمَنَّى أبو العَفَّاق عِندىَ هَجْمةً … تُسهِّلُ مأوَى لَيلِها بالكَلا كِلِ (٥)
ولا عَقْلَ عندى غيرُ طعن نوافِذٍ … وضَربٍ كأشداق الفِصَال الهَوادِلِ
وسبٍّ يَوَدُّ المرءُ لو ماتَ قبلَه … كصَدع الصَّفا فلَّقْتَه بالمَعاوِلِ (٦)

الهَجْمةُ : القِطعة من النُّوق فيها فَحْل . والكلكل : الصَّدر . والفِصال : جمع فَصيل ، وهو ولد النَّاقة إذا فُصِل عَنها . والهوادل : العظام المَشافِر . والعقل ها هنا الدِّيَةُ . والعاقلة : أهل القاتل الأدنَوْن والأبعدُون . والصَّفا : جمع صفاةٍ وهى الصخرة . وقال طَرَفَة :

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابى ، الكوفى ، كان راوية لأشعار القبائل ناسبا ، وأحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ، أخذ عن المفضل والكسائى ، وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت . ولد ليلة وفاة أبى حنيفة سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١ . وفيات الأعيان وبغية الوعاة . انظر مثيل البيت الأول فى اللسان (قيض ٩٢) .

(٢) القياس فى مفرد محامد ، محمد بالكسر ، وفى مفرد مشاتيم مشتام . ولم أجدهما فى معجم .

(٣) العكم ، بالكسر : العدل مادام فيه المتاع . والمخابط ، من الخبط وهو طلب المعروف . هـ : « مخابط » : يخيطون عكومهم . مواديع المطى ، أى مطيهم مودوعة لا يجهدونها .

(٤) الخرق ، بالفتح : القفر ، والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والنطى البعيد. وهذا البيت لم يرد فى ل .

(٥) أبو العفاق ، لعله أراد به الذئب ؛ لأنه يعفق ؛ أى يسرع فى العدو . وفى الحيوان (٦ : ٤١٣) وحواشى هـ عن نسخة : « أبو اليقظان » ،وهى كنية للذئب أيضاً ؛ لأنه :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى … بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ولم أجد هاتين الكنيتين فيما لدى من المراجع . وفى القاموس أن أبا اليقظان اسم للديك .

(٦) فى الحيوان : « كوقع الهضاب صدعت بالمعاول » .

رأيتُ القوافِى يَتْلَجن مَوَالجاً   تضايَقُ عنها أن تَوَلَّجها الإِبَرْ (١)

وقال الأخطل :

حتَّى أقَرُّوا وهم مِنِّى على مَضَضٍ   والقولُ ينفُذ ما لا تَنفُذُ الإِبَرُ (٢) ٩٩

وقال العُمَانىّ :

إذْ هُنَّ فى الرَّيطِ وفى المَوَادِع   تُرْمَى إليهنَّ كبَذْرِ الزارِعِ (٣)

الرَّيْط : الثياب ، واحدها رَيْطَة ؛ والرَّيطة : كلُّ ملاءةٍ لم تكن لِفْقين . والحلّة لا تكون إلاّ ثوبين . والمَوادع : الثِّياب التى تَصون غيرَها ، واحِدها مِيدعَةٌ .

وقالوا : « الحربُ أوَّلُها شكوَى ، وأوسَطُها نَجْوَى ، وآخرُها بَلوَى » .

وكتب نصر بن سَيَّارٍ ، إلى ابن هبيرة (٤) أيّامَ تحرّكَ أمرُ السّواد بخُراسان (٥) :

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ   فيوشكُ أن يكون له اضطرام (٦)
فإنَّ النارَ بالعُودين تُذْكَى   وإنّ الحربَ أوّلُها الكلام (٧)
فقلتُ من التعجُّب:ليتَ شِعرِى   أأيْقاظٌ أُمَيَّةُ أم نِيامُ (٨)

---

(١) القواف : القصائد . يتلجن ؛ يدخلن ، أصله يوتلجن من الولوج . والبيت فى ديوان طرفة ٤ .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم منى على مضض » .

(٣) هـ : « مرمى » .

(٤) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية على خراسان ، وكان ابن هبيرة – وهو يزيد بن عمر بن هبيرة – عامله على العراق. وفى تاريخ الطبرى (٩ : ٩٢) أنه كتب بالشعر إلى مروان بن محمد . وانظر كتاب البغال ٢٧١ والعقد (٤ : ٢١ ، ٤٧٧) .

(٥) السواد : شعار العباسيين ، وأول من أظهر السواد أبو مسلم الخراسانى ، داعى الدولة العباسية فى خراسان .

(٦) الطبرى : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفى الطبرى : « فأحج بأن يكون له ضرام » أحج : أجدر . وانظر العقد (١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨) وعيون الأخبار (١ : ١٢٨) .

(٧) فيما عدا ل : « أولها كلام » . الطبرى : « مبدؤها الكلام » .

(٨) ل : « أقول » .

فإن كانُوا لِحِينِهِمُ نياماً   فقُلْ قوموا فقد طال المنام (١)

وقال بعض المولَّدين :

إذا نلتَ العطيّةَ بَعْد مَطْلٍ   فلا كانت ، وإن كانت جَزيلهْ
فسَقياً للعطيَّة ثمّ سَقياً   إذا سَهُلت ، وإن كانت قليلهْ
وللشُّعراءِ ألسنةٌ حِدادٌ   على العَوْرات مُوفيةٌ دليلهْ
ومِنْ عَقْل الكريم إذا اتّقاهُمْ   ودارَاهُمْ مُداراةً جَميلهْ (٢)
إذا وضَعُوا مَكاوِيَهم عليهِ ،   وإنْ كذَبوا ، فليس لهنَّ حيلهْ (٣)

وقالوا : « مذاكَرة الرِّجال تلقيحٌ لألبابها » .

ومما قالوا فى صفة اللّسان قولُ الأسدىّ (٤) ، أنشدنيها ابنُ الأعرابىّ :

وأصبحتُ أعددتُ للنّائبا   تِ عِرضًا بريئاً وعَضْبا صقيلا (٥)
ووقعَ لِسانٍ كحدِّ السّنا   نِ ورُمحاً طويلَ القناةِ عَسُولا (٦)

١٠٠ وقال الأعشى :

وأُدْفــع عن أعراضكــم وأُعِيركم   لساناً كمِقْراض الخَفاجىِّ مِلْحَبا (٧)

[المِلحَب : القاطع (٨)] .

---

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبرى . وزاد الطبرى فى الخبر : « فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمَكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوى : جمع مكواة . أراد لواذع الهجاء . أى ليس لتلك المكاوى من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات (٢ : ١٨٦) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) العسول : المضطرب للينه .

(٧) وكذا فى الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أدافع » . وروى فى هـ : « كمفراض » و « كمبقراض » . وفى حواشيها : « المفراض : حديدة يقطع بها الحديد والفضة » .

(٨) هذا الشرح ليس فى ل .

الخفاجِىّ : رجُلٌ إسكاف منسوب إلى خفاجة (١).

وقال ابنُ هَرْمَة :

قل للذى ظَلَّ ذا لونَيْنِ يأكلنى   لقد خَلوتَ بلحمٍ عادِمِ البَشَمِ (٢)
إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيكَ من لُجُمى   نِكْلا يُنَكِّل فَرّاصاً من اللُّجُمِ (٣)
إنى امرؤٌ لاأصوغُ الحَلْىَ تَعْمَلُهُ   كَفّاىَ ، لكنْ لسانى صائغُ الكَلِمِ

وقال الآخر :

إنّى بغَيت الشِّعرَ وابتغانى   حتّى وجدتُ الشِّعر فى مكانى
* فى عَيْبةٍ مِفتاحُها لِسَانِى *

وأنشد :

إنّى وإنْ كان رِدائى خَلَقا (٤)   وبَرْنكانِى سَمِلاً قد أخْلَقَا (٥)
* قد جَعل الله لسانى مُطْلَقا *

---

(١) هذا الشرح ساقط مما عدا ل . وفى شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية بن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٤ : ٦) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك المخزومى كان يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال . عادم البشم ، أى لا يشم من أكله ، وذلك لعجزه عن مضغه . هـ : « عارم » . والعارم : الشديد لا يطاق . أى يبشم من طعمه ولا يطيق هضمه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . فراصاً : قطاعاً ؛ الفرص : القطع .

(٤) فيما عدا ل : « إزارى » .والأبيات فى اللسان (برنك) .

(٥) البرنكان ، كزعفران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفى القاموس : « ويقال للكساء الأسود البركان والبركانى — بتشديد الراء فيهما — والبرنكان كزعفران والبرنكانى » . وفى المعرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكانى ، وليس هو بعربى ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد فى الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكانى . ليس بعربى » . فالنص الأخير من المعرب غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

قال أبو عثمان : والعتَّابىّ حين زعم أنّ كلّ مَن أفهمك حاجتَه فهو بليغٌ (٢) لم يَعْنِ أنّ كلّ مَن أفهمَنا مِنْ معاشر المُوَلَّدين والبلديِّين قَصْدَه ومعناه ، بالكلام الملحون ، والمعدول عن جهته ، والمصروف عن حقّه ، أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان،بعد أن قد فهِمْنا (٣) معنى كلامِ النَّبطىّ الذى قيل له : لِمَ اشتريتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركبُها وتَلَد لى (٤) » . وقد علِمْنا أنّ معناه كان صحيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لأهل مجلسه:« ما من شرّ من دَيْن » وأنّه قال حين قيل له : ولم ذاك يا أبا فلان ؟ قال : « مِن جرَّى يتعلَّقون (٥) » . وما نشكُّ أنه قد ذَهب مذهباً ، وأنّه كما قال .

وقد فهمنا (٦) معنى قول أبى الجَهير الخراسانى النخاس ، حين قال له الحجاّج:أتبيع الدوابّ المَعِيبَةَ من جُنْد السلطان ؟ قال : « شريكاننا (٧) فى هوازها ، وشريكاننا (٧) فى مداينها . وكما تجىء نكون (٨) » . قال الحجاّج : ما تقول ،

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ٩ – ١٠ .

(٣) جملة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدا ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٥ – ٧ . ل فقط : « وتولد لى » .

(٥) من جراهُ ، أى من أجله . وفى اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جراك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاءها فى التيمورية : « أى من أجل » أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدينهم » .

(٦) هاتان من ل ، هـ فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون فى جمع مَرد ، بمعنى رجل : مَردان . فيما عدا ل : « شريكاتنا » .

(٨) فيما عدا ل : « تكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعضُ من قد كان اعتاد سماعَ الخَطَاءِ وكلامِ العُلوج بالعربيّةِ حتّى |١٠١ صار يفهمُ مثلَ ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه الدّوابّ ، فنحن نبيعُها على وُجوهها .

وقلت لخادمٍ لى : فى أىِّ صناعةٍ أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « فى أصحابِ سِنْدِ نِعال » يريد : فى أصحاب النِّعال السِّندية . وكذلك قولُ الكاتبِ المغلاق للكاتب الذى دُونَه : « اكتب لى قُل خَطَّين (1) وريحنى منه » .

فمن زعم أنَّ البلاغةَ أن يكون السامعُ يفهمُ معنى القائلِ ، جعل الفصاحةَ واللُّكنةَ ، والخطأَ والصَّوابَ ، والإغلاقَ والإبانة ، والملحونَ والمُعْرَب ، كله سواءً ، وكلَّه بياناً . وكيف يكون ذلك كلُّه بياناً ، ولولا طولُ مخالطة السامع للعجَم وسماعِهِ للفاسد من الكلام ، لما عَرَفَه . ونحن لم نفَهم عنه إلا للنَّقص الذى فينا . وأهلُ هذه اللُّغةِ وأربابُ هذا البيانِ لا يستدلُّون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رَطانة الرُّومىّ والصَّقلبى ، وإن كان هذا الاسم إنّما يستحقُّونه بأنَّا نَفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نَفهم بحَمْحَمة الفَرَس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضُغاء السِّنَّور كثيراً من إراداته (2) . وكذلك الكلبُ ، والحمار ، والصبىُّ الرَّضيع .

وإنّما عنى العتّابى إفهامَكَ العربَ حاجتَكَ على مَجارى كلام العربِ الفُصَحاء . وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قول القائل مِنّا : « مُكرهٌ أخاكَ لا بطل » . و : « إذا عزَّ أخاكَ فُهنْ (3) » . ومَن لم يفهم هذا لم يفهم قولَهم : ذهبتُ إلى أبو زيد ، ورأيت أبى عمرو (4) . ومتى وجد النحويُّون أعرابيا يفهم هذا وأشباهَه بَهْرَجُوه ولم

---

(1) فيما عدا ل ، هـ : « حطين » .

(2) ب ، هـ : « ارادته » . وانظر الحيوان (١ : ٣٣) .

(3) جاء هذا المثل وسابقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقا .

(4) هذا على الحكاية . انظر همع الهوامع (١ : ١٥٤) .

يسمعوا منه (١) ؛ لأنّ ذلك يدلُّ على طول إقامته فى الدّار التى تُفسد اللُّغة وتنقُص البيان . لأنّ تلك اللُّغَةَ إنّما انقادت واستوت ، واطّردت وتكاملت ، بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة [وفى تلك الجيرة (٢)] ، ولفقد الخطاءِ من جميع الأمم .

ولقد كان بين زَيد بن كَثْوَةَ (٣) يومَ قدِم علينا البصرة ، وبينَه يوم مات بَونٌ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزلَه فى آخر موضعِ الفصاحة وأوّلِ موضع العُجمة ، وكان لا ينفكُّ من رواةٍ ومُذَاكِرين .

وزعم أصحابنا البَصريُّون عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم أر قَروِيَّيْنِ أفصحَ من الحسن والحجّاج ، وكان – زعموا – لا يبرِّئهما من اللّحن .

١٠٢ وزعم أبو العاصى أنّه لم يَرَ قروياً قط لايلحن فى حديثه ، وفيما يجرى بينه وبين الناس ، إلاّ ما تفقّده من أبى زيدٍ النحوىّ ، ومن أبى سعيد المُعلّم . وقد رَوَى أصحابُنا أنّ رجلاً من البلديِّين قال لأعرابىّ : « كيفَ أهْلِكْ » قالها بكسر اللام . قال الأعرابىُّ : صَلْباً . لأنّه أجابه على فَهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألةَ عن أهله وعيالِه .

وسمعت ابن بَشيرٍ (٤) وقال له أبو المفضّل العنْبرىّ (٥) : إنى عَثَرت البارحةَ بكتابٍ ، وقد التقطته ، وهو عندى ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإنْ أردتَه

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فيما عدا ل : « يزيد بن كثوة » تحريف ، جاء على الصواب ، فى مواضع متعددة من الحيوان . وفى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومى لا تلظ قدورهم ... ولكنها يوقدن بالعذرات »

(٤) هو على بن بشير ، كما سيأتى فى (٢ : ٢٢١) .

(٥) أبو المفضل العنبرى ، يبدو أنه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبته لك . قال ابن بَشير (١) : أريده إن كان مقيَّداً . قال : والله ما أدرى أمقيَّدٌ هو أم مغلول (٢) . ولو عرف التَّقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائىّ أنّه قال لغلامٍ بالبادية : من خَلَقْك ؟ وجزم القاف ، فلم يدْرِ ما قال ، ولم يجِبْه ، فردَّ عليه السؤالَ فقال الغلام : لعلك تريد مَن خلقَك .

وكان بعضُ الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم فى الجواب ، قال : « نَعَمٌ وشاءٌ ؟ » ؛ لأنّ لغتَه نَعِمْ (٣) . وقيل لعُمر بن لجأ (٤) : قُل « إنّا من المجرمين منتقمِين » . قال : ﴿ إنّا مِنَ المجرِمين منتقِمُون ﴾ .

وأنشد الكسائى كلاماً دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبٌ مَا عَجَبٌ أعجبنى ... من غُلامٍ حَكَمِيّ أُصُلا (٥)
قلت هل أحسست رَكبا نَزَلُوا ... حَضَناً ما دونَه قال هَلا (٦)
قلت بَيِّن ما هَلَا هل نزلوا ... قال حَوباً ثم ولّى عَجِلا (٧)
لستُ أدرى عندها ما قال لى ... أَنَعم ما قال لى أم قال لا
تلك منه لغةٌ تعجبنى ... زادت القلب خبالا خَبَلا

* * *

(١) ل : « ابن يسير » .

(٢) فيما عدا ل : « أكان مقيدا أو مغلولا » .

(٣) نعم ، بكسر العين : لغة فى نعم . وبهما قرئ .

(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامى ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسن منه ، وكان عارفا بمثالب القبائل . انظر الأغانى (١٩ : ٢٢) والنقائض ٤٨٧ — ٤٩١ ، ٩٠٧ والجمحى ١٥٠ — ١٥٣ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ — ١٢٩ والشعراء .

(٥) حكمى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلا ، أى وقت الأصيل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشى . وتقرأ أيضا : « أصلا » ككرم . أصل : صار ذا أصل .

(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .

(٧) فى حواشى هـ : « هلا هنا بمعنى نعم ، كما أن أجل تكون بمعنى نعم ، فلم يفهم الكسائى معناها » . وفى هامش ل : « هلا معناه تحرك لتدركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبعير ليمضى .

قال أبو الحسن : قال مولى زيادٍ : أهدَوا لنا هِمارَ وَحْش . قال : أىَّ شىءٍ تقولُ ويْلَك ؟ قال : « أهدَوْا لنا أيراً » ، يريد : أهدَوْا لنا عَيرا . قال زياد : ويلَك ، الأوَّل خَير (١) .

وقال الشّاعر يذكر جاريةً له لَكناء :

١٠٣ أكثَرُ ما أسمَعُ منها بالسّحَرْ (٢) تذكيرُها الأُنثى وتأنيثُ الذكرْ

* والسَّوأة السَّوآءُ فى ذِكر القَمَر *

فزيادٌ قد فهم عن مولاه ، والشاعر قدفهِم عن جاريته (٣) ولكنهما لم يفهما عنهمُا من جهة إفهامهما لهما ، ولكنَّهما لمّا طال مُقامهما فى الموضع الذى يكثُرُ فيه سماعُهما لهذا الضَّرب ، صارا يفهمان هذا الضَّربَ من الكلام .

* * *

(١) سبق الخبر فى ص ٧٣ .

(٢) فيما عدا ل « فى السحر » . والرجز مضى فى ص ٧٣ .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته » .

ذكر ما قالوا فى مدح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المنثور ، وما جاء فى الأثر وصحّ به الخبر

قال الشاعر :

أرى النّاس فى الأخلاق أهلَ تخلُّقٍ ... وأخبارُهم شتَّى فعُرْف ومُنكَرُ (١)
قريباً تدانِيهمْ إذا ما رأيتَهم ... ومختلفاً ما بينهم حين تَخْبُرُ
فلا تحمَدنّ الدّهرَ ظاهِرَ صفحةٍ ، ... مِن المرء ما لم تَبْلُ ما ليس يَظهرُ
فما المرءُ إلا الأصغَرانِ : لسانه ... ومَعْقُولُه ، والجسم خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وما الزّين فى ثوب تراه وإنّما ... يَزِينُ الفتى مَخْبُورُهُ حين يُخبَرُ
فإنْ طُرَّةٌ راقَتْك مِنه فرُبّما ... أَمرَّ مَذَاقُ العُود والعودُ أخضرُ (٢)

وقال سُويد بنُ أبى كاهلٍ (٣) فى ذلك :

وَدَعَتْنِى بِرُقاها إنها ... تُنزِلُ الأعصمَ من رأسِ اليَفَعْ (٤)
تُسْمِعُ الحُدّاثَ قولاً حسناً ... لو أرادُوا مِثْلَه لم يُستَطَعْ (٥)

---

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

(٢) فيما عدا ل : « راقتك منهم » . أمر : صار مُرا .

(٣) سويد بن أبى كاهل اليشكرى ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية دهراً ، وعمر فى الإسلام عمراً طويلا : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغانى (١١ : ١٦٥ – ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما فى الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية فى قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذى فى يديه بياض . واليفع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) فى المفضليات : « لو أرادوا غيره لم يستمع » .

ولساناً صَيْرَفِيًّا صارماً   كذُباب السَّيف ما مَسّ قَطَعْ (١)

وقال جرير :

وليس لِسَيفى فى العظام بقِيّةٌ   ولَلسَّيْفُ أشْوَى وقعةً من لِسانيا (٢)

وقال آخر : ١٠٤

وجُرحُ السَّيف تَدْمُلُه فيَبْرَا   ويبقى الدَّهرَ ما جَرَح اللِّسانُ (٣)

وقال آخر :

أبا ضُبيعةَ لا تَعْجلَ بسيِّئةٍ   إلى ابن عمك واذكُرْه بإحسانِ
إمَّا تَرَانِى وأثوابى مُقارِبَـــةٌ   ليست بِخَزٍّ ولا من حُرِّ كَتَّانِ (٤)
فإنَّ فى المجد هِمَّاتى وفى لُغَتى   عُلْوِيَّةً ولسانى غيرُ لَحَّانِ

وفيما مدحوا به الأعرابىَّ إذا كان أديباً ، أنشدنى ابنُ أبى كريمة ، أو ابنُ كَرِيمة ، واسمه أسود (٥) :

ألا زعمَتْ عَفراءُ بالشّام أنَّنى   غُلامُ جَوارٍ لا غلامُ حُرُوب
وإنِّى لأَهْذِى بالأوانِسِ كالدُّمَى   وإنِّى بأطراف القَنَا لَلعوبُ (٦)

---

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقيه ، فإن الأولين فى التشبيب ، وفى الفخر ، وبينهما فى القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

ورأى منى مقاما صادقا   ثابت الموطن كتام الوجع

ذباب السيف : حده . وفى المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أى سيفى مع قوته ، هو أشوى وقعة من لسانى ، أى لسانى أشد منه فتكا . وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدا ل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت فى اللسان (دمل) . وفى هـ : « وجرح » موضع « ويبقى » .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيص ؛ أو الوسط بين الجيد والردئ .

(٥) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره فى هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدا ل ، هـ : « لأهدى » .

وإنى على ما كان من عُنْجهُيَّتى ولُوثة أعرابيَّتى لأديبُ (١)

وقال ابن هَرْمة (٢) .

لله دَرُّكَ مِن فتًى فَجَعَت به يومَ البَقيعِ حوادثُ الأيّامِ

هَشٍّ إذا نَزَلَ الوفودُ ببابِهِ سهلِ الحجاب مؤدَّبِ الخُدّامِ

فإذا رأيتَ شقيقَه وصديقَه لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحامِ

وقال كعبُ بن سعدٍ الغَنَوىّ (٣) :

حبيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشيانُ بَيْتِهِ جميلُ المُحَيَّا شَبَّ وهو أديبُ

إذا ما تراءاه الرِّجال تحفَّظُوا فلم تُنْطقِ العوراءُ وهو قريبُ (٤)

وقال الحارثىّ :

وتَعلَم أنّى ماجدٌ وتَرُوعُها بَقيَّةُ أعرابيّةٍ فى مُهاجِرِ

وقال الآخر :

وإنَّ امرأً فى النّاس يُعطَى ظُلَامةً ويمنَعُ نِصْفَ الحقِّ منه لراضِعُ (٥)

أَألموتَ يَخْشَى أثكَلَ اللهُ أمَّه أم العيشَ يرجو نَفْعَه وهو ضائعُ ١٠٥

ويَطْعَمُ ما لم يندفِعْ فى مَرِيئِهِ ويمسح أَعْلَى بطنِهِ وهو جائعُ

وإنَّ العقولَ فاعلَمَنَّ أسنَّةٌ حِدَادُ النَّواحِى أرهفَتْها المواقِعُ (٦)

ويقولون : « كأنَّ لسانَه لسانُ ثَور » .

---

(١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمقة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .

(٢) الأبيات التالية نسبت فى الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن يسير الخارجى .

(٣) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، الظاهر أنه تابعى . انظر المرزبانى ٣٤١ والخزانة (٣ : ٦٢١) وسمط اللآلى ٧٧١ والتيجان ٢٦٠ .

(٤) البيتان من قصيدة فى الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٥) ل : « وإن امرأ يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :

ولكن نصفا لو سببت وسبنى بنو عبد شمس من مناف وهاشم

والراضع : اللئيم ؛ رضع : لؤم ، وزنا ومعنى .

(٦) المواقع : جمع ميقعة : وهى المسن الطويل .

وحدثّنى مَن سمِع أعرابياً يمدح رجلاً برِقّة اللسان فقال : « كانَ واللهِ لسانُه أرقَّ من وَرَقةٍ ، وألْيَنَ من سَرَقَة (١) » .

وقال النبىّ ﷺ لحسّانَ بنِ ثابت : ما بَقِىَ من لسانك ؟ فأخرجَ لسانَه حتّى ضربَ بطرَفه أرنَبَتَه . ثمّ قال : « واللهِ ما يَسُرُّنى به مِقولٌ من معَدٍّ ، واللهِ أن لو وضعتُه على حَجَرٍ (٢) لفلقَه ، أو على شَعرٍ لَحَلَقه » .

قال : وسمعتُ أعرابيًّا يصف لسانَ رجلٍ ، فقال : « كان يَشُولُ بلسانه شَوَلَانَ البَرُوق ، ويتخلّل به تخلّل الحيّة » . وأظنّ هذا الأعرابىَّ أبا الوجيه العُكلىّ .

[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفَحل فإنّها حينئذ ترفع ذنبها .

وإنّما سُمّى شوّال شوّالاً لأنّ النُّوق شالت بأذنابها فيه . فإن قال قائل : قد يتفق أن يكون شوّالٌ فى وقتٍ لا تشول الناقة بذَنبها فيه ، فلم بقىَ هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفّق ١٠٨
أنّ شالت النُّوق بأذنابها فيه ، فبقى عليه كالسِّمة ، وكذلك رمضان إنما سمِّى لرَمَض الماء فيه وهو فى شدّة الحرّ ، فبقى عليه فى البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنّما سمّى لرعيهم الرَّبيع فيه ، وإن كان قد يتّفق هذا الاسم فى وقت البرد والحرّ (٣)] .

قال : ووصَف أعرابىٌّ رجلاً فقال : أتيناه فأخرَجَ لسانَه كأنّه مِخراقُ لاعب (٤) .

---

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه ؛ معرب من الفارسية « سره » . انظر اللسان والمعرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدا ل : « على صخر » .

(٣) هذه العبارة جميعها ليست فى ل .

(٤) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

قال وقال العبّاس بن عبد المطلب للنبى ﷺ : يا رسول اللهِ ، فيم الجَمَالُ ؟ قال : فى اللِّسان .

قال : وكان مجاشع بن دارم (١) خطيباً سَلِيطاً ، وكان نهشلٌ (٢) بكيئاً مَنْزُوراً (٣) ، فلمّا خرَجَا مِن عند بعض الملوك عذَله مجاشعٌ فى تركِهِ الكلامَ ، فقال له نهشل : إنّى واللهِ لا أحسِنُ تَكذابَكَ ولا تَأْثامكَ ، تشولُ بلسانك شَوَلانَ البَرُوق ، وتَخَلَّلُ تخلُّلَ الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخَلْق مرتبةً الملائكةَ ، ثم الإنس ، ثم الجنّ . وإنما صار لهؤلاءِ المزِيّةُ على جميع الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرُّف ، وبالمنطق .

قال : وقال خالد بنُ صفوان : ما الإنسانُ لولا اللِّسانُ إلاّ صورةٌ ممثّلةٌ ، أو بهيمةٌ مهمَلةٌ .

قال : وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع علىَّ النَّوم ؟ قال : لأنك حمار فى مسلاخ إنسان (٤) .

وقال صاحب المنطق : حدُّ الإنسانِ الحيُّ الناطق المُبِين (٥) .

وقال الأعور الشَّنّىُّ (٦) :

---

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ وكان غالب بن صعصعة والد الفرزدق سيد بنى مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلاخ : الجلد .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشنى ، هو بشر بن منقذ ، أحد بنى شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤتلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضى الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لزهير فى معلقته .

١٠٦ وكائنْ ترى مِن صامتٍ لكَ مُعجبٍ زيادتُـه أو نقصُه فى التَّكلُّـم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يَبق إلّا صورةُ اللّحمِ والدمِ

* * *

ولما دخل ضَمْرة بن ضَمْرة (١) ، على النُّعمان بن المنذر ، زَرَى عليه ، للذى رأى مِن دَمامته وقِصَرِه وقِلّته . فقال النُّعمان (٢) : « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِىِّ لا أنْ تراه (٣) » . فقال : أبيتَ اللّعنَ ! إنّ الرِّجالَ لا تُكال بالقُفْزان (٤) ، ولا تُوزَن بالميزان ، وليست بمُسوكٍ يُستَقَى بها ، وإنّما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، إن صالَ صال بِجَنانٍ ، وإن قال قال بِبيان » .

واليمانِيَة تجعل هذا للصُّقْعب النهدىّ (٥) . فإنّ كان ذلك كذلك فقد أقرُّوا بأنّ نهداً من مَعَدٍّ .

وكان يقال : « عقلُ الرَّجُل مدفون تحتَ لسانه » .

---

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٤٩ فى ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة ، وكان من رجال بنى تميم فى الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة » . وفى أمثال الميدانى (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة » ، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

صرمت إخاءَ شقة يوم غول وإخوته فلا حلت حلالى

وانظر الفاخر ٦٥ وأمالى الزجاجى ٢٠٠ واللسان (معد ٤١٤) .

(٢) فى أمثال الميدانى أن صاحب الخبر ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النعمان .

(٣) المعيدى تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائى يرى التشديد فى الدال . انظر اللسان (معد).ويروى : « لأن تسمع بالمعيدى خير » و : « أن تسمع » .

(٤) القفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال قدره ثمانية مكاكيك عند أهل العراق

(٥) من بنى نهد . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصقعب ، الوافد إلى النعمان . واسم الصقعب خيثم بن عمرو ، وكان سيد بنى نهد قد أخذ مرباعهم دهرا ، وله حديث فى دخوله إلى النعمان . وقال قوم : بل اسمه البراء بن عمرو » .

وباب آخر فى ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قَالَ الحسن : « لِسان العاقل مِن وراءِ قلبِه ، فإذا أراد الكلامَ تفكَّر ، فإن كان له قالَ ، وإن كان عليه سكَت . وقَلْبُ الجاهل من وراء لسانِه ، فإنْ همَّ بالكلام تكلَّم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوَجيه : حدَّثنى الفرزدق قال : كُنَّا فى ضيافة معاويةَ بن أبى سفيان ، ومعنا كعب بن جُعَيْل التَّغلبىُّ ، فقال له يزيد : إنَّ [ابن حَسَّان — يريد (١)] عبد الرحمن بن حسَّان — قد فَضَحَنا ! فاهجُ الأنصارَ . قال:أرادُّى أنت إلى الإشراك بعد الإيمان (٢) ، لا أهجُوَ قوماً نَصَرُوا رسول الله ﷺ ، ولكننِّى أدلُّك على غلامٍ مِنَّا نَصرانىٍّ كأنَّ لسانه لسانُ ثور . يعنى الأخطل .

وقال سَعْدُ بنُ أبى وقَّاصٍ ، لعُمَر ابنِه (٣) حين نَطَقَ مع القوم فبذَّهُم ، وقد كانوا كلَّموه فى الرِّضا عنه . قال : هذا الذى أغضَبَنى عليه ، أنِّى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قومٌ يأكلون الدُّنيا بألسِنَتِهم ، كما تَلْحَس الأرضَ البقرةُ بلسانها » .

قال : وقال معاويةُ لعمرِو بن العاصِى : « يا عمر ، إنّ أهل العراق قد أكرَهُوا علياً على أبى موسى ، وأنا وأهلُ الشّام رَاضُونَ بك ، وقد ضُمَّ إليكَ رجلٌ طويلُ اللِّسان ، قصير الرَّأى ، فأجِد الحَزَّ ، وطبِّق المَفْصِل ، ولا تَلْقَه ١٠٧
برأيكَ كُلِّه » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) فيما عدا ل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبى وقاص ، تابعى ثقة ، وهو الذى قتل الحسين ، ولد فى عصر النبى ﷺ وقتل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

والعجَب من قول ابن الزُّبير للأعراب : « سلاحُكم رَثٌّ ، وحديثكم غَثٌّ . وكيف يكون هذا وقد ذَكَرُوا أنّه كان مِن أحسَن النّاس حديثاً ، وأن أبا نَضرَة [١] وعُبيد الله بن أبى بَكرةَ [٢] إنّما كانا يحكيانه . فلا أدرِى إلاَّ أن يكون حُسْن حديثه هو الذى ألقى الحسدَ بينه وبين كلٍّ حَسَنِ الحديث .

وقد ذَكَرُوا أنّ خالدَ بن صفوانَ تكلَّم فى بعض الأمر ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلامٍ لم يظنَّ خالدٌ أنَّ ذلك الكلامَ كان عنده ، فلما طال بهما المجلسُ كأنَّ خالداً [٣] عرَّض له ببعضِ الأمر ، فقال المدنىّ : « يا أبا صفوان ، مالي مِن ذنبٍ إلا اتِّفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعىّ .

قال فَضّالٌ الأزرق : قال رجلٌ من بنى مِنْقرٍ : تكلَّم خالد بن صفوان فى صُلح بكلامٍ لم يسمع النّاس قبلَه مِثلَه ، فإذا أعرابىٌّ فى بَتٍّ [٤] ، ما فى رجليه حذاء ، فأجابه بكلامٍ ودِدتُ والله أنّى كنت مُتُّ وأنَّ ذلك لم يكُنْ ، فلمّا رأى خالدٌ ما نَزَلَ بى قال : يا أخا مِنقر ، كيف نُجاريهِمْ وإنَّما نحكيهم ، وكيف نُسابقُهم وإنما نَجرِى على ماسبَقَ إلينا من أعراقِهم ؛ فلْيُفْرِخ روعُكَ فإنّه من مُقَاعِسٍ ، ومُقَاعِسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما أَلُومُك على الأُولى ، ولا أدعُ حَمْدَك على الأُخرى .

---

(١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدى . تابعى روى عن على وأبى موسى الأشعرى وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبى عَروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفى سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما فى التقريب .

(٢) أبو بكرة ، اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات فى خلافة عمر ، وكان تدلى إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفى عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، أعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجمل الناس وأشجعهم . ولاه الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك فى مجاعة. المعارف ١٢٥ — ١٢٦ . ب : « بن أبى بكر » تحريف .

(٣) كذا وردت العبارة مضبوطة فى ل ، هـ : وفى سائر النسخ : « كان خالد عرض » .

(٤) البتّ ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبدِ العزيز : « ما كلّمنى رجلٌ من بنى أسدٍ إلا تمنّيت أن يُمدّ له فى حُجَّتِهِ حتَّى يكثُرَ كلامه فأسمعَه » .

وقال يونُسُ بنُ حبيبٍ (١) : ليس فى بنى أسدٍ إلاّ خطيبٌ ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس فى هذيلٍ إلاّ شاعرٌ أو رامٍ ، أو شديدُ العَدْو .

التَّرجُمان بن هُرَيْم بن عدىّ بن أبى طَحْمَةَ (٢) قال : دُعى رَقَبة بنُ مَصْقَلة ، أو كَرِب بن رقبة (٣) إلى مجلسٍ ليتكلّم فيه ، فرأى مكانَ أعرابىٍّ فى شَمْلَةٍ (٤) ، فأنكر موضعَه ، فسأل الذى عن يمينه عنه فخبّره أنّه الذى أعدُّوه لجوابِه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِى على شىءٍ ؛ كراهةَ أن يُجمعَ بين الدِّيباجتين فيتَّضع عند الجميع .

وقال خَلّاد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبى نَضرة أحسَنَ حديثاً من سَلْم بن قُتَيبة (٥) . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة يقول : احذِفوا الحديث كما يحذِفُه سَلْم بن قتيبة . ١٠٨

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ، إمام نحاة البصرة فى عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه فى كتابه . وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! وفى القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من الشرفاء » .

(٣) ل : « كوز بن رقبة » . وفى المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقبة » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها العجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلى ، كان أبوه والى خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فوليها أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، روى عنه الأصمعى ، وخلاد بن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلى عليه المهدى . تهذيب التهذيب وجمهرة ابن حزم ٢٤٦ . ماعدا ل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

ويزعمون أنّهم لم يَرَوْا محدِّثا قطُّ صاحبَ آثارٍ كان أجودَ حَذْفاً وأحسَن اختصاراً للحديث من سفيانَ بن عُيينة (١) . سألوه مَرّةً عن قول طاوُسٍ (٢) فى ذكاة الجراد ، فقال : ابنُه عنه (٣) : « ذكاتُه صَيْدُه (٤) » .

* * *

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى الكوفى ، وكان محدثا كثير الرواية ثقة . توفى سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٢) هو طاوس بن كيسان اليمانى الجندى ، وقيل اسمه ذكوان ، وطاوس لقب له ، مولى من أبناء الفرس . روى عن العبادلة الأربعة ، وأبى هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك وعمرو بن دينار وغيرهم . وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٦٠) .

(٣) يريد « حدثنى ابن طاوس عن طاوس » وابنه الذى يعنيه هو عبد الله بن طاوس ، روى عن أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه ابناه : طاوس ومحمد ، وعمرو بن دينار ، والسفيانان . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاء والتذكية . فيما عدا ل ، هـ : « زكاة » و « زكاته » بالزاى ، تحريف . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢١٠) .

وباب آخر

وكانوا يَمدحون شِدّةَ العَارضة ، وقوةَ المُنّة ، وظهورَ الحُجَّة ، وثَباتَ الجَنَانِ ، وكثرةَ الرِّيق ، والعلُوَّ على الخَصْم ؛ ويَهْجُون بخلافِ ذلك . قال الشّاعر :

طَباقاء لم يشهد خُصوماً ولم يَعِش   حميداً ولم يشهد حِلَالاً ولا عِطْرَا (١)

وقال أبو زُبَيدٍ الطائيّ :

وخطيب إذا تمعَّرَت الأو   جُهُ يوماً فى مَأقِطٍ مَشهودِ (٢)

طَباقاء ، يقال للبعير إذا لم يُحْسِنِ الضِّراب : جَملٌ عَياياء ، وجمل طَبَاقاء وهو هاهنا للرَّجُل الذى لا يتّجِه للحجّة . الحِلَال : الجماعات ؛ ويقال حىٌّ حِلَالٌ اذا كانوا متجاوِرِين مقيمين (٣) . والعِطرُ هُنا : العُرْسُ (٤) . المأْقِط : الموضع الضيّق ، والمأقِط : الموضع الذى يُقتَتَل فيه . وقال نافعُ بن خليفةَ الغَنَوىّ :

وخَصْمٍ لَدَى بابِ الأمير كأنهمْ   قُرومٌ فَشَا فِيها الزَّوائرُ والهَدْرُ

دَلَفْتُ لهم دُونَ المُنَى بملمّةٍ   من الدُّر فى أعقاب جَوْهَرِها شَذْرُ (٥)

إذا القومُ قالوا أَدْنِ منها وجدتُها   مُطَبَّقةً يهماءَ ليس لها خَصْرُ

القُرُوم : الجِمَالُ المصاعب .الزوائر : الذين يزئرون (٦) . والهَدْرُ : صوته عند هَيْجه ، ويقال له الهَدِيرُ . دلفت ، أى نهضتُ نهوضاً رُوَيدا. والدَّليف :

---

(١) أنشده فى اللسان (طبق ٨٣) . وقد سبق نظيره فى ١١٠ س ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ١٣٨ – ١٤١ . تمعرت بالعين المهملة . تغيرت وعلتها صفرة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « الحرس » تحريف .

(٥) عنى بالملمة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « يزأرون » وكلاهما صواب ، يقال زأر يزأر ويزئر .

المشىُ الرُّوَيْد [١] . قوله أذْنِ منها ، أى قلِّلْها واختصِرْها . وجدتُها مُطَبِّقة ، أى قد طَبَّقتهم بالحُجَّة . والبَهماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لطريق . وبهماء
١٠٩ هاهنا ، يعنى التى لا يُهتدَى إليها ويضل الخصومُ عِندَها ؛ [والأَبهمُ من الرجال : الحائر الذى لا يهتدى لشيءٍ . وأرضٌ بهماء ، إذا لم يكنْ فيها علامة [٢]] .

وقال الأَسْلَعُ بن قِصافٍ الطُّهَوِىّ [٣] :

فِداءٌ لقومى كُلُّ معشَرِ جارِمٍ طريدٍ ومَخْذولٍ بما جَرَّ مُسْلَمِ [٤]
همُ أفحَمُوا الخَصْمَ الذى يستقيدُني وهمْ فَصَموا حِجلَىَّ وهم حقَنُوا دمى [٥]
بأيدٍ يُفَرِّجْن المَضِيقَ وألْسُنٍ سِلاطٍ وجمعٍ ذِى زُهاءٍ عَرَمْرَمِ
إذا شِئْتَ لم تَعْدَمْ لدى الباب منهم جميلَ المُحَيَّا واضحاً غيرَ تَوأَمِ

الزُّهاء : الكَثرة ، هاهنا . والعرمْرَم من العَرامة ، وهى الشَّراسة والشدّة [٦] . التَّوْأمان : الأخَوانِ المولودانِ فى بطن .

وقال التميمىُّ فى ذلك :

أما رأيت الأَلْسُنَ السِّلاطَا إن النَّدَى حيث ترى الضِّغاطَا [٧]
* والجاهَ والإقدامَ والنَّشاطَا *

---

(١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « دلفت : دنوت » .
(٢) هذه مما عدا ل .
(٣) فى الأصل : « الأسلع بن قطاف » . صوابه من المؤتلف ٤٤ ونوادر أبى زيد ١٩٩ . وقصاف ، ككتاب ، من أسمائهم .
(٤) جر ، أى جنى جناية . والمسلَم : الذى أسلمه قومه .
(٥) يستقيده : يطلب القود منه . فصموا : كسروا . فيما عدا ل : « قصموا » بالقاف . وحجلا القيد : حلقتاه .
(٦) فى اللسان : « وجيش عرمرم : كثير ، وقيل هو الكثير من كل شيء . والعرمرم : الشديد » .
(٧) الندى : الكرم . الضغاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، اراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . والبيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيوان (٥ : ٤٤٥) .

ذهب فى البيت الأخير إلى قولِ الشاعر [١]:

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ ـبُّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكرماءِ

وإلى قول الآخَر :

يرفَضُّ عن بيت الفقير ضُيوفُه وترى الغِنَى يَهدِى لك الزُّوَّارَا

وأنشدُوا فى المعنى الأول :

وخطيبِ قومٍ قَدَّمُوه أمامَهمْ ثقةً به مُتَخَمِّطٍ تَيَّاحِ
جاوبْتُ خُطبتَه فظَلَّ كأنَّه لَمَّا خَطبتُ مُلَّحٌ بِملَاحِ [٢]

المتخمِّط : المتكبِّر مع غَضَب. والتَّيَّاح : المِتْيَحُ الذى يَعرِض فى كلِّ شىءٍ ويدخُل فيما لا يعنيه. وقوله مملَّحٌ بِملاح ، أى متقبِّض كأنه مُلِّح من الملح. وأنشد أيضاً :

أرقتُ لِضَوء بَرق فى نَشَاصٍ تلألأ فى مُمَلَّأة غِصاصٍ [٣] ١١٠

النشاص : السَّحَاب الأبيضُ المرتفع بعضه فوقَ بعض ، وليس بمنبسط تلألأ ، التلألُؤُ : البَرْق [٤] فى سُرعةٍ . مملأة بالماءِ. غِصَاص : قد غُصَّت بالماء

لواقِحَ دُلَّحٍ بالماءِ سُحْمٍ تمجُّ الغيثَ من خَلَلِ الخَصَاصِ

اللواقح : التى قد لقحتْ من الرِّيح . والدُّلَّح : الدانية الظاهرةُ المثقلة بالماء. سُحم : سود . والخَصاص ، هاهنا : خَلَل السحاب [٥] .

---

(١) هو بشار بن برد . والبيت فى الحيوان (٥ : ٤٤٥) ، وهو من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سَلم. وقبل البيت ، كما فى الأغانى (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم فى عطاء ومركب للقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو فِ ولكن يلذ طعمَ العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه فى اللسان (نشص) .

(٤) ل : « الظهور للبرق » .

(٥) ورد هذا التفسير فى ل بعد نهاية هذه الأبيات .

سَلِ الخطباءَ هل سَبَحُوا كسَبْحِى   بحُورَ القَوْلِ أو غَاصُوا مَغاصِى
لسانى بالنَّثِير وبالقَوافِــــى   وبالأَسجاع أمهَرُ فى الغِواصِ (١)

[النَّثير : الكلام المنثور . القوافى : خواتم أبيات الشِّعر . الأَسجاع : الكلام المزدوج على غير وزن (٢)] .

مِن الحُوت الذى فى لُجِّ بحرٍ   مُجيدِ الغَوْص فى لُجَج المَغَاص
لعمرُكَ إنَّنى لأَعِفُّ نفسى   وأستُر بالتكرُّم من خَصاصى (٣)

وأنشد لرجلٍ من بنى ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لنا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نجمٍ   يُضِىءُ لنا إذا القَمرانِ غارا (٤)
ومَن يَفْخَر بغير ابنَىْ نِزارٍ   فليس بأوَّل الخطباءِ جارا (٥)

وأنشد للأقرع (٦) :

إنِّى امرؤٌ لا أُقِيلُ الخصْمَ عَثْرتَهُ   عندَ الأَمير إذا ما خَصمُه ظلعا
يُنِير وَجْهِى إذا جَدَّ الخِصامُ بنا   ووَجْهُ خَصمِى تراه الدّهرَ مُلْتَمَعا (٧)

وأنشد :

تراه بنصرى فى الحفيظة واثقاً   وإنْ صَدَّ عنى العينُ منه وحاجبُه (٨)
وإن خَطَرتْ أيدى الكُماة وجدتَنى   نَصُوراً إذا ما استيبَسَ الرِّيقَ عاصبُه

---

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفى . وقد ذكر فى القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدا ل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .

(٥) ابنا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدا ل : « أبى نزار » . جار : ظلم

(٦) الأقرع القشيرى ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن . كان يناقض جعفر بن علبة الحارثى اللص ، وكان فى أيام هشام بن عبد الملك . المرزبانى ٣٨ .

(٧) التمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفى هامش ل : « خ : منتقعا » يقال انتقع لونه بالبناء للمفعول : تغير .

(٨) البيتان لأشرس بن بشامة الحنظلى . انظر نوادر أبى زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) .

عاصبه : يابسه ، يعتصم به [1] حتّى يُتمّ كلامَه . الكماةُ : جمع كميّ ؛ والكميّ الرجل المتكمّي بالسلاح ، يعني المتكفّر به المتستّر . ويقال كَمَى الرّجلُ شهادتَه يكْمِيها ، إذا كتَمَها وسترها . وقال ابنُ أحْمَرَ وذَكر الريقَ والاعتصامَ به : ١١١

هذا الثّناءُ وأجدِرْ أن أُصاحِبه   وقد يُدَوِّم ريقَ الطّامع الأمَلُ [2]

وقال الزُّبير بن العوّام ، وهو يُرقِّص عروةَ ابنَه :

أبيضُ مِن آل أبي عَتِيقِ   مباركٌ من وَلَدِ الصِّدِّيقِ

* أَلَذُّه كما أَلَذُّ ريقي *

وقالت امرأة من بني أسد [3] :

ألَا بَكَر النّاعِي بخَيْرِ بني أسَدْ   بعمرو بنِ مسعودٍ وبالسّيِّدِ الصَّمَد [4]

فمن كانَ يَعْيَا بالجوابِ فإنّه   أبو معْقِلٍ لا حَجْرَ عنه ولا صدَدْ

أثارُوا بصَحراء الثّويّة قَبـرَه   وما كنتُ أخْشَى أن تَناءَى به البلَدْ

[تَناءى : تبعُد [5]] . والثّويّةَ : موضعٌ بناحية الكوفة [6] . ومن قال الثُّوَيَّة فهي تصغير الثّوِيَّة .

وقال أوسُ بن حَجَرٍ في فَضَالَة بن كَلَدَة :

أبا دُلَيجَة مَنْ يُوصَى بأرمَلَـةٍ   أم مَنْ لأشعثَ ذِي طِمرَيْن طِمْلالِ [7]

أمْ مَن يكون خَطيبَ القومِ إن حَفَلوا   لَدَى المُلوك أُولى كَيدٍ وأقوالِ [8]

---

(١) ل : « طالبه ليعتصب به » تحريف .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .

(٣) هي هند بنت معبد بن نضلة ، ترثي عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة . معجم البكري ٩٩٦ .

(٤) رواه في المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخيري بني أسد » . وفي (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه الرواية الأخيرة هي رواية أبي عمرو . وهي رواية اللسان (صمد) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) فيما عدا ل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفي ل : « من توصى » . وفيما عدا ل : « ذي هدمين » .

(٨) هذا البيت لم يرو في الديوان .

و « هدمين (١) » ، وهما ثوبان خَلَقان (٢) . يقال ثوبٌ أهدامٌ ، إذا كان خَلَقاً . والطِّمْلالُ : الفقير . وقال أيضاً فيه (٣) :

أَلْهفى عَلَى حُسْنِ آلائِهِ على الجابِرِ الحيِّ والحاربِ (٤)
ورِقْبَتِـهِ حَتَمـاتِ الملـو كِ بينَ السُّرادِقِ والحاجبِ (٥)
ويَكفِي المقالَةَ أَهْلَ الدُّحا لِ غيرَ مَعيبٍ ولا عائبِ (٦)

رِقبته ، أى انتظاره إذنَ الملوك . وجعَله بين السُّرادِقِ والحاجب لِيدُلَّ على مكانته من الملوك (٧) . وأنشد أيضاً :

وخَصم غضَابٍ يُنْغِضُون رءوسَهمْ أولِى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ صُهْبٍ سِبَالُها (٨)
١١٢ ضَرَبْتُ لهم إبْطَ الشِّمال فأصْبَحت يرُدُّ غواةً آخَرِيـــن نَكـــالها

إبْط الشمال ، يعني الفؤاد ؛ لأنه لا يكون إلا فى تلك الناحية (٩) . وقال شُتَيم بن خُويلِدٍ (١٠) :

وقلتُ لسَيِّدنا يا حليـ ـمُ إنَّك لم تَأْسُ أَسْواً رفيقا (١١)

---

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » .

(٢) فيما عدا ل : « هدمين : ثوبين خلقين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال أيضا فى فضالة بن كلدة » .

(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس . الحارب : المحارب ، أو الذى يحرب للغير ماله ، يسلبه .

(٥) الحتمات ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حتمة ، مرة من الحتم بمعنى القضاء وإيجابه . ثم وجدت فى حواشى هـ : « حتمات الملوك : أقضيتهم التى لا ترد . والحاتم : القاضى » .

(٦) الدحال : المراوغة والمخادعة . فيما عدا ل : « أهل الرحال » .

(٧) هـ : « من الملك » .

(٨) يقال نغض رأسه ينغضه ، وأنغضه ينغضه : حركه . والصهب السبال ، كناية عن الأعداء . وصهبة السبال من خواص الروم . والصهبة : الشقرة والحمرة .

(٩) فيما عدا ل : « لأنه يكون فى تلك الناحية » .

(١٠) هو شتيم بن خويلد ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو بهيئة التصغير ، كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤) .

(١١) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٨٢ / ٥ : ٥١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول منها فى الأضداد لابن الأنبارى ٢٢٥ والأخير فى المخصص (٢ : ٨٩) والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ ، والخزانة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أعنْتَ عدِياً على شأْوِها تُعادِي فريقاً وتُبقى فَرِيقا
زحَرْتَ بها ليلةً كُلَّها فجئْتَ بها مُؤْيِداً خَنْفقيقا

تأسُو : تُدَاوِى ، أَسْواً وأَسًى ، مصدران . والآسِى : الطَّبيب . ومُؤْيِد : داهية . خَنْفَقِيق : داهيةٌ أيضاً . الشَّأْو : الغَلْوَةُ لركض الفَرَس .

وأنشد لآدَمَ مَولَى بَلْعَنبر ، يقولها لابنه (١) :

يا بأبِى أنتَ ويافوقَ البِئَبْ (٢) يا بأَبى خُصْيَيْكَ من خُصًى وزُبّ (٣)
أنت الحبيب وكذا قول المحبّ (٤) جَنَّبَكَ اللهُ مَعارِيضَ الوصَبْ
حتى تُفِيدَ وتُداوِى ذَا الجرَبْ (٥) وذا الجُنونِ من سُعالٍ وكَلَبْ
والحُدْبَ حتَّى يستقيمَ ذو الحَدَبْ وتَحمِلَ الشّاعِرَ فى اليومِ العَصِبْ
عَلَى مَبَاهِيرَ كثيراتِ التَّعَبْ (٦) وإن أراد جَدِلٌ صَعْبٌ أَرِبْ
خُصُومةً تثقب أوساطَ الرُّكب (٧) أَصْلَعْتَهُ من رَتَبٍ إلى رَتَبْ
حتّى تَرَى الأبصارَ أمثالَ الشُّهُبْ يَرْمِى بها أَشْوَسُ ملحاحٌ كَلِبْ

* مجَرَّبُ الشَّدَّاتِ ميمونٌ مِذَبّ (٨) *

الوَصَبُ : المرض . والعَصِب : الشّديد . يقال يَوْمٌ عَصِبٌ وعصيبٌ وعَصَبْصَبٌ ، إذا كان شديداً . مَبَاهير : مَتَاعيب قد علاهم البُهْرُ . أَرِبٌ ، يقال رَجلٌ أريب

---

(١) الرجز التالى أنشده ابن منظور فى اللسان (١٨ : ١٠ — ١١) وذكر روايته عن الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٢) أى فوق قولك : « بأبى أنت » . ويروى : البيب « بالتسهيل .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « خصييك » . وفى اللسان : « خصياك » .

(٤) فى اللسان : «فعل المحب» .

(٥) فى حواشى هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن فى اللسان : « على نهابير » والنهابير : الأمور الشداد الصعبة ، واحدتها نهبورة .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو فى اللسان .

(٨) فى اللسان : « مجرب الشكات » .

١١٣ وأرِبٌ ، وله إرْبٌ ، إذا كان عاقلاً أديباً حازما . أظلعتهُ [١] يقال ظَلَع الرّجلُ ، إذا خَمَع فى مَشْيِه . الرَّتَبَة : واحدة الرَّتَب والرَّتَبات ، وهى الدَّرَج . أى تُخْرِجه مِن شيءٍ إلى شيءٍ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخِرِ عينه . مِلحاح : مُلِحٌّ ، من الإلحاح على الشَّيْء . كَلِبٌ ، أى الذى قد كَلِبَ . مِذَبٌّ : أى يذبُّ عن حريمه وعن نفسه .

وقالت ابنةُ وَثيمةَ ، ترثى أباها وَثيمةَ بن عثمان :

الـواهب المالَ التِّــلا دَ نَدًى ويكفينا العَظيمَهْ [٢]
ويكـون مِذْرَهَنــا إذا نَزَلَتْ مجلِّحَةٌ عَظيمـهْ
واحْمَـرَّ آفـاق السمّـا ء ولم تقَعْ فى الأرض دِيمه
وتَعــذَّر الآكالُ حـ ـتَّى كانَ أَحْمَدَها الهَشِيمَهْ
لا ثَلّةٌ تَرْعَى ولا إبلٌ ولا بقَرٌ مُسِيمَهْ
ألفيتَــه مأوى الأرا مِل والمدَفَّعـةِ اليتيمـهْ
والدافِعَ الـخَصْمَ الألَـ ـدَّ إذا تُفوضِحَ فى الخُصُومهْ
بلسانِ لُقمانَ بن عا دَ وفصل خُطْبته الحكيمهْ
ألجمتَهـمْ بعـد التـدا فُع والتجاذُب فى الحُكومَهْ

التِّلادُ [٣] : القديم من المال . والطارف : المستفاد . والمِذْرَه : لسان القوم المتكلِّم عنهم . مجلِّحةٌ ، أى داهية مصمِّمة . احمرَّ آفاقُ السّماء ، أى اشتدّ البرد وقَلّ المطرُ وكثُر القَحْط . ودِيمةٌ : واحدةُ الدِّيَم ، وهى الأمطار الدائمة مع سكون.تعذَّر : تمنَّع . الآكال : جمع أُكْل ، وهو مايؤكل . والهَشِيمَةُ : ما تَهشّم

---

(١) كذا جاءت بالظاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أطلعته » .

(٢) فيما عدا ل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدا ل ، هـ متخللا للأبيات .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر [١] . الثلَّة : الضأن الكثيرة ، ولا يقال للمِعزى ثَلّة ، ولكن حَيْلَةٌ [٢] ، فإذا اجتمعت الضَّأْن والمِعزى قيل لهما: ثَلّة . مُسِيمةٌ ، أى صارت فى السَّوْمِ ودخلت فيه ، والسَّوْمُ : الرعى . وسامَت تسوم ، أى رعت تَرْعَى . ومنه قول الله: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ [٣] ﴾ .

وكانت العربُ تُعظِّم شأْنَ لُقمانَ بن عادٍ الأكبرِ والأصغرِ لُقَيم بنِ لُقمان [٤] فى النَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللِّسان والحِلْم . ١١٤ وهذان غيرُ لقمانَ الحكيمِ المذكور فى القرآن [٤] على ما يقوله المفسِّرون . ولارتفاع قَدْره وعِظَم شأنِه ، قال النَّمر بنُ تَولَب :

لُقَيمُ بنُ لُقْمانَ من أُخته ... فكان ابنَ أختٍ له وابنَما [٥]
ليالِيَ حمِّقَ فاستَحصنَتْ ... عليه فغُرَّ بها مُظلِما [٦]
فغُرَّ بها رَجُلٌ مُحْكِمٌ ... فجاءت به رجُلاً مُحْكِما [٧]

وذلك أنّ أُختَ لقمان قالت لامرأةِ لقمان : إنِّى امرأةٌ مُحْمِقَةٌ ، ولقمانُ رجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى ليلة طُهْرى ، فَهَبى لى ليلتَك . ففعلَتْ فباتت

---

(١) فيما عدا ل : « ما يهشم من الشجر ، أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدا ل : « الثلة : ما بين الست إلى العشر من الغنم . مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقيم بن لقمان » وقد محيت الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو المعمر صاحب حديث النسور . انظر أخبار عبيد بن شرية ٣٥٦ — ٣٦٧ . ٢٠ والتيجان ٧٥ — ٧٨ والمعمرين ٣ — ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ — ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ — ٣٩٤) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حرا وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٦) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « ليالى حمق فما استحقبت » .

(٧) الحيوان وحواشى هـ : « فأحبلها رجل محكم » وفى الأمثال : « فأحبلها رجل نابه » .

فى بيت امرأةِ لقمان ، فوقع عليها فأحبلَها بلُقَيم ، فلذلك قال النَّمر بن تولب ما قال .

والمرأة إذا ولدت الحَمْقَى فهى مُحْمِقَةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يَرَى ولَدَ زَوجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأةٌ ذاتُ بنات :

وما أبالِى أنْ أكونَ مُحمِقَه إذا رأيتُ خُصْيةً مُعلَّقَه (١)

وقال آخر :

أَزْرَى بسَعْيِك أنْ كنتَ امرأً حَمِقاً مِن نسل ضاوِيَةِ الأَعراق مِحماقِ

ضاوية الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نحيفتُها . يقال رجلٌ ضاوٍ ، وفيه ضاويَةٌ ، إذا كان نحيفاً قليلَ الجسم . وجاء فى الحديث : « اغتربُوا لا تُضْوُوا » . أى لا يتزوَّج الرَّجل القرابَة القريبة ، فيجيءَ ولدُه ضاويا . والفعل منه ضَوِىَ يَضْوَى ضَوًى . والأعراقُ : الأصول . والمحماقُ : التى عادتها أن تلد الحَمْقَى .

ولبُغْضِهِم البناتِ قالت إحدى القوابل :

أيا سَحَابُ طَرِّقى بخيرِ (٢) وطَرِّقِى بخُصْيةٍ وأَيْرِ

* ولا تُرِيناَ طَرَفَ البُظَيْرِ *

١١٥ وقال الآخر (٣) فى إنجاب الأمَّهات ، وهو يخاطب بنى إخوته :

عفاريتاً عَلَىَّ وأَخْذَ مالى وعَجزاً عَن أُناسٍ آخرينا (٤)

---

(١) الرجز فى المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته فى الحيوان (٥ : ٥٨١) . وانظر شرح المرزوقى للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هريم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزانة (١ : ٢٧٧) . والأبيات الأربعة الأولى منسوبة فى اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب فى نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدا ل : « وحلما عن أناس » . وفى اللسان : « وجبنا عن رجال » .

فهلَّا غيْرَ عَمِّكُم ظَلَمتُمْ   إذا ماكنتمُ متظلِّمينـــا
فلو كُنْتُمْ لكيِّسةٍ أكاسَتْ   وكَيْس الأُمِّ أكْيَسُ للبَنِينا (١)
ولكن أُمُّكم حَمُقَتْ فجئتم   غِثاثاً ما نَرَى فيكمْ سَمِينا (٢)
وكان لنا فَزَارةُ عَمَّ سَوءٍ   وكنتُ له كشَرِّ بني الأَخِينا (٣)

ولبُغْضِ البناتِ هجَرَ أبو حمزةَ الضبيُّ خَيْمةَ امرأتِه ، وكان يَقِيلُ ويَبِيتُ عند جيرانٍ له ، حينَ ولدت امرأتُه بنتاً ، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هى ترقِّصُها وتقول :

ما لأبى حمزةَ لا يأتِينا   يظلُّ فى البيت الذى يَلِينا
غَضْبانَ ألّا نلد البَنينا   تاللهِ ما ذلك فى أيدينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا   ونحن كالأرض لزراعينا
* نُنبِتُ ما قد زرَعُوه فينا (٤) *

قال : فغدَا الشّيخُ حتّى ولَجَ البيتَ فقبَّلَ رأسَ امرأتِه وابنتها .

وهذا الباب يقع فى كتاب الإنسان (٥) ، وفى فصْل ما بين الذَّكَر والأنثى ، تامًّا ، وليس هذا البابُ مما يدخل فى باب البيان والتَّبْيين (٦) ، ولكن قد يَجرِى السَّببُ فيُجرَى معه بقَدْرِ ما يكونُ تنشيطاً لقارئ الكتاب ، لأنّ خروجَه من الباب إذا طال لبعض العلم (٧) كان ذلك (٨) أرْوَحَ على قلبه ، وأزيَدَ فى نشاطِه إن شاء الله .

---

(١) فى الخزانة : « كيس للبنينا » . وفى اللسان : « يعرف فى البنينا » .
(٢) هذا البيت ساقط مما عدا ل . وقد روى فى الخزانة عن البغدادى .
(٣) يستشهد به على أن « أخا » يجمع على « أخين » جمع مذكر سالما . ورواية اللسان :
وكان بنو فزارة شر قوم   وكنت لهم كشر بنى الأخينا
(٤) البيت الرابع والسابع ليس فى ل ، هـ .
(٥) فيما عدا ل : « فى كتاب الإنسان من كتاب الحيوان » .
(٦) ل ، هـ : « التبين » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة .
(٧) فى ل : « لبعض الكلام العلم » .
(٨) « كان ذلك » ساقط من ل .

وقد قال الأول [١] فى تعظيم شأن لُقَيم بن لقمان :

قومى اصبَحينى فما صِيغَ الفتى حجراً ‏ ‏ ‏ لكنْ رَهينَةَ أحجارٍ وأرمَاسِ
قومى اصبَحِينى فإنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ ‏ ‏ ‏ أفنى لُقَيماً وأفنَى آل هِرماسِ [٢]
اليومَ خَمرٌ ويَبدُو فى غدٍ خَبرٌ ‏ ‏ ‏ والدّهرُ مِن بين إنعامٍ وإبْآسِ
١١٦ فاشرَبْ على حَدَثان الدّهرِ مرتفِعاً ‏ ‏ ‏ لا يصحَبُ الهَمُّ قَرعَ السِّنِّ بالكاسِ

وقال أبو الطَّمَحان [٣] القينىّ فى ذكر لُقمان :

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُه ‏ ‏ ‏ فيه تَقَطُّع ألآفٍ وأقرانِ
أمْسَتْ بنو القَين أفراقاً موزَّعةً ‏ ‏ ‏ كأنّهمْ من بقايا حىِّ لقمانِ [٤]

وقد ذكرت العربُ هذه الأممَ البائدة ، والقرونَ السالفة . ولبعضهم بقايا قليلةٌ ، وهم أشلاءٌ فى العرب متفرّقون مغمورون ، مثل جُرهُم ، وجاسم ، ووَبار وعِملاق ، وأُميم ، وطَسْم وجَديس ، ولُقمان والهِرماس ، وبنى الناصور ، وقيل بن عترٍ [٥] ، وذى جَدَن . وقد يقال فى بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم ، فأمّا ثَمود فقد خبَّر الله عزّ وجلّ عنهم فقال : ﴿ وثَموداً فَمَا أَبْقَى [٦] ﴾ ، وقال : ﴿ فَهَلْ

---

(١) فى حواشى هـ عن الخشنى : « ذكر الحاتمى أنه لبشار » .

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدا ل هذا التفسير : « اصبحينى ، الصبوح : شرب الغداة . والغبوق : شرب العشى . الرمس : القبر ؛ ويقال رمست الميت وأرمسته ، إذا دفنته » .

(٣) أبو الطمحان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرق ، أحد المعمرين ، كان فى الجاهلية نديما للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣ : ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) بنو القين بن جسر ، قبيل أبى الطمحان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من الأقسام . وفى الكتاب : (فكان كل فرق كالطرد العظيم) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « وعتر » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « ثمودَ » بدون تنوين فى هذا الموضع والموضعين بعده ، وهى قراءة عاصم وحمزة ويعقوب . وقرأ باقى القراء : « وثمودا » بالتنوين ، كما أثبت من ل ، هـ . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحىّ ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ من باقِيَة ﴾ . فأنا أعجَب مِن مسلمٍ يصدِّق بالقرآن ، يزعمُ أنّ قبائل العرب مِن بقايا ثمود .

وكان أبو عبيدة يتأوَّل قولَه : ﴿ وثَموداً فَمَا أَبقَى ﴾ ، أنّ ذلك إنّما وقع على الأكثر ، وعلى الجمهور الأكبر . وهذا التأويل أخرجَهُ من أبى عبيدةَ سوءُ الرأيِ فى القوم ، وليس له أن يجىء إلى خبرٍ عامٍّ مرسَلٍ غير مقيّد ، وخبرٍ مطلَق غير مستثنىً منه ، فيجعَلَه خاصاً كالمستثنى منه . وأىُّ شىءٍ بقى لطاعنٍ أو متأوِّل بعد قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة ﴾ . فكيف يقولُ ذلك إذا كنّا نحنُ قد نرى منهم فى كل حيٍّ باقية ، مَعاذ اللهِ من ذلك .

وروَوْا أنّ الحجّاجَ قال على المنبر يوماً : تزعُمون أنّا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وثَمُوداً فَماَ أَبْقَى ﴾ .

فأما الأممُ البائدة من العجم ، مثل كَنعان ويُونانَ وأشباهِ ذلك ، فكثير ، ولكن العجمَ ليس لها عنايةٌ بحفظ [شأن (١)] الأموات ولا الأحياء .

وقال المسيَّب بن عَلَس (٢) ، فى ذكر لقمان :

وإليكَ أَعْمَلْتُ المطيَّة مِنْ … سَهلِ العِراقِ وأنتَ بالفقر (٣)
أنتَ الرَّئيسُ إذا همُ نزلُوا … وتواجَهُوا كالأُسْدُ والنُّمْرِ ١١٧
لو كنتَ من شىءٍ سوى بَشَرٍ … كنتَ المنوِّر ليلةَ البدرِ

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به بيت قاله :

فإن سركم ألا تؤوب لقاحكم … غزاراً فقولوا للمسيب يا الحق

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويته ، وكان يطرى شعره ويأخذ منه ، وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ – ٥٤٦) والاشتقاق ١٩٢ والموشح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والثالث والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات الميمنى على الخزانة (٣ : ٢١٦) السلفية . وفى حواشى هـ : « كذا وقع فى النسخ . وفى الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هذا :

« سفل العراق وأنت بالقفر » » .

ولأنتَ أجْوَدُ بالعطاء من الـ ـريَّانِ لما جادَ بالقَطْرِ (١)
ولأنت أشجَعُ من أسامةَ إذْ نَقَعَ الصُّراخُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ (٢)
ولأنت أبيَنُ حِين تنطق من لقمـان لمـا عُىَّ بالأمـرِ

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرىّ :

وأخْلَفَ قُسًّا ليتَنى ولو أنَّنِى وأعْيَا على لُقمانَ حُكْم التدبُّرِ (٣)
فإن تسألينا كيفَ نَحْنُ فإنَّنا عَصافِيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ (٤)

السَّحْر : الرِّئة (٥) . والمسحَّرُ : المعلَّل بالطعام والشَّراب . [والمسحَّر : المخدوع (٦)] ، كما قال امرؤ القيس :

أرانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيبٍ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبـالشَّراب (٧)

[أى نُعلَّل . فكأنّا نخدع ونسحر بالطعام والشّراب (٨)] .

وقال الفرزدق :

---

(١) الريان ، عنى به السحاب الممتلئ . حـ فقط : « الرباب » .

(٢) نقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد :

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

(٣) البيتان فى ديوان لبيد طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادى . أى أخلف قسا ما تمناه بقوله ليتنى ، ولو أنتى . لم يظفر بما تمنى . وأما لقمان فلم تغن عنه حكمته وتدبره شيئا . ويروى : « وأخلفن قسا » بعود الضمير على « بنات الدهر » فى بيت سابق . وهو :

وأفنى بنات الدهر أربابَ ناعط بمستمع دون السماء ومنظر

(٤) عصافير ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩ / ٧ : ٦٣) . وقد نسب هذا البيت فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .

(٥) فى الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرئة » .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) البيت فى ديوان امرئ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب من السير السريع . وفى الديوان : « لحتم غيب » .

(٨) هذه مما عدا ل . وقد فسر السحر فى البيت بأنه الغذاء ، كما فى اللسان وشرح الديوان .

لئنْ حَوْمَتِى هابَتْ معدٌّ حِياضها   لقد كان لقمان بنُ عادٍ يهابُها [(١)]

وقال الآخَر [(٢)] :

إذا ما مات مَيتٌ من تميمٍ   فسرَّك أن يَعيش فجِئ بزادِ
بخبز أو بلحمٍ أو بتمرٍ   أو الشَّىء الملفَّف فى البِجادِ [(٣)]
تراه يطوِّف الآفاقَ حرصاً   ليأكلَ رأس لقمانَ بنِ عادِ [(٤)]

وقال أُفنون التَّغلبى :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ   رَبيتُ فيهِمْ ولُقْمانٍ وذِى جدَنِ [(٥)]

وقال الآخر [(٦)] :

ما لذّة العيش والفَتَى للـ   ـدَّهرِ والدهرُ ذو فنونِ
أهلَكَ طسْما وقَبل طسمٍ   أهلك عاداً وذا جُدُونِ   ١١٨
وأهل جاسٍ ومأربٍ بعـ   ـد حَىِّ لُقْمانَ والتُّقُونِ [(٧)]

---

(١) وكذا جاءت الرواية فى الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .

(٢) وهو يزيد بن الصعق الكلابى كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسى ، كما فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك.وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا فى العقد (٢ : ٤٦٢ تأليف) وأخبار الظراف ٢٤ .

(٣) الشيء الملفف فى البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمَى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (بجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .

(٤) فى ثمار القلوب للثعالبى ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه: كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٥) سبق البيت فى أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دياب بن عامر بن ثعلبة ، كما فى اللسان (تقن) . وفى الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . مختلف فى اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .

(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة فى ل ، هـ والتيمورية.وهو موضع ذكره ياقوت،لكن فى معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « باليمن تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

واليُسر للعُسرِ ، والتغنِّى للفقْر ، والحىُّ للمنونِ (١)

* * *

قال : وهم وإن كانوا يحبُّون البيان والطَّلاقة ، والتَّحبير والبلاغة ، والتخلُّص والرَّشاقة ، فإنَّهم كانوا يكرهون السَّلاطة والهَذَر ، والتكلُّف ، والإسهاب والإكثار ؛ لما فى ذلك من التزيُّد والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة فى الغلوّ (٢) .

وكانوا يكرهون الفُضولَ فى البلاغة ، لأنَّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطة ، والسَّلاطة تدعو إلى البَذاء (٣) . وكلُّ مِراءٍ فى الأرض فإنَّما هو من نِتاج الفُضول .

ومَن حَصَّل كلامه وميَّزه ، وحاسب نفسَه ، وخاف الإثم والذمّ ، أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرةَ العُجْبِ وهُجنْة النفج (٤) ، وما فى حبِّ السُّمعة من الفِتنة ، وما فى الرِّياء من مجانبة الإخلاص .

ولقد دعا عُبادةُ بنُ الصَّامتِ (٥) بالطعام ، بكلامٍ تَرَكَ فيه المحاسنة (٦) ، فقال شدَّاد بن أوس (٧) : إنّه قد ترك فيه المحاسنة (٨)، فاسترجعَ ثم قال : « ما تكلّمتُ

= وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والتقون

وكذا أنشده أبو تمام « جاش » بدون همز . وروى فى اللسان (جأش) قول السليك :

أمعتقلى ريب المنون ولم أرع عصافير واد بين جأش ومأرب

وفى سائر النسخ : « جاسم » . وأما التقون ، بضم التاء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وبه يضرب المثل : « أرمى من ابن تقن » . هـ : « ومأرب وحى لقمان » .

(١) التغنى : الغنى ، كالتغانى والاغتناء . الحماسة واللسان : « والغنى كالعدم » .

(٢) فيما عدا ل : « فى العلو والقدر ».

(٣) ل : « البلاء » .

(٤) النفج : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدا ل ، هـ : « القبح » تحريف .

(٥) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، شهد بدرا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قوياً فى دين الله ، قائما بالأمر بالمعروف . توفى بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .

(٦) فيما عدا ل : « ظن أن ترك فيه المحاسبة » وفيه إقحام وتحريف .

(٧) فى الأصول : « أوس بن شداد » تحريف ، وفى حواشى هـ للخشنى : « صوابه شداد بن أوس » . وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى ، ابن أخى حسان . وفيه يقول عبادة بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم » . الإصابة ٣٨٤٢ . وقد روى الجاحظ خطبة له فى الجزء الثالث من البيان .

(٨) فيما عدا ل : « المحاسبة » تحريف .

بكلمةٍ منذُ بايعتُ رسول الله ﷺ إلا مزمومةً مَخْطوطةً » .

قال : ورَوى [(١)] حمادُ بن سَلَمة ، عن أبى حمزة [(٢)] ، عن إبراهيم [(٣)] قال : « إنما يَهْلِك النّاسُ فى فُضول الكلام ، وفضول المال » .

وقال [(٤)] : « دع المعاذِر ، فإن أكثرها مَفاجر » . وإنما صارت المعاذر كذلك لأنّها داعيةٌ إلى التخلُّص بكلّ شىءٍ .

وقال سلّام بن أبى مطيع [(٥)] : قال لى أيّوب [(٦)] : « أيّاك وحِفظَ الحديث » خوفاً عليه من العُجْب .

وقال إبراهيم النّخَعى : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذِب [(٧)] » .

قالوا : ونظر شابٌّ وهو فى دارِ ابن سيرينَ إلى فَرْشٍ [(٨)] فى داره ، فقال : ما بالُ تلك الآجُرّةِ أرفعَ من الآجُرّة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخى إنّ فُضُولَ النّظرِ تَدْعُو إلى فضول القول » .

---

(١) فيما عدا ل : « ورووا عن » .

(٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفى ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبى وإبراهيم النخعى ، وعنه منصور بن المعتمر والثورى . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٨) فى ترجمة إبراهيم النخعى .

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى الكوفى الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ٩٦ . التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعى وهو ابن ثمانى عشرة سنة » ونحوه فى المعارف ٢٠٤ .

(٤) ل : « وقالوا » .

(٥) فيما عدا ل : « سلام بن مطيع » .

(٦) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ، وله أقوال كريمة فى صفة الصفوة (٣ : ٢١٢ — ٢١٧) . وانظر تهذيب التهذيب .

(٧) فى عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر من المعاذير يشوبها الكذب » .

(٨) المراد بالفرش هنا أن قد بلطت الأرض وفرشت . وفى اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وتفريش الدار : تبليطها » .

وزعم إبراهيمُ بن السِّنديّ قال: أخبَرَنى مَن سمِعَ عيسى بن علىّ [(١)] يقول : « فُضولُ النَّظر من فضول الخواطر ، وفضول النّظر تدعو إلى فُضول القول ، وفضول القول تدعو إلى فضول العمَل ؛ ومَن تعوَّدَ فضولَ الكلام ثمّ تدارك استصلاح لسانِه ، خرَجَ إلى استكراه القول ، وإنْ أبطأَ أخرجَهُ إبطاؤُه إلى أقبَحَ من الفضول » .

قال أبو عمرو بنُ العلاءِ : أنكَحَ ضِرارُ بن عمرٍو الضبّىّ ابنتَه معبدَ بن زُرارة ، فلمَّا أخرجها إليه قال لها : « يا بُنَيّة أمسِكى عليك الفَضْلَين » . قالت : وما الفَضلانِ ؟ قال : فَضْلُ الغُلمة ، وفَضل الكلام .

وضِرارُ بن عَمرٍو ، هو الذى قال : « مَنْ سَرّه بنوه ساءته نَفْسه [(٢)] » . وهو الذى لما قال له المنذر : « كيف تخلَّصت يومَ كذا وكذا ، وما الذى نجَّاك ؟ قال : « تأخيرُ الأجل ، وإكراهى نفْسى على المُقِّ الطوال » .

المقَّاء : المرأة الطويلة . والمُقُّ : جماعة النساء الطوال . والمُقّ أيضاً : الخيل الطِّوال .

وكان إخوته قد استشَالُوه حتّى ركِب فرسَه ورفع عقِيرتَه بعُكاظ ، فقال : « ألَا إنّ خيرَ حائلٍ أمٌّ [(٣)] فزوِّجوا الأمَّهات » . وذلك أنه صُرِع بين القَنَا ، فَأَشْبَلَ عليه إخوتُه لأمّه حتّى أنقذوه [(٤)] .

---

(١) هو عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذى أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضوا عضوا وألقاه فى التنور . وكان المنصور يجل عيسى ويعظمه فى مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ – ١٠٧ . ومات فى خلافة المهدى . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبى له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال ... » .

(٣) الحائل : التى لم تحمل .

(٤) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه . حـ : « فانشل » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ل: « أى عطف» . ب : « إخوته وأمه » : ل : « فأنقذوه » .

باب فى الصمت

قال : وكان أعرابىٌّ يجالس الشَّعبىَّ (١) فيطيل الصَّمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأَسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فِضّة لكان السُّكوت مِن ذَهَب » .

وقالوا : مَقتل الرَّجُل بين لَحْييْه وفَكَّيْه » .

وأخذ أبو بكر الصِّدِّيق ، رحمه الله ، بطرَف لسانِه وقال : « هذا الذى أوردَنى المَوَارد » .

وقالوا : ليس شىءٌ أحقَّ بطول سَجْنٍ من لِسان .

وقالوا : اللِّسان سَبع عَقُور .

وقال النبىُّ عليه السلام : « وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم فى نار جَهنَّم إلا حصائد ألسنتهم » .

وقال ابن الأعرابىّ ، عن بعض أشياخه : تكلم رجلٌ عند النبى عليه السلام فخطِلَ فى كلامه ، فقال النبى ﷺ : « ماأُعْطِىَ العبدُ شرًّا من طلاقة اللسان » .

وقال العائشى(٢) ، وخالد بن خِدَاش(٣) : حدثنا مَهدىُّ بن ميمون(٤) ، عن

---

(١) الشعبى ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح : بطن بن همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى سنة ١٠٣ تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ — ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . والعائشى ، تقدمت ترجمته فى ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبى البصرى ، كان ثقة صدوقا . توفى سنة ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو مهدى بن ميمون الأزدى المعولى أبو يحيى البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفى سنة ١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير (١) ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه قال : قدِمنا على رسول الله ﷺ فى وفدٍ فقلنا : يا رسولَ الله ، أنت سيِّدنا ، وأنت
١٢٠ أطْوَلُنا علينا طَوْلاً (٢) ، وأنت الجفنة الغَرَّاء (٣) . فقال رسول الله ﷺ : « أيُّها النّاس ، قُولُوا بقَولكم ولا يستَفِزَّنَّكُم الشّيطانُ ، فإنَّما أنا عبدُ الله ورسولُه » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القَسرىّ ، لعمرَ بنِ عبدِ العزيز : من كانت الخلافة زانته فقد زيَّنتَها ، ومن [كانت (٤)] شرَّفَته فقد شرَّفْتَها . فأنت كما قال الشاعر :

وتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيب طِيباً ... أن تَمَسِّيهِ أينَ مثلُكِ أينا
وإذا الدُّرُّ زانَ حُسْنَ وجُوهٍ ... كان للدُّرِّ حُسْنُ وجهكِ زَيْنا

فقال عمر : إنَّ صاحبَكم أُعطى مَقُولا ، ولم يُعْطَ معقولا .

وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونَفْسُكَ شَحَّةٌ ... ودُون الثُّريا مِن صديقِك مالُكا (٥)

وأخبرنا (٦) بإسنادٍ له ، أنّ ناساً قالوا لابن عُمَر : ادعُ اللهَ لنا بدَعوات . فقال :

---

(١) هو غيلان بن جرير المعوَلى البصرى ، نسبة إلى « مَعْوَلة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف والشعبى ، وروى عنه مهدى بن ميمون وشعبة . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعانى ٥٣٨ .

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) فى اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعام جَفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها ، فسمى باسمها . والغراء : البيضاء ، أى إنها مملوءة بالشحم والدهن » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحة ، بفتح الشين : الشحيحة . والبيت فى الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشده فى اللسان (شحح) مع قرين بعده ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هى أرسلت ... يمينك شيئا أمسكته شمالكا

(٦) يعنى ابن الأعرابى ، كما فى حواشى هـ .

« اللهمَّ ارحْمنا وعافِنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلىّ ، فى ذكر الإسهاب ، يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة (١) ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من وُجوه قريش ورجالهم . وإنّما سمى القُباعَ لأنه أُتِىَ بمِكْتَل (٢) لأهل المدينة ، فقال: إن هذا المِكْتَلَ لَقُباعٌ ! فسمِّى به . والقُبَاع : الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق فيه لجرير (٣) :

وقَبْلَكَ ما أعيَيْتُ كاسِرَ عيْنِهِ زياداً فلم تقدِرْ علىّ حبائلُهْ
فأُقسمتُ لا آتيهِ تِسعينَ حِجَّةً ولو كُسِرَتْ عُنْقُ القُبَاعِ وكاهلُه (٤)

وقال أبو الأسود :

أميرَ المؤمنينَ جُزِيتَ خيراً أرِحْنا مِن قُباع بنى المُغيرهْ
بَلوناهُ ولُمْناهُ فأعْيَـــا علينا مايُمِرّ لنا مَرِيرهْ (٥)
على أنّ الفتى نِكَحٌ أَكُولٌ ومِسهابٌ مذاهبُه كثيرهْ

١٢١ وقال الشاعر (٦) :

---

(١) ويقال فيه أيضا الحارث بن عياش بن أبى ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم . وكان الحارث أحد ولاة البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه سعيد بن جبير والشعبى والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق فى حواشى ١٣٠ .

(٢) المكتل : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعا .

(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدا ل ، هـ متأخر عن قول أبى الأسود التالى .

(٤) فى الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .

(٥) المريرة : الحبل الطويل الدقيق ، وإمرار الحبل : إحكام فتله . عنى أنه لا يمضى أمرا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزانة (١ : ٤٦٥) .

إياكَ إيَّاكَ المراءَ فإنـه ... إلى الشر دعَّاءٌ وللصَّرمِ جالبُ (١)

وقال أبو العتاهية :

والصمت أجْمَلُ بالفتى ... مِن منطقٍ فى غير حِينه (٢)
كلُّ امرئٍ فى نفسِهِ ... أعلى وأشرفُ مِن قَرِينه

وكان سهلُ بنُ هارونَ يقول : « سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة ، كما أنّ التَّوقِّىَ على الدَّواءِ أشدُّ من الدَّواء » .

وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتثَبّت ،وبالتحرز من زَلَل الكلام ، ومن زَلَل الرّأى ، ومن الرأى الدَّبَرىّ . والرأىُ الدَّبَرِىُّ هو الذى يَعرِض من الصَّواب بعد مُضىِّ الرأىِ الأوَّل وفَوتِ استدراكِه .

وكانوا يأمُرون بالتحلُّم والتعلُّم ، وبالتقدُّم فى ذلك أشدَّ التقدُّم .

وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقَّهُوا قَبل أن تسُودوا » . وكان يقول رحمه الله : « السؤدد مع السَّواد (٣) » .

وأنشَدُوا لكثيِّر عَزَّةَ :

وفِى الحِلْمِ والإسلامِ للمرءِ وازِعٌ ... وفى تركِ طاعات الفُؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ رُشْدٍ للفتى مستبينةٌ ... وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بالتعلُّمِ

الوازِع : الناهى ؛ والوزَعة : جمع وازِع ، وهم الناهون والكافُّونَ .

وقال الأَفْوَهُ الأَوْدىّ :

أضحَتْ قُرينَةُ قد تَغَيَّرَ بِشْرُها ... وتجهَّمَتْ بِتحيَّةِ القومِ العِدَا

---

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ١٤١) . ويروى : « فإياك » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطيعة .

(٢) ل : « زين للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشى هـ : « يريد مع الشباب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت أن يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشباب لم يمكنه » .

أَلْوَتْ بإِصبَعِها وقالت إنَّما يَكفِيكَ مِماً لا تَرَى ما قد تَرَى (١)

وأنشد :

ابدَأْ بنَفسِكَ فانْهَهَا عن غَيِّها فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ (٢)
فهناك تُعذَرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى بالقـول منك ويُقبَـلُ التعليـمُ

قالوا : وكان الأحنفُ بنُ قيسٍ أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه .

وقالوا : وكان الحسن أتْرَكَ النَّاسِ لما نُهِيَ عنه . وقال الآخر :

لا تعذراني فى الإساءة إنّه شِرَارُ الرِّجالِ مَن يُسيءُ فيُعذَرُ (٣)

وقال الكُميت بن زيدٍ الأسدىّ : ١٢٢

ولم يُقَلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمُ عُدُّوا المعاذيرَ إنّما حَسِبوا (٤)

وأنشدنى مُحمّد بن يَسيرٍ ، للأحوص بن محمد (٥) :

قامت تخاصرنى بِقُنَّتِها خودٌ تأَطَّرُ غادةٌ بِكرُ
كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّبابَ له فى كلِّ مُبْلِغِ لَذَّةٍ عُذْرُ

تخاصرنى : آخُذ بيدها وتأخُذ بيدى . والقُنَّةُ : الموضع الغليظ من الأرض فى صلابة . والخود : الحسنة الخَلْق . تأطَّرُ : تتثَنَّى . والغادة : الناعمة اللَّيِّنة .

وقال جريرٌ فى فَوت الرَّأى :

ولا يتَّقُون الشَّرَّ حتَّى يُصيبَهُمْ ولا يعرِفون الأمْرَ إلا تدبُّرا (٦)

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبى الأسود الدؤلى فى شرح شواهد المغنى ١٩٤ . ومنها :

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لغيرك كان ذا التعليم

ويروى بعضها للمتوكل الليثى . انظر حماسة البحترى ١٧٣ .

(٣) البيت فى الحيوان (٣ : ١١١ ، ٤٨٢ / ٧ : ٢٦٠) .

(٤) أى عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفطنون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق فى ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٥) فيما عدا ل : « وأنشد الأحوص بن محمد » تحريف .

(٦) فى الديوان ٢٤٦ : =

قال : ومدح النّابغةُ ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :

ولا يحسِبُوُن الخيرَ لا شَرَّ بعده   ولا يحسبون الشَّرَّ ضَرْبةَ لازبِ

لازب ولازم ، واحد ، واللازب فى مكان آخر : اليابس . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ . واللّزبات : السِّنُونَ الجَدْبةُ .

وأنشد :

هفا هفوةً كانت من المرءِ بِدعةً   وما مثلُه مِن مثلها بسليمِ

فإنْ يكُ أخطا فى أخيكمْ فرُبَّما   أصاب التى فيها صَلاحُ تميمِ

قال : وقال قائلٌ عند يزيدَ بنِ عُمرَ بن هُبيرة [(١)] : والله ما أَتَى [(٢)] الحارثُ ابن شُريح بيومِ خيرٍ قَطّ . قال : فقال التّرجُمان بن هُرَيم : « إلاَّ يَكُنْ أَتَى بيومِ خيرٍ فقد أَتَى بيومِ شَرٍّ » . ذهب الترجمان بن هُرَيم إلى مثل معنَى قول الشاعر:

وما خُلِقَتْ بنو زِمّانَ إلّا   أخيراً بَعْدَ خَلْقِ النّاسِ طُرًّا [(٣)]

وما فَعلت بنو زِمّانَ خيرًا   ولا فَعلَتْ بنو زِمّان شرّا

* * *

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخُل فى باب المُلَح ، قال الأصمعى : « وصَلْتُ بالعِلْم ، ونِلتُ بالمُلَح [(٤)] » .

= لقد كنت يا ابن القين ذا خبرة بكم   وعوف أبو قيس بكم كان أخبرا

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ، ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ اه ابن خلكان . وكان جواداً نبيلاً جميل المرآة عظيم الخطر . المعارف ١٧٩ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أتانى » تحريف . والخبر فى الحيوان (٢ : ٨٧) .

(٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك بن صعب بن بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن . انظر المعارف ٤٧ – ٤٨ ومختلف القبائل ومؤتلفها ٣٦ – ٣٧ .

(٤) فى حواشى هـ : « يريد وصلت به إلى المراتب عند الملوك » .

وقال رجلٌ مَرَّةً (١) : « أبِي الذى قاد الجُيوشَ ، وفَتَح الفتُوحَ ، وخَرَجَ على الملوكِ ، واغتصب المنابر » . فقال له رَجُلٌ من القَوم . لا جَرَم ، لقد أُسِرَ وقُتِلَ وصُلِب ! قال : فقال له المفتخرُ بأبيه : دعْنِى من أَسْرِ أبى وقتلِه وصَلْبه ، أبوك أنتَ حدَّث نفسَه بشيءٍ من هذا قطّ ؟ ١٣٣

* * *

قد سمِعْنا روايةَ القومِ واحتجاجَهم ، وأنا أُوصِيكَ ألّا تدَعَ التماسَ البيان والتبيين (٢) إن ظننتَ أن لك فيهما طبيعةً ، وأنّهما يناسبانك بعضَ المناسبة ، ويشاكِلانِك فى بعض المشاكَلة ؛ ولا تُهمِلْ طبيعتَك فيستولِيَ الإهمالُ على قُوّة القريحة ، ويستبدّ بها سوءُ العادة . وإنْ كنتَ ذا بيانٍ وأحسستَ مِن نفسك بالنُّفوذ فى الخَطابة والبلاغة ، وبقُوّة المُنّة يوم الحَفْل ، فلا تُقصِّرْ فى التماس أعلاها سُورة (٣) ، وأرفعها فى البيان منزلةً . ولا يقطعَنَّك تَهيِيبُ الجُهلاء ، وتخويف الجُبَناء ؛ ولا تصرفَنَّك الرِّواياتُ المعدولةُ عن وجوهها ، المتأوَّلةُ على أقبح مخارجها .

وكيف تُطِيعهم بهذه الرِّوايات المعدولة ، والأخبارِ المدخولة ، وبهذا الرأى الذى ابتدَعُوه من قِبَل أنفُسهم ، وقد سمِعتَ اللهَ تبارك وتعالى ، ذكَرَ داودَ النبىَّ صلوات الله عليه ، فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ . فجمَع له بالحكمةِ البراعةَ فى العقل ، والرَّجاحةَ فى الحِلم ، والاتِّساعَ فى العلم ، والصّوابَ فى الحُكْم ، وجَمَع له بفصل

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل ، هـ : « والتبين » .

(٣) السورة ، بالضم : المنزلة الرفيعة ، جمعها سور ، بالضم .

(٤) تمام تلاوة الآية وما بعدها : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) . الآيات ١٧ – ٢٠ من سورة ص .

الخطابِ تفصيلَ المجمَل ، وتلخيص الملتبِس ، والبَصَرَ بالحزِّ فى موضع الحزّ ، والحسْمَ فى موضع الحَسم .

وذكر رسولُ الله ﷺ شُعيباً النبىَّ عليه السلام ، فقال : «كان شُعيبٌ خطيب الأنبياء» . وذلك عندَ بعضِ ما حكاه الله فى كتابه ، وجَلّاه لأسماع عباده .

فكيف تَهاَب منزلةَ الخطباءِ وداوُد عليه السلام سَلفُك ، وشعيبٌ إمامُك،مع ما تلوناه عليك فى صدر هذا الكتابِ من القرآن الحكيم ، والآيِ الكريم . وهذه خطبُ رسول الله ﷺ مدوّنة محفوظة ، ومخَلّدة [1] مشهورة ، وهذه خطبُ أبى بكرٍ وعمر وعثمانَ وعلىٍّ ، رضى الله عنهم .

وقد كان لرسول الله شعراءُ ينافِحُون عنه وعن أصحابِه بأمره ، وكان ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصارىّ [2] خطيبَ رسولِ الله ﷺ ، لا يدفع ذلك أحدٌ .

فأمَّا ما ذكرتم من الإسهاب والتكلُّف ، والخَطَل والتزيُّد ، فإنما يَخرجُ إلى الإسهاب المتكلَّف ، وإلى الخطَلِ المتزيِّد .

فأما أربابُ الكلامِ ، ورؤساءُ أهلِ البيان ، والمطبوعون المعاوِدون ، وأصحابُ التّحصيل والمحاسَبة ، والتوقِّى والشَفقة ، والذين يتكلَّمون فى صَلَاح ذاتِ البَين ، وفى إطفاء نائرة ، أو فى حَمَالة [3] ، أو على مِنبر جَمَاعة ، أو فى عَقد إمْلاكٍ بين مسلم ومسلمة — فكيف يكون كلامُ هؤلاء يدعو إلى السَّلاطه والمِراء ،

---

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالجيم ، وأثبت ما فى هـ ، جـ والتيمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ، وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته أوصى بها رجلا رآه فى نومه . الإصابة ٩٠٠ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى الهَذَر والبَذَاء ، وإلى النَّفْج والرِّياء . ولو كان هذا كما يقولون لكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ ، وعبدُ الله بنُ عبَّاسٍ أكثَرَ النّاس فيما ذكرتم . فلِمَ خطبَ صعصعةُ ابن صُوحان عند عليّ بن أبي طالبٍ ، وقد كان ينبغي للحسَن البَصريِّ أن يكون أحقَّ التابعين بما ذكرتم ؟

قال الأصمعي : قيل لسعيد بن المسيَّب [(١)] : هاهنا قومٌ نُسَّاكٌ يَعيبون إنشادَ الشعر . قال : « نَسَكُوا نُسْكاً أعجميًّا » .

وقد زَعمتم أنّ رسول الله ﷺ قال : « شُعبتانِ من شُعَب النِّفاق : البَذَاء والبَيان . وشُعبتان من شُعب الإيمان : الحياء ، والعِيّ » . ونحن نعوذُ بالله أن يكون القرآن يحثُّ على البيان ورسولُ الله ﷺ يُحثُّ على العِيّ ، ونعوذُ بالله أن يجمعَ رسولُ الله ﷺ بين البَذَاء والبيان . وإنما وقَعَ النَّهْيُ على كلِّ شيءٍ جاوَزَ المقدار ، ووقع اسم العِيِّ على كلِّ شيءٍ قصَّر عن المقدار . فالعِيُّ مذمومٌ والخطَل مذموم ، ودينُ الله تبارك وتعالى بين المقصِّر والغالى .

وهاهنا روايات كثيرةٌ مدخولة ، [وأحاديث معلولة [(٢)]] . رَوَوْا أنّ رجلاً مدحَ الحياءَ عند الأحنف ، [وأنّ الأحنف] قال ثَمَّ [(٣)] : يعودُ ذلك ضَعْفاً . والخير لا يكون سبباً للشرّ . ولكنا نقول : إنّ الحياء اسمٌ لمقدارٍ من المقادير[ما زاد على ذلك المقدار فسمِّه ما أحببت. وكذلك الجود اسم لمقدارٍ من المقادير [(٤)]] ، فالسَّرف اسم لما فَضَل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدارٌ ، فالجُبْن اسمٌ لما فضَل عن ذلك المقدار.وللاقتصاد مقدار ، فالبُخل اسمٌ لما خرج [(٥)] عن ذلك المقدار . ١٢٥

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، وكان من أفقه التابعين ، وكان يسمى راوية عمر ، وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أعبر الناس للرؤيا . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفى سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وصفه الصفوة (٢ : ٣٤) ، والمعارف ١٩٣ . والمسيب ، بكسر الياء وفتحها ، كما في القاموس .

(٢) هذه مما عدا ل .   (٣) فيما عدا ل : « ثم » .

(٤) هذه مما عدا ل .   (٥) ل فقط : « لما فضل » .

وللشّجاعة مقدار ، فالتهوُّر والخَدَب اسمٌ لما جاوزَ ذلك المِقدار .

وهذه أحاديثُ ليست لعامّتها أسانيدُ متّصلة ، فإن وجَدْتَها متصلةً لم تجدها محمودة ، وأكثرُها جاءت مطلقةً ليس لها حاملٌ محمودٌ ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنةً استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحُسْن . فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُنسَب إلى هذا الأدب ، فقرضتَ قصيدةً ، أو حبَّرت خطبة ، أو ألّفتَ رسالة ، فإيّاك أن تدعوَك ثقتُك بنفسك ، أو يدعُوَك عُجبُك بثمرة عقلك إلى أن تنتحلَه وتدَّعِيَه ؛ ولكن اعرِضْه على العلماء فى عُرْض رسائلَ أو أشعارٍ أو خطب ؛ فإنْ رأيتَ الأسماعَ تُصْغِى له ، والعيونَ تَحْدِج إليه ، ورأيتَ مَن يطلبُه ويستحسنه ، فانتحله . فإن كان ذلك فى ابتداء أمرك ، وفى أوّل تكلُّفِك فلم تر له طالباً ولا مستحسِناً ، فلعلّه أن يكون ما دام رَيِّضا قضيباً [1] ، أن يحلَّ عندَهم محلَّ المتروك . فإذا عاودْتَ أمثالَ ذلك مراراً ، فوجَدْتَ الأسماع عنهُ منصرفة ، والقلوبَ لاهية ، فخُذْ فى غير هذه الصناعة ، واجعَلْ رائدك الذى لا يَكْذِبُك حِرصهم عليه ، أو زُهدَهم فيه .

وقال الشّاعر [2] :

إنّ الحديثَ تغُرُّ القومَ خَلْوَتُه ... حَتّى يَلِجّ بهم عِيٌّ وإكثارُ [3]

وفى المثل المضروب : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ مُسَرٌّ [4] » ، ولم يقولوا مسرور. وكلٌّ صواب .

---

(١) الريض : الذى ابتدئ فى رياضته . والقضيب : الذى لم يمهر فى الرياضة . وأصل هذين الوصفين للحيوان الذى يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة فى ب ، حـ : « تعنيسا » وفى التيمورية: « تفيسا » !

(٢) هو ابن هرمة كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٧) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسى . وانظر الحيوان (١ : ٨٨) ، وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) .

(٣) ب والتيمورية : « حتى يلح » بالحاء .

(٤) فى الحيوان (١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧) والميدانى (٢ : ٧٣) والقالى (٢ : ٨٩) : « يسر ». وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثِقْ فى كلامك برأى نفسك ؛ فإنِّى ربَّما رأيتُ الرَّجلَ متماسِكاً وفوقَ المتماسك ، حتَّى إذا صار إلى رأيه فى شِعره ، وفى كلامِه ، وفى ابنه ، رأيتَه مُتَهافِتاً وفَوقَ المتهافت .

وكان زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى ، وهو أحد الثَّلاثة المتقدمين ، يسمِّى كبارَ قصائده : « الحَوليَّات » .

وقال نوح بن جرير : قال الحطيئة : « خيرُ الشِّعر الحولىّ المنقَّح » .

قال : وقال البعيث الشاعر (١) ، وكان أخطَبَ النّاس : « إنِّى واللهِ ما أُرسِلُ الكلامَ قضيباً خشيباً (٢) ، وما أريد أنْ أخطُبَ يومَ الحَفْلِ إلا بالبائِتِ المحكَّك » . وكنت أظنّ أن قولَهم « محكَّك » كلمةٌ مولَّدة ، حتَّى سمعت قولَ الصَّعب بن علىّ الكِنانى : ١٢٦

أَبلِغْ فزارةَ أنّ الذِّئبَ آكِلُها ... وجائعٌ سَغِبٌ شَرٌّ من الذِّيبِ
أزَلُّ أطْلَسُ ذو نَفْسٍ محكَّكةٍ ... قد كان طار زماناً فى اليعاسيب (٣)

وتكلَّم يزيدُ بن أبانٍ الرَّقَاشى (٤) ، ثم تكلم الحسَن ، وأعرابيّانِ حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد للآخر فى عكسه :

وبلد يغضى على النعوت ... يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد « المثبت » . فتوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البعيث لقب له . واسمه خداش بن بشر ، من بنى مجاشع ، وأمه أصبهانية يقال لها « مردة » . وسمى البعيثَ بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اسـ ... ـتمر فؤادى واستمر عزيمى

وكان أخطب تميم ، وكان يهاجى جريرا . الشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشيب : الذى لم يحكم ولم يجود ، من السيف الخشيب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . واليعسوب : أمير النحل . يقول : هو فى سرعته مثله .

(٤) هو أبو عمرو : يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهُما لصاحبه : كيف رأيتَ الرّجُلين ؟ فقال : أمّا الأوّل فقاصٌ مُجيدٌ ، وأما الآخَر فعربيٌّ مُحَكّكٌ .

قال : ونظر أعرابيٌّ إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خَيشُومَ حُرّ .

قالوا : وأرادوا عبدَ الله بنَ وهبٍ الراسبيَّ (١) على الكلام يومَ عَقدتْ له الخوارجُ الرِّياسة فقال : « وما أنا والرأيَ الفطير (٢) ، والكلامَ القضيب » ! ولمّا فرَغوا من البَيعة له قال : « دعُوا الرّأى يَغِبُّ ؛ فإن غُبُوبَه يكشِف لكم عن مَحْضِهِ » .

وقيل لابن التّوأم الرَّقاشىّ (٣) : تكلّمْ . فقال : « ما أشتهى الخُبزَ إلا بائتاً » .

قال : وقال عُبَيد الله بن سالم (٤) لرُؤبة : مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت . قال : وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليومِ عُقبةَ بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . قال : فقال رؤبة : نعم [إنّه ليقول (٥)] ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . وقال الشاعر :

مِهاذبةٌ مَناجِبةٌ قِرَانٌ　　　مَنادبةٌ كأنّهم الأسودُ

= عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصرى ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقتادة والأعمش . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ : ٢٥٠) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبد الله بن وهب الراسبى : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على علىّ فى أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم النهروان سنة ٣٨ . انظر الطبرى (٦ : ٤٢) والتنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .

(٣) ابن التوأم الرقاشى أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ فى البخلاء رسالة طويلة. انظر ١٤١ – ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٣ / ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته فى ص ٦٨ : « أبو نوفل » . فيما عدا ل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .

(٥) هذه مما عدا ل . وقد سبق الخبر فى ص ٦٨ .

يريد بقوله « قِرانٌ » التّشابُهَ والموافَقَة .

وقال عُمَر بن لجأٍ لبعض الشُّعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبم ذاك (١) ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمِّه .

قال : وذَكر بعضُهم شِعر النّابغة الجعدىّ ، فقال : « مُطْرَفٌ بآلاف ، وخِمارٌ بواف (٢) » . وكان الأصمعىُّ يفضّله من أجل ذلك . وكان يقول : «الحطيئة عبدٌ لِشعرِه » . عابَ شِعره حين وجدَه كلّه متخيَّراً منتخَباً مستوياً ، لمكان الصَّنْعة والتكلُّف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أنّ شِعرَ صالح بنِ عبد القُدُّوس (٣) ، وسابقٍ البربرىّ (٤) كان مفرّقاً فى أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعارُ أرفَعَ ممّا هى عليه بطبقاتٍ ولصار شعرهُما نوادِرَ سائرةً فى الآفاق . ولكنَّ القصيدة إذا كانت كلُّها أمثالاً لم تَسِرْ ، ولم تَجرِ مَجرى النَّوادر . ومتى لم يخرج السَّامعُ من شىءٍ إلى شىءٍ لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال بعضُ الشُّعراء لرجُلٍ (٥) : أنا أقولُ فى كلِّ ساعةٍ قصيدةً ، ١٢٧

---

(١) ل : « ولِمَ ذلك » .

(٢) المطرف بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . والواف : الدرهم الذى يزن مثقالا .

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعراً حكيما من المتكلمين ، ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدى بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين . وكان أُضِرَّ آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى : له أشعار حسنة فى الزهد ، وهو من موالى بنى أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربرى نسبة إلى بلاد فى المغرب ، قيل إنما هو لقب له . خزانة الأدب (٤ : ١٦٤) ل : « اليزيدى » ، وفيما عدا ل : « البيرى » صوابهما ما أثبت .

(٥) ل : « لبعض » .

وأنت تَقرِضُها فى كلِّ شهرٍ . [فلم ذلك (١)] ؟ قال : لأنّى لا أقبل من شيطانى مثلَ الذى تقبَلُ من شيطانِك .

قال : وأنشد عُقبةُ بن رؤبة [أباه رؤبة (١)] بنَ العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال : يا بُنَىّ إنّ أباك لَيَعرِضُ له مثلُ هذا يميناً وشِمالاً فما يلتفت إليه .

وقد رَوَوْا مثلَ ذلك فى زهيرٍ وابنه كعب .

قال : وقيل لعَقِيل بن عُلَّفة : لِمَ لا تُطِيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك مِن القلادة ما أحاطَ بالعُنق (٢) » .

وقيل لأبى المهوِّش (٣) : لم لا تُطِيل الهجاء ؟ قال : لم أجد المثَلَ النادرَ إلاّ بيتاً واحداً ، ولم أجد الشّعر السّائر إلاّ بيتاً واحداً .

قال : وقال مَسلمةُ بنُ عبد الملك لنُصيبٍ الشّاعر : ويْحَكَ يا أبا الحَجْناء ، أما تُحْسِن الهجاء ؟ قال : أمَا ترانى أُحْسِنُ مكان عافاك الله : لا عافاك الله !

ولاموا الكميتَ بن زيدٍ على الإطالة ، فقال : « أنَا على القِصار أقدر » .

وقيل للعجّاج : مالك لا تُحسِن الهجاء ؟ قال : هل فى الأرض صانعٌ إلاّ وهو على الإفساد أقدر .

وقال رُؤْبة : « الهَدْم أسرَعُ من البِناء » .

وهذه الحججُ التى ذكروها عن نُصيبٍ والكميت والعجّاج ورُؤبة ، إنّما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهلٌ إن كانت هذه الأخبارُ

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧)

(٣) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبى ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والشعراء ٢٢ والخزانة (٣ : ٨٦ ، ١٤٢) والبخلاء للجاحظ . ل : « لأبى الهوس » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكونُ الرَّجُل له طبيعةٌ فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ؛ وتكون له طبيعة فى التِّجارة (١) وليست له طبيعةٌ فى الفلاحة ؛ وتكون له طبيعةٌ فى الحُداء أو فى التغْبير (٢) ، أو فى القراءة بالألحان ، وليست له طبيعةٌ فى الغناء وإن كانت هذه الأنواعُ كلُّها ترجع إلى تأليف اللحون . وتكون له طبيعةٌ فى النّاى وليس له طبيعة فى السُّرْناى (٣) ؛ وتكون له طبيعةٌ فى قصبة الرَّاعى ولا تكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبعٌ فى غيرهما ؛ ويكون له طبعٌ فى تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعرٍ . ومثل هذا كثيرٌ جداً .

وكان عبدُ الحميد الأكبر (٤) ، وابنُ المقفَّع ، مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما ، لا يستطيعان من الشِّعر إلا ما لا يُذكَر مثلُه .

وقيل لابن المقفّع فى ذلك ، فقال : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه (٥) » .

١٢٨ وهذا الفرزدق وكان مستهتَراً بالنِّساء (٦) ، وكان زِيرَ غَوانٍ ، وهو فى ذلك

---

(١) فى نسخة : « النجارة » بالنون ، كما فى حواشى هـ .

(٢) قال الأزهرى : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيراً ، كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة » . ل : « التغيير » ، وفيما عدا ل : « التعبير » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) السرناى ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذى ينفخ فيه ويزمّر . استينجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذى قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، وكان كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وقتل معه فى مدينة بوصير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات الأعيان ، وسرح العيون (١ : ٢٥٦) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « يجيينى » فى الموضعين .

(٦) ما عدا هـ : « مشتهرا » ، وكلاهما متجه .

ليس له بيتٌ واحدٌ فى النَّسيب مذكور . مَعَ حسده لجريرٍ . وجريرٌ عفيفٌ لم يَعْشَق امرأةً قطّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ النّاسِ شِعراً .

وفى الشُّعراء مَن لا يستطيع مجاوزةَ القصيد إلى الرَّجز ، ومنهم من لا يستطيع مجاوزةَ الرَّجز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعُمَر بن لجأ ، وأبى النَّجم ، وحُميد الأرقط ، والعُمَانىّ . وليس الفرزدق فى طِوالِهِ بأشعَرَ منه فى قصاره .

وفى الشعراء مَن يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال الخطباء فى قريض الشعر . والشّاعرُ نفسه قد تختلف حالاته .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعَرُ النّاس ورُبّما مرّتْ عَلَىَّ ساعةٌ ونَزْعُ ضرسٍ أهوَنُ عَلَىَّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجّاج : لقد قلتُ أرجوزتى التى أوّلها :

بكيتَ والمُحتَزنُ البَكىُّ وإنّما يأتِى الصِّبَا الصَّبىُّ
أطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْرِىٌّ [1] والدّهْرُ بالإنسان دَوّارِىٌّ [2]

وأنَا بالرَّمل ، فى ليلةٍ واحدة [3] ، فانثالَتْ عَلَىَّ قوافيها انثيالاً ، وإنى لأُرِيد اليومَ دونَها فى الأيّامِ الكثيرة ، فما أقدِر عليه .

وقال لى أبو يعقوبَ الخُرَيمىّ : خرجتُ مِن منزلى أريد الشَّمّاسِيّة [4] ، فابتدأت القول فى مرثيةٍ لأبى التَّخْتاخ ، فرجَعت والله وما أمكننى بيتٌ واحد .

وقال الشاعر :

وقد يَقرض الشعرَ البكىُّ لسانُه وتُعيى القوافى المرءَ وهو خَطيبُ

---

(١) القنسرى : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا فى بيت العجاج . وفى حواشى هـ عن ابن دريد : « تقنسر الإنسان : شاخ وتقبض . وأنشده . وأنشد أيضا :

« وقنسرته أمور فاقسأن لها »

(٢) دوارى : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمل » فقط .

(٤) الشماسية : موضع فى أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز (١) ،

من ملتقطات كلام الناس (٢)

قال بعض النّاس : « من التوقّى ترك الإفراط فى التوقّى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأَرِدْ ما يكون (٣) » .

وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ واردٌ   حِين يُقضَى ورودُه
فأَرِدْ مايكون إنْ   لم يكن ماتريدُهُ (٤)

وقيل لأعرابيٍّ فى شَكاَتِه : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : « أَجِدُنى أَجِدُ مالا أشتهى وأشتهى ما لا أجد ، وأنا فى زمانٍ من جاد لم يَجِد ، ومن وَجَدَ لم يَجُدْ (٥) » .

وقيل لابن المقفّع:ألا تقول الشعر ؟ قال : الذى يجيئنى لا أرضاه ، ١٢٩
والذى أرضاه لا يجيئنى (٦) .

وقال بعض النُّسَّاك : « أنَا لما لا أرجُو أرجَى مِنِّى لما أرْجو » .

وقال بعضُهم : « أعجَبُ من العجَب ، تركُ التعجُّب من العَجَب » .

---

(١) فيما عدا ل : « فى القواف الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « كلام النساك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأيوب بن أبى تميمة السختيانى الذى سبقت ترجمته فى ص ١٩٢ . انظر صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا فى ل .

(٥) الخبر فى الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣) . وقد نسب فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) إلى أبى الدقيش . وما بعد كلمة « ما لا أجد » هو مما عدا ل .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذى أرضاه » . وقد سبق قريبا فى ص ٢٠٨ .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز لعَبدِ بنى مَخزوم : « إنى أخافُ الله فيما تقلّدتُ » . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنّما أخاف عليك ألاّ تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدَقْتُك ، وأخاف الله إن كذَبْتُك .

وقال رجلٌ من النُّسّاك لصاحبٍ له وهو يَكِيدُ بنَفْسِه (١) : أمّا ذنوبى فإنى أرجو لها مغفرةَ الله ، ولكنّى أخافُ على بناتى الضَّيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمِغفرةِ ذنوبِك فارجُه لحفظ بناتك (٢) .

وقال رجلٌ من النُّسَّاك لصاحبٍ له : ما لى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندى يَتيمٌ أربّيه لأُوجَر فيه ، فمات وانقطع عنا أجْرُه ، إذْ بطَلَ قيامُنا بمؤنته . فقال له صاحبُه : فاجتلِبْ يتيمًا آخر يَقوم لك مَقام الأوّل . قال : أخاف ألّا أصيبَ يتيمًا فى سوء خُلُقه ! قال له صاحبه : أمّا أنا فلو كنت فى موضعك منه لما ذكرت سوءَ خُلُقه .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوىّ وهو يقول : ما يمنعُنى مِن تعلُّم القرآن إلاّ أنى أخاف أنْ أُضيّعه . قال : أمّا أنت فقد عجّلت له التَّضييع ، ولعلّك إذا تعلّمْتَه لم تضيِّعه .

وقال عمر بنُ عبد العزيز لرجلٍ : مَن سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تَقُلْه (٣) !

* * *

---

(١) يكيد بنفسه : يجود بها عند النزع فى حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، حـ : « يحفظ » . وأثبت ما فى ل ، هـ و التيمورية .

(٣) فيما عدا ل : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا فى حُسن البيان ، وفى التخلُّص من الخَصْم بالحقِّ والباطل ، وفى تخليص الحقِّ من الباطل ، وفى الإقرار بالحقِّ ، وفى ترك الفخْر بالباطل .

قال أعرابىٌّ وذكر جِمَاس بن ثَامِلٍ فقال (١) :

برئتُ إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ　　أصاحِبُه إلاَّ جِمَاسَ بنَ ثامِلِ
وظنِّى به بين السِّماطَين أنَّه　　سَيَنْجُو بحقٍّ أو سينجو بباطِلِ

وقال العُجَير السَّلُولىّ (٢) :

وإنَّ ابنَ زيدٍ لابنُ عمِّى وإنّه　　لبَلَّالُ أيدِى جِلَّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ (٣)
طَلُوع الثَّنايا بالمطايا وإنّه　　غداةَ المُرَادِى لَلْخطيبُ المقدَّمُ (٤) ١٣٠
يسرُّك مظلوماً ويرضيك ظالماً　　ويَكفيكَ ما حُمِّلته حين تَغرَمُ

الشَّول : جمع شائلة ، وهى النَّاقة التى قد جفّ لبنُها . وإذا شالت بذنبها بعد اللِّقاح فهى شائلٌ ، وجمعها شُوَّل . المُرادِى : المُصادم والمُقارع ؛ يقال رَدَيْتُ الحجرَ بصخرةٍ [أو بمِعْوَلٍ (٥)] ، إذا ضربتَه [بها (٥)] لتكسِرَه . والمِرْداة : الصخرة التى يكسَّر بها الحجارة . وقال ابن رِبْع الهُذَلى (٦) :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل . وجماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو تمام :

ومستنبح فى لج ليل دعوته　　بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
وقلت له : أقبل فإنك راشد　　وإن على النار الندى وابنَ ثامل

(٢) سبقت ترجمته فى ١٢٣ .

(٣) يبل أيديها بالدم ، أى ينحرها أو يعرقبها . والجلة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبى وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة فى الجبل .

(٥) هذه مما عدا ل . والتفسير فى هـ متخلل لهذه الأبيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربع الهذلى الجربى . وربع ، بكسر الراء . والجربى نسبة إلى =

أعَيْن ألاَ فابكى رُقَيبة إنّـهُ   وَصُولٌ لأرحامٍ ومِعْطاءُ سائِلِ (١)

فأُقسِم لو أدركتُه لحمَيْتُه   وإنْ كان لم يَترُك مقالاً لقائِلِ

وقال بعضُ اليهود ، وهو الرّبيع بن أبى الحُقَيق (٢) من بنى النَّضير (٣) :

سائِلْ بنا خابـرَ أكمائنـا   والعلمُ قد يُلقَى لَدَى السّائِل (٤)

إنّا إذا مالَتْ دواعِى الهوَى   وأنصتَ السّامعُ للقائِـلِ

واعتَلجَ النّـاسُ بألبابهم   نَقْضِى بحُكمٍ عادِلٍ فاصِلِ (٥)

لا نَجعلُ الباطِلَ حقًّا ولا   نَلُطُّ دونَ الحقّ بالباطل (٦)

نَكرَهُ أن تَسْفَهَ أحلامُنا   فَنَخمُلَ الدَّهرَ مع الخامِلِ

وقال آخر وذكر جِماساً أيضاً :

= جريب كقريش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلى . انظر الخزانة (٣ : ١٧٤) وأما قصيدته التى منها البيتان فهى فى بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطى من الهذليين ٥٢ . وهو يرثى بالقصيدة « دبية السلمى » . ودبية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .

(١) ل : « أعين » . وفى ديوان الهذليين : « فعينى ألا فأبكى دبية » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء فى يوم بعاث وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .

(٣) وكذا ذكر ابن سلام فى طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بنى قريظة . وجاء فيما عدا ل زيادة : « وبعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر فقتلوه » . وفى هذه العبارة خطأ وتحريف ؛ فإن الذى فى كتب السير أن الذى قتل بخيبر هو سلام بن أبى الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن الأشرف ، استأذنوا الرسول فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأميرهم عبد الله بن عتيك ، إلى خيبر فقتلوا سلاماً . وفى ذلك يقول حسان :

لله در عصابة لاقيتهم   يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

انظر السيرة ٧١٣ – ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٤) الخابر : الذى يخبر ويختبر . والأكماء : جمع كمى ، وهو الشجاع الجرى . قال :

تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا   شوارع والأكماء تشرق بالدم

وفى الأصول : « أكفائنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلقى » بالقاف ، كما فى ل وابن سلام . وفى سائر النسخ « يلفى » ، سيان .

(٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفى الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .

(٦) لط به وألط : لزمه .

أتانى جِماسٌ بابنِ ماهٍ يسوقُه   لِيَبْغِيَه خيراً وليس بفاعِلِ [١]
لِيُعْطِىَ عبساً مالَنا ، وصدورُنا   من الغَيظ تَغِلى مثلَ غَلْىِ المَرَاجِلِ
وقافيةٍ قِيلَتْ لكمْ لم أُجِدْ لها   جواباً إذا لم تُضْرَبوا بالمَنَاصلِ
١٣١ فأَنِطقَ فى حقٍّ بحقٍّ ولم يكنْ   ليَرْحَضَ عنكم قالةَ الحقِّ باطِلِى [٢]

ليرحض ، أى ليغسل . والراحض : الغاسل . والمرحاض : الموضع الذى يُغسَل فيه . وقال عمرُو بن مَعْد يكَرِب :

فلو أنَّ قومِى أنطقَتْنى رماحُهُمْ   نَطقتُ ولكنَّ الرِّماح أجرَّتِ [٣]

الجرار [٤] : عُودٌ يُعرَضُ فى فم الفَصيل ، أو يُشَقّ به لسانُه ، لئلاّ يرضع . فيقول : قومى لم يَطْعَنُوا بالرِّماح فأُثْنِىَ عليهم ، ولكنّهم فَرُّوا فأَسْكَتُّ [٥] كالمُجَرّ الذى فى فمه الجِرار [٦] .

وقال أبو عُبيدة : صاح رُؤبةُ فى بعض الحروبِ التى كانت بين تميم والأَزْد : يامعشر بنى تميم ، أطلقوا من لِسانى [٧]

قال : وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنةً ، فصاح : « لا عِيًّا

---

(١) ابن ماه ، هذا ما أثبت فى هامش ل ، ولهذا العلم اشتقاق فى اللغة من قولهم : رجل ماهِى القلب ، أى جبان كأن قلبه فى ماء . وفى هو صلب ل : « بابن ماهى » . وفيما عدا ل : « بابن ماها » .

(٢) فيما عدا ل : « قالة الخزى » .

(٣) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١٧ – ١٨ . وأبيات منها فى الحماسة (١ : ٤٣) . وانظر اللسان .

(٤) لم أجد هذا اللفظ فى المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم فى مادة (خلل) والمخصص (٧ : ٣٢) . كما أن المعروف فى المصدر « الجر » و « والإجرار » .

(٥) أسكت الرجل إسكاتاً : انقطع كلامه فلم يتكلم . هـ : « فأمسكت » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « جرار » .

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى فى المفضليات (١ : ١٥٥) :

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة   أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

ولا شَلَلاً (١) ! » . والعرب تقول : « عِيٌّ أَبْأَسُ من شَلَل (٢) » . كأنّ العيّ فوقَ كلِّ زمانةٍ .

وقالت الجُهَنِيَّةُ (٣) :

ألا هَلَكَ الحُلوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ ... ومَن عِندهُ حِلمٌ وعلم ونائِلُ (٤)
وذو خُطَبٍ يوماً إذا القومُ أُفْحِمُوا ... تُصيبُ مَرادِى قولِه ما يحاوِلُ
بَصيرٌ بعَوراتِ الكلامِ إذا التَقَى ... شَرِيجانِ بين القوم : حقٌّ وباطلُ
أَبِيٌّ لما يأبَى الكريمُ بسيفِه ... وإن أسلَمَتْهُ جندُه والقبائلُ (٥)
وليْس بمِعطاءِ الظُلامةِ عن يدٍ ... ولا دونَ أعلى سَوْرةِ المجد قابلُ (٦)

الحُلاحِلُ : السيِّد . شريجان : جنسان مختلفان من كلِّ شيء (٧) .

وأنشد أبو عبيدةَ فى الخطيب يَطُوُلُ كلامه ، ويكونُ ذَكُوراً لأوّلِ خُطبته وللذى بَنَى عليه أمرَه ، وإنْ شَغَبَ شاغبٌ فقطع عليه كلامَه ، أو حَدَث عند ذلك حدَثٌ يُحتاج فيه إلى تدبيرٍ آخر ، وصَلَ الثانىَ من كلامه بالأوَّل ، حتّى لا يكون أحدُ كلامَيهِ أجْوَدَ من الآخَر ، فأنشد :

وإنْ أحدَثوا شَغْباً يُقطِّعُ نظمَها ... فإنّك وَصَّالٌ لما قَطَع الشَّغْبُ
ولو كُنتَ نَسَّاجاً سَدَدْتَ خَصَاصَها ... بقولٍ كطعم الشُّهد مازجَه العذبُ (٨)

---

(١) فى اللسان : « ويقال لمن أجاد الرمى أو الطعن : لا شللا ولا عمى » .

(٢) ل : « أيئس من شلل » .

(٣) ب فقط : « الجهضمية » .

(٤) الحلال : الذى لا ريبة فيه . والحلاحل : السيد الشجاع الركين فى مجلسه .

(٥) هـ عن نسخة : « والقنابل » ، وهى الطوائف من الناس .

(٦) عن يد : عن قهر وذل واستسلام . وفى هامش ل : « نازل » رواية فى « قابل » .

(٧) فيما عدا ل : « شريجان : جنسان . يقال : الناس شرجان وشريجان ، أى فرقتان . ومنه حديث النبى ﷺ ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً .

(٨) الخصاص بالفتح : خلل الشىء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدا ل ، هـ : « سددت » تحريف أيضاً ؛ إنما يقال سدى الثوب يسديه ، يائى . فيما عدا ل : « بالبارد العذب » وفيه الإقواء . وفى حواشى هـ : « وفى رواية البارد العذب . خ : شيب به العذب » .

١٣٢ وقال نُصَيْبٌ :

وما ابتذَلْتُ ابتذالَ الثّوبِ وُدَّكُمُ ... وعائِدٌ خَلَقاً ما كان يُبتَذَلُ
وعِلمُكَ الشّىء تهوَى أن تَبيّنَهُ ... أشفَى لقلبك مِن أخبار من تَسَلُ (١)

وقال آخر :

لعمْرُك ما وُدُّ اللّسان بنافعٍ ... إذا لم يَكن أصلُ المودَّة فى الصَّدرِ

وقال آخر (٢) :

تعلّمْ فليس المرءُ يُولد عالماً ... وليس أخو عِلمٍ كمَنْ هو جاهلُ
وأن كبيرَ القوم لا عِلَم عنده ... صغيرٌ إذا التفّتْ عليه المحافلُ (٣)

وقال آخر :

فتًى مثلُ صَفْو الماء ليس بباخلٍ ... عليك ولا مُهْدٍ مَلاماً لبَاخِلِ
ولا قائلٍ عَوْراءَ تؤذِى جليسَه ... ولا رافع رأساً بعوراء قائلِ (٤)
ولا مُسْلِمٍ مولًى لأمرٍ يُصيبُه ... ولا خالطٍ حقًّا مصيباً بباطلِ
ولا رافعٍ أحدوثَةَ السَّوءِ مُعْجباً ... بها بين أيدِى المجلسِ المتقابِلِ
يُرَى أهلُه فى نَعْمةٍ وهو شاحبٌ ... طَوِى البَطْنِ مِخماصُ الضُّحى والأصائِلِ (٥)

وقالت أخت يزيد بن الطَّثْريّة (٦):

---

(١) يقال : سألت أسأل ، وسلت أسل ، كما فى اللسان . ل : « يسل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده :

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن ... نصيبك إرث قدمته الأوائل

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة . فيما عدا ل : « تؤذى رفيقه » .

(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والمخماص : الجائع .

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح ، حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد جميلا وسيما شريفاً متلافاً. توفى سنة ١٢٦. انظر تحقيق ذلك فى حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت يزيد زينب ، كما فى اللسان (١٣ : ٤٣) وحماسة أبى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أَرَى الأَثْلَ مِن بطنِ العَقيقِ مُجاوِرِى … قريباً وقد غالت يَزِيدَ غوائلُه
فَتَى قُدَّ قَدَّ السَّيفِ لا متضائِلٌ … ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وبآدِلُه (١)
فتًى لا يُرَى خَرْقُ القميص بخَصْرِهِ … ولكنَّما تُوهِى القميصَ كواهلُه (٢)
إذا نَزَلَ الأَضيافُ كان عذَوَّرًا … على الحىِّ حتَّى تُستَقَلَّ مَرَاجِلُه (٣)
مَضَى ووَرِثْناه دَرِيسَ مُفاضَةٍ … وأَبيضَ هنديًّا طويلاً حمائلُه (٤)
يَسُرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالماً … وكلُّ الذى حمَّلْتَهُ فهو حاملُه
١٣٣ أخو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرِّجال وشَمَّروا … وذو باطِلٍ إن شئتَ أَلهاكَ باطلُه (٥)

يصير هذا الشِّعر وماأَشبهَ ممَّا وقع فى هذا الباب ، إلى الشِّعر الذى فى أول الفَصْل .

* * *

(١) اللبة واللبب : المنحر . والبأدلة : اللحم بين الإبط والثندؤه . وفى حماسة أبى تمام : « وأباجله » .

(٢) لا يخرق قميصه بخصره لضمره ، ويخرق قميصه بكاهله لكثرة حمله نجاد السيف .

(٣) العذور : السيئ الخلق . تستقل : تحمل وترفع . يقول : إنه يسوء خلقه على أهله عند نزول الضيف ؛ حتى يطمئن إلى إمكان قراه . وعند البحترى : « حتى تستقر » .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والدرع الدريس : الخلق . أضاف الصفة إلى الموصوف .

(٥) انظر ما سيأتى فى ٤ : ٧٥ .

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب

قال الشاعر :

عجِبتُ لأقوامٍ يَعِيبونَ خُطبَتى ... وما منهمُ فى موقِفٍ بخطيبِ

وقال آخر (١) :

إنَّ الكلامَ مِنَ الفـؤادِ وإنَّمـا ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤادِ دليلا (٢)
لا يُعجِبنَّك من خطيبٍ قولُهُ ... حتَّى يكونَ مع البيان أصيلا (٣)

وأنشد آخر :

أَبَرَّ فما يزدادُ إلاّ حَماقةً ... ونُوكاً وإن كانت كثيراً مَخارِجُه (٤)

وقد يكون ردىءُ العقل جيِّدَ اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى (٥) :

إذا وصَفَ الإسلامَ أُحسَنَ وَصْفَهُ ... بفِيه ، ويأبى قَلبُه ويهاجِرُه (٦)
وإن قامَ قال الحقَّ ما دامَ قائماً ... تقىُّ اللسان كافرٌ بَعْدُ سائِرُه (٧)

وقال قيس بن عاصم المِنقَرىّ (٨) يذكُر ما فى بنى مِنقر من الخَطابة :

---

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام فى شرح شذور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لفى الفؤاد » . والبيتان ليسا فى الديوان .

(٣) عند ابن هشام : « خطيب خطبة » . وفيما عدا ل : « مع اللسان » .

(٤) أبر : غلب . والنوك ، بالضم والفتح : الحمق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن على بن الديل بن بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بنى أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم ، روى الحديث عن صدر من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفى بعد ١٢٦ . الأغانى (١٥ : ٥٧ — ٦١) ونكت الهميان ١٥٣ — ١٥٥ وتهذيب التهذيب .

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدا ل : « يقول أنه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ويقول بحق على منبره بلسانه وسائره كافر » .

(٧) هامش ل : « خ : وإن قال قال الحق مادام قائلا » .

(٨) هو أبو على قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس =

إنّى امرؤٌ لا يعترى خُلُقى   دَنَسٌ يُفَنِّدهُ ولا أَفْنُ (١)
من مِنْقَرٍ فى بيت مَكْرُمةٍ   والأصلُ ينبتُ حولَه الغُصْنُ (٢)
خطباءُ حينَ يقومُ قائلُهمْ   بيضُ الوُجوهِ مَصاقعٌ لُسْنُ (٣)
لا يَفطُنون لعَيب جارِهم   وهُمُ لحفظ جِوَارهم فُطُنُ (٤)

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة ، قول الآخر :

١٣٤ أشارتْ بطَرْفِ العَينِ خيفةَ أهلها   إشارَةَ مَذعورٍ ولم تَتكلّمِ
فأَيْقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قال مرحباً   وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلِّمِ (٥)

وقال نُصَيبٌ ، مولى عبد العزيز بن مروان (٦) :

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ لَيلَى   ويفعل فوقَ أحْسَنِ ما يقولُ (٧)

= واسم مقاعس الحارث — بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً فى الجاهلية والإسلام ، صَحب النبى فى حياته وعاش بعده زمانا ، وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغانى (١٢ : ١٤٣ — ١٥١) . وروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالى ، حينما علم بأن أخيه قد قتل ابنه .

(١) فنده : لامه وضعف رأيه . والأفن : ضعف الرأى والعقل . وفى أمالى القالى (١ : ٢٣٩) : « لا يعترى حسبى » .

(٢) فى الحماسة (٢ : ٢٦٣) وعيون الأخبار : « والغصن ينبت حوله » . وفى الأمالى : « والفرع » .

(٣) فى الأمالى وعيون الأخبار : « حين يقول » .

(٤) هـ : « لحسن جواره » . وفى الحماسة والأمالى وعيون الأخبار : « لحفظ جواره » ، وفطن : جمع فَطِن .

(٥) سبق البيتان فى ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد فى هـ : « بالحبيب المتيم » .

(٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر فى ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبيين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعرا فحلا فصيحاً ، وله شعر كثير فى الاحتجاج للسواد . انظر الأغانى : (١٢٥ — ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء فى (١ : ١٣٥) أنه كان يكنى أبا الحجناء ، وهى كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق فى ص ٢٠٧ .

(٧) البيت من أبيات فى الأغانى (١ : ١٣٥) . وبعده :

فتى لا يرزأ الخلان إلا   مودتهم ويرزؤه الخليـــل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم   مع النيل الذى فى مصر نيل

وقال آخر :

ألا رُبَّ خَصمٍ ذى فُنونٍ عَلَوْتُه ... وإن كان أَلْوَى يُشبِه الحقَّ باطله (١)

فهذا هو معنى قولِ العتَّابىّ : « البلاغة إظهار ما غَمض من الحقّ ، وتصوير الباطل فى صورة الحقّ (٢) » . وقال الشّاعر (٣) ، وهو كما قال :

عجِبتُ لإدلال العَيِىِّ بنفسِه ... وصَمْتِ الذى قد كان بالقول أَعْلَما (٤)
وفى الصَّمت سَتْرٌ للعَيِىّ وإنما ... صحيفةُ لُبِّ المرء أَنْ يتكلما

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » فى شعره (٥) الذى رثى عثمانَ بن عَفّان ، رحمه الله ، بِهِ حيث يقول :

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به ... يقطِّع اللّيلَ تسبيحاً وقُرآنا (٥)

وأنشد أيضاً :

تَرَى الفتيانَ كالنّخْلِ ... وما يُدرِيكَ ما الدّخْلُ (٦)
وكُلٌّ فى الهوى لَيْثٌ ... وفيما نابَــهُ فَسْلُ
وليس الشّأنُ فى الوصلِ ... ولكن أن يُرَى الفَضْلُ (٧)

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ١١ – ١٢ .

(٣) هو الخطفى جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) . والبيتان بدون نسبة فى تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٨) .

(٤) فى اللسان وتاريخ بغداد : « لإزراء العيى » .وفى عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أى فى شعر الشاعر ،ولم يقصد به معينا . والبيت التالى لحسان بن ثابت فى ديوانه ٤١٠ واللسان (عنن ١٦٨) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٢) .

(٦) الشعر لابنة الخس ، كما فى اللسان (١٨ : ١٧٩ – ١٨٠) . وقبله

قالت قالة أختى ... وحجواها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الخس هذا المثل فى شعرها ، وأما المثل « ترى الفتيان » الخ : فقائله هو عثمة بنت مطرود البجلية . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٢٣) .

(٧) فيما عدا ل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسرى أنوشِروان ، لبُزُرْجمِهْر (١) . أيُّ الأشياء خير للمرء العَيِّ (٢) ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقلٌ ؟ قال : فإخوانٌ يسترون عليه . قال : فإن لم يكن له إخوانٌ ؟ قال : فمالٌ يتحبَّبُ به إلى الناس . قال : فإن لم يكن له مال ؟ قال : فعِيٌّ صامتٌ . قال : فإن لم يكن له (٣) ؟ قال : فموتٌ مُريح .

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو عليّ (٤) : « رسائل المرءِ فى كتُبه أدَلُّ على مِقدار عقله ، وأصْدَقُ شاهداً على غيبه لك (٥) ، ومعناه فيك ، ١٣٥ مِن أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة ».

★ ★ ★

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالى ببعض خلاف .

(٢) هذا ما فى ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العى » .

(٣) فيما عدا ل : « ذلك » بدل « له » .

(٤) هذه إحدى كنيتَى العتابى ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء فى عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتابى فى لباسه ، وكان لا يبالى ما لبس – يا أبا على ، أخزى الله أمرأ رضى أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله » والعتابى هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتابى شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغانى (١٢ : ٢ : ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .

(٥) فيما عدا ل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخــر

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبُرودِ العَصْب ، وكالحُلَل والمعاطف ، والدِّيباج والوشْى ، وأشباهِ ذلك .

وأنشدنى أبو الجَماهِر جُندب بن مدرِك الهلالىُّ :

لا يُشتَرى الحمدُ أُمْنِيَةً   ولا يُشتَرى الحمد بالمَقْصِرِ [١]
ولكنّما يُشترَى غالياً   فمن يُعْطِ قيمتَه يَشْتَرِ
ومَن يعتطِفْه على مِئزرٍ   فنِعم الرِّداءُ على المِئزرِ

وأنشدنى لابن ميَّادَةَ [٢] :

نَعَمْ إنّنى مُهدٍ ثَنَاءً ومِدْحَةً   كبُرْد اليمانى يُرْبِحُ البيعَ تاجره

وأنشد :

فإنْ أهْلِكْ فقد أبقَيتُ بعدى   قوافِىَ تُعجِب المُتَمثِّلينا [٣]
لذيذاتِ المقاطع مُحْكَماتٍ   لوَ انَّ الشِّعرَ يُلبس لارْتُدِينا

وقال أبو قُرْدُودة ، يرثى ابن عمارٍ [٤] قتيلَ النُّعمان ونديمَه [٥] ، ووصف كلامه ، و [قد [٦]] كان نهاه عن منادمته :

---

(١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرها : الشىء الدون اليسير اللسان (٦ : ٤٠٩ ، ٤١٥) .

(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان ممن مدح المنصور ، ومات فى صدر خلافته . الأغانى (٢ : ٨٥ – ١١٦) .

(٣) البيتان لابن ميادة ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٣٧ – ٢٣٨ . وانظر ديوان المعانى (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

(٤) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ النعمان حديثه فحمله على منادمته . وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر التالى . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٣٣٢) . ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٥) هذه الكلمة فى ل فقط .

(٦) هذه مما عدا ل .

إنِّى نَهَيْتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له   لا تأمَنَنْ أحْمَرَ العينين والشعَرَه
إنَّ الملوكَ متى تنْزِل بساحتِهم   تَطِرْ بنارك مِن نيرانهم شَرَرَه
يا جَفنةً كإزاء الحَوض قد هَدَمُوا   ومنطقاً مثلَ وَشْيِ اليَمْنة الحِبَرَه (١)

وقال الشّاعرُ (٢) فى مديح أحمدَ بنِ أبى دُؤاد :

وعويصٍ من الأُمور بهيمٍ   غامِضِ الشّخصِ مظلِمٍ مستورِ (٣)
قد تسهَّلتَ ما توعَّر منهُ   بلسانٍ يَزينُهُ التَّحبيرُ (٤)
مثلُ وَشْيِ البُرود هَلْهَلَه النَّسْـ   ـحُ وعِنـد الجِجاج دُرٌّ نثيـرُ
حَسَنُ الصَّمت والمَقاطِـع إمّـا   نَطَـق القـومُ والحديثُ يدورُ (٥)
١٣٦ ثُمَّ من بَعْـدُ لحظةٌ تُورِث اليُـ   ـسْرَ وعِـرضٌ مهـذَّبٌ موفـورُ

وممّا يُضَمّ إلى هذا المعنى وليس منه ، قولُ جميل بن مَعْمَر :

نَمَتْ فى الرَّوَابى من مَعَدٍّ وأُفْلِجَتْ   على الخَفِرات الغُرِّ وهى وَليدُ
أناة على نِيرينِ أضْحَى لِدَاتُها   بَلِينَ بَلَاء الرَّيْط وهى جديدُ (٦)

نمت : شبَّت . الرَّوابى من مَعدٍّ : البيوت الشريفة . وأصل الرابية والرُّباوة : ما ارتفع من الأرض . أُفلجت : أُظهرت (٧) . والخَفِرَات : الحييَّات . الأناة: المرأة التى فيها فُتورٌ عند القيام . وقوله على نِيرَين ، وصفها بالقوة ، كالثَّوبْ الذى

---

(١) إزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٢) هو الجاحظ ، كما ورد فى ترجمة ياقوت له فى معجم الأدباء (١٦ : ٨٠ - ٨١) .

(٣) فى البيت إقواء . لكن روى فى هـ برفع « عويص » وما بعده .

(٤) فى معجم الأدباء : « قد تسنمت » . وهى رواية إحدى النسخ كما فى حواشى هـ . وفى حواشيها أيضا : « يقال تسنم الرجل الحائط ، إذا علاه من عرض » .

(٥) فيما عدا ل : « أنصت القوم » . وفى معجم الأدباء : « نصت » ، وهى صحيحة يقال : نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .

(٦) فى المخصص (٣ : ١٥٦) :

ضناك على نيرين أضحى لداتها   بلين بلى الريطات وهى جديد

(٧) فيما عدا ل : « أفلجت : ظهرت وقهرت » . وتقرأ بالبناء للفاعل .

يَنسَج على نِيرَين ، وهو الثَّوب الذى له سَدَيان ، كالدِّيباج وما أشبهه . أُضحى لداتُها ، اللِّدَة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : إنَّ أقرانَها قد بَلينَ ، وهى جديدٌ لحُسن غِذائها ودوام نَعْمتها .

ومِن هذا الشكل وليس منه بعينه قولُ الشاعر :

على كلِّ ذى نيرين زيد مَحالُهُ ... مَحالاً وفى أضلاعه زِيد أضْلُعَا

المحَال : مَحال الظَّهر ، وهى فَقارُه ، واحدُها مَحالة .

وقال أبو يعقوب الخُرَيمىُّ الأعور : أوّلُ شعرٍ قلتُه هذان البيتان :

بقلبى سَقَامٌ لستُ أُحْسِنُ وصفَه ... على أنّه ماكان فهو شديدُ
تمرُّ به الأيّامُ تسحَبُ ذيلَها ... فتَبْلَى به الأيّامُ وهو جديدُ

وقال الآخر (١) :

أبَى القلبُ إلّا أمَّ عمرٍو وحبَّها ... عجوزاً ومَن يُحبِبْ عجوزاً يُفَنَّدِ
كبُرْد اليمانى قد تقادَمَ عهده ... ورُقْعَتُه ما شئْت فى العَينِ واليَدِ

وقال ابن هَرْمة :

إنَّ الأديمَ الذى أصبحتَ تعرُكَه ... جهلا لَذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ (٢)
ولن يَئِطَّ بأيدى الخَالِقِين ولا ... أيدى الخوالق إلا جيِّدُ الأَدَمِ (٣)

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذو الرُّمَّة : ١٣٧

وفى قصر حَجْرٍ من ذُؤابة عامر ... إمامُ هدًى مستبصِرُ الحكم عادِلُه (٤)

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « وقال آخر ، هو أبو الأسود الدئلى » . والبيتان فى الحماسة (٢ : ١٢٨) منسوبان إلى أبى الأسود . وفى حواشى هـ : « هو أبو الأسود الدؤلى » .

(٢) النغل : فساد الأديم . والحلم ، بالتحريك : فساده ووقوع الدود فيه .

(٣) يئط : يصوت . والخالق : الذى يخلق الأديم ، يقدره ويقيسه قبل أن يقطعه . والأدم بالتحريك : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد المدبوغ . ويقرأ أيضا « الأدم » بضمتين جمع أديم .

(٤) البيتان فى ديوان ذى الرمة ٤٧٤ : وفى شرح الديوان : « الحجر سوق اليمامة وقصبتها » . ب : « فعر حجر » : « قصر فقر » محرفتان . وفى هـ : « مستنصر الحكم » .

كأنّ على أعطافه ماءَ مُذهَبٍ إذا سَمَلُ السِّربالِ طارت رَعابِلُه

الرَّعابل : القِطَع . وشواءٌ مُرَعْبَلٌ : مقطّع . ورَعْبَلْتُ الشيء أى قَطَّعته . ويقال ثوب سَمَلٌ وأسمالٌ . ويقال سَمَل الثوب وأسمل ، إذا خَلُقَ (١).

وهو الذى يقول :

حوراءُ فى دَعَجٍ صفراء فى نَعَجٍ كأنها فضّة قد مَسَّها ذهبُ

الحَوَر : شدّة بياض العين . والدَّعجُ : شدة سواد الحدقة . والنَّعَجُ : اللِّين . قالوا: لأنَّ المرأة الرقيقةَ اللون يكون بياضُها بالغداة يضرب إلى الحمرة ، وبالعشىِّ يضرب إلى الصفرة . ولذلك قال الأعشى :

بيضاءُ ضَحْوتَهـا وصفـ ـراء العَشِيَّةِ كالعَرارَه (٢)

وقال آخر :

قد علمتْ بيضاءُ صَفْراءُ الأُصُلْ (٣) لأُغْنينَّ اليوم ما أغنى رجُلْ

وقال بشّار بن بُرْد :

وخِذِى مَلابسَ زينةٍ ومُصبَّغاتٍ فَهْىَ أفخَرْ
وإذا دخلتُ تقنَّعِى بالحُمرِ إنَّ الحسْنَ أحمرْ (٤)

وهذان أعميانِ (٥) قد اهتدَيَا من حقائق هذا الأمر إلى مالا يبلُغه تمييز البَصِير (٦). ولبشّارٍ خاصّةٌ فى هذا الباب ما ليس لأحد ، ولولا أنّه فى كتاب الرَّجُل والمرأة وفى باب القول فى الإنسان من كتاب الحيوان ، ألْيَقُ وأزكى (٧) لذكرناه فى هذا الموضع.

---

(١) هـ : « أخلق » .
(٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عرر) .
(٣) الأُصل : جمع أصيل ، وهو آخر النهار.
(٤) فى حواشى هـ : « أبو على : يقال فى مثل للعرب : الحسن أحمر ، أى من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها » . وفى اللسان : « يلقى منه المشقة والشدة كما يلقى من القتال » .
(٥) فى حواشى هـ : « خشنى : كان الأعشى قد عمى ، فلذلك قال : أعميان » .
(٦) ل : « البصر » .
(٧) أزكى : أصلح . فيما عدا ل ، هـ : « أذكى » تحريف .

ومما ذكروا فيه الوزْنَ قوله :

زِنِى القَوْمَ حتَّى تعرفى عند وزنهم … إذا رفع الميزانُ كيف أميلُ [١]

وقال ابن الزَّبِير الأَسدىّ ، واسمه عبدُ الله [٢] :

أعاذِلَ غُضِّى بعضَ لَوْمِكِ إنّنى … أرى الموتَ لا يرضى بدَينٍ ولا رَهْنِ ١٣٨
وإنى أرى دهراً تَغَيَّرَ صَرْفُه … ودُنْيا أراها لا تقومُ على وزْنِ

* * *

---

(١) ل : « حتى تعرف عند وزنه » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من هـ .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان أحد الهجائين يخاف الناس شره . الأغانى (١٣ : ٣١ – ٤٧) والخزانة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصفدى فى نكت الهميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلامَ الموزونَ ويمدحُون به ، ويفضّلون إصابة المقادير ، ويذمُّون الخروجَ من التعديل (١).

قال جعفر بنُ سليمان : ليس طِيبُ الطّعام بكثرة الإنفاق وجودة التّوابل ، وإنّما الشأنُ فى إصابة القَدْر . وقال طارقُ بن أُثالٍ الطائىّ (٢) :

ما إنْ يزالُ ببغدادٍ يزاحمنا ... على البَراذينِ أشباهُ البراذينِ
أعطاهُم اللهُ أموالاً ومنزلةً ... من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ مِن بغلةٍ سَفواءَ ناجيةٍ ... ومِن أثاثٍ وقول غير موزونِ (٣)

وأنشدنى بعض الشعراء (٤) :

رأتْ رجلاً أودى السِّفارُ بجسمه ... فلم يبق إلّا مَنطِقٌ وجَناجِنُ (٥)

[الجناجن : عظام الصّدر (٦)] .

إذا حُسِرَتْ عنهُ العمامةُ راعَها ... جَمِيلُ الحفوفِ أغفلَتْهُ الدّواهنُ (٧)
فإن أكُ مَعرُوقَ العظامِ فإنّنى ... إذا ما وَزَنْتَ القومَ بالقومِ وازنُ (٨)

وقال مالك بن أسماءَ فى بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ، وربما لحَنتْ :

---

(١) فيما عدا ل : « التبويل » محرف . وكلمة : « من التعديل » ليست فى هـ .
(٢) فيما عدا ل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائى » .
(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدا ل : « سفواء : ناجية سريعة » .
(٤) الشعر التالى لكثير عزة ، كما فى الأغانى (١٤ : ٥٧) .
(٥) السفارة : مصدر سافر ، كالمسافرة .
(٦) هذه مما عدا ل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .
(٧) الحفوف : الشعث وبعد العهد بالدهن . فيما عدا ل : « الحفوق » تحريف .
(٨) معروق العظام : قليل اللحم .

أمغطًّى مِنّى على بَصرِى للــحُبِّ أمْ أنتِ أكملُ النّاس حُسْنا (١)

وحديثٍ ألَـذُّه هو ممّـا ينعتُ النّاعِتونَ يُوزَن وزْنا

مَنطِقٌ صَائبٌ وتلحن أحيا ناً وخَيْرُ الحديثِ ما كان لحنَا

وقال طَرَفة فى المقدار وإصابته : ١٣٩

فسقَى ديارَكَ غيرَ مُفْسِدِها صَوبُ الرّبيع ودِيمَةٌ تَهمِى (٢)

طلب الغيثَ على قدْر الحاجة ، لأنّ الفاضل ضارّ . وقال النبىُّ ﷺ فى دعائه (٣) : « اللهمّ اسقِنا سقياً نافعاً » . لأنّ المطر ربّما جاءَ فى غير إبّان الزّراعات ، وربما جاء والتّمر فى الجُرْنِ ، والطّعام فى البَيادر ، وربّما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى ﷺ : « اللهمّ حوالَيْنا ولا علينا (٤) » .

وقال بعض الشُّعراء لصاحبه : أنا أشعرُ منك . قال : ولم ؟ قال : لأنّى أقول البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابن عمّه .

وعاب رؤبةُ شعر ابنه فقال : « ليس لشعره قِرَان (٥) » . وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يُوضَع إلى جنْبه . وعلى ذلك التأويل قال الأعشى :

أبا مِسْمَعٍ أقصرْ فإنّ قصيدةً متى تأتكم تَلحَقْ بها أخواتُها

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .

وقال عمرو بن معدى كرب :

وكل أخٍ مفارِقُـهُ أخــوه لعَمْر أبيك إلّا الفرقدانِ (٦)

---

(١) سبقت الأبيات والكلام عليها فى ص ١٤٧ . وانظر كذلك أمالى ثعلب ٥٩٩ والقالى (١ : ٥) والمرتضى (١ : ١٠) .

(٢) ديوان طرفة ٦٢ ومعاهد التنصيص (١ : ١٢٢) من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى .

(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قوله : « ﷺ » من ب ، هـ فقط .

(٤) الكلمة الأولى من الحديث ساقطة من ل ، هـ .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٦٨ .

(٦) انظر الخزانة (٢ : ٥٢) والكامل ٧٦٠ وسيبويه (١ : ٣٧١) . والبيت ينسب أيضا إلى حضرمى بن عامر . المؤتلف ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد مَعنىً وأقلُّ لفظاً . قال الهُذَلىّ (١) :

أعامرُ لا آلوك إلاّ مهُنَّداً وجِلد أبى عجلٍ وثيقَ القبائلِ (٢)

ويعنى بأبى عجلٍ الثّور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عَسَلَة الشيبانى ، واسمه عبدُ المسيح (٣) :

وسَماَعِ مُدْجِنَةٍ تعلِّلنا حتى نَنامَ تناوُمَ العُجْمِ (٤)

فصحوت والنَّمَرىُّ يحسبها عمَّ السِّماك وخالَةَ النّجمِ (٥)

النجم واحدٌ وجمع (٦) . والنَّجم : الثريّا فى كلام العرب . مدجنة ، أى سحابة دائمة .

وقال أبو النَّجْم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العَيرَ والمَعْيُوراء ، وهو الموضع الذى يكون فيه الأعيار (٧) :

---

(١) أبو خراش الهذلى . انظر نسخة الشنقيطى من الهذليين ٧١ .

(٢) فى ديوان الهذليين : « أواقد » . وفى المخصص (١٣ : ١٧٤) :

أُوَاقدُ لا آلوك إلا مهندا وجلد أبى العجل الشديد القبائل

قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .

(٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر بن شراكة الغسانى . انظر المؤتلف ١٥٧ – ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء . وقد نشرته محققاً بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادر المخطوطات ١ : ٨١ – ٩٦) وقصيدة البيتين فى المفضليات (٢ : ٧٩) .

(٤) المدجنة : القينة تغنى فى يوم الدجن ، بفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعللنا : تلهينا بصوتها . قال الأصمعى : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه . ولكن يعزف حولها ويضرب حتى تنتبه » . والآمدى يرويه : « تناؤم العجم » . قال « تناؤم من النئيم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .

(٥) النمرى ، هو كعب ، أحد بنى النمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما للسماك ، وخالة للثريا . وفى جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا فى الحيوان (١ : ٢١٢ ، ٢٨٦) . وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو :

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم

(٦) هذا الكلام مما عدا ل . وقد ورد أيضا فى الحيوان (١ : ٢٨٦) .

(٧) ل : « الذى يكون فيه » . على أن المعروف أن « المعيوراء » جمع من جموع العير .

* وظَلَّ يُوفى الأُكَمَ ابنُ خَالِهاَ *

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم فى الكلامِ ، وحَمْلِ بعضه على بعض ، واشتقاق بعضِه من بعض (١)

وقال النبى ﷺ : « نِعْمَتِ العمّةُ لكُم النَّخْلة » ، حين كانَ بينها وبين الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوهٍ . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الزَّرع والنَّخْل .

وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بأن التمرَ بالزبد طَيِّبٌ ... وأنّ الحُبارَى خالة الكَروانِ (٢)

لأنَّ الحُبارَى ، وإن كانت أعظمَ بدناً من الكَرَوانِ ، فإنَّ اللَّونَ وعَمُودَ الصُّورة واحد ، فلذلك جعلها خالته ، ورأى أنّ ذلك قَرابةٌ تستحقّ بها هذا القول .

* * *

---

(١) هذه الجملة مما عدا ل .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٣٧٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « ألم تر أن الزبد » .

باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطب واللَّسَن والامتداح به والمديح عليه

قال كعبٌ الأشقَرِىّ (١) :

إلاّ أكُنْ فى الأرض أخطبُ قائما   فإنِّى على ظَهر الكُميت خطيبُ

وقال ثابت قُطنَة :

فإلاّ أكنْ فيهم خطيباً فإنّنى   بسُمْر القنا والسَّيف جِدُّ خطيبِ (٢)

وقالت ليلى الأخيليَّة :

حتّى إذا رُفِع اللّواء رأيتَه   تحت اللّواء على الخميس زعيما (٣)

وقال آخر :

عجبتُ لأقوامٍ يعَيبُون خُطبتى   وما منهمُ فى مَأقِطٍ بخطيبِ (٤)

وهؤلاء يفخرون بخُطَبِهم التى عليها يعتمدون ، بالسُّيوفِ والرِّماح (٥) ، وإن كانوا خطباء . وقال دُريد بن الصِّمّة (٦) :

أبلِغْ نُعَيماً وأوفَى إن لقيتَهُما   إن لم يكن كان فى سمعيهما صممُ

فلا يزالُ شهـابٌ يُستضاء به   يَهدِى المَقانِبَ مالم تَهلِك الصِّمَمُ (٧)

---

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى ، شاعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب ، مذكور فى حروب الأزارقة . الأغانى (١٣ : ٥٤ — ٦١) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدا ل : « أكن فيكم » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧) . وقبله :

ومخرق عنه القميص تخاله   وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « فى موقف » . وكتب فى هامشها « خ : مأقط » . وانظر ص ٢١٨ .

(٥) ل : « بأنّ خطبهم التى عليها يعتمدون السيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرثى بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغانى (٩ : ٨) .

(٧) فى الأغانى : « فلا يزال شهابا » . وبين هذا وسابقه فى الأغانى :

فما أخى بأخى سوء فينقصه   إذا تقارب بابن الصادر القسم

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع : فى الأغانى : « الأمم » .

عارِى الأشاجع معصوبٌ بلمَّته أمرُ الزَّعامة فى عِرنينه شمَمُ

المقانب : جمع مِقنبٍ ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع : عروقُ ظاهرِ الكفّ ، وهى مغرز الأصابع . واللِّمّة : الشّعرة التى ألمَّت بالمنكب . ١٤١ وزَعيم القوم : رأسُهم وسيِّدهم الذى يتكلّم عنهم . والزَّعامة : مصدر الزّعيم الذى يسود قومَه . وقوله « معصوبٌ بلمّته » أى يُعصَب برأسه كلُّ أمر . عِرنينه : أنفه .

وقال أبو العباس الأعمى [1] ، مولى بنى بكر بن عبد مناةَ فى بنى عبد شمس :

ليت شعرى أفاح رائحة المسـ ـك وما إن أخال بالخَيْف إنسِى [2]
حين غابت بنو أميّةَ عنه والبهاَليلُ من بنى عَبد شمسِ
خطبـاءٌ على المنابـر فُرسا نٌ عليها وقالـةٌ غير خُرْسِ
لا يُعابُون صامتِينَ وإنْ قا لُوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ
بحلومٍ إذا الحلوم استُخِفّتْ ووجوهٍ مثلِ الدنانير مُلْسِ [3]

وقال العجّاج :

وحاصِنٍ من حاصِناتٍ مُلْسِ من الأذَى ومن قِرافِ الوَقْسِ [4]

المحصَنة : ذوات الزوج . والحاصن : العفيف . والوقس : العيب [5].

وقال امرؤ القيس :

ويارُبَّ يومٍ قد أروح مرُجَّلاً حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا [6]

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢١٨. والأبيات التالية فى مروج الذهب (٣ : ٢٩٥) والأغانى (١٥ : ٥٧) ونكت الهميان للصفدى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصة الشعر .

(٢) الخيف : موضع فى الحجاز . وفى حواشى هـ : « أراد أنسيا فخفف ياء النسب ضرورة فى الشعر » .

(٣) فى الأغانى : « إذا الحلوم تقضت » . قال : « ويروى مكان تقضت : اضمحلت » .

(٤) وكذا جاءت نسبتهما فى اللسان (وقس) . وجاءا فى (حصن) بدون نسبة . وليسا فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

(٥) فيما عدا ل : « العفيفة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث .

(٦) فيما عدا ل : « الجرب » .

(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مثلَ حيّ تحمّلوا ... إلى الشام مظلومِينَ منذُ بُرِيتُ
أعزَّ وأمضَى حين تَشتجِرُ القنا ... وأعلمَ بالمسكين حيث يبيتُ
وأرفَقَ بالدُّنيا بأُولَى سياسةٍ ... إذا كاد أمرُ المسلمين يفوتُ
إذا مات منهم سيّدٌ قام سيّدٌ ... بصيرٌ بعَورات الكلامِ زَمِيتُ

وقال آخر :

لا يُغْسَل العِرْضُ مِن تدنسِهِ ... والثوب إن مَسَّ مدنَساً غُسِلا
وزَلّةُ الرِّجل تُستَقالُ ولا ... يكاد رأىٌ يُقيلك الزَّللا

وقال آخر فى الزَّلل :

ألهفى إذْ عَصَيْتُ أبا يزيدٍ ... ولهفى إذْ أطعت أبا العَلاءِ
وكانت هَفوةً من غير ريحٍ ... وكانت زَلَّةً من غير ماءِ

وقال آخر (١) :

فإنّكَ لم ينذِرْك أمراً تخافُه ... إذا كنت فيه جاهلاً مثلُ خابرِ

وقال ابن وابصة [اسمُه سالم (٢)] ، فى مقامٍ قامَ فيه مع ناسٍ من الخُطباء :

يأيها المتحلِّى غيرَ شيمتِه ... ومَن سجيّته الإكثارُ والمَلَقُ
اعمِدْ إلى القَصْد فيما أنت راكبُه ... إنّ التخلُّق يأتى دونَه الخُلُقُ
صدّت هُنيدةُ لما جئتُ زائرها ... عنّى بمطروفةٍ إنسانُها غَرِقُ
وراعَها الشَّيبُ فى رأسى فقلتُ لها ... كذاكِ يصفَرُّ بعد الخُضْرة الورَقُ

---

(١) فى حواشى هـ : « هو جران العود » .

(٢) هذه مما عدا ل . وتسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هى كذلك فى الحماسة (١ : ٢٩٥) ونوادر أبى زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب فى الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٢٨ إلى العرجى ، وفى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع ، وورد بدون نسبة فى أمالى ثعلب ٣٠٠ . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان . انظر المؤتلف وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٤٣ .

بلْ موقِفٍ مثلِ حدِّ السيف قمتُ به   أحمِي الذِّمار وترميني به الحدَقُ [١]

فما زَلَلْتُ ولا أُلفِيتُ ذا خَطَلٍ   إذا الرِّجال على أمثالها زَلِقُوا

قال : وأنشدني لأعرابيٍّ من باهِلَة :

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيس حتى يكُفَّني   غِنِى المال يوماً أو غنى الحدَثَانِ [٢]

فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها   على الحُرِّ بالإقلال وَسْمُ هوانِ

متى يتكلَّمْ يُلْغَ حسنُ حديثِهِ   وإن لم يَقُلْ قالوا:عديمُ بيانِ [٣]

كأنَّ الغِنَى عَنْ أهله ، بُورِكَ الغِنى،   بغيرِ لسانٍ ناطــقٌ بلسانِ [٤]

وفى مثلها فى بعض الوجوه قال عروة بن الورد [٥] : ١٤٣

ذرِيني للغِنَى أسعَى فإنِّي   رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ

وأهْوَنُهم وأحقَرُهم لديهمْ   وإن أمسى له كَرمٌ وخِيرُ [٦]

ويُقصَى فى النديِّ وتزدريهِ   حليلتُه وينْهَرُه الصَّغيرُ [٧]

وتلقَى ذا الغِنى وله جلالٌ   يكاد فؤادُ صاحبِهِ يطيرُ [٨]

قليلٌ ذنْبُه والذَّنبُ جَمٌّ   ولكنَّ الغِنَى ربٌّ غفورُ [٩]

---

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما فى قوله :

• بل جوز تيهاء كظهر الحجفت •

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجرى . والحدثان : الحوادث .

(٣) هـ : « حكم كلامه » . وأشير فى حاشيتها إلى رواية : « مقاله » .

(٤) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدا ل : « فى أهله » . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما فى عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى ديوان عروة . وقد رويت له فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٦) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدا ل : « نسب وخير » .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمنتدى . التيمورية : « ويقصى فى الندى » .

(٨) فيما عدا ل : « ويلقى ذو الغنى » .

(٩) كذا فى ل ، هـ والتيمورية . وفى ب ، جـ : « ولكن للغنى » . وأنشده المرتضى فى أماليه (١ : ٣٨) : « ولكن الغنى » ، وقال : « أراد غنى رب غفور » .

وقال ابن عبَّاس رحمه الله : « الهَوَى إله معبود » . وتلا قولَ الله عزَّ وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل (١) :

تلك عِرساىَ تنطقان على عَمْـــدٍ لِىَ اليومَ قولَ زُور وهِتْرِ (٢)
سالَتانى الطَّلاقَ أَنْ رأَتا ما   لِى قليلاً قد جئتمانى بِنُكْرِ (٣)
فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عِندى   ويعرَّى من المَغَارم ظهرِى
وتُـرى أعبـدٌ لنـا وأَواقٍ   ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ (٤)
ونجُرُّ الأذيالَ فى نعمةٍ زَوْ   لٍ تقولان: ضَعْ عصاك لدَهْرِ (٥)
وَىْ كأَنْ مَن يكن له نشَبٌ يُحْـــبَبْ ومن يفتقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ (٦)
ويُجَنَّبْ سِرَّ النَّجِىِّ ولكـ   ـنَّ أخا المال مُحْضَرٌ كُلَّ سِرِّ

المناصيف : الخَدَم واحِدهم مَنْصَفٌ وناصِفٌ، وقد نَصَفَ القوم يَنْصِفُهُم نِصَافَةً ،

---

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديما . وفى بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفى سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حينا لسعيد ، وحينا لوالده . وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج ، كما فى الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشنتمرى (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) الهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ فى الكلام .

(٣) استشهد به سيبويه على إبدال الألف فى « سالتانى » من الهمزة . وفى سيبويه (١ : ٢٩٠ / ٢ : ٣٩٠) : « أن رأتانى قل مالى » . وأشير إلى هذه الرواية فى حواشى هـ .

(٤) أواق ، فسره البغدادى بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : ويروى بدله : وجياد .

(٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفى هامش ل : « خ : مثل قول الشاعر . فألقت عصاها واستقر بها النوى » .

(٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ .

إذا خدَمَهم . نعمةٌ زَولٌ : حسنة . [والزَّول : الخفيف الظريف ، وجمعه أزْوال [1]] .

وقال عَبيد بن الأبرص فى نحو هذا وليس كمثله :

تلك عرسى غضبَى تريد زِيالى   ألبينٍ تريدُ أم لدَلَالِ [2] ١٤٤
إن يكن طِبُّك الفراقَ فلا أُحْـ   ـفِلُ أن تَعطِفى صُدورَ الجِمال [3]
أو يكن طِبُّك الدَّلالَ فلو فى   سالف الدَّهرِ واللَّيالى الخوالى
كنتِ بيَضاءَ كالمَهَاةِ وإذْ آ   تيكِ نَشْوانَ مُرخياً أذْيالى
فاتركى مَطَّ حاجِبَيكِ وعيشى   مَعَنا بالرَّجاء والتَّأمالِ
زعمَتْ أنَّنى كبِرتُ وأنِّى   قلَّ مالى وضَنَّ عنى المَوَالى
وصحا باطِلِى وأصبحتُ شيخاً   لا يُواتِى أمثالَها أمثالى
إنْ ترَيْنى تغيَّرَ الرأسُ مِنِّى   وعلا الشَّيبُ مَفرِقى وقَذَالى
فبِما أدخلُ الخِباء عَلَى مَهْـ   ـضومةِ الكشحِ طَفْلةٍ كالغَزَالِ
فتعاطيتُ جِيدَها ثمَّ مالتْ   مَيَلانَ الكثيب بين الرِّمالِ
ثم قالت : فِدًى لنفسِكَ نفسى   وفداءٌ لمال أهلِكَ مالِى

الكشح : الخَصْر . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . والطَّفْلة : الرَّخصة النَّاعمة [4] .

* * *

قال : وخرج عثمانُ بن عفَانَ — رحمه الله — من داره يوماً ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس [5] ، فقعد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشْغَى ثَطًّا ، فى عباءة ، فأنكره وأنكر مكانَه ، فقال : يا أعرابى ، أين رَبُّكَ ؟ فقال : بالمِرْصَاد ! [والشَّغَى : تراكب الأسنان واختلافها . ثَطّ : صغير اللحية [6]] .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) الأبيات من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى ١٠٢ . والزيال : المفارقة .

(٣) هذا البيت فى ل ، هـ و التيمورية فقط .   (٤) هذا التفسير من هـ .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ .   (٦) هذا مما عدا ل .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفْحِمْه أحدٌ قط غير عامرِ بن عبد قيس .

ونظر معاويةُ إلى النَّخّار بن أوسٍ العُذْرىّ (١) ، الخطيب الناسب ، فى عباءةٍ فى ناحيةٍ من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانَه زرايةً منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النَّخّار : يا أمير المؤمنين ، إنّ العباءة لا تكلِّمك ، وإنما يكلِّمك مَن فيها !

قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرِم بن قُطْبة (٢) ،
١٤٥ ملتفًّا فى بَتٍّ فى ناحيةِ المسجد ، ورأى دمامته وقِلّته ، وعَرَف تقديمَ العربِ له فى الحُكم والعِلم ، فأحبَّ أن يكشِفَه ويَسبُر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليومَ أيُّهما كنت تنفِّر ؟ يعنى عَلقمة بن عُلاثَة ، وعامرَ بن الطُّفَيل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيهما كلمةً لأعدتُها جَذَعةً . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكمت العربُ إليك .

ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفْدُ (٣) والأحنف ملتفٌّ فى بَتٍّ له (٤) ، فترك جميع القومِ واستنطقَه ، فلما تبعَّق منه ما تبعَّق ، وتكلم بذلك الكلامِ البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهَبَ ، لم يزَلْ عنده فى عَلياءَ ، ثم صار إلى أن عقد له الرِّياسة ثابتاً له ذلك (٥) ، إلى أن فارقَ الدنيا .

ونظر النُّعمانُ بن المنذر إلى ضَمْرة بن ضَمْرة (٦) ، فلما رأى دمامته وقلَّته قال : « تَسمعُ بالمُعَيدىِّ لا أنْ تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال ضمرة : « أبيتَ اللّعن ، إنّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان ، ولا تُوزَن فى الميزان (٧) ، وإنّما المرءُ بأصغَرَيْه : قلبِه ولسانه » .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته فى ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد فى العقد (١ : ١٩١) .

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : « ثابتة له » فقط .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

(٧) فى حواشى هـ : « وقع فى بعض النسخ : « لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، ولا تعرف إلا بعد الامتحان » .

وكان ضَمرةُ خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .

وكان الرَّمَق بن زيد [١] مدح أبا جُبَيْلَةَ الغسَّانى [٢] ، وكان الرَّمَق دَميماً قصيراً ، فلما أنشده وحاوره ، قال : « عسَلٌ طيِّبٌ فى ظَرف سَوءٍ » .

قال : وكلَّم عِلباءُ بنُ الهَيثم السَّدوسى [٣] عمرَ بن الخطاب ، وكان عِلباءٌ أعورَ دميماً ، فلمَّا رأى براعتَه وسمِع بيانَه ، أقبل عمر يصعِّد فيه بصرَه ويَحْدُرُه ، فلما خرج قال عمر : « لكلِّ أناسٍ فى جُمَيْلِهمْ خُبْرٌ [٤] » .

* * *

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سهلَ بن هارونَ ، قولَ سلَمة بن الخُرشُب [٥] وشعرَه الذى أرسل به إلى سُبَيع التغلبى [٦] فى شأن الرُّهُن التى وضعت على يديه فى قتال عَبْسٍ وذُبيان ، فقال سَهل بن هارون . والله لكأنّه قد سمع رسالةَ عمر

---

(١) فى الاشتقاق ٢٧٠: « ومنهم الرمق بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلى . والرمق معروف ، وهو باقى النفس » . وذكر فى حواشيه عن العسكرى أنه « الدمق » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفى الأغانى (١٩ : ٩٦) أن الرمق لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .

(٢) أبو جبيلة الغسانى ، أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفى ملوكهم جبلة بن الأيهم الغسانى آخر ملوك الغساسنة . وكان الرمق قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :

وأبو جبيلة خير من يمشى وأوفاهم يمينا

وأبره برا وأعـــلمه بعلم الأولينا

وهذا الشعر هو الذى يشير إليه الجاحظ . انظر الأغانى (١٩ : ٩٦) . ب والتيمورية : « أبا جبلة الغسانى » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وتكلم علباء » . وفى ب فقط بعد كلمة « السدوسى » : « عند » وما فى أمثال الميدانى (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، حـ . وهو علباء بن الهيثم بن جرير ، وأبوه من الرؤساء الذين حاربوا كسرى فى وقعة ذى قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتى الخبر فى (٣ : ٢٩٩ — ٣٠٠) .

(٤) الجميل : تصغير الجمل . والخبر ، بضم الخاء وكسرها : العلم والمعرفة . فيما عدا ل : « خبرة » ، وهى بضم الخاء وكسرها كالخبر . وفى أمثال الميدانى : « لكل أناس فى بعيرهم خبر » . وضبط فى هـ « خبر » بالتحريك . وأنشد التبريزى فى شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا فى شعر يتحتم معه هذا الضبط ، وهو قوله :

فآليت لا أشرِى بعيرا بغيره لكل أناس فى بعيرهم خبر

(٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .

(٦) ب فقط : « الثعلبى » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم (١).

والقصيدة قوله :

أبلغ سُبَيعاً وأنت سيِّدُنا قِدْماً وأوفى رجالِنا ذِمَما
أنَّ بَغيضاً وأنَّ إخوتَها ذُبيانَ قد ضرَّموا الذى اضطرما
نُبِّئتُ أنْ حكَّموك بينهمُ فلا يَقُولُنَّ بئس ما حَكَما
إن كنتَ ذَا خُبرةٍ بشأنهمُ تعرفُ ذا حَقِّهم ومن ظَلَما
وتُنْـزِلِ الأمرَ فى منازلــه حُكماً وعلماً وتحْضرُ الفَهَما (٢)
ولا تُبالى مِن المُحِقِّ ولا المُبْـ ـطِلِ لا إلَّةً ولا ذِمَما
فاحكمْ وأنت الحكِيمُ بينهمُ لن يَعْدَموا الحكمَ ثابتاً صَتَمَا

الصَّتَمُ : الصحيح القوىُّ ؛ يقال رجلٌ صَتَمٌ ، إذا كان شديداً (٣).

واصدَعْ أديمَ السَّواءِ بينهمُ على رضا مَن رَضِى ومن رَغِمَا
إنْ كان مالاً فَقَضِّ عِدَّتَه مالاً بمالٍ وإنْ دَماً فدَمَا (٤)
حتى تُرَى ظاهرَ الحُكومة مِثْـــلَ الصُّبح جَلَّى نهارُه الظُّلَمَا
هذا وإنْ لم تُطِقْ حكومتَهمْ فانبِــذْ إليهمْ أمورَهُـم سَلَمـا

* * *

وقال العائشىّ (٥) : كان عمر بن الخطاب – رحمه الله – أعلَم الناسِ بالشِّعر ، ولكنه كان إذا ابْتلِىَ بالحُكْم بين النجاشىّ والعَجْلانى (٦) ، وبين

(١) ستأتى فى (٢ : ٤٩ – ٥٠) . وهى فى أوائل كامل المبرد ٩ ليبسك .
(٢) ل: « وتحصر » بالصاد المهملة ، وستعاد الأبيات فى (٣ : ٣١٤) .
(٣) هذه مما عدا ل .
(٤) فيما عدا هـ ، ب « فقض عدته » والوجه ما أثبت منهما .
(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المترجم فى ص ١٠٢ .
(٦) النجاشى هو قيس بن عمرو ، من بنى الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر فى رمضان فجلده على مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ =

الحطيئة والزِّبْرِقان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعَراء ، واستشهد للفريقَينِ رجالاً ، مثل حسَّان بن ثابت وغيرِه ، ممن تهون عليه سِبَالُهم ، فإذا سمع كلامَهم حَكَم بما يعلم ، وكان الذى ظَهَر من حُكْم ذلك الشاعر مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلَّص بِعرضِه سليماً . فلمَّا رآه مَن لا عِلم له يسأل هذا وهذا ، ظنَّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيرُه .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً لزهيرٍ – وكان لشعِره مقدِّما – فلما انتهوا إلى قوله :

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُه ثلاثٌ   يمينٌ أو نِفار إو جِلاءُ (١)

قال عمر كالمتعجِّب مِن علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامَها :

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ   يمين أو نِفَارٌ أو جِلاءُ

يردِّدُ البيتَ من التعجُّب . ١٤٧

وأنشدوه قصيدةَ عَبْدَةَ بنِ الطَّبيب (٢) الطويلةَ التى على اللّام (٣) ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرءِ ساعٍ لشىء ليس يدركهُ   والعيش شُحٌ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجِّباً :

= فقال : لجراءتك على الله فى رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا عليا . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة (٢ : ١٠٧) . وفى الإصابة أنه إنما سمى النجاشى لأن لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبى أن جماعة من بنى الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله ﷺ فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما العجلانى ؛ فهو تميم بن أبى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبكى أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة بينهما فى المرجعين المتقدمين والعمدة (١ : ٢٧) وأمالى ثعلب ١٨٠ – ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(١) النفار : أن يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط فى أصول الديوان ٧٥ ، وكما نبه عليه الصغانى . انظر حواشى اللسان (جلا ١٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ١٢٢ .

(٣) هى إحدى المفضليات . انظر (١ : ١٣٣ – ١٣٤) .

* والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ *

يعجِّبهم من حسن ماقسَّم وما فصَّل [١].

وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الأسلت التى على العين ، وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ إشْفاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ [٢]

أعاد عمر البيت وقال :

الكَيس والقُوَّةُ خيرٌ من الـ إشفاقِ والفَهَّةِ والهاعِ

[وجَعل عمر يردِّد البيت ويتعجب منه [٣]] .

قال محمّد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال . كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرِض له أمرٌ إلّا أنشَدَ فيه بيتَ شِعر .

وقال أبو عمرو بنُ العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يُقدَّم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشِّعر الذى يُقيِّد عليهم مآثِرهم ويفخِّم شأنَهم ، ويهوِّل على عدوِّهم ومَن غزاهم ، ويهيِّب من فُرسانهم ويخوِّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعرُ غيرِهم فيراقب شاعرَهم . فلمّا كثُر الشِّعر والشعراء ، واتخذوا الشِّعر مَكْسبَةً ورحلوا إلى السُّوقة ، وتسرَّعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيبُ عندَهم فوقَ الشاعر . ولذلك قال الأوَّل : « الشِّعر أدنى مروءة السرِىّ ، وأسْرَى مروءة الدَّنىّ » .

قال : ولقد وضَع قولُ الشعر من قدر النَّابغة الذبيانىّ ، ولو كان فى الدَّهر الأوَّل مازادَه ذلك إلّا رِفعة .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ – ٨٦) . الفهة : العى والسقطة والجهلة . والهاع : شدة الحرص . ويروى :

الحزم والقوة خير من الـ إدهان والفكّـة والهاع

(٣) هذه مما عدا ل .

وروى مجالد (١) عن الشَّعبى قال : ما رأيت رَجلا مثلى (٢) ، وما أشاء أن ألقَى رجلاً أعلم مِنى إلّا لقِيتُه .

وقال الحسن البَصرىّ : يكون الرَّجُل عابداً ولا يكون عاقلا ، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يَسار (٣) عاقلا عالما عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مُطَرِّف ، وحِفظ قتادة » .

قال : وذُكرت البصرة ، فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنىّ (٤) .

قال : والذين بثّوا العلم فى الدنيا أربعة : قَتادة (٥) ، والزُّهرى (٦) ، والأعمش (٧) ، والكلبىّ (٨) . ١٤٨

---

(١) هو مجالد بن سعيد الهمدانى ، أبو عمرو الكوفى النسابة ، يروى عن الشعبى ومسروق ، ويروى عنه الهيثم بن عدى . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ – ٤٠) والمعارف ٢٣٤ . وفى حواشى هـ عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد »

(٢) هـ « ما رأيت مثلى » .

(٣) مسلم بن يسار البصرى الأموى المكى ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البنانى وابن سيرين . وكان مفتىَ أهل البصرة قبل الحسن . توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (١ : ١٦١) .

(٤) سبق الخبر فى ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١ وتوفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥) وابن خلكان ، ونكت الهميان .

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدنى . ولد سنة ٥٠ سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان .

(٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١.وتوفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان .

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبى الكوفى النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفى بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ .

وجمع سليمان بن عبد الملك بين قَتَادَة والزُّهرى ، فغلب قتادةُ الزهريَّ ، فقيل لسليمانَ فى ذلك ، فقال : إنّه فقيهٌ مليح . فقال القَحذَمِيّ (١) : لا ، ولكنه تعصَّب للقرشيَّة ، ولا نقطاعه كان (٢) إليهم ، ولروايته فضائلَهم .

وكان الأصمعى يقول : « وَصَلْتُ بالعلم ، ونلتُ بالمُلَح (٣) » .

وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيِّد لا يكادان يجتمعان فى واحِد ؛ وأعسَرُ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، وبلاغة القلم » .

والمسجديُّون (٤) يقولون : من تمنّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تمنّى شيئاً عسيراً .

* * *

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم القحذمى ، ثقة من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ، توفى سنة ٢٢٢ . السمعانى ٤٤٣ ولسان الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول فى ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٤) فى حواشى هـ : « المسجديون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر الحيوان (٣ : ٦٣) وما سيأتى فى ٤ : ٢٣ .

باب

وكانوا يعيبون النُّوكَ والعِيَّ والحُمقَ ، وأخلاقَ النّساء والصِّبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنتَ متَّخِذاً خليلا   فلا تَثِقَنْ بكلِّ أخى إخاءِ
وإن خُيِّرت بينهمُ فأَلصِقْ   بأهل العقلِ منهم والحياءِ
فإنّ العقلَ ليس له إذا ما   تفاضلت الفضائلُ من كِفاءِ
وإنّ النُّوك للأحساب داءٌ   وأهونُ دائِه داءُ العَياءِ
ومَن تَرَكَ العواقبَ مهمَلاتٍ   فأيسر سَعيه سعىُ العَناءِ
فلا تَثِقنّ بالنَّوكى لشىءٍ   وإن كانوا بنى ماءِ السماءِ (١)
فليسوا قابِلى أدبٍ فدَعْهُمْ   وكن من ذاك منقطِعَ الرّجاءِ

وقال آخرَ فى التضييع والنُّوك :

ومَن تَرَكَ العواقبَ مهملاتٍ   فأَيْسَرُ سعيِه أبداً تَبَابُ (٢)
فعِشْ فى جَدٍّ أنوكَ ساعدتهُ   مقاديرٌ يخالفُها الصَّوابُ (٣)
ذَهَاب المال فى حمدٍ وأجرٍ   ذهابٌ لا يقال له ذَهابُ ١٤٩

وقال آخرُ فى مثل ذلك :

أرى زمناً نَوكاهُ أسعَدُ أهلِهِ   ولكنّما يشقَى به كلُّ عاقلِ (٤)

---

(١) هـ : « ولو » . وفى حواشيها عن نسخة : « فلا تثقن من النوكى بشىء » . وبنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حارثة الأزدى . قال :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى   أبوه عامر ماء السماء

يقال أيضا لملوك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى . قال زهير :

ولازمت الملوك من ال نصر   وبعدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الخسران والهلاك .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته ، مقادير يساعدها » .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) . وسيأتى فى ٤ : ٢٠ .

مشَى فوقه رجلاهُ والرَّأس تحته ... فكَبَّ الأعالى بارتفاعِ الأسافِلِ

وقال الآخر :

فلم أر مثلَ الفقر أوضَعَ للفتى ... ولم أر مثلَ المالَ أرفَعَ للرَّذْل [١]
ولم أر عِزاً لامرئٍ كعشيرةٍ ... ولم أر ذُلاًّ مثلَ نأيٍ عن الأصلِ [٢]
ولم أرَ مِن عُدمٍ أضرَّ على امرئٍ ... إذا عاشَ وسطَ النَّاس من عدم العقلِ

وقال آخر :

تحامَقْ مع الحمقى إذا ما لقيتَهمْ ... ولاقِهِمُ بالنوك فِعلَ أخى الجهل [٣]
وخَلط إذا لاقَيت يوماً مُخَلِّطاً ... يخلِّط فى قولٍ صحيحٍ وفى هَزْل [٤]
فإنى رأيتُ المرءَ يشقَى بعقله ... كما كان قبلَ اليوم يَسعَدُ بالعقلِ

وقال آخر [٥] :

وأنزَلَنى طولُ النَّوى دارَ غَرْبَةٍ ... إذَا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكله
فحامقْتُه حتَّى يقال سجيَّةٌ ... ولو كان ذا عقل لكنتُ أعاقِلُه

وقال بِشرُ بن المعتمِر :

وإذا الغبىُّ رأيتَه مستغنياً ... أعيا الطَّبيبَ وحيلةَ المحتالِ

وأنشدنى آخَرُ :

وللدّهر أيامٌ فكُن فى لباسه ... كلِبْسته يوماً أَجدَّ وأخْلَقا [٦]
وكنْ أكيسَ الكَيْسَى إذا ما لقيتَهم ... وإن كُنْت فى الحمقى فكن أنت أحمقا [٧]

---

(١) الأبيات فى عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٤٨٨ .

(٢) ماأثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدا ل : « عن الأهل » . وأشير فى حاشية هـ إلى رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدا ل : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت فى ل فقط .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . وسيأتيان فى (٢ : ٢٣٥ ، ٤ : ٢١) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما فى الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب فى مجالسه مع ثالث منسوبين إلى ماجد الأسدى . ص ٥٠٢ .

(٧) فى الحماسة والأمالى وفيما عدا ل : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدنى آخر :

ولا تقربِى يا بنتَ عمِّىَ بُوهةً   من القومِ دِفْناساً غبيًّا مفنَّدا [١]
وإن كان أعطَى رأسَ ستِّين بَكْرَةً   وحُكْماً علَى حكْمٍ وعَبداً مُوَلَّدا [٢] ١٥٠
أَلَا فاحذَرِى لا تُورِدَنَّكِ هَجْمَـةٌ   طِوالُ الذرَى جِبْساً من القوم قُعْدُدا [٣]

وأنشدنى آخر [٤] :

كسا اللهُ حَيَّىْ تغلبَ ابنةِ وائِلٍ   من اللُّؤمِ أظفاراً بَطيئاً نصولها [٥]
إذا ارتحَلُوا عن دارِ ضَيمٍ تعاذَلُوا   عليها وردُّوا وفْدَهُمْ يستقيلُها

وأنشدنى آخر :

وإنَّ عَناءً أن تُفهِّمَ جاهلاً   ويَحْسَب جهلاً أنَّه منك أفْهَمُ [٦]

وقال جرير :

ولا يعرفون الشَّرَّ حتى يصيبَهم   ولا يعرفون الأمرَ إلا تدبُّرَا [٧]

وقال الأعرَج المَعْنِىُّ الطائى [٨] :

---

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدفناس : الأحمق . والمفند : الضعيف الرأى والجسم .

(٢) عنى بالرأس الرءوس .

(٣) الهجمة من الإبل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الجِبْس ، بالكسر : الجبان الفدم . والقعدد ، بضم العين والدال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .

(٤) فى حواشى هـ للخشنى : « هو عميرة بن جعيل أخو كعب بن جعيل ، فيما ذكر ابن قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .

(٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالمثنى عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوساً وغنما ابنى تغلب بن وائل . وفى نهاية الأرب (٢ : ٢٣٣) : « فالعقب فى ثلاثة أفخاذ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .

(٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتى فى (٤ : ٢٢) .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ١٩٨ .

(٨) هو عدى بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائى. شاعر جاهلى إسلامى . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه   إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك   وودعت المدامة والنداما

انظر الإصابة ٣٧١٣ و ٦٤٠٩ ومعجم المرزبانى ٢٥١ وفى حماسة البحترى ٤٧ أن قائل الشعر الأعرج بن مالك المرى.

لقد علمَ الأقوام أن قد فررتم ... ولم تبدءوهم بالمَظالم أوّلا (١)
فكونوا كدَاعِي كَرَّةٍ بعد فرّة ... ألا رُبَّ من قد فَرَّ ثُمَّتَ أقبَلا
فإن أنتمُ لم تفعلوا فتبدَّلُوا ... بكلِّ سِنانٍ مَعْشَرَ الغَوْثِ مِغْزَلا (٢)
وأعطُوهُم حُكمَ الصَّبيِّ بأهله ... وإنّى لأرجو أنْ يقولوا بأنَّ لا (٣)

ويقال : « أظْلَمُ من صَبِىّ (٤) » و « أكذَبُ من صبىّ » و « أخْرَق من صبىّ ».وأنشد :

ولا تحكُما حُكْمَ الصبىِّ فإنَّه ... كثيرٌ على ظَهْر الطَّرِيق مجاهلُه (٥)

قال : وسُئل دَغْفَل بن حنظلة ، عن بنى عامر فقال : « أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء » . قيل : فما تقول فى أهل اليمن ؟ قال : « سيّدٌ وأنْوَكُ (٦) » .

* * *

(١) فى جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحترى .

(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طيىء بن أدد . فيما عدا ل : « معشر العرب » صوابه فى ل وحماسة البحترى .

(٣) كتب بعد هذا البياض فى ب ، جـ : « أصله بياض » .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ٤٧١) .

(٥) فى حواشى : « أى انه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يبالى بذلك » .

(٦) الأنوك : الأحمق ، وجمعه النوكى .

باب

فى ذكر المعلمين (١)

ومن أمثال العامة : « أحمَقُ من معلِّم كُتَّاب » . وقد ذكرهم صِقلَابٌ فقال :

وكيف يُرجَّى الرأْىُ والعقلُ عند مَنْ يَرُوح على أنثى ويغدو على طِفْلِ (٢)

وفى قول بعض الحكماء : « لا تستشيرُوا معلّما ولا راعىَ غَنمٍ ولا كثيرَ ١٥١ القُعود مع النساء » . وقالوا : « لا تدَعْ أمَّ صبيِّك تضربُه ؛ فإنّه أعقلُ منها وإن كانت أسَنَّ منه » . وقد سمعنا فى المثل : « أحمق من راعِى ضأنٍ ثمانين (٣) » . فأما استحماق رُعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنمَ عدَّةٌ من جِلّة الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمرى إنّ الفدّادين من أهل الوبَر ورُعاةِ الإبل ليتنبَّلُون (٤) على رعاة الغنم ، ويقول أحدُهم لصاحبه : « إن كنت كاذباً فحلبْتَ قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حالِبَ المِعزَى إذا صَرَّ قاعدا وحالِبُهنَّ القائمُ المتطاوِلُ (٥)

---

(١) كتبت بحثا عنوانه « الجاحظ والمعلمون » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . وروى الميدانى فى (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ فى هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » . وروى عن الجاحظ فى اللسان (ثمن) : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدى من كتبه . وروى فى اللسان عن ابن خالويه : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » . وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت فى الميدانى عن أبى عبيد ، وذكر لها أصلا غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، جـ : « ليتلون » ، التيمورية « ليتبلون » صوابهما ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفى النسخ : « إذا سر » وليس له وجه .

وقال امرأةٌ من غامد ، فى هزيمة ربيعة بن مكدَّم (١) ، لجَمْع غامدٍ وحْدَه :

ألا هل أتاها على نأْيِها   بما فَضحتْ قومَها غامدُ
تمنيتـــمُ مائتَـــىْ فارسٍ   فرَدّكُمُ فارسٌ واحدُ (٢)
فليت لنا بارتباط الخيو   ل ضأناً لها حالبٌ قاعدُ

* * *

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمق فى الحاكة والمعلِّمين والغَزّالين . قال : والحاكة أقلُّ وأسقط من أن يقال لها حَمقَى . وكذلك الغزَّالون ؛ لأنَّ الأحمق هو الذى يتكلَّم بالصواب الجيِّد ثم يجىء بخطإٍ فاحش ، والحائك ليس عنده صوابٌ جيِّد فى فَعَالٍ ولا مَقال ، إلا أنْ يُجعل جَودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شىء .

* * *

(١) ربيعة بن مكدم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر أخباره فى الأغانى (١٤ : ١٢٥ – ١٣٤) .

(٢) انظر الرسالة المصرية لأبى الصلت الأندلسى فى نوادر المخطوطات (١ : ٣٦) وإخبار العلماء للقفطى ١٤٣ .

وباب منه آخر (١)

ويقال : فلان أحمقُ . فإذا قالوا مائِق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أنْوَكُ . وكذلك إذا قالوا رقيع . ويقولون : فلانٌ سليم الصَّدر؛ ثم يقولون عِييٌّ ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا مَعتوهٌ ومَسْلوس وأشباهَ ذلك . ١٥٢

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاعٌ ، فإذا تقدَّم [فى (٢)] ذلك قيل بطَل ، فإذا تقدّم شيئاً قيل بُهمَةٌ ، فإذا صار إلى الغاية قيل أَلْيَسُ . وقال العجّاج :

* أَلْيَسُ عن حَوْبائِهِ سَخِىٌّ (٣) *

وهذا المأخَذُ يَجرِى فى الطَّبقات كلّها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقُصان ورُجحان . ومازلتُ أسمعُ هذا القولَ فى المعلِّمين .

والمعلِّمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الخاصّة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصّة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسِهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أنّ مثلَ علىِّ بنِ حمزة الكسائىِّ ، ومحمد بن المستنير الذى يقال له قُطْرُب (٤) ، وأشباهَ هؤلاء يقال لهم حَمْقى. ولا يجوز هذا القولُ على هؤلاء ولا على الطَّبقة التى دونهم . فإنْ ذهبوا إلى معلِّمى

---

(١) هـ : « وهذا باب آخر » .

(٢) ليست فى جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوباء : النفس .

(٤) سمى قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دويبة تدب ولا تفتر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه فى التفسير أراد أن يقرأه فى الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته فى الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف فى المثلثات . توفى ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

كتاتيب القُرى فإنّ لكلّ قوم حاشيةً وسَفِلة ، فما هم فى ذلك إلّا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشُّعراء والخُطباء ، مثل الكميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد (١) ، وعطاء بن أبى رَبَاح (٢) ، ومثل عبد الكريم أبى أمية (٣) ، وحسين المعلم (٤) ، وأبى سعيد المعلم .

ومن المعلّمين : الضحّاك بن مزاحم (٥) . وأمّا معبد الجهنى (٦) وعامر الشّعبى (٧) ، فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبدٌ يعلم سعيداً (٨) . ومنهم

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى ، كان من النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب فى صفين مع على ، ثم هرب من معاوية ، وتوفى فى ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح — واسمه أسلم — القرشى المكى . أدرك مائتين من الصحابة . وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٣٧ وتوفى سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .

(٣) هو عبد الكريم بن أبى المخارق — واسمه قيس ويقال طارق — أبو أمية المعلم البصرى ، روى عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه :عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفى الأصول : « عبد الكريم بن أبى أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .

(٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم العوذى البصرى . ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب وأرخ وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسمعانى ٥٤٠ ب .

(٥) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن ثلاثة عشر شهرا . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والعقد ٦ : ٢٣٤ .

(٦) هو معبد بن خالد — أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عويمر — الجهنى القدرى . كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج ابن يوسف صبرا . وذلك فى سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ — ٢٢٥) والسمعانى ١٤٥ والمعارف ١٩٥ — ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ١٩٤ .

(٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مضر ، وكان موضعه غيضة ذات سباع أقطعه إياها الوليد أخوه ، فحفر النهر وعمر ما هناك ، المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب (١) ، وهو غير أبى سعيد المعلم ، وكان يحدِّث عن هشام بن عروة (٢) وغيرهم . ومنهم:عبد الصمد بن عبد الأعلى (٣) ، وكان معلم ولد عُتبةَ بن أبى سفيان . وكان إسماعيلُ بن على (٤) ألزم بعضَ بنيه عبدَ الله بن المقفع ليعلِّمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم:محمد بن السكن (٥)] .

وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ، ولا أُحسنَ بياناً ، من أبى الوزير وأبى عدنان المعلِّمَين ، وحالهُما من أوَّل ما أذكر من أيام الصِّبا وقد قال الناس فى أبى البَيداء (٦) ، وفى أبى عبد الله الكاتب (٧) ، وفى الحجَّاج ابن يوسف وأبيه ماقالوا . وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أنّ الحجّاج وأباه كانا معلمين بالطائف (٨)

* * *

---

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، أبو سعيد المؤدب الجزرى نزيل بغداد . ضمه المنصور إلى المهدى ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادى الخليفة قبل أن يستخلف . ومات فى خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال إنه هو الذى أفسده ، ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه . لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبرى (٨ : ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولى لأبى جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بنى شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥ : ١٨١ – ١٨٢) . هذا ، وإن هذه التكملة التى بدأت فى ص ٢٥١ ص ٥ لم ترد فى ل ، وهى ثابتة فى سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرياحى ، سبقت ترجمته فى ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة فى أسماء المعلمين ، فى المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر فى المعارف ٢٣٨ – ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبى ، والكامل ٢٩٠ . قال مالك بن الريب :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد إياد =

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأوّل .

قالوا : أحقُّ الناس بالرَّحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهلٍ .

قال : وكتب الحجَّاج إلى المهلّب يُعْجله فى حرب الأزارقة ويسمّعه [1] ، فكتب إليه المهلّب : « إن البلاء كلَّ البلاء أنْ يكون الرَّأْىُ لمن يَملِكه دون من يُبْصره » .

* * *

= زمان هو العبد المقر بذله   يراوح غلمان القرى ويغادى

وقال آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال   وتعليمه سورة الكوثـــر
رغيف له فلكة ما ترى   وآخر كالقمـر الأزهـــر

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

وقال بعض الرَّبانيِّين [١] من الأُدَباء ، وأَهلِ المعرفة من البلغاء ممَّن يكره التَّشادُق والتعمّق ، ويُبغض الإغراق فى القول ، والتكلُّفَ والاجتلاب [٢] ، ويعرف أكثرَ أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلِّم من الفتنة بِحسن ما يقول ، ١٥٣ وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدارُ من التهكُّم والتسلُّط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى ، والخِلابة وحسن المنطق ، فقال فى بعض مواعظه : « أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ ، وحلاوةَ مخارج الكلام ؛ فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مَخرجاً سهلا ، ومنحه المتكلم دَلًّا مُتَعشَّقاً ، صار فى قلبك أحْلى ، ولصدرك أمْلَا . والمعانى إذا كُسِيت الألفاظَ الكريمة ، وأُلبست [٣] الأوصافَ الرفيعة ، تحوَّلت فى العيون عن مقادير صُوَرِها ، وأَرْبَتْ على حقائق أقدارها ، بقَدْرِ ما زُيِّنت ، وحَسَبِ ما زُخرِفت . فقد صارت الألفاظ فى معانى المعارض [٤] وصارت المعانى فى معنى الجوارى والقلب ضعيفٌ ، وسلطانُ الهوى قوىٌّ ، ومَدخل خُدَع الشيطان خفىٌّ » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسَه ، ولا تفرِّط فيه ؛ فإنَّ عمر بن الخطاب رحمه الله لم يَقُلْ للأحنف بن قيس – بعد أن احتبسه حَوْلاً مُجَرَّما [٥] ؛ ليستكثر منه ، وليبالغ فى تصفُّح حالِه والتنقير عن شأنه – : « إنّ رسول الله ﷺ قد كان خوَّفنا كلَّ منافقٍ عليم ، وقد خِفْتُ أن تكون منهم » إلّا لما كان

---

(١) الربانى : العالم الراسخ فى العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل ، هـ : « الديانين » . والديان : الحاكم والقاضى . حـ والتيمورية : « الربانين » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجتلب معانى سواه لفقره فى معانيه . ل : « الاختلاب » .

(٣) ل : « وأكسيت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تجلى فيه الجارية .

(٥) حول مجرم : تام كامل .

راعَه مِن حُسن منطقه ، ومالَ إليه لما رأى من رِفقه وقلة تكلُّفه ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : « إنّ مِن البيان لسحرا » . وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ أحسَنَ فى طلب حاجة وتأتّى لها بكلامٍ وجيز ، ومنطق حسن : « هذا والله السِّحرُ الحلال » . وقال رسول الله ﷺ : « لا خِلَابة [1] » .

فالقصد فى ذلك أن تجتنب السوقىَّ والوحشىّ ، ولا تجعَلَ همَّك فى تهذيب الألفاظ ، وشغلَك فى التخلُّص إلى غرائب المعانى . وفى الاقتصاد بلاغٌ ، وفى التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة ، وخروجٌ مِن سبيلِ مَن لا يحاسب نفسَه . وقد قال الشّاعر :

عليكَ بأوساطِ الأمور فإنّها نجاة ولا تركب ذَلُولاً ولا صَعْبا

وقال الآخر :

لا تذهبَنَّ فى الأمور فَرَطَا [2] لا تسألَنّ إن سألتَ شطَطَا
وكنْ من الناس جميعاً وَسَطا

وليكن كلامُك ما بين المُقصِّر والغالى ؛ فإنك تسلم من المِحنة [3] عند العلماء ، ومن فِتْنة الشيطان .

وقال أعرابىٌّ للحسن : عَلِّمْنى ديناً وَسُوطاً ، لا ذاهباً شَطوطاً ، ولا هابطاً هَبوطاً . فقال له الحسن : لئن قلتَ ذاكَ إنّ خير الأمور أوساطُها .

وجاء فى الحديث : « خالِطُوا النَّاسَ وزايِلوهم » .

---

(١) الخلابة ، بالكسر : المخادعة ، وقيل الخديعة باللسان . وفى الحديث أنه قال لرجل كان يخدع فى بيعه : « إذا بايعت فقل لا خلابة » .

(٢) الفرط ، بالتحريك : المتقدم ، رجل فرط ، وقوم فرط .

(٣) فيما عدا ل : « الهجنة » .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : « كن فى الناس وَسَطاً وامْشِ جانبًا » .

وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : « وخيرُ الأُمور أوساطها ، وما قلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى . نفسٌ تُنْجيها ، خير من إمَارة لا تُحْصيها » .

وكانوا يقولون : اكرهِ الغلوَّ كما تكره التقصير .

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يستَحْوِذنَّ عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ الناسَ على مَناخِرهم فى نار جهنّم إلا حصائدُ ألسنتهم » .

* * *

باب
من الخطب القِصَار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النُّسَّاك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجلٌ لأبى هريرة النحوىّ : أريد أن أتعلّم العلم وأخافُ أن أُضيعه . فقال : « كَفَى بترك العِلم إضاعةً » .

وسمع الأحنفُ رجلاً يقول : « التعلُّم فى الصِّغَر كالنَّقش فى الحجر » ، فقال الأحنف : « الكبيرُ أكبرُ عقلاً ، ولكنه أشْغَل قلباً » .

وقال أبو الدَّرداء : مالى أرى علماءَكم يذهبون وجُهَّالَكم لا يتعلّمون .

وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لا يقبِض العلمَ انتزاعاً ينتزِعُه من النّاس ،
١٥٥ ولكن يقبض العلماءَ حتَّى إذا لم يبق عالمٌ اتَّخَذَ الناسُ رُؤساءَ جُهَّالاً فسُئِلوا فأفتَوا بغير علمٍ ، فضلُّوا وأَضَلُّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دلّى زيد بن ثابتٍ فى القبر ، رحمه الله : « من سَرَّه أن يرى كيفَ ذهابُ العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه [1] » .

وقال بعضُ الشُّعراء فى بعضِ العلماء :

أَبَعَدْتَ مِن يومِك الفِرارَ فما ... جاوَزْتَ حيثُ انتَهَى بك القَدرُ [2]
لو كان يُنجِى من الرَّدَى حذرٌ ... نجَّاك مِمَّا أَصابكَ الحذَرُ
يرحمك الله مِن أَخى ثقةٍ ... لم يكُ فى صفو ودِّهِ كدَرُ
فهكذا يَفْسُد الزَّمان ويَفْنَى الـ ... ـعِلمُ منه وَيَدْرُسُ الأَثَرُ [3]

---

(١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بنى أسد. ونسبت فى وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) إلى أبى يحيى محمد بن كناسة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .

(٣) فى الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قَتادة : لو كان أُحدٌ مكتفياً من العلم لا كتَفَى نبىُّ الله موسى عليه السلام ، إذْ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَّبِعكُ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدا ﴾ .

أبو العبَّاس التميمىّ قال : قال طاوس : « الكلمة الصَّالحة صَدَقة » .

وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس [1] ، عن أبيه ، [عن جدِّه [2]] ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فضْلُ لسانِك تُعبِّر به عن أُخيك الذى لا لِسانَ له صَدَقة [3] » .

وقال الخليل : « تكثَّرْ مِن العلم لتَعرِفَ ، وتقلَّلْ منه لتَحفَظ » .

وقال الفُضَيل [4] : « نعمت الهديَّة الكلمةُ من الحِكمة يحفظُها الرَّجُل حتى يلقيَها إلى أُخيه » .

وكان يقال : يكتب الرَّجلُ أحسنَ ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .

وكان يقال : اجعل ما فى كتبك بيتَ مال ، وما فى قلبك للنَّفَقة .

وقال أعرابىّ : حَرْفٌ فى قلبك خير من عشرة فى طُومارك [5] .

وقال عُمر بن عبد العزيز : « ما قُرِن شئ إلى شئ أَفضلُ من حِلْم إلى علم ، ومن عَفْو إلى قُدرة » .

---

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى البصرى القاضى ، روى عن جده أنس وأبى هريرة . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف .
وجاء الحديث بسنده فى (٢ : ٣٩) . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .

(٢) التكملة مما سيأتى فى (٢ : ٣٩) .

(٣) كلمة « الذى لا لسان له » ليست فى ل . وستأتى فى (٢ : ٣٩) .

(٤) هو أبو على الفضَيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمى ، الزاهد الخراسانى ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان فى أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربيا محضا ؛ لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية » .
ل : « تامورك » محرف .

وكان ميمون بن سِيَاه (١) ، إذا جلس إلى قومٍ قال : إنّا قومٌ مُنْقَطَعٌ بنا ، فحدثونا أحاديث نتجمّل بها .

قال : وفَخر سُلَيم مولى زيادٍ ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاويه : اسكت ،
١٥٦ فوالله ما أدرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلّا وقد أدركتُ أكثرَ منه بلسانى .

وضرب الحجاج أعناقَ أُسْرى ، فلما قدَّموا إليه رجلاً لتُضرَبَ عنُقه قال : والله لئنْ كُنَّا أسأنا فى الذّنب فما أحسنْتَ فى العفو ! فقال الحجَّاج : أُفٍّ لهذه الجِيَف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثلَ هذا الكلام ! وأمسَكَ عن القتل .

وقال بشير الرَّجَّال (٢) : « إنِّى لأَجِدُ فى قلبى حَراً لا يُذهبه إلّا برد العدل أو حَرُّ السِّنان » .

قال : وقدَّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مَرْوَان لتُضرب عنقه ، ودخل على عبد الملك ابنٌ له صغيرٌ قد ضربَه المعلِّم ، وهو يبكى ، فهمَّ عبدُ الملك بالمعلِّم ، فقال له الخارجىّ : دَعُوه يبكى فإنه أفتح لجِرمه (٣) ، وأصحُّ لبَصَره ، وأذْهَب لصَوته . قال له عبدُ الملك : أَمَا يشغَلُك ما أنتَ فيه عن هذا ؟ قال الخارجىّ : ما ينبغى لمسْلِمٍ أن يشغَلَه عن [قول (٤)] الحقِّ شىء ! فأمر بتخلية سبيله .

قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُقطَع بها ذَنَبُ عَنْزٍ مَصُورٍ (٥) ، لو بلَغَتْ إمامَه سفَكَ بها دمه (٦) » .

---

(١) سياه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما فى التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدا ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الحلق . والخبر فى البخلاء ٦ معزو إلى بعض الحكماء

(٤) هذه مما عدا ل .

(٥) المصور : التى انقطع لبنها ؛ والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر فى اللسان (٧ : ٣٣) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخبر فى هـ ورد بعد بيت الشعر الثانى .

قال : وقال إبراهيم بن أدهَم (١) : « أعربنا كلامَنا فما نَلْحن (٢) ، ولحَنَّا فى أعمالنا فما نُعْرِب حرفاً » . وأنشد :

نرقِّع دُنيانا بتمزيق ديننا ... فلا دينُنا يبقَى ولا ما نرقِّعُ (٣)

قال : وعزَلَ عمرُ زياداً عن كتابةِ أبى موسى الأشعرى ، فى بعض قَدَماتِه ، فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منهما ، ولكنّى أكره أن أُحمِلَ على العامَّة (٤) فَضْلَ عقلِك .

قال : وبلغ الحجَّاجَ موتُ أسماءَ بنِ خارجة فقال : هل سَمِعْتُم بالذى عاشَ ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال « كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقَة » .

قال أبو الحسن : مرَّ عمر بن ذرّ (٥) ، بعبد الله بن عَيَّاش المنتوف (٦)، وقد كان سَفِه عليه فأعرَضَ عنه ، فتعلّق بثوبه ثم قال له : « يا هَناهُ ، إنا لم نَجدْ لك أنْ عصَيتَ الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك » .

وهذا كلامٌ أخذه عُمَر بن ذَرّ ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عُمر :

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى البلخى الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم رفض الدنيا وصار إلى الزهد . توفى فى بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٢٧) .

(٢) فى جميع النسخ : « فما نلحن حرفا » . وكلمة « حرفا » مقحمة ، لم ترد فى رواية ابن الجوزى (٤ : ١٣١) ولا فيما سيأتى فى (٢ : ٢٢٠) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم فى العقد (٢ : ١١٥) وعيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) . وانظر محاسن البيهقى (٢ : ٤٧) والحيوان (٦ : ٥٠٦) .

(٤) هـ عن نسخة : « الرعية » .

(٥) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى الكوفى ، كان رأسا فى الإرجاء ، اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو الجراح عبد الله بن عيّاش بن عبد الله الهمدانى الكوفى ، المعروف بالمنتوف ، روى عن الشعبى وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدى ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان ينادم المنصور ويضحكه . لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) .

« إنّي واللهِ ما أَدَعُ حَقًّا لله لشِكايةٍ تظهر ، ولا لضَبٍّ يُحتَمل [١] ، ولا لمحاباةِ بَشَرٍ ، وإنّك واللهِ ما عاقبتَ مَن عصى الله فيكَ بمثل أن تُطيعَ الله فيه » .

١٥٧ قال : وكتب عمرُ بن الخطاب إلى سعد أبي وقّاص [٢] : « يا سعدَ سعدَ بني أُهَيْب [٣] ، إنّ الله إذا أحبَّ عبداً حبّبه إلى خلقه ، فاعتبِرْ منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلَمْ أنّ مالَكَ عند الله مثلُ مالهِ عندك » .

قال : ومات ابْنٌ لعُمَر بنِ ذَرّ فقال : « أيْ بُنَيَّ ، شغلَنى الحزنُ لك ، عن الحزن عليك » .

وقال رجلٌ من بنى مُجاشع : جاء الحسنُ فى دم كان فينا ، فخطب [٤] فأجابه رجلٌ فقال : قد تركتُ ذلك للهِ ولوجوهكم . فقال الحسن : لا تقلْ هكذا ، بل قُلْ : للهِ ثم لوجوهكم . وآجَرَك الله .

وقال : ومرّ رجلٌ بأبى بكر ومعه ثوبٌ ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضى الله عنه : لقد عُلِّمتم [٥] لو كنتم تعلمون . قل : لا ، وعافاك الله .

قال : وسأل عمرُ بنُ الخطّاب رجلاً عن شئ فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقِينا إنْ كُنّا لا نعلم أنّ الله أعلم . إذا سُئِل أحدكم عن شئ لا يعلمُه فليقلْ : لا أدرى [٦] .

---

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الغيظ والحقد . فيما عدا ل : « لنضب » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية « لضب » عن نسخة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب – ويقال وهيب – بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . ولاه عمر الكوفة ثم ولاه عثمان ، ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفى بالمدينة سنة ٥٥ الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل ، هـ : « وهيب » والخبر فى رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٥) .

(٤) فيما عدا ل : « جاء الحسن يخطب فى دم فينا » . لكن فى هـ : « كان الحسن » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدا ل : « لا علم لى » .

وكان أبو الدَّرداء يقول : أبغَضُ النّاسِ إلىَّ أَنْ أظلِمَه مَنْ لا يستعين علىَّ بأحد إلّا بالله .

وذكر ابن ذَرٍّ (١) الدُّنيا فقال : كأنكم زادَكم (٢) فى حرصكم علينا ذَمُّ الله لها .

ونظر أعرابىٌّ إلى مالٍ له كثيرٍ ، من الماشية وغيرِها ، فقال : « يَنْعة ، ولكل يَنْعةٍ استحشاف (٣) » . فباع ما هُناكَ مِن ماله ، ثمَّ يمَّم (٤) ثغراً عن ثغور المسلمين ، فلم يزلْ به حتى أتاه الموت (٥) .

قال : وتمنَّى قوم عند يَزيدَ الرَّقاشى (٦) ، فقال : أتمنى كما تمنَّيتم ؟ قالوا : تمنَّهْ . قال : « ليتَنا لم نُخْلَق ، وليتنا إذْ خُلِقْنا لم نَعصِ ، وليتنا إذ عَصَينا لم نمُتْ ، وليتنا إذْ مُتْنا لم نُبعَث ، وليتنا إذْ بعثنا لم نُحاسب ، وليتنا إذْ حُوسبنا لم نعذَّبْ ، ، وليتنا إذْ عذِّبنا لم نُخلَّد » .

وقال الحجّاج : « ليت اللهَ إذْ خلقَنا للآخرةِ كفانا أَمْرَ الدُّنيا ، فرفَعَ عنّا الهمَّ بالمأكل والمشرب والملبَس والمنكَح . أوْ ليته إذْ أوقَعنا فى هذه الدنيا كفانا أمْرَ الآخرة ، فرفَع عنا الاهتمام بما ينجىّ مِن عذابه » .

فبلغ كلامُهما عبدَ الله بن حسن بن حسن ، أو علىَّ بنَ الحسين ، فقال : ما عَلِما (٧) فى التمنِّى شيئاً ، ما اختَارُه الله فهو خيرٌ (٨) .

وقال أبو الدَّرداء : مِن هوان الدُّنيا على الله أنّه لا يعُصَى إلّا فيها ، ١٥٨
ولا يُنال ما عنده إلّا بتركها .

---

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم فى ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما فى هـ . وفى ل : « كأنه زاد » وفى سائر النسخ : « كأنما زادكم » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استحفاف » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « لزم » .

(٥) فيما عدا ل : « حتى مات فيه » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ .

(٧) ل : « ما عملا » .

(٨) كلمة « فهو » مما عدا ل .

قال شُرَيح [١] : « الحِدَّة كنايةٌ عن الجَهْل » .

وقال أبو عُبيدة : « العارضة كناية عن البَذَاء » [٢] .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستَقْصٍ فتلك كنايةٌ عن الجَوْر .

وقال الشاعر [٣] ، أبو تمّام الطائى :

كذَبْتُمُ ليس يُزهَى مَن له حسبٌ ... ومَن له نسبٌ عمَّن له أدبُ

إنِّى لَذُو عجبٍ منكمْ أرِدِّدهُ ... فيكم ، وفى عجبى مِن زَهوكمْ عَجَبُ

لَجَاجةٌ لِيَ فيكمْ ليسَ يشبهُها ... إلّا لجاجتُكمْ فى أنَّكم عَرَبُ

وقيل لأعرابيّةٍ مات ابنُها : ما أحسَنَ عزاءَكِ عن ابنك ؟ قالت : إنَّ مصيبته أمَّنتنى مِنَ المصائب بعده .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطُوَيسٍ المُغنِّى [٤] : أيُّنا أسَنُّ أنا أم أنتَ ياطاوس [٥] ؟ قال : « بأبى أنتَ وأمِّى ؛ لقد شهدتُ زفافَ أمِّك المبارَكة إلى أبيك الطيِّب [٦] » . فانظر إلى حِذْقه وإلى معرفته بمخارج الكلام ،

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى الكوفى القاضى ، كان من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له : أنت أقضى العرب ، وولاه زياد قضاء البصرة . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٢٠) ، والمعارف ١٩١ ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدا ل : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بنى مخزوم . وطويس هذا هو الذى يقال فيه « أشأم من طويس » ؛ وذلك أنه – كما يقولون – ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . عمر طويس حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغانى (٣ : ١٦٤ – ١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدا ل : « طويس » . وفى ثمار القلوب : « وكان يسمى طاوسا ، فلما تخنث سمى بطويس » .

(٦) انظر الخبر فى الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زِفاف أُمّكَ الطيبة إلى أبيكَ المبارك . وهكذا كان وجهُ الكلام فقَلَب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشّام : كنت فى حلقة أبى مُسْهِر [١] ، فى مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبَراعتَه ، والصَّمتَ ونبالته ، فقال : كَلّا إن النَّجْم ليس كالقمر ، إنك تصِفُ الصَّمت بالكلام ، ولا تصف الكلامَ بالصَّمت .

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بنىّ إذا قَلَّلتَ من الكلام أكثرتَ من الصَّواب ، وإذا أكثرت من الكلام أقْلَلت من الصّواب . قال : يا أبه ، فإنْ أكثرتُ وأكثرت ؟ – يعنى كلاماً وصواباً – قال : يا بُنىَّ ، ما رأيتُ موعوظاً أحقَّ بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عبَّاس : « لولا الوَسْواسُ ، ما باليْتُ ألّا أكلِّم الناس » .

قال : وقال عمر بن الخطَّاب رحمه الله : « ما تستبْقوه [٢] من الدُّنيا تجدوه فى الآخرة » .

وقال رجلٌ للحسن : إنى أكره الموت . قال : ذاك أنّكَ أخّرت مالَكَ ، ولو قدَّمته لسرَّكَ أن تَلْحَق به .

قال : وقال عامر بن الظرِب العَدْوانىّ [٣] « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان ؛ فمن هُنالك يغلبُ الهوى الرأْى [٤] » .

---

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقى الغسانى ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه فى خلق القرآن ، فلما دعِى له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « ما تستبقوا » . والاستبقاء : ترك البقية .

(٣) عامر بن الظرب العدوانى ، أحد حكام العرب فى الجاهلية ، قالوا : عمر مائتى سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدوانى :

ومنا حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ – ٥٠ وأمثال الميدانى فى : « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخبر فى المعمرين ٤٨ – ٤٩ . هـ : « فمن هناك » .

وقال : مكتوب فى الحكمة : « اشكُرْ لمن أنعَمَ عليك ، وأَنعِمْ على من شكر لَكَ » .

وقال بعضهم [١] : « أيُّها الناس ، لا يمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون مناّ أن تَقبَلوا أحْسنَ ماتسمعُون منا » .

وقال عبدُ الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشرَ الرعيَّة ؟ تريدون مِنّا سيرةَ أبى بكر وعمر ولم تَسيِروا فى أنفسكم ولا فينا بِسيرة رعيَّة أبى بكر وعمر ، أسأل الله أنْ يعين كُلاً على كُلّ » .

وقال رجلٌ من العرب : « أربعٌ لا يشْبَعْن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعينٌ من نَظَر ، وأرضٌ من مطر ، وأُذُن من خَبَر » .

قال : وقال موسى ﷺ لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعضُ المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل [٢] : « لم يعرِفْ موقِع النّار من أبناء السّبيل ، ومن الجائع المقرور » .

وقال لبيدُ بن ربيعة :

ومقامٍ ضيِّقٍ فرّجْتُه ... بِبيان ولِسانٍ وجَدَلْ [٣]
لو يقوم الفِيلُ أو فَيَّالُه ... زَلّ عن مِثل مقامى وزَحَلْ
ولَدَى النعمان مِنِّى موطنٌ ... بَيْنَ فاثُورِ أُفَاقٍ فالدَّحَلْ [٤]

---

(١) فيما عدا ل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجح أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٢٠٦/٧ : ٢٠٤) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة فى ديوانه ١١ – ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فاثور : موضع أو واد بنجد . وأفاق ، بالضم : موضع فى بلاد بنى يربوع . وأنشد ياقوت البيت فى الموضعين . والدحل : ماء بنجد . هـ : « فالدخل » .

إذ دعَتْنى عامرٌ أنصرُها   فالتقى الألسُنُ كالنَّبل الدُّوَلْ (١)
فرميتُ القومَ رِشْقاً صائباً   ليس بالعُصْل ولا بالمُقْتَعِلْ (٢)
فانتضَلنا وابنُ سَلمَى قاعدٌ   كعَتيقِ الطَّير يُغْضِى وَيُجَلّْ (٣)
وقبيلٌ من لُكَيزٍ شاهدٌ   رهطُ مرجومٍ ،ورهطُ ابنِ المُعَلّ (٤)

وقال لبيد أيضاً (٥)

وأبيضَ يجتَابُ الخُرُوقَ على الوَجى   خطيباً إذا التَفَّ المجامع فاصلا (٦)

يجتاب : يفتعل من الجَوبْ ، وهو أن يجوب البِلاد ، أى يدخل فيها ويقطعها . والخُروق : جمع خَرقٍ ؛ والخَرق : الفلاةُ الواسعة . والوجَى : الحفَا ، ١٦٠ مقصور كما ترى ؛ وأنه ليتوجَّى فى مِشيته ، وهو وَجٍ . وقال رؤبة :

* به الرَّذايا من وَجٍ ومُسْقَط (٧) *

---

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .

(٢) الرشق : أن يرمى الرامى بالسهام كلها . أى ليس رمى بالعصل من السهام ، وهى المعوجة . والمقتعل من السهام : الذى لم يبر برياً جيداً . والبيت فى اللسان (عصل ، قعل) برواية : « المقتعل » ، وفى (قتعل) برواية البيان .

(٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام » . وجلى ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) والحيوان (٧ : ٤٧) .

(٤) لكيز بن أفصى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالجيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد : « وإنما سمى مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجمتك بالشرف . فسمى مرجوماً » . الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعلى ، وهو الجارود بن المعلى ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه الإصابة ١٠٣٨ والحيوان (١ : ٣٢٧) . والبيت لم يرو فى ديوان لبيد .

(٥) ب : « وقال » فقط . ح والتيمورية : « وقال لبيد » .

(٦) ديوان لبيد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : « فيصلا » تحريف . التيمورية والديوان : « فاضلا » بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ح . وقبل البيت :

ولن يعدموا فى الحرب ليثا مجرباً   وذا نزل عند الرزية باذلا

(٧) التفسير بعد البيت السابق إلى كلمة « الواسعة » من ل . وما بعدها إلى هنا من ل فقط . والبيت من أرجوزة رواها أبو عمرو والأصمعى لرؤبة ، ورواها ابن الأعرابى للعجاج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضاً لبيد (١) :

لو كان حيٌّ فى الحياة مخلَّداً　　فى الدّهر أدركَهُ أبو يَكْسُومِ (٢)
والحارثـان كلاهما ومحرِّقٌ　　أو تُبَّعٌ أو فارس اليحمومِ (٣)
فدعِى الملامةَ ويْبَ غيرِكِ إنّه　　ليس النَّوالُ بِلوْمِ كلِّ كريمِ
ولقد بلوتُكِ وابتليتِ خَليقتى　　ولقد كفاكِ مُعلِّمِى تعليمى

وله أيضاً :

ذهبَ الذين يُعَاشُ فى أكنافهمْ　　وبقِيتُ فى خَلْف كجِلْد الأجربِ
يتأكَّلُون مَغَالةً وخِيانةً　　ويُعاب قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ

والخَلَفُ : البقيّة الصالحة من ولد الرجلِ وأهلِه . والخلْف ضد هذا (٤) .

وقال زيد بن جندب ، فى ذكر الشَّغْب :

ما كان أغْنَى رجالاً ضَلَّ سَعْيُهمُ　　عن الجدال وأغناهم عن الشَّغَبِ (٥)

وقال آخر (٦) فى الشَّغْب :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقابِ　　وإن تشاغِبْنى فذو شِغَابِ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال لبيد » . وانظر ديوان لبيد ٨٣ — ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفى شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخليد » .

(٣) الحارثان ، هما الحارث الأكبر والحارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة. محرق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بنى تميم . وهو كذلك لقب للحارث الأكبر الغسانى . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفى شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن. وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر . واليحموم : فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل لابن الكلبى ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) . وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدا ل :

بكتائب خرس تقود كبشها　　نطح الكباش شبيهة بنجوم

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل شغبهم » ل ، هـ : « عن الخطب » .

(٦) هو لقيط بن زرارة ، كما سيأتى فى (٢ : ١٧٠) .

وقال ابن أحمر بن العَمَرَّدِ [١] :

وكَم خَلَّها مِن تَيِّحانٍ سَمَيدع ... مُصَافِي النَدى سَاقٍ بيهْماءَ مُطْعِمِ [٢]

— التَّيِّحان : الذى يعرِض فى كل شئ ليُعْنَىَ فيه . والسَّمَيدَع : الكريمُ . والنَّدى : السخاء . والهيماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لطريق [٣] —

طَوِى البطنِ مِتْلَافٍ إذا هبَّت الصَّبا ... على الأمر غوّاصٍ وفى الحى شَيظَمِ [٤]

وقال [٥] :

هل لامَنى قومٌ لموقِفَ سائلٍ ... أو فى مخاصمة اللَّجُوج الأَصيَدِ

الأَصيَد : السيِّدُ الرَّافعُ رأسَه ، الشَّامخُ بأنفه [٦] . ٦١ ب

وقال فى التطبيق :

فلمَّا أنْ بدا القَعقاع لجَّتْ ... على شَرَكٍ تُناقِله نِقالًا [٧]

تعاوَرْنَ الحديثَ وطبَّقْنه ... كما طَبَّقت بالنَّعل المِثالا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأوّل . وقال آخر [٨] :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى ... بالعِلْمِ بعد تَدَبُّـــر الأمـــرِ

---

(١) هو ابن أحمر الباهلى ، واسمه عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراص . من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازىَ فى الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التيحان ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيبويه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خالى البطن جائع . والشيظم : الطلق الوجه الهش .

(٥) ل : « وقال آخر » تحريف ، فإن البيت لابن أحمر ، كما سيأتى صريحا فى (٢ : ١٧١) .

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) القعقاع : طريق يأخذ من اليمامة إلى البحرين ، كان فى الجاهلية . والشرك : الطرق التى تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك. والمناقلة : سرعة نقل القوائم . وضمير « تناقله » للنقال ، كما فى : « فإنى أعذبه عذاباً » .

(٨) هو ابن أحمر الباهلى ، كما سبق فى ص ٥ .

يعنى إدبار الأمر (١) .

وقال المعترضُ على أصحاب الخَطابة والبلاغة :

قال لقمانُ لابنه : « أىْ بُنىّ ، إنّى قد ندمتُ على الكلام ، ولم أندَم على السُّكوت » . وقال الشّاعر :

ما أن ندمتُ على سكوتِىَ مَرّةً   ولقد ندمتُ على الكلام مِرارَا

وقال الآخَر (٢) :

خَلِّ جنبَيك لرَامِ   وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمتِ خير   لك مِن داء الكلامِ
إنّما المُسلِمُ مَنْ ألْـ   ـجَمَ فاهُ بلجامِ (٣)

وقال الآخر (٤) فى الاحتراس والتّحذير :

اخفِض الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ   والتفِتْ بالنَّهار قبل الكَلامِ

وقال آخَر فى مثل ذلك :

لا أسألُ النّاس عَمّا فى ضمائرهِمْ   ما فى الضّمير لهم من ذاك يكفينى (٥)

وقال حَمزة بن بِيض (٦) :

لم يكن عن جِنايةٍ لحِقَتْنى   لا يَسارِى ولا يَمينى جَنَتْنى
بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ   وعلى أهلها براقِشُ تجنى

---

(١) هذا الشرح من ل فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٧) .

(٣) فى عيون الأخبار : « إنما السالم » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحقى ، كما فى الحيوان (٥ : ٢٤١) .

(٥) فيما عدا ل : « ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى » . وأشير فى هـ إلى رواية « من ذاك » .

(٦) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . الأغانى (١٥ : ١٤ — ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء . انظر تحقيق ذلك فى شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأنّ هذه الكلبةَ ، وهي براقش ، نَبحت غُزًى [(١)] قد مَرُّوا مِنْ ورائهم وقد رجعوا خائبين مُخْفِقين ، فلمّا نَبحَتْهم استدلُّوا بنباحها على أهلها واستباحُوهم ، ولو سكتتْ كانوا قد سَلِموا . [فضربُ ابنِ بِيض به المَثَل [(٢)]] .

وقال الأخطل :

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيوخُ مُحاربٍ   وما خِلْتُها كانت تَرِيشُ ولا تَبرِى
ضَفادعُ فى ظَلماء لَيلٍ تَجاوبَتْ   فدَلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ [(٣)] ١٦٢

النقيق : صياح الضَّفادع .

وقالوا : « الصمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُه » .

وقالوا : « استكثِرْ من الهَيبة صامتٌ » .

وقيل لرجلٍ من كلبٍ طويلِ الصمت : بحقٍّ ما سمَّتكم العربُ خُرْسَ العرب . فقال : « أسكُتُ فأسلمُ ، وأسمَعُ فأعلَم » .

وكانوا يقولون : « لا تعدِلُوا بالسلامة شيئاً » .

ولا تسمع الناسَ يقولون : جُلِدَ فلانٌ حينَ سكَت ، ولا قُتِلَ فلانٌ حين صمت [(٤)] ونسمعُهم يقولون : جُلِدَ فلان حينَ قال كذا ، وقُتِل حين قال كذا وكذا .

وفى الحديث المأثور : « رحِمَ الله مَن سكت فسلِمَ ، أو قال فغنم » .

والسلامة فوق الغنيمة ؛ لأنَّ السلامة أصلٌ والغنيمةَ فرع .

---

(١) غزى : جمع غاز . فيما عدا ل : « إنما نبحتْ غزيا » . والغزىّ : جمع غازٍ أيضاً ، مثل نادٍ وندىّ ، وناج ونجىّ .

(٢) به ، أى بذلك . وهذه التكملة مما عدا ل .

(٣) البيتان فى ديوان الأخطل ١٣٢ . وانظر الحيوان (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٥٢٣) . وللشعر قصة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٤) فيما عدا ل : « صمت » موضع « سكت » وبالعكس فيما بعده .

وقال النبى ﷺ : « إنّ الله يبغض البليغَ الذي يتخلّل بلسانه ، تخلُّلَ الباقرة[(١)] بلسانها » .

وقيل : « لو كان الكلامُ من فضّة ، لكان السُّكوت من ذهب[(٢)] » .

قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهلُ البيانِ وحُبُّ التبيُّن[(٣)] : إنّما عاب النبى ﷺ المتشادقين والثّرثارين والذى يتخلل بلسانه تخلُّلَ الباقرة بلسانها ، والأعرابيَّ المتشادِقَ ، وهو الذى يصنع بفكّيه وبشِدْقيه ما لا يستجيزه أهلُ الأدب من خطباء أهلِ المدَر ؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أعْيَبُ ، والذّمُّ له ألزم .

وقد كان الرّجلُ من العرب يقف الموقف فيرسل عِدّة أمثالٍ سائرة ، ولم يكن النّاسُ جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع[(٤)] . ومدار العِلم على الشّاهِدِ والمَثَل . وإنّما حثُّوا على الصّمت لأنّ العامة إلى معرفة خطأ القول ، أسرعُ منهم إلى معرفة خطأ الصّمت . ومعنى الصامت فى صَمته أخفى من معنى القائل فى قوله ؛ وإلاّ فإنّ السكوت عن قول الحقّ فى معنى النُّطق بالباطل . ولعمرى إنّ النّاس إلى الكلام[(٥)] لأسرع ؛ لأنّ فى أصل التركيب أنّ الحاجة إلى القول والعمل أكثرُ من الحاجة إلى ترك العمل ، والسُّكوتِ عن جميع القول . وليس الصَّمْتُ كله أفضلَ من الكلام كلّه ، ولا الكلام كلّه أفضل

١٦٣ من السكوت كله ، بل قد علمنا أنّ عامّة الكلام أفضلُ من عامّة السكوت .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ سَمَّاعُون لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ للسُّحتِ ﴾ . فجعل سَمْعه وكَذِبه سواء . وقال الشّاعر :

بنى عَدىٍّ ألا يا انْهَوْا سفيهكُمُ ... إنّ السَّفيه إذا لم يُنْهَ مأمورُ[(٦)]

---

(١) المعروف فى جمع بقر الباقر والبقير والبيقور والباقور والباقورة والبواقر . هـ : « كما تتخلل الباقرة » .

(٢) فيما عدا ل : « إن كان الكلام ... فالسكوت [illegible] » .

(٣) ما عدا هـ : « التبين » .

(٤) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعينَ به .

(٥) ل : « كلامهم » .

(٦) يا انهوا ، هو من حذف المنادى ، أى يا قوم انهوا . فيما عدا ل ، هـ : « ألا بنى » .

وقال آخر (١) :

ضَحِكتُ له حتَّى يلجَّ ويستشرِي … فإن أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكما

وكيف يكون الصَّمتُ أنفعَ ، والإيثارُ له أفْضل (٢) ، ونفعُه لا يكاد يجاوز رأسَ صاحبه ، ونفع الكلام يعُمّ ويَخُصّ ، والرُّواة لم ترْوِ (٣) سكوت الصامتين ، كما روتْ كلامَ النّاطقين ، وبالكلام أرسَلَ الله أنبياءَه لا بالصَّمت ، ومواضعُ الصَّمت المحمودة قليلة ، ومواضعُ الكلام المحمودة كثيرة ، وطولُ الصَّمت يُفسد اللِّسان (٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزنى (٥) : « طول الصَّمت حُبْسَة » كما قال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ترْكُ الحركة عُقْلَةٌ » .

وإذا ترك الإنسانُ القولَ ماتت خواطرُه ، وتبلَّدتْ نَفْسُه ، وفسَدَ حِسُّه .

وكانوا يروُّون صبيانَهم الأرجاز ، ويعلّمونهم المُناقلات ، ويأمرونهم برَفْع الصَّوت وتحقيق الإعراب ؛ لأنَّ ذلك يفتق اللَّهاة ، ويفتح الجِرْم (٦) .

واللِّسان إذا أكثرتَ تقليبه رقَّ ولانَ ، وإذا أقللتَ تقليبَه وأطَلْت إسكانَه جسأ وغلظ (٧) .

وقال عَبَايةُ الجُعْفىّ (٨) : « لولا الدُّرْبة وسُوء العادة لأمرتُ فتياننا (٩) أن يمارِيَ بعضُهم بعضاً » .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمالى المرتضى (٢ : ٦٠) وثعلب ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل » ، تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يرووا » .

(٤) فيما عدا ل : « البيان » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الحلق .

(٧) ل : « إسكاته » : بالتاء . جسأ : يبس وصلب .

(٨) أورد له فى الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سرَّنى بنصيبى من المنى حمر النعم » .

(٩) ل : « فتيانى » .

وأيةُ جارحةٍ منعتَها الحركةَ ، ولم تمرِّنها على الاعتمال ، أصابَها من التعقُّد على حسب ذلك المَنْع . ولِمَ قال رسول الله ﷺ للنّابغة الجعدى : « لا يَفْضُض اللهُ فاك » ؟ ولِم قال لكعب بن مالك : « ما نَسِىَ اللهُ لَكَ مقالك ذلك (١) » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ (٢) : « رُبَّ خطيبٍ من عَبْس » ؟ ولم قال لحسان : « هَيِّج الغطاريف على بنى عبد مناف (٣) ، والله لشِعْرُك أشدُّ عليهم من وَقْع السِّهام ، فى غبَش الظَّلام (٤) » ؟

وما نشكُّ أنّه عليه السلام قد نَهى عن المِراءِ ، وعن التزيُّد والتكلُّف ، وعن كلِّ ما ضارَعَ الرِّياء والسُّمعة ، والنَّفْجَ والبذَخ (٥) ، وعن التَّهاتر والتّشاغُب ، وعن المماتنة والمغالبة (٦) . فأمّا نَفْسُ البيان ، فكيف يَنهَى عنه . وأبيَن الكلام كلامُ الله ، وهو الذى مدَح التَّبيين وأهل التفصيل (٧) وفى هذا كفايةٌ إن شاء الله .

وقال دغفَل بن حنظلة : إنَّ للعلم أربعة (٨) : آفة ، ونكداً ، وإضاعة ، واستجاعة . فآفته النِّسيان ، ونكده الكذِب ، وإضاعته وَضْعُه فى غير موضعه ، واستجاعته أنّك لا تشبع منه .

وإنّما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثرِ العلماء ، ولخُرْق سياسة أكثر الرُّواة ؛ لأنّ الرُّواة إذا شغَلوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفُّظ ما قد حصَّلوه ،

---

(١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيذان بن سنح العبسى » . وأورد له هذا الخبر الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .

(٣) الغطريف : أصله السيد الشريف . فى الأصول ما عدا هـ : « من بنى » . وما أثبت من هـ يطابق ما فى العثمانية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت فى حواشيها من تحقيق .

(٤) الغبش : شدة الظلمة . ل والعمدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .

(٥) النفج ، بالفتح ، والبذخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .

(٦) المماتنة : المعارضة فى الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف .

(٨) فيما عدا ل : « أربعا » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ .

وتدبُّر ماقد دوَّنوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرِّبح سبباً للخُسران . وجاء فى الحديث : « منهومانِ لا يشبعان : منهومٌ فى العلم ، ومنهومٌ فى المال » .

وقالوا : علِّمْ عِلمَك ، وتعلمْ علمَ غيرِك ، فإذا أنت قد علمْتَ ما جهِلت ، وحفِظت ما علِمْتَ .

وقال الخليل بن أحمد : اجعَلْ تعلمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرةَ المتعلِّم تنبيهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم – وأظنُّه بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنىّ – : لا تكُدُّوا هذه القلوبَ ولا تُهمِلوها ؛ فخَيْر الفِكْر ما كان عَقِب الجَمَام (١) ، ومن أكره بصرَهُ عَشِىَ . وعاوِدُوا الفِكرةَ (٢) عند نَبَوات القلوب ، واشحَذُوها بالمذاكرة ، ولا تيأسُوا من إصابة الحكمة إذا امتُحِنْتم ببعض الاستغلاق ؛ فإنّ مَن أدام قرع البابِ وَلَج .

وقال الشّاعر :

إذا المرءُ أعيتْه السِّيادةُ ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديدُ (٣)

وقال الأحنف : « السُّؤدُد مع السَّواد » . وتقول الحكماء : « مَن لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد (٤) :

ودون النَّدَى فى كل قلبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصعْدٌ حَزن ومنحدَر سهلُ (٥)
ووِدُّ الفتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيلُه إذا ما انقضى ، لو أنَّ نائلَهُ جَزْلُ

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « فخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدا ل : « الفكر » .

(٣) فيما عدا ل : « أعيته المروءة » .

(٤) ل : « وأنشد قول الشاعر » . وهو إسحاق الخريمى كما فى الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب (٤ : ٢٠١) وما سيأتى فى (٢ : ٣٥٢) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .

(٥) ل : « ودون العلى » ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذليّ (١) :

وإنّ سيادةَ الأقوامِ فاعلَمْ ... لها صَعْداءُ مطلبُها طويلُ (٢)

أترجُو أنْ تسود ولا تُعَنَّى ... وكيف يسود ذُو الدَّعَةِ البخيلُ (٣)

١٦٥ صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمَر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيتُ عُقولَ النّاس إلاّ وقد كادَ يتقاربُ بعضُها من بعض (٤) ، إلاّ ما كان من الحجّاج وإياس بن معاوية ، فإنّ عقولهما كانت تَرْجُحُ على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّغْدِيَّ (٥) الحارثيَّ يقول : كان الحجّاج أحمَقَ ، بنى مدينة واسط فى بادية النَّبَط ثم حماهُمْ دخولَها (٦) . فلمّا مات دَلَفُوا إليها من قريب .

وسمعتُ قَحْطَبَة الخُشَنىّ (٧) يقول : كان أهلُ البصرة لا يشكّون أنّه لم يكُنْ بالبصرة رجلٌ أعقلَ من عُبَيد الله بن الحسن (٨) ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمرو بن العاصى : إنّ أهل العراق قد قَرَنُوا بك رجلاً طويلَ اللِّسان ، قصيرَ الرأى ، فأجِدِ الحَزّ وطَبّق المَفصِلَ ، وإيّاك أن تلقاهُ برأيك كلِّه .

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ — ٦١ نسخة الشنقيطى ، وشرح الهذليين السكرى ٦٣ — ٦٤ .

(٢) وكذا روى فى شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٢٦) . ورواه فى الحيوان (٢ : ٩٥) برواية : « وإن سياسة » ، وكذا فى اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشتد صعودها على الراق .

(٣) فيما عدا ل : « ولن تعنى » ، تحريف : وهذا البيت لم يرد فى ديوان الهذليين .

(٤) فيما عدا ل : « إلا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق فى ص ١٠٠ س ١ .

(٥) ب والتيمورية : « الصغرى » جـ : « الصفرى » وأثبت ما فى ل ، هـ وسيعيد الجاحظ هذا الخبر فى (٤ : ١٨) .

(٦) سيأتى : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدا ل هنا .

(٧) الخشنى : نسبة إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدا ل : « الجشمى » .

(٨) تقدمت ترجمته فى ص ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن
الموجز المحذوف ، القليل الفضول

قال الشّاعر (١) :

لها بَشرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ ... رقيقُ الحواشى لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ (٢)

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحديثَ على مواضِعِه ... وكلامُها مِن بعدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حديث كطعم الشُّهدِ حلو صدورُه ... وأعجازُه الخُطبان دونَ المَحارِمِ (٣)

وقال بشّار بن برد :

أُنُسٌ غرائرُ ماهَمَمنَ بريبةٍ ... كظِباء مكَّةَ صيدُهنَّ حرامُ
يُحسَبْنَ من أُنس الحديثِ زوانياً ... ويصدُّهُنَّ عن الخنا الإسلامُ

ولبشّارٍ أيضاً :

فنعِمْنا والعينُ حَيٌّ كَمَيْتٍ ... بحديثٍ *كنشوةِ الخندريسِ

ولبشّار أيضاً :

وكــأنَّ رَفْضَ حديثهــا ... قِطَعُ الرِّياض كُسِين زَهْرا (٤)
وتخالُ ما جَمَعت عليــ ... ـه ثيابَهـا ذهباً وعِطـرا
وكــأنَّ تَحْتَ لسانِهــا ... هاروتَ ينفُثُ فيه سِحرا ١٦٦

---

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمالى القالى (١ : ١٥٤) واللسان (هرأ) .

(٢) فى الديوان : « دقيق الحواشى » . وفى الأمالى وما عدا ل : « رخيم الحواشى » .

(٣) الخطبان ، بالضم : نبت شديد المرارة .

(٤) أنشده فى اللسان (رفض) على أن الرفض . بمعنى الجانب . وفى أمالى القالى (١ : ٨٤) : « وكأن رصف » .

ولبشّار العُقَيلىّ :

وفتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها   بحديثٍ كلَذّة النَّشوانِ

وقال الأخطل :

فأَسْرَينَ خمساً ثم أصبحن غُدوةً   يُخبِّرْن أخبارا ألَذّ من الخمرِ (١)

وقال بشّار :

وبِكْرٍ كنُوّارِ الرِّياض حديثُها   تَرُوق بوجهٍ واضح وقَوامِ

وقال بشّار :

وحديث كأنه قِطَعُ الرو   ضِ وفيه الصّفراءُ والحمراءُ

وأخبرنا عامر بن صالح أنّ عبد العزيز بن عمرَ بن عبد العزيز (٢) كتب إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إنّ عندى أبقاكِ ربك ضيفاً   واجباً حقُّهم كُهولاً ومُرْدَا

طرَقُوا جارَكِ الذى كان قِدْماً   لا يَرَى مِن كرامة الضَّيف بُدَّا

فلديه أضيافُه قد قَرَاهُمْ   وهُمُ يشتهون تَمْراً وزُبْدَا

فلهذا جرى الحديثُ ولكنْ   قد جعلنا بعضَ الفُكاهة جِدّا (٣)

وأنشد الهُذَلىّ :

كُرُّوا الأَحاديث عن ليلى إذا بَعُدَت   إنّ الأَحاديثَ عن ليلى لَتُلهِينى

وقال الهُذَلىُّ أيضاً (٤) :

---

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل : « المزاحة » ، وأشير إلى هذه الرواية فى هامش هـ ، وهذه ضبطت بالضم فى القاموس ، وبالفتح فى المصباح .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الهذلى فى حلاوة الحديث » . والهذلى هنا هو أبو ذؤيب-انظر ديوانه ١٤٠ واللسان (طفل) .

وإنّ حديثاً منكِ لو تبذلينَهُ جَنَى النَّحْلِ أو ألبانُ عُوذٍ مَطَافِلِ
مطافيلَ أبْكارٍ حديثٍ نِتاجُها تُشابُ بماءٍ مثل ماء المَفَاصِلِ

العُوذ: جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضَعَتْ، فإذا مشى ولدها فهي مُرْشِحٌ (١) فإذا تَبِعها فهي مُتْلِيَة، لأنّه يتلوها. وهي في هذا كلِّه مُطفِل. فإن كان أوّلَ ولدٍ (٢) ولدتْه فهي بِكْر. ماء المفاصِلِ فيه قولان: أحدهُما أنّ المفاصل ما بين الجبلَين واحِدُها مَفصِل، وإنّما أراد صفاء الماء؛ لأنّه ينحدر عن الجبال، لا يمرُّ بطين ولا تُراب. ويقال إنّها مفاصِل البعير. وذكروا أنّ فيها ماءً له صفاءٌ وعُذوبة (٣).

وفي الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن جعفر (٤): ١٦٧

الزم الصَّمتَ إنّ في الصّمت حُكْمًا وإذا أنتَ قُلتَ قولاً فزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب:

وسِربٍ يُطَلَّى بالعَبير كأنه دماءُ ظباءٍ بالنُّحورِ ذَبيحُ (٥)
بذلتُ لهنَّ القولَ إنك واجدٌ لما شئتَ من حُلو الكلام، مليحُ (٦)

---

(١) يقال راشح، ومُرْشِح، ومرشح بالتشديد أيضا.

(٢) فيما عدا ل، هـ: «أول ولدها».

(٣) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان (٢: ٣٥٠ – ٣٥١).

(٤) التكملة مما عدا ل. وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم، وكان يرمى بالزندقة، خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله، الأغاني (١١: ٦٣ – ٧٤).

(٥) أنشده في اللسان (ذبح) وقال: «ذبيح وصف للدماء. وفيه شيئان: أحدهما وصف للدم بأنه ذبيح وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم. والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد. فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف، أي كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه، ثم حذف المضاف وهو الظباء، فارتفع الضمير الذي كان مجروراً، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر في ذبيح. وأما وصفه الدماء وهي جماعة بالواحد فلأن فعيلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة».

(٦) ل: «لهم القول أني واجد»، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧. و«مليح» صفة «واجد»، يعني أنه يجد ما يشاء من حلو الكلام، وأنه مليح أيضاً.

السِّرب : الجماعة من النساء والبقر والطير والظِّباء . ويقال فلانٌ آمِن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلانٌ واسع السرب [١] وخَلِيّ السّرب [٢] ، أى المسالك والمَذاهب . وإنما هو مثلٌ مضروب للصَّدر والقلب . وعن الأصمعيّ : فلانٌ واسع السِّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطيء الغضب [٣] .

وأنشد للحكم بن رَيحان ، من بنى عمرو بن كلاب :

يا أجْدَل النَّاس إن جادلتَه جَدَلا ... وأكثَرَ الناس إن عاتبتَه عِلَلا
كأنّما عَسَلٌ رُجْعانُ مَنْطِقِها ... إن كان رَجْعُ كلامٍ يشبه العَسَلا [٤]

وقال القُطَامىُّ [٥] :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقن لنا ... حَتَّى تصيَّدْنَنَا من كلِّ مُصْطَادِ
يقتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعلَمُه ... مَن يتّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِى [٦]
فهنَّ ينبِذْنَ من قول يُصِبنَ به ... مَواقعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصّادِى

يَنبِذْن : يُلقِين . الغُلّة والغليل : العطش [الشّديد [٧]] . والصادى : العَطشان أيضاً ؛ والاسمُ الصَّدَى . وأنشد للأخطل :

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحديثُ أوانِسٌ ... يرقُبْن كلَّ مُجَنِّرٍ تِنْبالِ [٨]
أُنُفٌ كأنَّ حديثَهنَّ تنادُمٌ ... بالكأسِ كلُّ عقيلةٍ مِكسالِ

---

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط مما عدا ل ، هـ .

(٢) فيما عدا ل : « وخلى السرب وواسع السرب » .

(٣) فيما عدا ل : « بطىء التأنيب » .

(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .

(٥) ديوان القطامى ٨ .

(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه » .

(٧) هذه مما عدا ل .

(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . هـ ، ب ، جـ : « كل مرقب » . وفى التيمورية : «كل مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشُّمُسُ : النَّوافِرُ [١] . والتِّنبال : القصير [٢] . والأُنُفُ : جمع آنفةٍ ، وهي المُنكِرة للشَّيء غيرَ راضية [٣] . العقيلة : المصونة فى أهلها . [وعقيلة ١٨٦ كل شيءٍ : خِيرته [٤]] . والمِكسال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن خُلَيدٍ [٥] :

لقيتُ ابنةَ السَّهميِّ زينبَ عن عُفْرٍ ونحنُ حَرامٌ مُسْىَ عاشِرَةِ العَشْرِ [٦]
وإنِّى وإيّاها لحَتْمٌ مبيتُنا جميعاً ، ومَسْرانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ [٧]
فكلَّمتُها ثِنتينِ : كالثلج منهما على اللَّوح والأخرى أحرُّ من الجمر

يقال : ما يَلقَانا إلا عن عُفْرٍ [٨] ، أى بَعدَ مُدّة . مُسْىٌ : أى وقت المساء . يقال أغذَّ السَّيْرَ ، إذا جَدَّ فيه وأسرع . واللَّوح بالفتح [٩] : العطش ، يقال لاحَ الرَّجل يلُوحُ لَوحاً ، والتاح يلتاح التياحاً ، إذا عطش . واللَّوح بالفتح أيضاً : الذى يكتب فيه . واللُّوح بالضم : الهواء ، يقال : « لا أفعل ذلك ولو نزوتَ فى اللُّوح » ، أو « حَتّى تنزُوَ فى اللُّوح » .

وأنشد :

---

(١) يقال شمس ، بضمة وبضمتين أيضا ، مفرده شموس ، بالفتح .

(٢) فيما عدا ل : « التنبال القصير . والجنفر مثله . والشمس : النوافر » .

(٣) فيما عدا ل : « غير راضية عنه » . (٤) هذه مما عدا ل .

(٥) فيما عدا ل : « وقال أبو العميثل » فقط . وهو أبو العميثل عبد الله بن خليد ، مولى جعفر ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس . وكان كاتب طاهر وولده عبد الله بن طاهر ، وكان مكثراً من نقل اللغة عارفا بها شاعرا مجيدا . توفى سنة ٢٤٠ . ابن النديم ٧٢ — ٧٣ وابن خلكان . وفى أمالى القالى (١ : ٩٨) حيث أنشد الشعر : « عبد الله بن خالد » تحريف .

(٦) جـ : « من عفر » ب و التيمورية « غفر » كلاهما محرف عما أثبت من ل ، هـ و الأمالى. حرام : أى محرمون . مسى عاشرة العشر ، أى عشية عرفة ، وهى الليلة العاشرة لليوم العاشر .

(٧) فى الأمالى : « وسيرانا » بدل « ومسرانا » . وفى الأمالى : « وسيرانا ، أى سيرى أنا مغذ ، أى مسرع ، وسيرها ذو فتر أى ذو فتور وسكون ؛ لأنها يرفق بها » .

(٨) فيما عدا ل « تقول ما يلقانا فلان » . (٩) يقال أيضاً بالضم .

وإنّا لَنُجرى بيننا حين نلتقِى ... حديثاً له وشْىٌ كَحِبْرِ المَطَارِفِ (١)
حديث كطعم القَطْرِ فى المَحْلِ يُشْتَفَى ... به من جوًى فى داخل القلب لاطِفِ

المَحْل : الجدب ، وسنةٌ مَحُولٌ . وأمحل البلد فهو ماحل ومُمحِل ، وزمانٌ ماحلٌ ومُمحِل . الجوى ها هنا : شدّة الحبّ حتى يمرَضَ صاحبُه . لاطِفٌ : لطيف (٢) . وأنشد للشماخ (٣) بن ضِرار الثَّعْلبىّ (٤) :

يُقِرُّ بعينى أنْ أُنَبَّأَ أنّها ... وإن لم أَنَلْها أَيِّمٌ لم تزوَّج (٥)
وكنتُ إذا لاقيتُها كان سِرُّنا ... وما بيننا مثلَ الشِّواء المُلَهْوَجِ

يريد أنّهما كانا على عجلةٍ من خَوف الرُّقباء . والمُلَهْوَجُ : المعجلُ الذى لم يُنتَظَرْ به النُّضج .

وقال جِرَان العَود :

فنِلنا سِقاطاً من حديث كأنّه ... جَنَى النحل أو أبكارُ كَرْمٍ يُقطَّفُ
حديثاً لوَ انّ البقلَ يُولَى بمِثْلِه ... زَها البقلُ واخضرّ العضاه المُصَنِّفُ (٦)

---

(١) الحبر ، بالكسر : الوشى ، عن ابن الأعرابى . وفيما عدا ل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير فى ل فقط .

(٣) فيما عدا ل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفى بن إياس بن عبد بن عثمان ابن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغانى (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبى : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما فى ترجمته . وفى جميع النسخ « التغلبى » تحريف . لكن فى ل : « وقال الشماخ بن ضرار » فقط .

(٥) أقر الله عينه وبعينه ، أى أبردها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ١٧ .

(٦) البيت فى ديوانه ٢١ ، والذى قبله لم يرو فى الديوان . وبدله فيه :

ينازعننا لذاً رخيما كأنه ... عوائر من قطر حداهن صيف

وللفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه ... جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

المصنف : الذى خرج ورقه واخضر ، وقال السكرى : « الذى قد جف بعضه وبقى بعضه » . ل : « المضيف » ، وفيما عدا ل : « المصيف » صوابهما من الديوان .

١٦٩ زها : بدا زهره . العِضَاهُ : جمع عِضَةٍ ، وهي كل شجرةٍ ذات شوك ، إلا القَتادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهنَّ إذا التقيْـ ـنَ تهانُفُ البيضِ الغرائرْ
وإذا ضَحِكْنَ عن العِذا بِ لنا المُسَفَّاتِ التَّواغِرْ [1]
كانَ التهلُّل بالتَّبسُّـ ـمِ لا القَهاقِهُ بالقَراقِرْ

التهانُف : تضاحُكٌ فى هُزُؤ . الغرائر : جمع غريرة ، وهي المرأة القليلة الخِبْرة ، الغُمرَة [2] . والعِذاب ، يريد الثَّغْر . والمُسَفَّات : اللِّثات التي قد أُسِفَّت بالكُحل أو بالنَّؤور ، وذلك أن تُغرزَ بالإبرة ويُذَرَّ عليها الكحل فيعلوَها حُوَّةٌ . والتهلُّل ، يقال تهلَّل وجهُه ، إذا أشرق وأسْفَر . وقال الآخَر [3] :

ولَمَّا تلاقَيْنا جَرى مِن عُيونِنا دُموعٌ كفَفْنا غَرْبَها بالأصابعِ [4]
ونِلنا سِقاطاً من حديثٍ كأنَّه جَنَى النَّحلِ ممزوجاً بماء الوقائعِ

سِقاط الحديث : ما نُبِذَ منه ولُفِظ به . يقال ساقطْتُ فلانا الحديثَ سِقَاطاً. الوقائع والوقيع : مناقع الماء فى مُتون الصُّخور ، الواحدة وقيعة .

وقال أشعث بن سُمَيّ [5] :

هلْ تعرِف المبدا إلى السَّنام [6] ناطَ به سواحرُ الكـلامِ
كلامُها يشفى من السَّقامِ [7]

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها فى المعاجم المتداولة . والأبيات لم ترو فى الهاشميات .

(٢) الغمر ، بتثليث الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .

(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .

(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفى الديوان : « جرت من .. ماءها بالأصابع » .

(٥) فيما عدا ل : « الأشعث بن سمى » . لكن فى هـ « أشعب بن سمى » .

(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر فى القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

(٧) فيما عدا ل : « كلامهن برء ذى السقام » .

المبدا وسَنامٌ : موضعان . ناط به : أى صار إليه [١] .

وقال الرّاجز ووصف عيونَ الظِّباءِ بالسِّحر وذكر قوساً [٢] فقال:

صَفْراءِ فَرع خَطَمُوها بوَتَرْ [٣] لَأْمٍ مُمَرٍّ مِثْلِ حُلقوم النُّغَرْ
حَذَتْ ظُبَاتِ أسهُمٍ مثل الشَّرَرْ فصرَّعتْهُنَّ بأكناف الحُفَر [٤]
حُورُ العيونِ بابليّاتُ النَّظَرْ [٥] يَحسبُها الناظرُ من وحْش البَشَرْ [٦]

١٧٠ اللأْم من كلِّ شيءٍ : الشديد . والمُمَرّ : المحْكَم الفتل ، وحبلٌ مَرِيرٌ مثله . النُّغَر : البلبل . والظُّباتُ : جمع ظُبَةٍ ،وهى حدُّ السَّيف والسّنان وغيرهما .

وقال آخر [٧] :

وحديثُها كالقَطرِ يسمعُه راعى سنِينَ تتابَعَتْ جَدْبَا
فأصاخَ يرجُو أن يكون حَياً ويقول من طَمَع : هَيَا رَبّا [٨]

* * *

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيب وطرفه . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى حدت القوس ظبات هذه الأسهم وقذفتها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « ويروى البقر » وأراها إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتين بعده ساقطان مما عدا ل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسوبين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع فى الكلام

قال عُمَر بن ذَرّ ، رحمه الله : « الله المستعانُ على أَلسنةٍ تَصِف ، وقلوبٍ تَعرِف ، وأعمالٍ تُخْلِف »

ولمّا مَدحَ عتيبةُ بن مرداسٍ عبدَ الله بن عبّاسٍ قال : لا أُعطى مَن يعصى الرَّحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البُهْتان .

وفى الحديث المأثور ، قال : « يقول العبدُ مالى مالى ، وإنّما لك مِن مالِك ما أكلتَ فأفنيت ، وأُعطيت فأمضَيْت ، أو لبِسْتَ فأبليت » .

وقال النَّمْرُ بن تَولب [١] :

أعاذلَ إن يُصبِح صداىَ بقفرةٍ　　بعيداً نآنى صاحبى وقريبى
تَرَىْ أنَّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّهُ　　وأنّ الذى أمضَيتُ كان نصيبى [٢]

الصَّدَى هاهنا : طائرٌ يخرج من هامة الميت [٣] إذا بَلِىَ ، فينعَى إليه ضَعفَ وليِّه وعَجْزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية [٤] ، وهو هنا مستعار أى إنْ أصبحتُ أنا .

ووصف أعرابىٌّ رجلاً فقال : « صغير القَدْر ، قصير الشَّبْر ، ضيِّق الصَّدر ، لئيم النَّجْر ، عظيم الكِبر ، كثير الفخر » .

الشّبْر : قدر القامة ، تَقول : كم شَبْر قميصك ، أى كم عدد أشباره [٥]. والنَّجْر : الطباع .

---

(١) انظر الأغانى (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية ل وابن سلام . وفى الأغانى وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدا ل : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدا ل : « كانت العرب تقوله فى الجاهلية » .

(٥) فيما عدا ل : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضرَبَ لمثلٍ ، ولا أركَبَ لجمل ، ولا أصعَدَ فى قُلَلٍ منه » .

وسأل بعضُ الأعراب رسولاً قَدِم من أهل السِّند : كيف رأيتُم البلاد ؟ قال : « ماؤها وَشَلٌ ، ولِصُّها بَطَلٌ ، وتَمرُها دَقَلٌ [١] . إنْ كثُر الجند بها جاعوا ، وإن قلُّوا بها ضاعُوا[٢] » .

١٧١ وقيل لصعصعةَ بنِ معاوية : مِن أينَ أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق . قيل : فأين تريد ؟ قال : البيتَ العتيق . قالوا : هل كان مِن مطر ؟ قال : نَعم ، حتّى عفَّى الأثرَ ، وأنْضَر الشجرَ ، ودَهْدَى الحجر [٣] .

واستجار عَون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمّد بن مروان بنصيبين ، وتزوَّج بها امرأة ، فقال محمَّد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة العقارب [٤] قليلة الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ الحياء ، ليس يريد أن هناك [٥] حياءً وإنْ قلّ . يضعون قليلاً فى موضع ليس .

وولِىَ العلاء الكلابى [٦] عملاً خسيساً [٧] ، بعد أن كان على عمل جسيم ، فقال : « العُنُوق بعد النُّوق [٨] » .

---

(١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواع التمر .

(٢) هذا التفسير من ل فقط .

(٣) أنضره : صيره ناضرا . ويقال دهديت الحجر ودهدهته ، أى دحرجته وقذفته من أعلى إلى أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدا ل ، هـ : « ودهده » .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٢٢٦ / ٥ : ٣٦٠) .

(٥) ب والتيمورية : « هنالك » .

(٦) ل : « وولى العلاء » فقط . وفى الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلابى » .

(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .

(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الحيوان والميدانى (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

قال : ونظر رجلٌ من العُبَّاد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جَديد ، وموتٌ عَتيد (١) ونَزْع شديد ، وسفَر بعيد » .

وقيل لبعض العرب (٢) : أىَّ شىء تَمَنَّى ، وأىُّ شىءٍ أحب إليك ؟ فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السَّرير ، والسَّلامُ عليك أيُّها الأمير » .

وقيل لآخرِ ، وصلَّى ركعتينِ فأطالَ فيهما ، وقد كان أُمِر بقتله : أجزِعتَ من الموت ؟ فقال : إن أجزَعْ فقد أَرَى كفناً منشوراً ، وسَيفاً مشهوراً ، وقبراً محفوراً .

ويقال أن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عدِىّ الكندىّ عند قتله (٣).

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لأعرابىّ : ما أطيَبُ الطعام ؟ فقال : « بَكرةٌ سَنِمةٌ ، معتَبَطة غير ضَمِنة ، فى قدور رَذمةٍ ، بشفار خَذِمةٍ ،فى غداة شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطْيَبْت (٤) .

معتَبَطة : منحورةٍ من غير داءٍ ؛ يقال اعْتُبِط الإبلُ والغنمُ ، إذا ذُبحت من غير داءٍ . ولهذا قيل للدم الخالص عَبيط . والعَبيط : ما ذُبح من غير عِلّة . غير ضَمِنة : غير مريضة . رذمة : سائلة من امتلائها . بِشِفارٍ خذِمة : قاطعة . غداة

---

(١) عتيد : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما فى (٢ : ١٧٥) .

(٣) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدى بن معاوية الكندى ، صحابى جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب عليا فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندى ، وفد على الرسول ، وكان مع على يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على إرمينية . الإصابة ١٦٢٦ ، ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشىء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيبت » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض ماترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيبه » لغة فى استطابه . وأنشد فى اللسان :

* فكأنها تفاحة مطيوبة *

وسيعاد الخبر فى ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شَبِمَة : باردة (١) . والشَّبِم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير ، إذا غشَّك الوزير » .

[وقالوا : « مَنْ صادَقَ الكُتّابَ أغنَوْه ، ومَن عاداهم أفقروه » . وقالوا : « اجعلْ قولَ الكذَّابِ ريحاً ، تكن مستريحاً (٢) »] .

وقيل لعبد الصَّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تؤثِرُ السَّجع على المنثور ، وتلزمُ نفسَكَ القوافِيَ (٣) وإقامةَ الوزن ؟ قال : إنَّ كلامي لو كنتُ
١٧٢ لا آمُلُ فيه إلاّ سماعَ الشاهد لقلَّ خلافي عليك ، ولكنِّي أريد الغائبَ والحاضر ، والراهِن والغابر ؛ فالحفظُ إليه أسرع ، والآذانُ لسماعه أنشَط ؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلّة التَّفلُّت (٤) . وما تكلَّمَتْ به العربُ مِن جيِّد المنثور ، أكثرُ ممّا تكلمت به من جيِّد الموزون ، فلم يُحفظ من المنثور عُشرُه ، ولا ضاع من الموزون عُشرُه .

قالوا : فقد قيل للذي قال : يا رسول الله ، أرأيتَ مَن لا شرِب ولا أكل ، ولا صاح واستهلّ ، أليس مثلُ ذلك يُطَلّ (٥) . فقال رسول الله ﷺ : « أسَجْعٌ كسجع الجاهليَّة » .

قال عبد الصمَّد : لو أن هذا المتكلِّم لم يُرِد إلاّ الإقامة لهذا الوزن ، لما كان عليه بأسٌ ، ولكنَّه عسى أن يكون أراد إبطالَ حقٍ (٦) فتشادَقَ في الكلام .

وقال غيرُ عبد الصمد : وجدْنا الشِّعرَ : من القصيدِ والرجز ، قد سمعه النبيُّ ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامَّةُ أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدا ل ، هـ . وفي حواشي هـ : « هذا التفسير ثبت في الأم » .

(٢) هذه التكملة مما عدا ل .

(٣) ل : « القول » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ل : « التقلب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٥) يطل ، أي يهدر دمه . فيما عدا ل : « يبطل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إبطالا لحق » .

قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستمعوا واستنشدوا . فالسجع والمزدوج دونَ القصيد والرجز ، فكيف يَحلُّ ما هو أكثر ويحرُم ما هو أقلُّ (١) .

وقال غيرهما : إذا لم يَطُلْ ذلك القول ، ولم تكن القوافي مطلوبةً مجتلَبة ، أو ملتمَسةً متكلَّفة ، وكان ذلك كقول الأعرابيِّ لعامل الماء : « حُلِّئَتْ ركابي (٢) ، وخُرِّقت ثيابي (٣) ، وضُربت صِحابي » - حُلِّئت ركابي ، أي (٤) مُنِعَت إبلي من الماء والكلأ. والركاب : ما ركب من الإبل - قال : « أَوَ سجْعٌ أيضاً ؟ » . قال الأعرابي : فكيف أقول ؟ لأنه لو قال حُلِّئَتْ (٥) إبلي أو جمالي أو نُوقي أو بُعْراني أو صِرْمتي ، لكان لم يعبّر عن حَقِّ معناه ، وإنّما حُلِّئت ركابهُ ، فكيف يَدَعُ الرِّكاب إلى غير الركاب . وكذلك قوله : وخُرِّقت ثيابي (٦) ، وضربت صِحابي . لأن الكلامَ إذا قلَّ وقَعَ وُقوعاً لا يجوز تغييره ، وإذا طال الكلامُ وجدْتَ في القوافي ما يكون مجتَلَباً ، ومطلوبا مستَكرَها .

ويُدْخَل (٧) على مَن طعن في قوله : ﴿ تبَّت يَدَا أبي لَهَبٍ ﴾ . وزعم أنّه شعر ؛ لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن ، وطعن في قوله في الحديث عنه : « هل أنت إلّا إصبعٌ دمِيتِ ؟ وفي سبيل الله ما لقِيتِ (٨) » - فيقال له : اعلمْ أنّك لو اعترضْتَ أحاديثَ النّاس وخطبَهم ورسائلَهم . لو جَدْتَ فيها مثلَ مستفعِلن مستفعِلن (٩) ١٧٣

---

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدا ل : « حليت » تحريف .

(٣) ب ، جـ : « وحرفت » صوابه في ل ، هـ والتيمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث في ل والتيمورية فقط .

(٥) ب ، جـ : « حليت » تحريف .

(٦) ب : « حرفت » جـ : « خرفت » ، صوابهما في ل ، هـ والتيمورية .

(٧) فيما عدا ل : « وفي الحديث المأثور ويدخل » ، وفيه إقحام .

(٨) انظر العمدة (١ : ١٢٣) في باب الرجز والقصيد .

(٩) بدلها فيما عدا ل : « مفاعلن » .

كثيراً ، ومستفعلُنْ مفاعِلُن [١]. وليس أحدٌ فى الأرض يجعلُ ذلك المقدارَ شعراً . ولو أَنَّ رجُلا من الباعة صاح : مَن يشترى باذنجان ؟ لقد كان تكلمَ بكلامٍ فى وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصِدْ إلى الشِّعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزن قد يتهيَّأُ فى جميع الكلام . وإذا جاء المقدارُ الذى يُعلم أنّه من نِتاج الشِّعر والمعرفةِ بالأوزان والقصدِ إليها ، كان ذلك شِعرًا . وهذا قريبٌ ، والجواب سهلٌ بحَمد الله [٢] .

وسمعتُ غلاماً لصديق لى ، وكان قد سقى بطنُه [٣] ، وهو يقول لغِلمان مولاه : « اذهبوا بى إلى الطَّبيب وقولوا قد اكتَوَى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج [٤] فاعلاتن مفاعلن ، فاعلاتن مفاعلن مرَّتين . وقد علمتَ أن هذا الغلام لم يَخْطِرْ على باله [٥] قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثلُ هذا كثيرٌ، ولو تتبعته فى كلام حاشيتك وغِلمانك لوجَدتَه .

وكانَ الذى كَرّه الأسجاعَ بعينها وإن كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ، أَنَّ كُهَّان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدَّعون الكِهانةَ وأَنَّ مع كلٍّ واحدٍ منهم رَئِياً من الجن [٦] مثل حازِى جُهينة [٧] ،

---

(١) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « والحمد لله » .

(٣) يقال سقى بطنُه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « لم يخطر بباله » . وهما سيان .

(٦) الرئى ، بفتح الراء وكسرها مع كسر الهمزة وتشديد الياء : هو الذى يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤالفه .

(٧) الحازى : الكاهن. وفى الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة ». وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

ومثل شِقّ وسَطِيح [١] ، وعُزَّى سَلِمة [٢] وأشباههم ، كانوا يتكهَّنون ويحكُمون بالأسجاع ؛ كقوله : « والأرض والسَّماء ، والعُقابِ الصَّقْعاء [٣] ، واقعةً ببقعاء [٤] ، لقد نَفَّر المجدُ بنى العُشَراءِ [٥] ، للمجْد والسَّناء [٦] » .

وهذا الباب كثيرٌ . ألا ترى أن ضَمْرة بن ضَمرة ، وهَرِم بن قُطْبة ، والأقرع بنَ حابس ، ونُفيل بن عبدِ العُزَّى كانوا يحكُمون وينفِّرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حُذَار [٧] .

قالوا : فوقع النَّهىُ فى ذلك الدهر لُقرْب عهدهم بالجاهليَّة ، ولبقيَّتها فيهم وفى صدورِ كثيرٍ منهم [٨] ، فلما زالت العلّة زال التحريم .

وقد كانت الخطباءُ تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكونُ فى تلك الخُطب أسجاعٌ كثيرة ، فلا ينهَوْنَهم [٩] .

وكان الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىّ [١٠] سجّاعاً فى قصصه . وكان عَمرو بن

---

(١) شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ – ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .

(٢) سيأتى فى ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبى حية . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤ ، والميدانى فى : « إلا ده فلا ده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .

(٣) الصقعاء : التى فى وسط رأسها بياض .

(٤) البقعاء : هى من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .

(٥) نفرهم : حكم لهم بالغلبة على غيرهم . وبنو العشراء ، من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .

(٦) وقعت كل هذه الكلمات الممدودة فيما عدا ل ، هـ مقصورة .

(٧) حذار ، بضم الحاء وكسرها . وكان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمة ، وقاضيا من قضاة العرب فى الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما فى اللسان :

وإذا طلبت المجد أين محله   فاعمد لبيت ربيعة بن حذار

(٨) ل : « ولبقيتها فى صدور كثير منهم » .

(٩) فيما عدا ل ، هـ : « فلم ينهوا منهم أحداً » .

(١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى الواعظ البصرى ، أحد القدرية المعتزلة . تهذيب التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

عُبيد (١) ، وهشام بن حسَّان (٢) ، وأبان بن أبى عيّاش (٣) ، يأتون مجلسه .

١٧٤ وقال له داود بن أبى هند (٤) : لولا أنّك تفسرُ القرآنَ برأيك لأَتيناك فى مجلسك . قال : فهل ترانى أحرِّم حلالاً (٥) ، أو أُحلُّ حراماً ؟ وإنَّما كان يتلو الآية التى فيها ذكر الجنّة والنار ، والموت والحشر ، وأشباهُ ذلك .

وقد كان عبد الصَّمد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامّة قُصَّاص البصرةِ ، وهم أخطبُ مِن الخطباء ، يجلس إليهم عامَّة الفقهاء .

وقد كان النَّهى ظاهراً عن مرثيَة أميَّة بن أبى الصَّلت لقتلى أهل بدرٍ (٦)، كقوله:

ماذا ببــدرٍ بالعَقَنْـــ ـــقَلِ مِن مرازِبَةٍ جَحاجِحْ (٧)
هَلّا بكيتِ على الكرا مِ بَنى الكرامِ أولِى المَمَادحْ

وروى ناسٌ شيئاً بذلك فى هجاء الأعشى لعلقمة بن عُلَاثَة . فلمَّا زالت العِلّة زال النَّهى .

وقال واثلةُ بنُ خليفة ، فى عبد الملك بن المهلَّب (٨) :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ .

(٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى – بالقاف والدال المضمومتين – البصرى ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصرى . توفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قردس) .

(٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أبى عياش فيروز البصرى ، روى عن أنس وسعيد بن جبير . توفى سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو بكر داود بن أبى هند – واسم أبى هند دينار – القشيرى البصرى . روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وعنه : شعبة والثورى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .

(٥) ل : « فهل أنى أحرم حلالا » ، تحريف .

(٦) المرثية رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣١ – ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ . ويروى : « فالعقنقل » .

(٨) هـ : « وقال أبو واثلة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أبى صفرة الأزدى . وفى كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأخطل فى الأغانى (٧ : ١٦٩) . والأبيات التالية سيعيد =

لقد صبرت للذُّلِّ أعوادُ مِنبرٍ ... تقوم عليها ، فى يديك قضيبُ
بكى المِنبر الغربىُّ إذْ قمتَ فوقَه ... وكادَت مساميرُ الحديدِ تذوبُ
رأيتُك لمّا شِبْتَ أدركَكَ الذى ... يُصيب سَرَاة الأُسْدِ حين تشيبُ (١)
سفاهـةُ أحـلامٍ وبُخلٌ بنائـــلٍ ... وفيك لمن عاب المُزونَ عيوب (٢)

* * *

قال : وخطب الوليدُ بن عبد الملك فقال : « إنَّ أمير المؤمنين كان يقول : إنّ الحجَّاج جِلدَة ما بين عينَىَّ ، ألاَ وإنّه جِلدةُ وجهى كلّه » .

وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلمٍ بَعد الحجَّاج ، فقال : « كنتُ (٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شَيبة قال : حدَّثنى خالدُ بن صفوانَ قال : خطبنا يزيدُ بن المهلَّب بواسط فقال : « إنِّى قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مَسلمة ، وقد جاء العبَّاس (٤) ، وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشّامِ إلّا تسعةُ أسيافٍ ، سبعةٌ منها معى ، واثنان منها عَلَىَّ . وأما مَسْلَمة فَجَرَادَةٌ صفراء . وأما العبَّاس فنسطوس بن نسْطوس (٥) ، أتاكم فى ١٧٥

= الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٣١٣ – ٣١٤ / ٣ : ٧٨) .

(١) الأسد : لغة فى الأزد ، وهم قبيل المهلب : فيما عدا ل : « الأزد » .

(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزد ، رهط المهلب بن أبى صفرة ؛ وذلك أن جدهم الأعلى مازن بن الأزد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .

(٣) فيما عدا ل : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال : « إنما مثلى ومثل يزيد ابن مسلم بعد الحجاج » .

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعا وافتتح فتوحا كثيرة فى الروم ، منها طوانة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .

(٥) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية . وفى هامش ب والتيمورية : « أى طبيب ابن طبيب » وليس بشئ .

برابرة وصقالبة ، وجرامقة وجَراجمة (١) ، وأقباط وأنباط ، وأخلاط [من النَّاس (٢)] . إنما أقبل إليكم الفلّاحون الأوباش (٣) كأشلاء اللُّجُم (٤) . والله ما لَقُوا قوماً قطُّ كحدِّكم وحديدكم ، وعَدِّ كم وعديدكم . أعيرونى سواعدَكم ساعةً [من نهار (٥)] تَصْفِقُون بها خراطيمَهم (٦) ، فإنَّما هى غَدوةٌ أو رَوحةٌ حتى يحكمَ اللهُ بيننا وبين القومِ الفاسقين (٧) » .

ثمّ دعا بفرسٍ ، فأُتِيَ بأبلق (٨) ، فقال : تخليطٌ وربِّ الكعبة ! ثمّ ركب فقاتل فكثَرَهُ الناس (٩) فانهزم عنه أصحابه ، حتَّى بقى فى إخوته وأهله ، فقُتِلَ وانهزم باقى أصحابه . وفى ذلك يقول الشاعر (١٠) :

كل القبائل بايعوك على الذى ... تدعو إليه طائعين وساروا (١١)
حتى إذا حَمِيَ الوغَى وجعلتَهم ... نَصْبَ الأَسنَّة أسلمُوك وطاروا (١٢)
إنْ يقتلوك فإنّ قتلك لم يكنْ ... عاراً عليك وبعضُ قتلٍ عارُ (١٣)

---

(١) فى القاموس (جرجم) انهم قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) ل : « الفلاحون الأوباش » . وهم الأخلاط وسفلة الناس .

(٤) اللجم : جمع لجام . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور . قال كثير :

رأتنى كأشلاء اللجام وبعلها ... من القوم أبزى منحن متطامن

هـ ، ب ، جـ : « اللحم » ، التيمورية : « اللخم » صوابهما فى ل .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) الصفق : الضرب ؛ صفقه بالسيف إذا ضربه . والخرطوم : الأنف ، أو مقدمه .

(٧) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالى ساقط مما عدا ل .

(٨) البلق من الخيل مسبوقة متخلفة . الحيوان (١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦) .

(٩) كثره الناس : تكاثروا عليه .

(١٠) هو ثابت قطنة . والوقعة التى قُتل فيها هى يوم العقر . انظر الأغانى (١٣ : ٦٣) وشرح شواهد المغنى ٣٣ — ٣٤ .

(١١) فى الأغانى : « تابعوك على الذى » تدعو إليه وبايعوك » .

(١٢) فى الأغانى : « جنس الوغى » .

(١٣) فى شواهد المغنى وهمع الهوامع (٢ : ٢٥) : « ورب قتل عار » .

ومدح الشاعر بَشّارٌ ، عُمَرَ هَزَارِ مَرْد [١] العَتَكَىّ ، بالخطب وركوبه المنابر ، بل رثاه وأبّنه فقال [٢] :

ما بال عينك دمعُها مسكوبُ   حُرِبَت فأنت بنومها محروبُ [٣]
وكذاك مَن صَحِب الحوادث لم يَزَلْ   تأتى عليه سلامةٌ ونكُـــوبُ
يا أرضُ ويحكِ أكرِميه فإنّه   لم يَبْقَ للعَتَكىّ فيكِ ضَرِيبُ
أبهى على خَشَب المنابر قائماً   يوماً وأحزمُ إذْ تُشَبُّ حروبُ

وقال : كان سَوَّار بن عَبد الله [٤] ، أوّلَ تميميّ خطب على مِنْبر البصرة ، ثم خطب عُبيد الله بن الحسن [٥] .

وولِىَ منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاةً أمراءَ : بلال بن أبى بُردة ابن أبى موسى الأشعرىّ ، وسَوّار ، وعُبَيد الله ، وأحمد بن أبى رباح [٦] . فكان بلالٌ قاضياً ابنَ قاضٍ ابنِ قاضٍ .

وقال رؤبة :

فأنت يا ابنَ القاضيينِ قاضى [٧]   مُعْتَـزِمٌ على الطَّرِيقِ ماضى [٨] ١٧٦

---

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة المهلبى ، وكانت العجم تسميه « هزار مرد » أى ألف رجل ؛ إذا كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . ولى إمارة السند فى أيام المنصور ، ثم وجهه أميراً على إفريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب الفتنة فيها ، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده ، فقاتلهم زمانا ثم قتل . الطبرى (٩ : ٢٧٩) والأغانى (١٨ : ٩٠ ، ١٠ ـ ٢٠) .

(٢) الأبيات سيعيد الجاحظ إنشادها فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) حربت : سلبت ، كأنها حربت النوم وسلبته . وفيما عدا ل : « سهرت » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٠٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٠ .

(٦) ب ، جـ : « أحمد بن رباح » والتيمورية : « أحمد بن رباح » . وفى حواشى هـ : « وزاد أبو العباس المبرد خامسا وهو عدى بن أرطاة » .

(٧) ل : « بلال يا ابن » صواب إنشاده فى الديوان ٨٢ وسائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل ، هـ : « معترم » وصوابه فى ل ، هـ والديوان .

قال أبو الحسَن المدائنى : كان عُبيد الله بن الحسن حيثُ وَفَدَ على المهدىّ معزِّياً ومهنّئاً (١) ، أعدّ له كلاماً ، فبلغه أنّ النّاسَ قد أعجبهم كلامُه ، فقال لشبيب بن شيبة : إنّى والله ما ألتفِت إلى هؤلاء ، ولكن سل لى أبا عبيد الله الكاتبَ عنه . فسأله فقال : ما أحْسَنَ ما تكلّم به ! عَلَى أنه أَخَذَ مواعظ الحَسَن ، ورسائل غيلان (٢) ، فلقّح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عُبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان (٣) له خطبةٌ لا يغيّرها ، وكان يقول : « إنَّ الله وملائكتُه » ، فكان يرفع الملائكة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : خَرِّجوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلّى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يُسْمَع من كلامه إلاّ ذِكرُ أمير المؤمنين الرشيد ، ووَلِىِّ عهده محمّد .

قال : وكان إسحاقُ بن شِمْرٍ (٤) يُدارُ به إذا فَرَع المنبر (٥).قال الشاعر:

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقى أبو مروان . قالوا : أول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ، ثم غيلان بعده . أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب ، وأنه آمن بنبوة الحارث الكذاب ، فأفتى الأوزاعى بقتله . وقال ابن النديم فى الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة ، ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . وانظر آراءه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن على العباسى ، ولاه المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى وأقره الرشيد ، وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفى سنة ١٧٣ فى اليوم الذى ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ وجمهرة بن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ . والخبر فى مجالس العلماء للزجاجى ٥٤ وإنباه الرواة (٢ : ٤٣) .

(٤) فيما عدا ل : « زهير بن محمد الضبى » .والشعر يقتضى ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : علاهُ .

أميرَ المؤمنينَ إليكَ نشكو وإن كُنَّا نقولُ بغير عُذرِ [١]
غَفرتَ ذنوبَنا وعفوْتَ عنَّا وليست منك أن تَعفو بنُكْرِ
فإنَّ المنبرَ البصريَّ يشكو على العِلَّاتِ إسحاقَ بنَ شِمْرِ
أضَبِّيٌّ على خَشَبَاتِ مَلْكٍ كمُرْكِب ثعلبٍ ظهرَ الهِزَبْرِ

وقال بعضُ شعراء العسكر [٢] ، يهجو رجلا من أهل العسكر :

ما زلتَ تركبُ كل شيءٍ قائمٍ حتى اجترأتَ على ركوب المِنبرِ
مازالَ منبرُكَ الذى دنَّستَه بالأمس منك كحائضٍ لم تَطهُرِ
فَلأَنظُرَنَّ إلى المنابر كُلِّها وإلى الأسِرَّة باحتقار المنظَرِ [٣] ١٧٧

وقال آخر :

فما منبرٌ دنَّسته ياابنَ أفْكَلٍ بزاكٍ ولو طهَّرتَه بابن طاهرِ [٤]

* * *

(١) فيما عدا ل : « وإن كنا نقوم » . و « إن » هنا هى النافية .

(٢) هو أبو الأسد ، يقوله فى هجاء الحسن بن رجاء . انظر الحماسة ص ١٥٠٠ بشرح المرزوقى . وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الحمانى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغانى (١٢ : ١٦٧) .

(٣) هذا البيت فى ل فقط . والأسرة : جمع سرير .

(٤) أفكل : علم من أعلامهم ، ومنه الأفكل ، اسم الأفوه الأودى . فيما عدا ل : « باست أفكل » . وفى حواشى هـ مع علامه التصحيح : « بابن أنوال » . والزاكى : الطاهر .

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشَّعبى قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظر [١] ، والصَّمت . فمن كان منطقُه فى غير ذكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظَرهُ فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كانَ صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لَها » .

وقال علىٌّ بن أبى طالب : « أفضل العبادة الصمتُ ، وانتظارُ الفرَج » .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وهو فى الحبْس : « والهفاه على طَلِيَّة [٢] بمائة ألف ، وفَرْجٍ فى جَبْهة أسد [٣] » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « استغزِروا الدُّموعَ بالتذكر [٤] » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعَثُ الأحزانَ مثلُ التذكّرِ [٥] *

حفص بن ميمون [٦] قال : سمعت عيسى بن عمر [٧] يقول : سمعنا الحسن يقول : « اقدَعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعةٌ ،واعصُوها ؛ فإنّكم إن أطعتموها

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « والمنظر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ١٦٨) .

(٢) الطلية : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدا ل ، هـ : « طلبة » بالباء ، تحريف . وورد الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٨٢) محرفا . وانظر الاستدراكات فى نهاية الجزء الرابع حيث تجد تحقيقا مسهبا .

(٣) فى عيون الأخبار : « وفرح » . وفيما عدا ل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكر » .

(٥) سيأتى البيت بتمامه فى الصفحة التالية .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصرى الثقفى النحوى ، أحد من روى عن الحسن البصرى ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيبويه ، ويزعمون أن سيبويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيبويه أنه صنف نيفا وسبعين مصنفاً فى النحو . وكان صاحب تقعير فى كلامه . توفى سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزعْ بكم إلى شرٍّ غاية . وحادِثوها بالذِّكر ، فإنَّها سريعة الدُّثور (١) » .

اقدعوا : انهَوا (٢) . طُلَعَةٌ : أى تَطَلَّع إلى كلِّ شيء . حادثوا ، أى اجلُوا واشحَذُوا . والدُّثور : الدُّروس . يقال : دثَر أثَرُ فلانٍ ، إذا ذهب ، كما يقال دَرَس وعفا .

قال: فحدَّثت بهذا الحديث أبا عمرو بنَ العلاء ، فتعجَّب من كلامه .

وقال الشاعر (٣) :

سمِعنَ بِهيَجْاَ أوجَفَتْ فذكَرْنَه ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكّرِ

الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجَف الفرسُ والبعير وأوجفته . ومثله الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلَتْ مسرعة .

ومن الأسجاع قول أيُّوب بن القِرِّيَّة (٤) ، وقد كان دُعِىَ للكلام واحتبس القولُ عليه ؛ فقال : « قد طال السَّهرَ (٥) ، وسَقط القمر ، واشتد المطر ، فما يُنتَظَر » . فأجابه فتًى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرَق ، وسقط الشَّفَق ، وكثُر اللثَق ، فلينْطِقْ من نَطَق » .

اللَّثَق : النَّدَى والوحل .

وقال أعرابىٌّ (٦) لرجلٍ : « نحنُ واللهِ آكلُ منكم للمأدوم ، وأكسب ١٧٨
منكم للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : « إنّ رِفدَك لنجيح (٧) ، وإن خَيرك لسَريح ، وإنّ مَنعك لمُريح » .

---

(١) سيأتى القول فى (٣ : ١٣٨) منسوبا إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « كفوا » .

(٣) هو ليلى الأخيلية ، من قصيدة فى الأغانى (١٠ : ٧٢) . وانظر (٣ : ١٤٨) .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٠ .

(٥) فيما عدا ل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتى : « قد طال الأرق » .

(٦) بهذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٧) الرفد : العطاء . والنجيح : السريع الوشيك . وسيأتى الخبر فى (٢ : ٢٠٠) .

سَرِيحٌ : عَجِلٌ . ومريح : أى مُرِيح من كدِّ الطلَب .

وقال عبد الملك لأعرابى : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَنِمة ، فى قُدور رَذِمةٍ ، بشفارٍ خذِمةٍ ، فى غداةٍ شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطْيَبت [١] .

وسئل أعرابىٌّ [٢] فقيل له : ما أشدُّ البَرد ؟ فقال : « ريحٌ جِرْبِياء [٣] ، فى ظِلِّ عَمَاء [٤] ، فى غِبِّ سماء [٥] » .

ودعا أعرابىٌّ فقال : « اللهم إنِّى أسألك البقاء والنَّماء ، وطيبَ الإتاء ، وحَطَّ الأعداءِ ، ورفعَ الأولياء » . الإتاء : الرِّزق .

قال : وقال إبراهيم النَّخَعى [٦] لمنصور بن المعتمر [٧] : « سَلْ مسألةَ الحَمْقى ، واحفظ حفظَ الكَيْسَى [٨] » .

ووصفت عَمَّة حاجزٍ اللِّصِّ [٩] حاجزاً ، ففضَّلته وقالت : « كان حاجزٌ

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « أطبت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٥) أن المسئول هو ابنة الخس . وفى (عمى ٣٣٤) : « والعرب تقول » .

(٣) الجربياء : ريح تهب بين الجنوب والصبا ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٣٤) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهى السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) فى غب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى . روى عن إبراهيم النخعى ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٢) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس ، وإنما جمع على كيسى إجراء له مجرى ضده ، وهو أحمق وحمقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهلى مقل ، وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسبقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ٤٧ — ٥٠) .

لا يشبَع ليلةَ يُضَاف ، ولا ينام ليلة يَخاف » .

ووصف بعضُهم فرساً فقال: « أقبَلَ بزُبْرة الأسد ، وأدبَرَ بعجُز الذِّئب » .

الزُّبْرة : مَغرِز العُنق ، ويقال للشَّعَر الذى بين كتفيه . وصفَه بأنَّه محطوط الكَفَل [1] .

قال : ولمَّا اجتَمَع النّاسُ ، وقامت الخطباءُ لبيعة يزيدَ ، وأظهر قومٌ الكراهةَ قام رجلٌ مِن عذرة [2] يقال له يَزيد بن المقنَّع ، فاخترَطَ من سيفه شِبرا ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا – وأشار بيده إلى معاوية – فإن مات فهذا – وأشار بيده إلى يزيد – فمن أَبَى فهذا – وأشار بيده إلى سيفه . فقال له معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قالوا : ولمّا قامت خطباءُ نزارٍ عند معاويةَ فذهبَتْ فى الخُطَب كلَّ مذهب ، قام صَبِرَةُ بن شَيْمانَ [3] ، فقال : « ياأمير المؤمنين ، إنّا حىٌّ فَعالٍ ، ولَسنا حىَّ مقالٍ ؛ ونحن نبلُغ بفَعالنا أكثَرَ من مَقَالِ غيرنا [4] » .

قال : ولمَّا وفَدَ الأحنفُ فى وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزُّبير ، تكلَّم أبو حاضر الأُسَيْدىّ [5] وكان خطيباً جميلاً ، فقال له عبد الله بنُ الزُّبير : اسكُتْ ، فوالله لَوَدِدتُ أنَّ لى بكلِّ عشرةٍ من أهل العراق رجلاً من أهل الشام ، صَرْفَ الدِّينار ١٧٩
بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لنا ولك مثلاً ، أفتأذَنُ فى ذِكره ؟ قال : نعم . قال : مَثلنا ومَثَلك ومثلُ أهلِ الشام ، كقول الأعشى حيثُ يقول :

---

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عذرة ، فى ل ، هـ فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدى ، كان رئيس الأزد يومَ الجمل ، وكذا فى حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى فى الكامل ٥٧ ليبسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو . وأسيد ، بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم أبو حاضر ، واسمه صبرة ابن جرير » . وفى النقائض ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عُلِّقْتُها عرضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً غيرى وعُلِّق أخرى غَيْرَها الرَّجلُ

أَحَبّكَ أهلُ العراق ، وأحببتَ أهل الشام ، وأَحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك بنَ مروان .

علىّ بن مجاهد [١] ، عن حُميد بن أبى البَخْترىّ [٢] قال : ذَكَر معاويةُ لابن الزُّبير بيعةَ يزيد ، فقال ابنُ الزبير : إنّى أُناديك ولا أُناجيك ، إنّ أخاكَ مَن صَدَقك ، فانظُرْ قبل أن تَقدَّم ، وتفكَّرْ قبل أن تندَّم ؛ فإنَّ النَّظرِ قبل التقدُّم ، والتفكرَ قبلَ التندم » . فضحك معاويةُ ثم قال : تعلّمتَ أبا بكرٍ السُّجاعة [٣] عند الكِبَر ، إنَّ فى دونِ ما سجَعت به على أخيك ما يَكفيك . ثمَّ أخَذَ بيده فأجلسَهُ معه على السَّرير .

أخبرنا ثُمامة بن أشرس ، قال : لمَّا صَرفت اليَمانِية من أهل مِزَّة [٤] ، الماءَ عن أهل دِمَشق ، ووجَّهوه إلى الصحارى ، كتب إليهم أبو الهَيذام : « إلى بنى استِها أهل مِزَّة ، ليُمَسِّيَنّى الماءُ أو لَتُصبِّحنّكم الخيل » . قال : فوافاهم الماءُ قبل أن يُعْتِمُوا [٥] . فقال أبو الهَيذام : « الصِّدق يُنْبِى عنك لا الوعيد » .

وحدَّثنى ثُمامة عن من قَدِم عليه من أهل دمشق [٦] قال : لما بايع الناسُ يزيدَ بنَ الوليد ، وأتاه الخبرُ عن مروانَ بنِ محمد ببعض التلكُّؤِ والتحبّس ، كتب إليه :

---

(١) أبو مجاهد على بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلى الرازى العبدى ، القاضى ، روى عن ابن إسحاق والثورى وجماعة ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، وأحمد بن حنبل وغيرهما . وفى تهذيب التهذيب : « كأنه مات سنة بضع وثمانين » أى ومائة .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « البحترى » . انظر عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٣) هذا المصدر من السجع لم أجده فى المعاجم المتداولة ، وكأنه نظير الكهانة والعِرافة . وضبط فى هـ بفتح السين .

(٤) المزة ، بالكسر : قرية بينها وبين دمشق نصف فرسخ .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « أى يصيرون فى وقت عتمة الليل . وعتمته : ظلامه . يقال عتم الليل يعتم ، إذا أظلم . وأعتم الناس : صاروا فى وقت العتمة » .

(٦) فيما عدا ل : « الشام » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . مِن عبد الله أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ الوليد ، إلى مروانَ بن محمّد . أمّا بعد فإنى أراك تقدِّم رجْلاً وتؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمِدْ على أيِّهما (١) شئت . والسلام » .

وهاهنا مذاهبُ تدلُّ على أصالة الرَّأى ، ومذاهبُ تدلُّ على تمام النَّفْس (٢) ، وعلى الصَّلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من النّاسِ يقفُون عليها .

واستعمل عبدُ الملك بن مروان نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحرِّث خالَ مروان ، على مكّة ، فخَطَب ذاتَ يومٍ وأبانُ بن عثمانَ بحذاء المِنبر ، ١٨٠
فشتم طلحةَ والزُّبَير ، فلمّا نَزَل قال لأبان : أرْضَيْتُك من المُدْهِنَيِن فى أمير المؤمنين (٣) ؟ قال : لا والله ولكنْ سُؤْتَنى ، حَسْبى أن يكونا شرِكَا فى أمره .

فما أدرى أيُّهما أحسنُ كلاماً : أبان بن عثمانَ هذا ، أمْ إسحاق بن عيسى ، فإنّه قال : « أعِيذ عليًّا أن يكون قَتل عثمان ، وأعيذُ عثمان بالله أن يقتلَه علىٌّ ». فمدح عليًّا بكلام سديدٍ غير نافر ، ومقبولٍ غير وحشىّ ، وذهب إلى معنى الحديث فى قول رسول الله ﷺ : « أشدُّ أهلِ النّار عذاباً مَن قتَل نبيًّا أو قتله نبىّ » . يقول : لا يتّفق أن يقتلَه نبىٌّ بنفسه إلّا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤهم على معصية . وقال هذا : لا يجوز أن يقتله علىٌّ إلّا وهو مستحقٌّ للقتل .

خطبة من خطب رسول الله ﷺ

قال : خطَبَ رسول الله ﷺ بعشْر كلمات : حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها الناس ، إنّ لكم معالِمَ فانتهُوا إلى مَعَالمكُمْ ، وإنّ لكم نهايةً فانتهوا

---

(١) إذا أضيفت « أى » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها . هـ : « أيتهما » .

(٢) ل : « وتدل على تمام النفس » .

(٣) عنى بالمدهنَين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إنّ المؤمنَ بين مخافتين : بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدرى ما الله صانعٌ به ، وبين أجلٍ قد بَقِىَ لا يدرى ما اللهُ قاضٍ فيه . فليأخُذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لآخرته ، ومن الشَّبيبةِ قبل الكَبْرَة [١] ، ومن الحياة قبل الموت [٢] ، فوالذى نَفسُ محمَّدٍ بيده ، ما بَعْدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعد الدُّنيا من دارٍ إلاَّ الجنَّة أو النار » .

* * *

أبو الحسن المَدائنىّ قال : تكلّم عمَّار بن ياسر يوما فأَوْجَزَ ، فقيل له : لو زِدْتَنا . فقال : أمَرَنا رسول الله ﷺ بإطالة الصَّلاة وقَصْرِ الخُطَب [٣] .

محمد بن إسحاق [٤] ، عن يعقوب بن عُتبة [٥] ، عن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيق [٦] ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما أُتِىَ بسَيف النُّعمانِ بن المنذر ، دعا جُبير بن مُطعِم [٧] فسلَّحه إياه ، ثم قال : ياجُبير ، ممَّن كان النعمان ؟ قال : من أشلاءِ قَنَص بن مَعدّ [٨] . وكان جُبيرٌ أنسَبَ العرب ، وكان أخَذَ النَّسبَ عن أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله وعن جُبَير أخذ سعيد بن المسيِّب [٩]

---

(١) الكبرة ، بالفتح : الكِبَر . ل فقط : « الكبر » .

(٢) ل : « قبل المممات » .

(٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المدنى المطلبى ، صاحب السيرة والمغازى ، وأحد الرواة عن يعقوب بن عتبة . توفى سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٦٤) وابن النديم ١٣٦ .

(٥) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى المدنى ، روى عن عمر بن عبد العزيز ، وأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وروى عنه محمد بن إسحاق ، وكان له علم بالسيرة . توفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٦) بنو زريق : بطن من الخزرج ، منهم أبو جبيلة : الملك الغسانى . الاشتقاق ٢٧٢ .

(٧) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى ، صحابى جليل عارف بالنسب . توفى سنة ٧٥ . الإصابة ١٠٨٧ .

(٨) أورد الخبر فى اللسان (شلل) ، وقال : « أراد أنه من بقايا أولاده » .

(٩) سبقت ترجمته فى ٢٠٢ وفى القاموس (سيب) : « وكمحدث : والد سعيد ، ويفتح » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة (١) قال : قلت لسعيد بن ١٨١
المسيَّب : علِّمني النَّسب . قال : أنت رجلٌ تريد أن تُسَابَّ الناس .

قال : وثلاثةٌ فى نَسقٍ واحدٍ كانوا أصحابَ نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخطَّاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعتُ ذلك من الخَطَّاب ، ولم أسمَعْ ذلك من الخطَّاب ، والخطابُ بنُ نُفَيل ، ونُفَيلُ بنُ عبد العُزّى ، تنافَرَ إليه عبدُ المطلب وحَرب بن أُميَّة ؛ فنَفَّر عبد المطلب ، أى حكم لعبد المطلب. والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنُّسَّاب أربعة : دَغْفَل بن حنظلَة (٢) ، وعُمَيرةُ أبو ضَمْضَم (٣) ، وصُبْح الحَنفِى (٤) وابن الكيِّس النَّمرى (٥) .

قال الأصمعىّ : دَغفل بن حنظلة ، والنَّسَّابة البكرى (٦) ، وكان نصرانيًّا . ولم يُسَمِّه .

ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كتابَ الله إماماً ، وارضَوْا به حَكَماً ، واجعلوه قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخْه كتابٌ بعدَهُ » .

---

(١) فيما عدا ل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله التيمى . روى عن عميه إسحاق وموسى ابنى طلحة ، والزهرى ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى الذهلى النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق فى يوم دولاب فى قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى (٢ : ٢٧٣) والمعارف ٢٣٢ ، والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٧) .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « عميرة أبو ضمضام » ، وفى المعارف ٢٣٢ : « عمر بن ضمضم » .

(٤) فى الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبح الطائى » . وفى المعارف ٢٣٢ وابن النديم ١٢٣ : « صالح الحنفى » .

(٥) هو زيد بن الكيس النمرى ، كما فى الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكر فى الفهرست ١٣١ ، المعارف ٢٣٣ . وذكر أن رؤبة العجاج روى عنه أنه قال : « إن للعلم آفة وهجنة ونكدا » . انظر أيضاً ما سبق فى ٢٧٣ ص ١٢ . هـ : « والنساب البكرى » .

قال : وكان أولَ كلام بارع سمعوه منه : « الكلامُ فيما يَعنيك خيرٌ من السكوت عما يضرُّك ، والسُّكوتُ عمَّا لا يَعنِيك خيرٌ من الكلام فيما يضرُّك ».

خَلّاد بن يزيدَ الأرقط (١) قال : سمعت من يخبرنا عن الشَّعبى قال : ما سمعتُ متكلماً على منبرٍ قَطُّ تكلَّم فأحسَنَ إلاَّ تمنّيت أن يسكُت خوفاً منْ أن يُسيء ، إلّا زيَاداً ؛ فإنّه كان كُلَّما أكثرَ كان أجودَ كلاماً .

وكان نَوفل بن مُساحِق (٢) ، إذا دخل على امرأته صمَت ، وإذا خرج من عندها تكلَّم ، فرأتْهُ يوماً كذلك فقالت : أمَّا عِندى فتُطْرِق ، وأمَّا عِند الناس فتَنطِق . قال : لأنى أدِقُّ عن جليلكِ ، وتَجلّين عن دَقيقى .

قال أبو الحسن : قاد عَيّاشُ بنُ الزِّبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسةً وعشرين فرساً ، فلمَّا جلَسَ لينظُر إليها نسبَ كُلَّ فرسٍ منها إلى جميع آبائه وأمَّهاته ، وحلف على كلِّ فرسٍ بيمين غيرِ اليَمِين التى حلف بها على الفرس الآخَر ، فقال عبدُ الملك بن مروان : عَجَبى من اختلاف أيمانه أشدُّ مِن عجبى من معرفته بأنساب الخيل .

١٨٢ وقال : كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القَمر ، والزِّبرقان ، والحصين . وكانت له ثلاثُ كُنًى : أبو شَذْرة ، وأبو عَيَّاش ، وأبو العبَّاس . وكان عيَّاشٌ ابنُه خطيباً مارداً، شديد العارضة شديد الشكيمة، وجيهاً ؛ وله يقول جرير :

أعَيّاشُ قد ذاقَ القُيُونُ مرارتى   وأوقدتُ نارى فادْنُ دونَكَ فاصْطَلِ

فقال عيّاش : إنى إذًا لَمَقْرُور . قالوا : فغلّب عليه .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ . وسيأتى الخبر فى (٢ : ٤٠) بلفظ آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخرمة بن عبد العزى القرشى العامرى المدنى ، القاضى ، ولى قضاء المدينة . توفى سنة ٧٤ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ فى ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التّدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماءَ أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماءَ أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعَل لكلّ قبيلة منهم خطباءَ ، ونقسِّمَ أمورَهم باباً باباً على حِدَته ، ونقدِّم مَنْ قدّمه الله ورسوله عليه السلام فى النّسب ، وفضَّله فى الحسب . ولكنّى لَمَّا عجزتِ عن نظمه وتنضيده ، تكلَّفتُ ذِكرهم فى الجملة . والله المستعانُ ، وبه التوفيق ، ولا حولَ ولا قوّة إلا به (١) .

كان الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ مَن أخطب الناس ، وكان متكلِّما قاصًّا مُجيدا ، وكان يجلس إليه عَمرو بن عُبيد ،وهِشام بن حسَّان ، وأبان بن أبى عَيّاش (٢) وكثيرٌ من الفقهاء . وهو رئيس الفَضْلِيَّة (٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنته سوادةَ بنتَ الفَضْل ، سليمانُ بنُ طَرْخانَ التيمىّ (٤) ، فزوَّجه

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى البصرى . وهذه الطائفة غير طائفة الفضلية فى الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) فى القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم للرئيس الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمى البصرى ، ولم يكن من بنى تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبى هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل فى المساجد . توفى بالبصرة سنة ١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه فى المعارف ٢٠٩ : « سليمان بن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمِرَ بن سُليمان (١) . وكان سليمانُ مبايناً للفَضْل فى المقالة ، فلما ماتت سَوادةُ شهِد الجنازَةَ المعتمر وأبوه ، فقدَّما الفضل .

وكان الفَضْلُ لا يركب إلّا الحمير ، فقال له عيسى بنُ حاضر (٢) : إنّك لتُؤْثِر الحميرَ على جميع المركوب ، فلِمَ ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أىٍّ شىء ؟ قال : لا تَستبِدلُ بالمكان على قدر اختلاف
١٨٣ الزمان ، ثم هى أقلُّها داءً وأيسرُها دواء ، وأسلَمُ صريعاً ، وأكثر تصريفاً ، وأسهَل مرتقًى وأخفضُ مهوًى ، وأقلُّ جِماحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقلُّ نظيراً ، يزهى راكبُه وقد تواضَعَ بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرَفَ فى ثمنه .

قال : ونظر يوما إلى حمارٍ فارهٍ تحت سَلْم بن قتيبة ، فقال (٣) : « قِعدةُ نَبىّ وبِذْلة جَبَّار » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهبَ إلى حمار عُزير ، وإلى حمار المسيح (٤) ، وإلى حمار بلعم (٥) . وكان يقول : لو أراد أبو سَيَّارة عُميلة بن أَعْزَلَ (٦) ، أن

---

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبى هند ، وعنه الثورى وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ – ٢٤٦) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . وقد ورد الخبر فى عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشى » .

(٣) فى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشى إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم ، وعزير وبلعم » . فيما عدا ل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .

(٥) فى هـ رواية عن نسخة : « بلعوم » .

(٦) فى ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة واليعملة الناقة الصابرة » وفى السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفَع بالموسم على فرسٍ عربىّ ، أو جَمل مُهْرِيّ لفعل ؛ ولكنّه ركِب عَيراً أربعين عاماً ؛ لأنّه كان يتألّه (١) . وقد ضرِب به المثلُ فقالوا : « أصحُّ من عَيرِ أبى سيّارة » .

والفضلُ هو الذى يقول فى قصصه : « سَلِ الأرض فقل : مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرس أشجارَك ، وجنَى ثمارَك ؛ فإنْ لم تُجبْك حِوَاراً ، أجابتك اعتبارا (٢) » .

وكان عبدُ الصمد بنُ الفَضْل أغزَرَ من أبيه وأعجَبَ وأبيَنَ وأخطب .

وقال : وحدّثنى أبو جعفرٍ الصُّوفىُّ القاصُّ قال : تكلّم عبدُ الصمد فى خَلْق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثةَ مجالسَ تامّة .

قال : وكان يزيدُ بن أبان ، عمُّ الفضل بن عيسى بن أبان الرَّقاشى ، من أصحاب أُنسٍ (٣) والحسن ، وكان يتكلّم فى مجلسِ الحسَن ، وكان زاهداً عابداً ، وعالماً فاضلا ، وكان خطيباً ، وكان قاصّا مُجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباءَ الأكاسرة فلما سُبُوا ووُلِد لهم الأوْلادُ فى بلاد الإسلام وفى جزيرة العرب ، نَزَعهم ذلك العِرْق ، فقاموا فى أهل هذه اللغة كمَقَامهم فى أهل تلك اللُّغة ، وفيهم شِعر وخُطَب ، وما زالوا كذلك حَتّى أصهرَ إليهمُ الغُرَباء فَفسد ذلكَ العِرْقُ ودخله الخَوَرُ .

ومن خطباء إيادٍ قسُّ بن ساعدة ، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ : « رأيته بسوق عُكَاظ على جمل أحْمر وهو يقول : أيُّها الناس اجتمِعُوا

---

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول فى ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى المدنى ، خادم رسول الله ، شهد معه الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

واسمَعوا (١) وعُوا . مَن عاش مات ، ومَن ماتَ فَاتَ ، وكلٌّ ما هو آتٍ آت » .

وهو القائل فى هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت (٢) ، ضوءٌ وظلام ، وبِرٌ وأثَام (٣) ، ولباسٌ ومَركَب ، ومطعمٌ
١٨٤ ومشرب ، ونجوم تمور (٤) ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومِهادٌ موضوع ، وليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى النّاسَ يموتون ولا يرجعون ، أرَضُوا فأقاموا ، أم حُبِسُوا فناموا » .

وهو القائل : « يا معشَرَ إياد ، أينَ ثمودُ وعاد ، وأين الآباء والأجداد . أين المعروفُ الذى لم يُشكَر ، والظُّلم الذى لم ينكر . أقسَمَ قُسٌّ قسماً بالله ، إنَّ لله لَدِيناً هو أرضى له من دينكم هذا » .

وأنشدوا له :

فى الذّاهبين الأوَّليـ ـنَ مِنَ القرونِ لنا بصائرْ
لما رأيتُ مواردًا للموت ليس لها مَصادِرْ
ورأيتُ قومى نحوَها يَمضى الأصاغر والأكابرْ (٥)
لا يرجع الماضى ولا يَبقَى من الباقين غابرْ
أيقَنتُ أنّى لا محا لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

* * *

ومن الخطباء زيدُ بن علىٍّ بن الحسين . وكان خالدُ بن عبد الله (٦) أقَرَّ عَلَى

---

(١) فيما عدا ل : « فاسمعوا » .

(٢) ما بعده هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدا ل ، هـ .

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب وتجىء » . ل : « تغور » ، وأثبت ما فى اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدا ل : « تمضى الأكابر والأصاغر » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق من قبَل هشام بن عبد الملك الأموى ، قتل فى أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبرى (٩ : ١٧) والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان (١: ١٦٩ — ١٧) .

زيد بن علىّ ، وداودَ بن علىّ (١) ، وأيُّوب بن سلمة المخزومى ، وعَلَى محمد بن عمر بن علىٍّ (٢) ، وعَلَى سعدِ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (٣) ، فسأل هشامٌ زيداً عن ذلك فقال : أحلِفُ لك . قال : وإذا حلفتَ أصدِّقك ؟ قال زيد : اتّق الله . قال : أوَمثلك يا زيد يأمُر بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصَى بتقوى الله ، ولا دونَ أن يُوصِيَ بتقوى الله (٤) . قال هشام : بلَغنى أنّك تُريد الخِلافة ، و لا تصلُح لها ؛ لأنّك ابنُ أمَة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم ﷺ ابنَ أمةٍ ، وإسحاقُ عليه السلام ابنَ حُرّة ، فأخرَجَ الله من صُلب إسماعيل خيرَ ولِد آدم محمداً ﷺ . فعندها قال له : قم . قال : إذَنْ لا ترانى إلاّ حيثُ تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أَحَبَّ أحدٌ الحياةَ قطُّ إلاّ ذَلّ » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعَنَّ هذا الكلامَ منك أحد .

١٨٥ وقال محمد بن عُمير (٥) : إنّ زيداً لمّا رأى الأرض قد طُبِّقت (٦) جَوْراً ، ورأى قِلّة الأعوان وتَخاذُل الناس (٧) ، كانت الشّهادةُ أحبَّ المِيتات إليه (٨) وكان زيدٌ كثيراً ما يُنشِد :

---

(١) هو داود بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى . وهو زوج أم موسى بنت على بن الحسين . توفى وهو والٍ على المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « وعلى بن محمد بن عمر بن على » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن على بن أبى طالب الهاشمى ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه على بن الحسين بن على ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بنى العباس . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وعلى بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « على » . وسعد هذا ، كان قاضيا من قضاة المدينة زمن هشام . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتى فى ص ٣٢٥ .

(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غاليا من مشايخ الشيعة .

(٦) طبقت ، أى ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « ورأى تخاذل الناس » .

(٨) فيما عدا ل ، هـ : « جمع منية ، وهى الموت » .

شَرَّده الخوفُ وأزرَى به كذاك مَن يَكرَه حَرَّ الجِلادْ [١]

مُنْخَرِق الخُفَّينِ يشكو الوَجَى تَنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ [٢]

قد كان فى الموت له راحةٌ والموتُ حَتمٌ فى رقابِ العبادْ

قال : وكان كثيراً ما يُنشِد شِعر العبسىّ فى ذلك [٣] :

إنّ المحكَّم ما لم يرتقب حَسباً أو يَرهب السَّيف أوحدَّ القنا جَنَفا [٤]

مَن عَاذَ بالسيف لاقى فُرصةً عَجباً موتا على عَجَلٍ أو عاش منتصفا [٥]

ولما بعث يوسف بن عمر [٦] برأس زيد [٧] ، ونصر بن خزيمة [٨] ، مع

---

(١) الأبيات فى زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » . وقد سرد فى زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . ل فقط : « فأزرى به » .

(٢) الوجى : الحفا . تنكبه : تصيبه وتناله . والأبيات فى الطبرى (٨ : ٤١) .

(٣) فى ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٨٧) .

(٤) فى الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٥) فى الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفى بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرضه » . والقرض ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاه العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .

(٧) زيد هذا ، هو زيد بن على بن الحسين بن على ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وصلبه بالكناسة — موضع بالكوفة — عريانا . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ويروى الجاحظ أن رأس زيد رئيت فى دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطىء شعره ونقره فى لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليبسك .

(٨) ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن على بن الحسين بن على ، وصلب معه .

شَبّة بن عِقَالٍ ، وكلَّفَ آل أبى طالبٍ أن يبرءُوا من زيدٍ ، ويقومَ خطباؤهم بذلك . فأوَّلُ مَن قامَ عبدُ الله بن الحسن ، فأوجَزَ فى كلامه ثم جلس ، ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأطنب فى كلامه ، وكان شاعراً بيّنا ، وخطيباً لَسِناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطَّيّار (١) أخطبُ الناس ! فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك ، فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامَ سُرور . فأعجَبَ الناسَ ذلك منه .

ومن أهل الدَّهاء والنَّكْراء (٢) ، ومن أهل اللَّسَن واللَّقَن ، والجوابِ العجيب ، والكلام الفصيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : هندُ بنتُ الخُسّ (٣) ، وهى الزرقاء ، وجُمعَةُ بنتُ حابس (٤) . ويقال إن حابساً من إياد .

وقال عامر بن عبد الله الفزارىّ: جُمعَ بين هند وجُمعة ، فقيل لجُمعة : أىُّ الرِّجال أحبُّ إليك ؟ فقالت : « الشَّنِق الكَتَد (٥) ، الظاهر الجَلَد ، الشديدُ الجذْب بالمسَدِ » .وقيل لهند : أىُّ الرِّجال أحب إليك ؟ قالت : « القريب الأمَد ، الواسع البلَد (٦) ، الذى يُوفَد إليه ولا يَفِد » .

---

(١) الطيار ، لقب جده جعفر وهو جعفر بن أبى طالب : كان قد حمل لواء المسلمين فى يوم مؤتة بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيدا ، فيقولون إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة . انظر الإصابة ١١٦٢ .

(٢) النكراء : الدهاء والفطنة .

(٣) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط الإيادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى فى أمالى القالى (١ : ٢/١٩٩ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٥٧ : ١٠٧ ، ١١٩) والمزهر (٢ : ٥٤٠ — ٥٤٥) وكانت ترد سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) .

(٤) يقال لها أيضا « خمعة » بالخاء . وفى بلاغات النساء لطيفور ص ٥٨ أنها أخت هند ، وأن القلمس الكنانى سألها فى سوق عكاظ .

(٥) الشنق : الطويل . والكتد ، بالتحريك وككتف : أعلى الكتف . فيما عدا ل : « الشبق الكتد » تحريف .

(٦) البلد : الدار ، يمانية .

١٨٦ وقد سئلت هند عن حَرّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل بُؤْسا كأذى [١] » .وقد ضُرِب بها المثل . فمن ذلك قول ليلى بنتِ النَّضْر الشاعرة [٢] :

وكنزُ بنُ جُدْعانٍ دَلالةُ أُمِّه   وكانت كبِنْت الخُسِّ أو هي أكبرُ

وقال ابنُ الأعرابيّ : يقال بنت الخُسّ ، وبنت الخُصّ ، وبنت الخُسْف [٣] وهي الزَّرقاء . وقال يونس : لا يقال إلّا بنت الأَخَسّ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساءِ العرب هند الزرقاءُ ، وعنزٌ الزرقاء ، وهي زرقاءُ اليمامة .

* * *

وقال البَقْطَرِيّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول في المِراء ؟ قال : ما عسى أن أقولَ في شيءٍ يُفسد الصداقة القديمة ، ويُحل [٣] العقدةَ الوثيقة ، فإنَّ أقلَّ ما فيه [٤] أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتَن أسباب الفتنة . إنّ رسول الله ﷺ لما أتاه السَّائب بن صيفيّ فقال : أتعرفني يا رسول الله ؟ قال : « كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يُشارِيني ولا يماريني » . قال : فتحوَّلْتُ إلى زيد بن علي فقلت له : الصمت خيرٌ أم الكلام ؟ قال : أخْزَى الله المساكَتة ، فما أفسدها للبيان ، وأجلَبَها للحصَر . والله لَلمُماراةُ أسرَعُ في هدم العِيّ من النَّار في يَبِيس العرفج ، ومنَ السَّيل في الحَدُور .

وقد عَرَف زيدٌ أن المماراة مذمومة ، ولكنه قال : المماراةُ على مافيها أقلُّ ضرراً من المساكَتة التي تورث البُلْدَةَ [٥] ، وتحلُّ العُقدة ، وتُفسِد المُنّة ، وتورث

---

(١) الخبر برواية أخرى في الحيوان (٥ : ١٠٥) .

(٢) وبنت الخسف ، من ل ، هـ فقط .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « ويختل » ، تحريف .

(٤) التيمورية : « وإن كان فإن أقل مافيه » . ب ، ج ، هـ : « وإن كان لأقل مافيه » .

(٥) في اللسان : « والبلدة والبلدة — أي بالضم والفتح — والبلادة : ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور » .

عللاً ، وتُولّد أدواءً أيسرُها العِيّ . فإلى هذا المعنى ذهَب زيد .

* * *

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومي من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم بن أبي حاضر ، وقد تكلّم عند الخلفاء .

ومن خطباء بني أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن أهل اللسن منهم والبيان : الحجّاج بن عمر بن يزيد [١] .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية [٢] . قال : وقيل لسعيد بن المسيَّب : مَن أبلغ النَّاس ؟ قال : رسول الله ﷺ . فقيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيدٌ وابنه [٣] ، وما كان ابنُ الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طَلَاوة .

فمن العجب أنّ ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ١٨٧
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلّا ما لا بال له .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الحجاج بن عمير بن زيد » .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي كان ممن ندبه عثمان لكتابة القرآن ، ولي الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولي المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفي كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاها عنه ولده عمرو الأشدق . توفي في قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذى مضى ذكره فى ص ١٢١ .وكان يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لَقْوة أو شتَر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابي قديم . ولي الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك بن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده . فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ . تهذيب التهذيب وتاريخ الطبري (٧ : ١٧٨ – ١٨١) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيدٌ جواداً ، ولم ينزع قميصَه قطُّ ، وكان أسودَ نحيفاً ، وكان يقال له « عُكّة العَسلَ [١] » . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلّةُ لحمِهِ   تخدَّدَ عنهُ اللحمُ فهو صليبُ [٢]

وكان أوّل مَن خَشَّ الإبلَ فى نفس عَظْم الأنف . وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلنَا قد ذهب الوليدُ   وجاءنا مجَوِّعاً سعيــدُ

ينقُص مِ الصّاع ولا يَزيد [٣]

قال : الأمراء تتحبّب إلى الرعية بزيادة المكاييل [٤] ، ولو كان المذهبُ فى الزِّيادة فى الأوزان كالمذهب فى زيادة المكاييل ما قصَّروا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادةَ فى المكاييل . ولذلك اختلفَتْ أسماءُ المكاييل ، كالزِّيادى والفالج [٥] ، والخالدى . حتّى صِرنا إلى هذا المُلْجَم [٦] اليوم .

ثمَّ من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق [٧] ، يقال إن ذلك إنما قيل لتشادُقه فى الكلام . وقال آخرون : بل كان أفقمَ مائل الذّقَن ، ولذلك قال عبيدُ الله بن زيادٍ حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يَدَكَ عنّى يالطيمَ الشيطان ، ويا عاصىَ الرحمن [٨] . وقال الشّاعر :

وعمروٌ لطيم الجنّ وابنُ محمّدٍ   بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسانِ [٩]

---

(١) العكة ، بالضم : زق صغير .

(٢) ديوان الحطيئة ٤٢ وسيأتى فى (٣ : ١١٦) . تخدد اللحم : هزل ونقص .

(٣) فيما عدا ل : « ينقص فى الصاع » .

(٤) ل : « الكيل » .

(٥) فى اللسان (٣ : ١٧٢) : والفالج والفلج — بالكسر — مكيال ضخم معروف وقيل هو القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرب . ومثله فى المعرب للجواليقى ٢٤٩ .

(٦) ل : « الملحم » ، تحريف . وانظر الطبرى (١٠ : ٢٦٦) وكتاب بغداد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته فى الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبر فى الحيوان (٦ : ١٧٨) .

(٩) ل : « فيا سوء » تحريف .

ذُكر ذلك عن عَوانة (١) . وهذا خلاف قول الشاعر :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقهُ   وكلُّ خطيبٍ لا أباَلَكَ أشدقُ (٢)

وقال : وقد كان معاوية قد دَعا بِهِ فى غِلَمةٍ من قريش ، فلما استنطَقَه قال : « إنّ أوَّلَ كلِّ مركبٍ صعب ، وإنّ مع اليوم غداً » . وقال له : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبى أوصَى إلىَّ ولم يوصِ بى (٣) . قال : وبأىِّ شىءٍ أوصاك ؟ قال : بألّا يفقدَ إخوانُه منه إلاّ شَخصَه . قال : فقال معاوية عند ذلك : إنَّ ابن سعيدٍ هذا لَأَشدق . فهذا يدلُّ عندهم على أنّه إنما سمّى ١٨٨ بالأشدق لمكان التّشادُق .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيدُ بنُ عمرِو بن سعيدٍ ، وكان ناسباً خطيباً ، وأعظمَ الناس كِبرا . وقيل له عند الموت : إنّ المريض ليستريح إلى الأنين ، وإلى أن يصِفَ ما به إلى الطبيب . فقال :

أجاليدُ مِن رَيب المَنُون فلا تَرى   على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ (٤)

ودخَلَ على عبد الملك مع خطباءِ قريش وأشرافهم ، فتكلّموا من قيام ، وتكلمَ وهو جالس ، فتبسَّم عبد الملك وقال : لقد رجوتُ عثرَتَه ، ولقد أُحْسَنَ حتّى خِفتُ عثْرَتَه .

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيبٌ ابنُ خطيبٍ ابنِ خطيب .

---

(١) عوانة بفتح العين ، وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، الكلبى الكوفى الأخبارى النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المدائنى فى النقل عنه ، وكان عثمانيا يضع الأخبار لبنى أمية . توفى سنة ١٥٨ . لسان الميزان (٤ : ٣٨٦) وابن النديم ١٣٤ ونكت الهميان ٢٢٢ .

(٢) أنشد هذا البيت فى ص ١٢١ .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوى النفس والجسد .

ومن الخطباء : سُهيل بن عمرو الأعلمَ (١) أحد بنى حِسْل بن مَعِيصَ (٢) وكان يُكنَى أبا يزيد ، وكان عظيم القَدْر ، شريف النَّفس ، صحيحَ الإسلام . وكان عُمر قال للنبى ﷺ : يارسول الله ، انزِعْ ثنيّتَيه السُّفْلَيين حتى يدلَعَ لسانُه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أُمثِّل فيمثِّل الله بى وإنْ كنتُ نبياً . دعْهُ ياعمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمدُه » . فلمَّا هاج أهلُ مكّة عند الذى بلغهم مِن وفاة رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال : « أيُّها الناس ، إنْ يكن محمّدٌ قد مات فالله حىٌّ لم يمت . وقد علمتم أنّى أكثرُكمْ قَتَباً فى برٍّ ، وجاريةً فى بحر (٣) ، فأقِرُّوا أميرَكم وأنا ضامنٌ إن لم يَتِمَّ الأمْرُ أن أردَّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خَرجَ آذِنُ عمر ، وهو بالباب وعُيَينة بن حِصن (٤) ، والأقرع بن حابس ، وفلانٌ وفلان ، فقال الآذِن : أين بلال ، أين صُهيب ، أين سَلْمان ، أين عَمَّار ؟ فتمعَّرت وجوهُ القوم ، فقال سهيل : لِمَ تتمعَّرُ وجوهُكم ؟! دُعُوا ودُعينا فأسْرَعُوا وأبطأْنا ، ولَئِن حسدتموهم على باب عمر ، لَمَا أعدَّ الله لهم فى الجنة أكثر .

ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزّبير : قالوا : وكان خالد بن صفوانَ يشبَّه به .وما علمتُ أنّه كان فى الخطباء أحدٌ كان أجودَ خُطَبًا من خالد بن صفوان

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما فى الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشروم الأنف .

(٢) كذا . والمعروف أن حسلا ومعيصا أخوان أبوهما عامر بن لؤى . انظر المعارف ٣٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رحل صغير على قدر السنام . عنى كثرة إبله وسفنه فى التجارة .

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه . شهد حنينا والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ . ما عدا هـ : « وبالباب عيينة بن حصن » .

وشبيب بن شيبة ، للذى يحفظه الناس ويدورُ على ألسنتهم مِن كلامهما . وما أعلم أنّ أحداً ولّد لهما حرفاً واحداً . ١٨٩

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر : الخنتَف بن يزيد (١) بن جَعْوَنَة . وهو الذى تعرَّضَ له دَغْفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر (٢) بالبصرة ، فقال له : متى عهدُكَ بسَجَاح أمِّ صادر (٣) ؟ فقال : « مالى بها عهدٌ منذُ أَضَلَّت أمَّ حِلْسٍ » ، وهى بعض أمّهات دَغْفل . فقال له : نَشَدْتُك بالله ، أنحن كُنّا لكم أكثَرَ غزْواً فى الجاهلية أم أنتُم لنا ؟ قال : بل أنتم (٤) فلم تُفلحوا ولم تُنجحوا ، غزانا فارسُكم وسيّدُكم وابنُ سيِّدكم ، فهزمْناه مَرَّةً وأسرناه مرّة ، وأخذْنا فى فدائه خِدرَ أمه . وغزَانا أكثرُكُمْ غزواً ، وأنبهُكم فى ذلك ذكرا ، فأعرَجْناه ثم أرْجَلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لَمَّا كففتُما .

وكان عبد الله بن عامر ، ومُصعَب بن الزُّبير ، يُحِبَّان أن يَعرِفا حالات الناس ، فكانا يُغْرِيان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرَم أنّهما كانا إذا سبَّا أوجعا .

وكان أبو بكر رحمه الله أنسَبَ هذه الأمّة ، ثم عمر ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المُسَيَّب ، ثمَّ محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمدٌ هذا هو الذى نفَى آل عَنْكثة المخزوميِّين (٥) فرُفع ذلك إلى والى المدينة فجلده الحَدَّ . وكان ينشد :

---

(١) فيما عدا ل : « بن ريد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعا جوادا ميمونا ، ولاه عثمان البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهشيارى ١٤٨ .

(٣) هى سجاح بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، وتزوجها مسيلمة المتنبىء ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبتهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهبيرة بن أبى وهب .

ويَرْبوع بن عَنككَةَ ابن أَرضٍ وأَعتقَهُ هُبَيرةُ بعد حينٍ (١)

يعنى هُبيرةَ بن أَبى وهبٍ المخزوميّ (٢)

ومن النّسابين العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرَّأى والدَّهاء ، وكان ذا منزلةٍ من الحجَّاج بن يوسفَ . وعمرُ بن عبد الرحمن خامسُ خمسةٍ فى الشَّرف . وكان هو الساعىَ بين الأَسْدِ (٣) وتميمٍ فى الصُّلح .

ومن بنى حُرقوص : شُعبة بن القَلْعَم ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ، وكان وَصَّافاً فصيحاً ، وبنوه عبد الله ، وعُمر ، وخالد كلُّهم كانوا فى هذه الصِّفة ، غير أنّ خالداً كان قد جمع مع اللَّسن والعلم ، الحلاوةَ والظَّرف (٤) . وكان الحجَّاجُ بن يوسف لا يَصبِر عنه .

ومن بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم (٥) ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسباً
١٩٠ راوية شاعرا ، وكان أحْلَى النَّاس لسانا ، وأحسنَهم منطقا ، وأكثرَهم تصرُّفا . وهو الذى يقول له رؤبة :

لقد خشيتُ أن تكون ساحرَا راوية مَراً ومراً شاعرَا (٦)

ومنهم مُعَلَّل بن خالد ، أحد بنى أنمار بن الهُجَيم ، وكان نسَّابة علّامة ،

---

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقاييس (١ : ٨١) .

(٢) فى الاشتقاق ٩٥ : « ومن فرسانهم هبيرة بن أبى وهب ، وكان زوج أم هانئ بنت أبى طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك » .

(٣) هـ : « الأزد » ، وهما لغتان .

(٤) فيما عدا ل : « مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف » .

(٥) أسيد هنا : تصغير أسود فى لغة بنى تميم ، وسائر العرب يقولون فى تصغيره : أسيود . انظر الاشتقاق ١٢٧ .

(٦) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

راويةً صَدُوقا مقلَّدا (١) . وذُكِر للمنتجِع بن نَبْهانَ فقال : كان لا يُجارَى ولا يمارَى .

ومنهم من بنى العَنْبر ، ثم من بنى عمرو بن جُندب : أبو الخنساء عبّاد بن كُسَيب (٢) ، وكان شاعراً علّامة ، وراويةً نسَّابة ، وكانت له حُرْمَةٌ بأبى جعفرٍ المنصور .

ومنهم : عمرو بن خَوْلة ، كان ناسباً خطيبا ، وراوية فصيحا ، من ولد سَعيد بن العاصى . والذى أتى سعيد بن المسيَّب ليعلِّمه النّسب هو إسحاق ابن يحيى بن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالما ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومىُّ والى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعبُ بن ثابت بن عبد الله (٣) ناسبا عالما ، ومن ولده الزُّبيرى (٤) عامل الرَّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن حفص (٥) ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجرى مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعىِّ بن مازن (٦) : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاءِ بن عمَّار بن العُريان . فأمَّا أبو عمروٍ فكان أَعْلَمَ الناس بأمور العرب ، مع صِحَّة سماعٍ وصِدق

---

(١) المقلد ، أصله فى الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الخنساء عباد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو والد الزبيرى التالى . وفى الأصول : « مصعب بن عبد الله بن ثابت » . وهذا لا يستقيم مع الكلام التالى ، وانظر لمصعب بن ثابت جمهرة ابن حزم ١٢٢ والأغانى (٢٠ : ١٨٠) .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما فى تاريخ الطبرى (١٠ : ١١٢) . وتاريخ بغداد (١٠ : ١٧٣) . وكانت وفاته سنة ١٨٤ .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . انظر الاشتقاق ١٢٤ — ١٢٥ . فيما عدا ل « خزاعة » تحريف .

لسان . حدَّثنى الأصمعىُّ قال : جلستَ إلى أبى عمرٍو عشرَ حِجَجٍ ما سمعتُه يحتجُّ ببيتٍ إسلامىّ . قال وقالَ : مَرّة : « لقد كَثر هذا المحدَث وحَسُن حَتَّى لقد هَمَمت أن آمر فِتيانَنا بروايته » . يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدَّثنى أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعْلَمَ النّاس بالغريب (١) والعربيّة ، وبالقُرآن (٢) والشّعر ، وبأيام العرب وأيّام الناس . وكانت دارُه خلفَ دار جعفرِ بن سليمان (٣) . قال : وكانت كُتبه التى كَتَبَ عن العرب الفصحاء ، قد ملأتْ بيتاً له إلى قريبٍ من السقف ، ثم إنّه تقرّأ (٤) فأحرقها كُلَّها ، فلمّا رجع بَعدُ إلى علمه الأوّل لم يكن عنده إلاّ ما حفِظه بقلبه . وكانت عامّةُ أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهلية (٥) .

وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزْدَق :

مازلت أفتحُ أبواباً وأُغلقها حتَّى أتيتُ أبا عمرِو بنَ عمَّارِ

قال : فإذا كان الفرزدق وهو راوِيَةُ النّاس وشاعرُهم وصاحبُ أخبارهم ، يقول فيه مثلَ هذا القول ، فهو الذى لا يُشَكُّ فى خطابته وبلاغته .

وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نِصف أخبار الناس .

وقال فى أبى عمرٍو مكّىُّ بن سَوادة (٦) :

الجامعُ العلمِ ننسَاه ويحفظه والصادقُ القولِ إن أندادُه كذَبُوا

وكان أبو سفيانَ بن العلاءِ ناسباً ، وكلاهما كُناهُما أسماؤهُما . وكذلك أبو عمرو بن العلاء بن لَبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لَبيد التغلبىّ ، خليفة عيسى بن شَبيبٍ المازنىّ على شُرَط البصرة .

---

(١) فيما عدا ل : « بالعرب » . (٢) فيما عدا ل : « وبالقراءة » .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .

(٤) تقرأ تقرؤا ، أى تنسك . وفى ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أى تنسك » .

(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفى سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين ومائة . ياقوت وابن خلكان وبغية الوعاة .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٣ .

وكان عَقيلُ بن أبى طالبٍ ناسباً عالماً بالأمّهات ، بيِّن اللسان سَديدَ الجواب [١] ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حُذيفة العدوىّ [٢] ناسباً شديد العارضة ، كثير الذِّكر للأمّهات بالمَثالب .

ومن [٣] رؤساء النسَّابين : دَغْفَل بن حنظلة ، أحد بنى عمرو بن شيبان ، لم يدرك الناس مثلَه لساناً وعِلماً وحِفظا . ومن هذه الطبقة زيد بن الكَيِّس النَّمَرىُّ .

ومن نسَّابى كلبٍ : محمّد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشَرَقىُّ بن القُطَامىّ . وكان أعلاهم فى العلم ومَن ضُرِب به المَثل ، حمّادَ بن بشر .

وقال سِمَاكٌ العِكرمىّ [٤] :

فسائِلْ دَغفلاً وأخا هلال وحمّاداً يُنَبِّـوك اليَقينـا [٥]

وقد ذكرنا دَغْفَلا . وأخو هلال هو زيد بن الكَيِّس . وبنو هلالٍ :حىٌّ من النَّمر بن قاسط .

وقال مِسكين بن أُنَيف الدَارِمىّ [٦] فى ذلك :

وعند الكيِّس النَّمَرِىّ علمٌ ولو أمسى بمُنْخَرَق الشَّمالِ

وقال ثابتُ قطنة :

فما العِضّانِ لو سُئِلا جميعا أخو بكر وزيدُ بنى هلالِ [٧] ١٩٢

---

(١) فى جميع النسخ : « شديد الجواب ». وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من حـ والتيمورية وزيدت فى ب .

(٤) حـ : « العكلى » مع أثر تصحيح . ب والتيمورية : « العكرى » .

(٥) ل : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .

(٦) مسكين ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦٧) والأغانى (١٨ : ٦٨ – ٧٢) .

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ، ومنه قول القطامى :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثورها العضان زيد ودغفل

ولا الكلبىُّ حمَّادُ بن بِشرٍ   ولا من فَاد فى الزمن الخوالى [١]

وقال زيادٌ الأعجم :

بل لو سألتَ أخا ربيعة دَغفلا   لوجدتَ فى شَيبانَ نسبة دَغفلِ
إن الأحابِنَ والذين يَلُونهم   شَرُّ الأنام ونَسلُ عبدٍ أغْرَلِ [٢]

يهجو فيها بنى الحَبْناء .

ومنهم : أبو إياسٍ النصرى [٣] . وكان أنسبَ الناس ، وهو الذى قال : كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دُوادٍ الإيادىّ ، وعدِىّ بن زيدٍ العِبادىّ .

وكان أبو نوفل بن أبى عقرب [٤] ، علّامة ناسبا خطيبا فصيحا ، وهو رجلٌ من كنانة ، أحد بنى عُرَيج [٥] .

ومن بنى كنانةَ ثم من بنى لَيث ، ثم من بنى الشُّدَّاخ [٦] : يزيد بن بكر ابن دأب . وكان يزيدُ عالماً ناسبا ، وراويةً شاعراً . وهو القائل :

اللّٰه يعلم فى علىٍّ علمَه   وكذاك علمُ اللّٰه فى عثمانِ

---

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بنى الحبناء . والأغرل : الأقلف . فيما عدا ل : « عبد الأعزل » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « إياس النصرى » .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبى العقرب الليثى » . كما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٣١ بنسبة « العريجى » . وفى تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن أبى عقرب البكرى الكندى العريجى ، قيل اسمه مسلم بن أبى عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن أبى عقرب ، وقيل معاوية بن أبى عقرب . روى عن أبيه أو جده أبى عقرب ، وعائشة وأسماء بنتى أبى بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادلة الأربعة ... وسماه شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت آتيه أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) فى المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عريج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبى عقرب العريجى منهم » . وانظر جمهرة ابن حزم ١٨٤ .

(٦) الشداخ ، بتثليث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف بن كعب . قالوا : سمى بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة فى الحرب التى كانت بينهم فقال : شدخت الدماء تحت قدمى » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شدخ) .

وولَدَ يزيدُ يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرَف فى العامَّة بابن دأبٍ ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحبَ رسائلَ وخطبٍ ، وكان يُجيدُهما جدًّا (١) .

ومن آل دأبٍ : حذيفة بن دأبٍ ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علمٌ بالنَّسَب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالما ، وكان قد جمع شِدَّةَ العقل وصواب الرأى وجودةَ اللسان ، وقولَ الشِّعرِ والظَّرفَ . وهو يُعَدّ فى هذه الأصناف ، وفى الشِّيعة ، وفى العُرْجان ، وفى المفاليج . وعلى كلٍّ شيءٍ من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالَى .

وقال الخُسُّ لابنته هند : أريد شراءَ فحلٍ لإبلى . قالت : « إن اشتريتَه فاشتَرِه أسجَح الخدين ، غائر العينين ، أرقَبَ ، أحزَم أعكَى ، أكْوَمَ : إنْ عُصِىَ غَشَم ، وإن أُطيع تَجَرْثَم » .

وهى التى قالت لمّا قيل لها : ما حملكِ على أنْ زنيتِ بعبدك ؟ قالت : ١٩٣
« طول السَّواد ، وقرب الوِساد » .

السَّواد : السِّرار . أسجَح : سَهْلٌ واسع . يقال : « ملكتَ فأسجِحْ » . أرقَب : غليظ الرَّقبة . أحْزَم : منتفخُ المَحْزِم . أعكى : العُكْوة مَغرِز الوركين فى المؤخَّر ، تصفه بشِدَّة الوركين . إن عُصِىَ غَشم : إنْ عصته النَّاقةُ غصبَها نفسَها . تجرثَمَ : أى بَقِى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهى الطين والتّرابُ يُجْمَع

---

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ بغداد (١١ : ١٤٨) ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ، ليقوِّيها . تصفه بالصَّبر والقوَّة على الضِّراب . أكوَم : عظيم السنام .وقال الشاعر [١] :

وَيَفهمُ قولَ الحُكلِ لو أنّ ذرّةً   تُساوِدُ أخرى لم يفته سِوادُها

يقال : فى لسانه حُكلة ، إذا كان شديدَ الحُبسة مع لثغ .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن على ، فقال له : بلغنى عنك شىءٌ . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفتَ لى أصدِّقك ؟ قال : نَعم ، إنّ الله لم يرفَع أحداً فوقَ ألاّ يَرضى به ، ولم يَضع أحداً دون ألّا يُرضى منه به [٢] .

وكان زِياد بن ظَبْيان التيميّ العائشىّ خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله [٣] وهو يَكيدُ بنفسه ، فقال له : ألا أُوصِى بك الأمير [٤] . قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : إذا لم يكن للحىِّ إلا وصيّة الميِّت فالحىّ هو الميّت .

وكان عُبيد الله أفتكَ النّاس ، وأخطبَ الناس . وهو الذى أتى باب مالك ابن مِسْمَع [٥] ومعه نارٌ ، ليحرِّق عليه دارَه ، وقد كان نابه أمرٌ فلم يرسلْ إليه قبلَ الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إنّ فى كنانتى

---

(١) هو العمانى الراجز ، كما فى الحيوان (٤ : ٢٣) . وعبارة الإنشاد والبيت وشرحه ساقطة من ل .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكا من الشجعان ، وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبرى (٧ : ١٨٦) وجمهرة ابن حزم ٣١٥ . وذكره النويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » .

(٤) فيما عدا ل : « الأمير زيادا » . وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر فى الحيوان (٢ : ٩٥ — ٩٦) وعيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد . وهلك فى أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان (١ : ٢٧٠) .

سَهمٌ أنا به أوثقُ منِّى بك . قال : وإنك لتعُدُّنى فى كنانتك ، فواللهِ لو قمت فيها لطُلْتها ، ولوْ قعدتُ فيها لخرقْتُها . قال مالك : مهلاً ، أكثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثلَك ! قال : لقد سألْتَ اللهَ شططاً !

ودخل عُبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأسِ مصعبِ بن الزُّبير ، ومعه ناسٌ مِن وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعُدَ معه على سريره فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعُمون أنّك لا تُشبه أباك ؟ قال : والله لأنَا أشبَهُ بأبى من اللّيل بالليل ، والغرابِ بالغراب ، والماءِ بالماء ، ولكن إنْ شئت أنبأتُك بمن لا يُشْبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : مَن لم يولد لِتَمام ، ولم تُنْضِجه الأرحام ، ومَن لم يشْبه الأخوالَ والأعمام . قال : ومَن ذاك ؟ قال : ابنُ عمِّى سُويد بن منجوف [1] . قال عبد الملك : أوَ كذلك أنت يا سُويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبَلَ عليه سويدٌ فقال : وَرِيَت بك زنادى [2] ! والله ما يسرُّنى أنك كنتَ نقصتَه حرفاً واحداً ممّا قلتَ له وأنّ لى حُمْرَ النَّعمَ [3] قال : وأنا والله ١٩٤
ما يسرُّنى بحِلمك اليومَ عنِّى سُودُ النَّعمَ [4] .

قال : وأتى عُبيد الله ، عتّابَ بنَ ورقاء ، وعتّابٌ على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألفَ درهم ، فقال : والله ما أحسنْتَ فأحمدَك ، ولا أسأتَ فأذمَّك ، وإنك لأقربُ البعداء ، وأبعد القُرباء .

قال : وقال أشيَمُ بن شَقيق بن ثور ، لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : ما أنت قائلٌ لربِّك وقد حملْتَ رأس مصعبِ بن الزُّبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال :

---

(١) سويد بن منجوف بن ثور السدوسى كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة ، وأحد من هجاهم الأخطل . الحيوان (٥ : ١٦٢) والاشتقاق ٢١٢ والأغانى (٧ : ١٧٤) .

(٢) فى اللسان : « وتقول لمن أنجدك وأعانك : ورت بك زنادى » . ويقال وريت أيضا . والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .

(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها .

(٤) انظر لقوة السود من الحيوان كتاب الحيوان (١ : ٢/٢٦٢ : ٧٩) .

اسكُت ، فأنت يومَ القيامة أخطبُ من صعصعة بن صُوحان إذا تكلّمت الخوارج . فما ظنُّكَ ببلاغةِ رجلٍ عبيدُ الله بن زيادٍ يضرِب به المثل !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصّةً ، الدلالةَ على تقديم صعصعة بن صُوحان فى الخطب . وأدَلُّ [(١)] من كلِّ دلالةٍ استنطاق علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه له [(٢)] .

وكان عُثمان بن عُروة [(٣)] أخطَبَ الناس ، وهو الذى قال : « الشكر وإنْ قلَّ ، ثمنٌ لكلّ نوالٍ وإن جَلَّ » .

وكان ثابتُ بن عبد الله بن الزبير ، مِن أبْيَنِ الناس ، ولم يكن خطيبا .

وكان قَسامة بن زُهَير [(٤)] أحد بنى رِزام بن مازن [(٥)] ، مع نُسْكه وزُهده ومنطقه ، مِن أبْيَنِ النّاس ، وكان يُعدَل بعامرِ بن عبد قيسٍ [(٦)] فى زهده ومنطقه . وهو الذى قال : رَوِّحوا هذه القلوب تَعِ الذِّكْر » . وهو الذى قال : « يا معشرَ الناس ، إنّ كلامَكم أكثرُ من صمتكم ، فاستعِينوا على الكلام بالصَّمت ، وعلى الصواب بالفكر » . وهو الذى كان رسولَ عُمرَ فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بَكْرة [(٧)] .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « وأولى » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٤٥ . وكلمته التالية فى رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٠)

(٥) فى هامش ل ، « خ : دارم بن مالك » . وقسامة مازنى .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ .

(٧) أبو بكرة ، هو نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » . فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٧٨٩٤ وابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة . وكان قد اتهم بامرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكرة ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلدة وزياد . انظر تاريخ الطبرى (٤ : ٢٠٦ – ٢٠٨) فى حوادث سنة ١٧ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيِّدَ الرَّأيِ كثيرَ الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النُّجوم والطِّبِّ والكيمياء .

ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومى [١] وهو ذو الشّفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فما كان قائلَهم دَغْفَلٌ ... ولا الحَيقُطانُ ولا ذو الشَّفَهْ

ومن خُطباء العرب:عُطارِدِ بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيبَ عند النبىّ ﷺ ، وقال فيه الفرزدق بن غالب : ١٩٥

ومِنّا خطيب لا يُعابُ وحاملٌ ... أغَرُّ إذا التفَّت عليه المجامع [٢]

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود [٣]، وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المُرجئة [٤] إلى قول الشيعة قال :

وأَوَّلَ ما نفارِق غيرَ شكٍّ ... نُفارق ما يقول المرجِئونا [٥]

وقالوا : مؤمنٌ من أهل جَور ... وليس المؤمنون بجائرينا [٦]

---

(١) خالد بن سلمة المخزومى ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذى يحمل عن القوم الحمالة ، وهى الدية والغرامة . يعنى الفرزدق به أباه غالب ابن صعصعة . وفيه يقول :

دعوا غالبا عند الحمالة والقرى ... وأين ابنه الشاق تميما نقائمه

وكان الفرزدق نفسه حمالا ، قال جرير فى رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامى تميم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد . وعتبة هذا ، هو أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة رحل إليه عون ، وعمر ابن ذر ، وموسى بن أبى كثير . فناظروه فى الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم . توفى بين ١١٠ — ١٢٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

(٤) المرجئة : طائفة ترجىء العمل عن الإيمان : أى تؤخره ، وترى أن الإيمان لايضر معه معصية . انظر الملل (١ : ١٨٦) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

(٥) فى التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما نفارق » .

(٦) هـ : « من آل جور » . وفى المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون يحاربونا » .

وقالوا : مؤمن دمُه حلالٌ وقد حَرُمت دماءُ المؤمنينا

وكان حين هربَ إلى محمّد بن مروان [١] فى فَلٍّ [٢] ابنِ الأشعَث [٣] ألزمه ابنَه يؤدِّبه ويقوِّمه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابنَ أخيك ؟ قال : « ألزمْتَنى رجُلاً إن غبتُ عنه عَتَب ، وإنْ أتيتُه حُجِبَ ، وإن عاتبتُه غضب » . ثم لزم عمرَ ابنَ عبد العزيز ، وكان ذا منزلةٍ منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأيُّها الرَّجلُ المرخِى عمامتَه هذا زمانكُ إنِّى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقِيَهُ أنِّى لدَى الباب كالمصفود فى قَرَنِ [٤]
وقد رآك وُفُود الخافقَين معاً ومُذْ وَليتَ أمورَ النّاس لم تَرَنى [٥]

* * *

وكان الجارود بن أبى سبرة [٦] ويكنى أبا نوفل ، من أبْيَن النّاس وأحسنِهم

---

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بنى مروان ، وهو قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن محمد آخر من ولى الخلافة من بنى أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل : بقية الجيش المنهزم . ل : « فك » ، والصواب ما أثبت من هـ ، ب مع أثر تصحيح فى الأخيرة .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ . ولما دخل البصرة فى تلك السنة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميعُ أهلها من قرائها وكهولها ، وكان بينه وبين الحجاج وقعات منها:الأهواز ، والزاوية ، ودير الجماجم ، ومسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن نفسه ، بأن ألقى بها من فوق قصر . الطبرى (٨ : ٢ – ٤٢) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفاد ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدا ل : « كالمشدود » . ما أثبت من ل يطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . وفى اللسان (قرن) :

أبلغ أبا مسمع إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن

(٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله فى الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

(٦) هو الجارود بن أبى سبرة سالم بن سلمة الهذلى البصرى ، روى عن أبى ، وطلحة بن عبيد الله ، وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البنانى . توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان راويةً علّامةً ، شاعراً مُفْلِقا ، وكان من رجال الشّيعة . ولما استنطَقَه الحجّاجُ قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثلَ هذا . وكان يقول : ما أمكنني والٍ قطُّ من إذْنه إلّا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهوديّ – يعني بلالَ بن أبي بُردة [1] – وكان عليه متحامِلاً ، فلما بلَغَه أنه دُهِقَ حتى دُقَّت ساقه [2] ،وجُعِل الوتَر فى خُصيَيْه ، أنشأ يقول :

لقد قَرَّ عَينِى أنَّ ساقَيه دُقَّتَا ... وأن قُوَى الأوتارفى البيضة اليسرى ١٩٦
بَخِلْتَ وراجعتَ الخيانةَ والخنا ... فيَسّرك الله المقدَّسُ للعُسْرَى
فما جِذْعِ سَوءٍ خرَّبَ السُّوسُ جَوفَه ... يُعالُجه النَّجّار يُبرَى كما تُبرَى

وإنّما ذكر الخُصية اليسرى لأنَّ العامَّة تقول : إن الولد منها يكون [3].

* * *

ومن الخُطباء الذين لا يُضاهَون ولا يُجارَون : عبد الله بن عبّاس . قالوا : خطبَنا بمكة ، وعثمانُ محاصَرٌ ، خُطبةً لو شهِدَتْها التُّركُ والدَّيلمُ لأسلَمَتا .

قال : وذكره حسّانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بملتَقَطاتٍ لا تَرى بينها فَضْلا
كفَى وشفَى ما فى النفوس ولم يَدَعْ ... لذى إرْبةٍ فى القولِ جِدًّا ولا هزلا
سموتَ إلى العَليا بغير مَشقّة ... فنلت ذُراها لا دَنِيًّا ولا وَغْلا

---

(١) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضيها ، روى ابن الأنبارى أنه مات فى حبس يوسف بن عمر ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجان : أعلم يوسفَ أنى قدمتّ ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنيه ميتا ، فجاء السجان فألقى عليه شيئا غمه حتى مات . توفى سنة نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، وهى ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استينجاس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسنُ : كان عبدُ الله بنُ عبّاسٍ أوَّلَ من عَرَّفَ [١] بالبصرة ، صعِد المنبر فقرأ البقَرة وآل عمران ، ففسَّرهما حرفاً حرفا ؛ وكان والله مِثَجًّا يَسيل غَرْباً [٢] ، وكان يسمَّى البَحر وحَبر قُريش . وقال فيه النبى ﷺ : « اللهُمَّ فقِّهْه فى الدِّين ، وعلِّمْه التأويل » . وقال عمر: « غُصْ غَوَّاصُ » . ونظر إليه يتكلم فقال :

* شِنشِنَةٌ أعرِفها من أخزمِ *

الشعر لأبى أخزَمَ الطائى ، وهو جَد أبى حاتم طَيِّىء أو جدُّ جدّه ، وكان له ابنٌ يقال له أخزَم ، فمات وترك بنينَ فتوثَّبوا يوماً على جدهم أبى أخزمَ فأدمَوْه ، فقال :

إنّ بَنِىَّ رَمَّلونى بالدَّمِ [٣] ... شِنْشِنة أعرِفُها من أخْزَمِ

أى إنّهم أشبَهوا أباهم فى طبيعته وخلُقه . وأحسبه كان به عاقًّا . هكذا ذكر ابنُ الكلبىّ . والشِّنشِنة مثل الطبيعة والسجيَّة .

فأراد عمرُ رحمه الله إنِّى أعرف فيك مَشابِهَ من أبيك ، فى رأيه وعقله .

١٩٧ ويقال إنّه لم يكن لقرشىّ مثلُ رأى العبَّاس .

ومن خُطباء بنى هاشم أيضاً : داود بن علىّ [٤] ، ويكنَى أبا سليمان ، وكان أنطَقَ النّاسِ وأجودَهم ارتجالا واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدَّم فى تحبير خطبةٍ قطُّ . وله كلامٌ كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكّة :

---

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ل ، هـ ، ب والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر فى ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطخه وضرجه . حـ والتيمورية : « زملونى » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) . وأشير فى هامش هـ إلى رواية « ضرجونى » عن نسخة . وفى أمثال الميدانى : « ضرجونى » قال : « ويروى رملونى ، وهو مثل ضرجونى » . وهذه الرواية الأخيرة هى رواية العقفة والبررة لأبى عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل بن علفة .

(٤) هو داود بن على بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبى العباس السفاح : فأما داود فكان خطيبا جميلا ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبى العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب » .

« شكراً شكراً . أَمَا والله ما خرجْنا لنحتَفِر فيكم نهراً ، ولا لنبنىَ فيكم قصراً (١) . أَظَنَّ عدوُّ الله أَنْ لن نَظفَر به أَنْ أُرْخِى له فى زِمَامِه ، حتى عثَر فى فضل خِطَامِه . فالآن عاد الأَمر فى نِصابه ، وطَلعت الشّمسُ من مطلِعِها ، والآنَ أَخَذَ القوسَ بارِيها ، وعادت النَّبلُ إلى النَّزعة (٢) ، ورجع الحقُّ (٣) إلى مستقَرِّه ، فى أهل بيت نبيِّكم : أهلِ بيت الرَّأفة والرحمة » .

ومن خطباء بنى هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد (٤) :

« أى بُنَىَّ ، إنى مؤدِّ إليك حقَّ الله فى تأديبك ، فأدِّ إلىَّ حقَّ الله فى حسن الاستماع . أى بُنَىَّ ، كُفَّ الأَذَى ، وارفُض البَذَا ، واستعِنْ على الكلام بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسُك فيها إلى القول ؛ فإنّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصَّواب . واحذَرْ مَشورةَ الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشًّا ، يوشك أن يُورِّطَاك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مَكرُ العاقل ، وغَرارة الجاهل » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد ٱستثقل سهلَ بن هارون ، فدخل عليه سهلٌ يوماً والنّاسُ عندَه عَلَى منازلهم ، فتكلَّم المأمونُ بكلامٍ فذهَبَ فيه كلَّ مذهب ، فلمَّا فرغ المأمونُ من كلامه أقبل سهلُ بن هارونَ عَلَى على ذلك الجمع فقال :

« ما لَكم تسمعون ولا تَعُون ، وتشاهدون ولا تَفْقَهُونَ (٥) ،وتنظرون ولا تُبصِرون . والله إنّه ليَفعلُ ويقول فى اليوم القصير مثلَ ما فعل بنو مروان

---

(١) ل : « ولا لنبنى قصرا » .

(٢) كلمة « والآن » فى ل فقط . النزعة : الرماة ، واحدهم نازع .

(٣) هـ : « ورجع الأمر » .

(٤) انظر ما سيأتى فى (٢ : ١٧٤) .

(٥) بعدها فيما عدا ل : « وتفهمون ولا تعجبون » وأراها مقحمة .

وقالوا فى الدَّهر الطويل . عَرَبُكم كعجمهم ، وعجمكُم كعَبيدهم (١) ، ولكن كيفَ يعرف الدّواءَ مَن لا يشعر بالدَّاء » .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرَّأى الأوَّل .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان (٢) : سليمان بن جعفر والى مَكّة . قال المكّىّ : سمعتُ مشايخَنا من أهل مكّة يقولون : إنّه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عقَلوا الكلام إلاّ وسليمانُ أبيَنُ منه قاعداً ، وأخطَبُ منه قائماً .

١٩٨ وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ استحنفَرَ فلم يردَّه شىء (٣) ، وكان فى لسانه شبيهٌ بالرُّتَّة (٤) .

وكان أيّوبُ (٥) فوقَ داودَ (٦) فى الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ فى الخُطَب .

وقال إسحاق بن عيسى (٧) لداودَ بنِ جعفر : بلغنى أنّ معاوية قال للنخّار بن أوس : ابْغِنِى محدِّثا (٨) قال : ومعى يا أمير المؤمنين تَريد محدِّثا ؟ قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتُك فى حالٍ من الحالات أوفَقَ لى من كلامك .

---

(١) ل : « عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم » .

(٢) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) استحنفر الخطيب : اتسع فى كلامه ومضى .

(٤) الرتة ، كقوة : العجمة والحكلة فى الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته فى ٩١ ، ١٠٦ .

(٦) ل : « قرين داود » لعلها « فويق داود » .

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبى جعفر المنصور . وقد سبق فى ٣٠٢ . ما عدا ل : « عيسى بن إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابغنى ، بهمزة الوصل من الثلاثى ، أى اطلبه لى ، ومثله ابغ لى . ويقال أيضا « أبغنى » بالقطع من الرباعى ، أى أعنى على بغائه وأطلبه معى .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرقّ [١] الناس لساناً وأحسنِهم بيانا .

ومن خطباء بني هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن على ، وكان أحَدَ من ينازع زيداً فى الوصية ، فكان النّاس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتِهما فقط .

وجماعةٌ من ولد العبّاس فى عصرٍ واحد ، لم يكن لهم نُظَراءُ فى أُصالة الرأى وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريشٍ والدّولة ، وبرجال الدّعوة ، مع البيان العجيب ، والغَور البَعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا فوقَ الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يَجِلُّون عن هذه الأسماء إلا أن يصِفَ الواصفُ بعضَهم ببعضٍ ذلك .

منهم عبد الملك بن صالح [٢] . قال : وسأله الرّشيدُ وسليمانُ بن أبى جعفرٍ وعيسى بن جعفرٍ شاهدان ، فقال له : كيف رأيتَ أرضَ كذا وكذا ؟ قال : « مَسافِى رِيح ، ومنابت شِيح » . قال : فأرضَ كذا وكذا . قال : « هضابٌ حُمْر ، وبِراث عُفْر » . قال : حتّى أتى على جميع ما أراد . قال : فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نَرضى لأنفسنا بالدُّون من الكلام .

الهَضْبة : الجبل يَنبسط على الأرضْ ، وجمعها هَضْبٌ [٣]. والبِرَاثُ : الأماكن الليِّنة السهلة ، واحدها بَرْثٌ . وقوله عُفرٌ ، أى حمرتُها كحمرة التُّراب .

والظبى الأعفر : الأحمر ؛ لأنّ حمرتَه كذلك : والعَفَر والعَفْر : التُّراب ؛ ومنه قيل : ضَرَبه حَتَّى عفَّره ، أى ألحقه بالتُّراب .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، ولى الموصل للهادى سنه ١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة ، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقة إلى أن توفى سنة ١٩٦ . فوات الوفيات (٢ : ١٢) وتاريخ الطبرى فى السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدا ل : « هضاب » ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلَمَ بقريش وبالدّولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

١٩٩ وكان إبراهيم بن السِّنْدِيّ (١) يحدّثني عن هؤلاء بشيءٍ هو خلافُ ما فى كتب الهيثم بن عدىّ وابنِ الكلبىّ . وإذا سمعتَه علمتَ أنّه ليس من المؤلّف المزوَّر (٢).

وكان عبد الله بن علىّ ، وداود بن علىّ يُعدَلان بأُمَّةٍ من الأمم .

ومن مواليهم : إبراهيم ونصر ابنا السّندىّ .

فأمّا نصرٌ فكان صاحبَ أخبارٍ وأحاديثَ ، وكان لا يعدو حديثَ ابنِ الكلبىّ والهيثمِ بن عدى .

وأمّا إبراهيم فإنّه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحوياً عَروضياً ، وحافظاً للحديث ، راويةً للشعر شاعراً ، وكان فَخمَ الألفاظ شريفَ المعانى ، وكان كاتب القَلَم كاتب العمَل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة (٣) ، ويعمل فى الخَراج بعمل زَاذَانَ فَرُّوخَ الأعور (٤)، وكان منجِّماً طبيباً ، وكان من رؤساء المتكلِّمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدَّعوة ؛ وكان أحفَظَ الناس لما سَمِع ، وأقلَّهم نوماً وأصبَرَهم عَلَى السَّهر .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤبة » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقانا من الدهاقين القائمين على أمر الخراج فى أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبرى (٧ : ٢٠٩) . ويبدو أنه امتد به الأمر فى ذلك إلى زمان الحجاج . الطبرى (٧ : ٢٧١) ، وانظر كذلك (٦ : ٧٦) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب (١) . وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبح الإله ولا يقبِّح غيرَه بَظْراً تَفلّق عن مفارق جَحدبِ

وهو الذى كان لقيه خالدُ بن سلمة المخزومىُّ الخطيبُ الناسب ، فقال : والله ما أنتَ من حنظلةَ الأكرمين ، ولا سعدِ الأكثرين ، ولا عمرٍو الأشدِّين ، وما فى تميمٍ خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جَحْدَب : والله إنّك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ولا نُبُوَّتها ، ولا من شُورَاها وخلافتها ، ولا من أهل سِدَانَتِها وسِقَايتها .

وهو شبيهٌ بما قال خالدُ بن صفوان ، للعبدرىّ (٢) ؛ فإنه قال له : « هَشَمتك هاشم ، وأمّتْك أُميّة ، وخزمتْك مخزوم ، وأنت من عَبد دارها ، ومنتهى عارِها ، تَفتح لها الأبواب إذا أقبلَتْ ، وتُغلقها إذا أدبرت » .

* * *

ومِن ولَد المنذر : عبدُ الله بن شُبْرُمة بن طُفَيل (٣) بن هُبيرة بن المنذر . وكان فقيهاً عالما قاضياً ، وكان راويةً شاعراً ، وكان خطيباً ناسبا ، وكان لاجتماع هذه الخِصال فيه يُشبَّه بعامرٍ الشّعبىّ ، وكان يُكْنى أبا شُبرُمة . وقال يحيى بن نوفل (٤) فيه :

---

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » ، وذكر أنه كان شاعراً ، هو والتيم السرندى ، وعَلقة ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجاهم هو جميعا بقوله :

عض السرندى على تفليل ناجذه من أم علقة بظرا عمه الشعر
وعض عَلقة لا يألو بعرعرة من بظر أم السرندى وهو منتصر

(٢) العبدرى : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصى .

(٣) تقدمت ترجمته فى ٩٨ وفى نسبه خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من الحيوان والبيان .

لما سألْتُ النّاسَ أين المَكرُمَهْ ... والعِزُّ والجُرثومةُ المُقَدَّمه [١]
وأين فاروقُ الأُمورِ المحكَمهْ [٢] ... تَتَابَعَ النّاسُ على ابن شُبرُمَه

وابن شُبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى [٣] :

وكيف تُرجَّى لفَصل القضاء ... ولم تُصِبِ الحُكم فى نفسكا [٤]
وتَزعُم أنّك لابن الجُلَاح ... وهيهات دعواكَ مِن أصلكا [٥]

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينَة : مِن عندنا خرجَ العلم . قال : فقال ابن شبرمة : نَعم ثم لم يَرجعْ إليكم .

قال : وقال عيسى بن موسى [٦] : دُلُّونى على رجلٍ أولّيه مكانَ كذا وكذا . فقال ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، هل لك فى رجلٍ إنْ دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموهُ لم يأتِكم ؛ ليس بالمُلحِّ طلباً ، ولا بالمُمْعِن هربا [٧] ؟

وسُئِل عن رجلٍ ، فقال : إنَّ له شَرَفاً وبيتا وقَدَما [٨] . فنظروا فإذا هو ساقط من السِّفلة . فقيل له فى ذلك ، فقال : ما كذبتُ ، شرَفه أُذُناه ، وقدمُه التى يمشى عليها ، ولا بدَّ من أن يكون له بيتٌ يأوى إليه .

---

(١) الجرثومة : الأصل . والرجز فى الحيوان (٣ : ٤٩٤) بدون نسبة . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٠٠ إلى رؤبة بن العجاج .

(٢) الفاروق : الذى يفرق ويفصل . ب فقط : « فارق » .

(٣) ابن أبى ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ثم لبنى العباس ، وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ٢١٧ .

(٤) البيتان فى المعارف ٢١٦ وفهرست ابن النديم ٢٨٥ .

(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفى المعارف : « وهو من ولد أحيحة بن الجلاح ، وكان ابن شبرمة القاضى وغيره يدفعونه عن ذلك » .

(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادهم . وموسى أبوه هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٧) ل : « بالممتنع هربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٨) القدم : التقدم والمنزلة الرفيعة .

قال أبو إسحاق [١] : قد لعمرى كَذَب [٢] ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعضُ من أراد تزويج حُرمته عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدّوابّ » . فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنّ السِّنَّور دابّة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سُئِل عن رجلٍ فى تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطّعنة » . فحسِبوه سيِّداً فارسا ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطا ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنّه لَطَويلُ الجلوس ، جيِّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنّه قد غرّهم منه .

وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسْلفه مالاً عظيما ، فقال : « هو يملك مالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلمّا بايعه الرجل وجده ٢٠١
مُعْدِما ضعيف الحيلة ، فلما قيل له فى ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه ويديه [٣] . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومَن قال للمستشير هذا القولَ فقد غرّه ، وذلك مالا يحلُّ فى دين ، ولا يحسُن فى الحُرِّيّة [٤] . وهذا القول معصيةٌ لله ، والمعصيةُ لا تكون صِدقا . وأدنَى منازلِ هذا الخبرِ أن لا يُسمَّى صدقا ، فأمّا التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

* * *

---

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رءوس المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى فى خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين-انظر آراءه فى الملل (١ : ١٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدا ل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن فى هـ : « بل كذَب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٤) ل : « حرية » . والحرية: مصدر صناعى ، أى كون الإنسان حرا .

ومن الخطباء المشهورين فى العوامّ ، والمقدَّمين فى الخواص : خالد بن صفوان الأهتمىّ [١] ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين [٢] ، وكان من سُمّارِهِ وأهل المنزلة عنده ، ففخَر عليه ناسٌ من بَلْحارِث بن كعب ، وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلَّم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وأهلُه [٣] . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصَبَتُه فقُلْ [٤] . قال خالد : « وما عَسى أن أقولَ لقومٍ كانوا بين ناسِجِ بُردٍ ، ودابغ جِلدٍ ، وسائِس قِرد ، وراكب عَرْدٍ [٥] ؛ دلَّ عليهم هُدهدٌ ، وغرَّقتهم فأرة ، ومَلَكتهم امرأة » . فلئن كان خالدٌ قد فكَّر وتدبّر هذا الكلامَ إنه للرّاويةُ الحافظ ، والمؤلِّف المُجيد ؛ ولئن كان هذا شيئاً حَضَرَه حين حُرِّك وبُسِط فما لَهُ نظيرٌ فى الدنيا .

فتأمَّلْ هذا الكلامَ فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيمَ القَدْر جليلا . ولو خَطب اليمانىُّ بلسان سحبانِ وائل حَوْلاً كَرِيتا [٦] ، ثمَّ صُكَّ بهذه الفِقرة ما قامت له قائمة .

وكان أذكَرَ النّاس لأوّل كلامه ، وأحفظَهم لكلِّ شىء سَلَف من منطقه . وقال مكّىّ بنُ سَوادةَ [٧] فى صفته له :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ . ونسبته إلى جده : « الأهتم » .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفى المعارف ١٧٧ فى ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (٢ : ١٧٠) .

(٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ريطة ، من بنى الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف ٢٩١ . فيما عدا ل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عصَبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .

(٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره فى القاموس ولم يرد فى اللسان . والخبر فى الحيوان (٦ : ١٥٢) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدى . والمهدى هو ابن أبى جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدى « أبو عبد الله » . وما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما فى البيان . وذكر ياقوت أن اليمانى الذى فخر على خالد هو إبراهيم بن مخرمة .

(٦) حول كريت : تام .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ٣ .

عليمٌ بتنزيل الكلام ملقَّنٌ ذكورٌ لما سَدَّاه أوّلَ أوّلا (١)

يبذّ قَريعَ القوم فى كلِّ مَحْفِلٍ وإن كان سحبانَ الخطيبَ ودَغفلا (٢)

ترى خُطباءَ النّاس يوم ارتجاله كأنّهم الكِرْوانُ عايَنَّ أجْدَلا

الكِرْوان : جمع كَرَوان ، وهو ذكر الحُبارَى . والأجدل : الصَّقْر .

وكان يقارض شبيب بنَ شيبة (٣) ؛ لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصِّناعة ، فذكِر شبيبٌ مرّةً عنده فقال : « ليس له صديق فى السِّرّ ، ولا عدُوٌّ فى العلانية (٤) ». وهذا (٥) كلامٌ ليس يعرِف قدْرَه إلّا الرّاسخون فى هذه الصناعة. ٢٠٢

وكان خالدٌ جميلا ولم يكُنْ بالطّويل ، فقالت له امرأته (٦) : إنّك لجميلٌ يا أبا صفوان . قال : وكيف تقولين هذا وما فىَّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرنُسه . فقيل له : ما عَمود الجمال ؟ فقال : الطُّول ، ولستُ بطويل ؛ ورداؤه البياض ، ولست بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشّعر ، وأنا أشمط ؛ ولكن قُولى : إنّك لمليح ظريف .

وخالدٌ يعد فى الصُّلْعان ، ولكلام خالدٍ كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين (٧) .

* * *

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضِرار بن عمرٍو الضبىّ (٨) ، عالما ناسبا .

---

(١) سدّاه ، أى نسجه . وفى اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل سدّى بينهم » .

(٢) يبذ : يغلب ويسبق . والقريع : السيد والرئيس .

(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهى التجازى بالخير والشر .

(٤) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) وسبق فى ص ٤٧ .

(٥) ل ، هـ والتيمورية : « وها هنا » .

(٦) فيما عدا ل : « امرأة » . والخبر بصورة أخرى فى تثقيف اللسان .

(٧) للمدائنى كتاب فى خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب فى أخبار خالد بن صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ – ١٦٧ .

(٨) سبقت ترجمته جده ضرار بن عمرو فى ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبّة : حنظلة بن ضِرار (١) ، وقد أدرك الإسلام وطال عُمره حتَّى أدرَك يومَ الجمل ، وقيل له : ما بَقِيَ منك ؟ قال : « أذكر القَديم وأنْسَى الحديث ، وآرَقُ باللَّيل ، وأنامُ وسْطَ القوم » .

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مَشْجُور بن غَيْلان بن خَرَشَةَ (٢) ، وكان مقدَّما فى المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : « إنّهم قد عَرَضوا علىّ الذَّهبَ والفِضّة ، فما ترى أن آخُذَ ؟ » قال : « أرى أن تأخذ الذَّهَب » . فذهب عنه هاربا ثم قتله بَعدُ . وذكره القُلَاخُ بن حَزنٍ المِنْقَرِى (٣) فقال :

أَمْثالُ مَشجورٍ قليلٌ ومِثلُه ... فَتى الصِّدق إن صَفَّقته كل مُصَفَّقِ (٤)
وما كنتُ أشرِيه بدُنْيا عريضةٍ ... ولا بابنِ خال بين غربٍ ومَشرقِ (٥)
إذا قال بَذَّ القائلين مقالُهُ ... ويأخُذُ من أكفائِهِ بالمُخَنَّقِ

* * *

ومن الخطباء الخوارج ، قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءةِ (٦) ، وله خطبةٌ طويلة

---

(١) ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .

(٢) فى القاموس (ثجر) : « ومشجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢١٠) فى العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه غيلان بن خرشة الذى يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .

(٣) فى الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته فى جوفه » . وهو القلاخ بن حزن من جناب بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .

(٤) هو من قولهم : صفقت الريح الشئ وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .

(٥) أشريه ، أى أبيعه ، والشراء من الأضداد .

(٦) قطرى بن الفجاءة ، واسم الفجاءة جعونة بن مازن المازنى . كان قطرى زعيما من الخوارج ، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسيّر إليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم . وقطرى ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة (١) ، وكلامٌ كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية فى السِّلم ، وهى أبو محمد ؛ وكنيةٌ فى الحرب ، وهى أبو نعامة .

وكانت كنية عامر بن الطُّفَيل فى الحرب غير كُنيته فى السلم : كان يكنى فى الحرب بأبى عَقيل ، وفى السِّلم بأبى علىّ .

وكان يَزيد بنُ مَزْيِد (٢) يُكنى فى السِّلم بأبى خالد ، وفى الحرب بأبى الزُّبير . وقال مُسلم بن الوليد الأنصارىّ :

لولا سيوفُ أبى الزبير وخيلُه ... نشَرَ الوليد بسيفه الضَّحّاكا (٣)

وفيه يقول : ٢٠٣

لولا يزيدُ وأيامٌ لهُ سلفت ... عاشَ الوليد مع العاوين أعواما (٤)
سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطَرٍ ... يَمضِى فيَخترق الأجسامَ والهاما (٥)
إذا الخِلافَةُ عُدَّتْ كنتَ أنت لها ... عِزاً وكانَ بنو العباس حُكّاما

ألا تراه قد ذكَر قتْلَ الوليد !

وقد كان خالدُ بن يزيدَ (٦) اكتنى بها فى الحرب ، فى بعض أيّامه بمصر .

---

(١) ستأتى خطبته فى (٢ : ١٢٦) .

(٢) يزيد من مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيبانى ، وهو ابن أخى معن بن زائدة . أمير شجاع ، ندبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيبانى الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفى سنة ١٨٥ . ابن خلكان .

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشارى . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد بن مزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هنا ، هو الضحاك بن قيس الشيبانى ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه . انظر ما سيأتى فى كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبرى (٩ : ٧٥ — ٧٧) .

(٤) فيما عدا ل : « ومقدار له سبب » وهى رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدا ل : « مع الغاوين » ، ولعل صوابهما « مع العامين » كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محاربا ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدا ل : « يخترق الأرواح » .

(٦) يعنى خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى .

وهذا البابُ مستقصىً مع غيره فى أبواب الكُنَى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيقة (١) ، وهو القاسم بن عبد الرحمن ابن صُدَيقة ، وكان صُفْرِياً (٢) ، وكان خطيباً ناسبا ، ويَشُوب ذلك (٣) ببعض الظَّرف والهَزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيْل بن عَزْرَة الضُّبَعىّ (٤) ، صاحب الغريب . وكانَ راوِيةً خطيبا ، وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنةً رافِضيًّا ثم انتقل خارِجياً صُفْرِياً .

ومن علماء الخوارج : الضَّحّاك بن قيس الشَّيبانى ، ويكنى أبا سَعيد ، وهو الذى مَلكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّيا خلفه ، وقال شاعرهم (٥) :

أَلم تَرَ أنَّ الله أظهر دينه   وصَلَّت قريشٌ خلَف بكر بن وائل

* * *

---

(١) كذا ضبط فى ل ، هـ .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية أيضا ، وقولهم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لايرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسمعانى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليبسك .

(٣) فيما عدا ل : « ويشوبه » .

(٤) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ : « شبيل بن عزرة العلامة ، كان فصيحا عالما شريفا ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج » . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولا رافضيا نحو سبعين ، ثم انتقل إلى الشراة وقال :

برئت من الروافض فى القيامه   وفى دار المقامة والسلامه » .

وشبيل بهيئة التصغير ، وعزرة بفتح العين . انظر التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبيل بن عزرة الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٦٥) .

وكان ابن عطاء الليثى يسامر الرشيد ، وكان صاحبَ أخبار وأسمار [١] وعلمٍ بالأنساب ، وكان أظْرَفَ الناس وأحلاهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز [٢] ، روايةً ناسبا ، وعالما بالعربيّة فصيحا .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر [٣] مِن أبْيَن النّاس وأفصحِهم .

وكان مَسلَمة بن عبد الملك [٤] يقول : إنّى لأُنَحِّى كَورَ العِمامة عن أُذُنِى لأسمعَ كلام عبدِ الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريشٍ نَغْمَةً وجهارة بعمرو بن سَعيد [٥] ، عبدُ الأعلى بن عبد الله بن عامر [٦] .

قال : وقال بعضُ الأمراء — وأظنُّه بلالَ بنَ أبى بُردة — لأبى نوفلٍ الجارودِ بن أبى سَبْرة [٧] : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عِنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطْيَب حديث [٨] ، ثم يأتى الطبّاخ فيمثُل بين يدَيه [٩] فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندِى لونٌ كذا وجدىٌ كذا ، ودَجاجةٌ كذا ، ٢٠٤
ومن الحلواءِ كذا . قال : ولِمَ يَسأَلُ عن ذلك ؟ قال : ليُقْصِرَ كلُّ رجلٍ عمّا لا يشتهى ، حتّى يأتيَه ما يشتهى . ثمّ يأتون بالخُِوان فيتضايق ونتّسع ، ويقصُر

---

(١) أصل السمر الحديث ليلا ، ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة ، وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٣ : ٢١٢) .

(٢) سبقت ترجمة والده فى ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، أبو عبد الرحمن البصرى . وكان مشهوراً بالجود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته فى ص ٣١٤ .

(٦) هذه الفقرة من ل ، هـ فقط .

(٧) ترجم فى ص ٣٢٩ .

(٨) فيما عدا ل : « وأحسن حديث » .

(٩) فيما عدا ل : « بين عينيه » . وانظر العقد (٦ : ٢٩٤ — ٢٩٥) .

ونجتهد ، فإذا شبعنا خَوَّى تخوية الظَّلِيم (١) ، ثم أقبَلَ يأكل أكلَ الجائع المقرور . قال : والجارود هو الذى قال : « سوءُ الخُلق يُفسِد العمل ، كما يفسد الخَلُّ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالمِرْبَد (٢) ؛ فإنه يطرد الفِكَر ، ويجلو البَصَر ، ويجلب الخَبَر ، ويجمع بين ربيعة ومُضَر » .

قال : وصعِد عثمانُ المنبرَ فأُرتِجَ عليه ، فقال : « إنَ أبا بكرٍ وعُمر كانا يُعِدَّان لهذا المقامِ مقالا ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوَجُ منكم إلى إمامٍ خطيب ، وستأتيكم الخُطَب (٣) على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخص يزيدُ عُمرَ بنِ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلمَ ، فقال هشام : ما مات مَن خَلَّف هذا . فقال الأبرش الكلبيّ (٤) : ليس هناك ، أَمَا تراه يَرشَح جبينُه لِضِيق صدرِهِ ! قال يزيد : ما لذلك رَشَح ولكنْ لجلوسك فى هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلّابة نسَّابة ، وكان مصاحبا لهشامِ بن عبد الملك ، فلمَّا أفضت إليه الخلافةُ سجَدَ وسجد من كان عنده من جُلسائه ، والأبرش شاهدٌ لم يسجُد . فقال له : ما مَنَعكَ أن تسجُدَ يا أبرش ؟ قال : ولِمَ أسجُدُ وأنت اليومَ معى ماشياً ، وغداً فوق طائرا . قال : فإن طرتُ بك معى ؟ قال : أتُراك فاعلا ؟ قال : نَعَم . قال : فالآنَ طاب السُّجود (٥) .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر (٦) على المنصور وهو يومئذ أميرٌ ، فقال : « يأيُّها

---

(١) الظليم : ذكر النعام . والتخوية : أن يفرج ما بين عضديه وجنبيه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المربد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى فى (٢ : ١٣٩) . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى محمله .

(٥) فيما عدا ل : « فالآن » .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير ، إنّ عهدَ الله لا يُنكَث ، وعَقدَه لا يُحلُّ ، وإنّ إمارتَكم بكرٌ فأذِيقُوا الناسَ حلاوتَها ، وجنِّبوهم مرارتها » .

قال سهلُ بن هارون : دخل قُطربٌ النحويُّ على المخلوع (١) فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت عِدَتُك أرفَعَ من جائزتك – وهو يتبسّم – قال سهل : فاغتاظ الفضلُ بن الربيع ، فقلت له : إن هذا من الحَصَر والضّعف ، وليس هذا من الجَلَد والقوة . أما تراه يَفْتِل أصابعَه ، ويرشَح جبينُه .

قال : وقال عبدُ الملك لخالد بن سلَمة المخزوميّ (٢) : مَن أخطَبُ الناس ؟ قال : أنا . قال : ثمّ من ؟ قال : سيّد جُذَام – يعنى رَوْح بن زِنباع (٣) ٢٠٥
– قال : ثم من ؟ قال : أُخَيفِش ثَقيف – يعنى الحَجّاج – قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ويحكَ ، جعلتَنى رابع أربعةٍ . قال : نَعَم ، هو ما سمعت .

ومن خطباء الخوارج وعُلمائهم ورؤسائهم فى الفُتْيا ، وشعرائهم ، ورؤساء قَعَدِهم (٤) : عِمران بن حِطّان (٥) . ومن علمائهم وشعرائهم وخُطبائهم : حَبيبُ بنُ خُدْرَةَ الهلالىّ (٦) ، وعداده فى بنى شيبان .

---

(١) المخلوع ، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون . انظر خبر خلعه فى حوادث ١٩٦ من الطبرى وغيره من التواريخ .

(٢) سبقت ترجمته فى ٣٢٨ .

(٣) كان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغانى (١٧ : ١١١) . وذكر الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوّجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير .

(٤) القعد : الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس . قال أبو نواس فى الخمر :

فكأنى وما أحسّن منها ... قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الحـ ... ـرب فأوصى المطيق ألا يقيما

(٥) ترجم فى ص ٤١ .

(٦) ل : « بن جدرة » تصحيف ، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة . وفى القاموس: « وحبيب بن خدرة تابعى محدث » .

وممن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحويّ مَعْمَر بن المثنَّى ، مولى تيم بن مُرَّة . ولم يكن فى الأرض خارجيٌّ ولا جَماعيٌّ أعلمَ بجميع العلم منه .

وممن كان يرى رأىَ الخوارج : الهيثم بن عدىّ الطائىّ ثم البحترىّ (١).

وممن كان يرى رأى الخوارج : شُعيب بن رِئاب الحنفى ، أبو بكّار ، صاحب أحمد بن أبى خالد ، ومحمد بن حسان السَّكْسَكىّ (٢) .

ومن الخوارج مِن علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كُورِين (٣) ، وكنيته أبو عبيدة وكان إباضيًّا ، ومن علماءِ الصُّفْرية .

وممن كان مَقنعاً فى الأخبار لأُصحاب الخوارج والجماعة جميعاً : مُلَيْل (٤) ، وأظنُّه من بنى تغلب (٥) . ومن أهل هذه الصفَة :أصفر بن عبد الرحمن (٦) ، من أخوال طَوق بن مالك .

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : المُقَعْطِل (٧) ، قاضى عسكر الأزارقة ، أيام قَطَرىّ .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عَبيدة بن هلال اليشكرى (٨) .

---

(١) ترجم فى ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدى ابن خالد بن خيثم بن أبى حارثة بن جدى بن تدول بن (بحتر) بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة ، وهو طيىء .

(٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .

(٣) فيما عدا ل : « كرزين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس (كور) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة بن أدية .

(٤) هـ : « أصغر » وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) : « ومن علمائهم مليل وأصغر ابنا عبد الرحمن » .

(٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، حـ : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيهما .

(٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة .

(٧) تقدم ذكره فى ص ٣٨ .

(٨) فى الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز إلى قومس ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفى الاشتقاق ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ، ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى بالرى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا ... تساوك هزلى مخهن قليل » .

وانظر ما مضى فى ص ٥٥ .

وكان فى بنى السَّمِين (١) من بنى شيبان (٢) ، خطباءُ العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فأَيْنَ السَّمينُ لا يقومُ خطيبُها وأين ابن ذى الجَدَّينِ لا يتكلمُ (٣)

وقال سُحيم بن حفص (٤) : كان يزيد بن عبد الله بن رؤيم (٥) الشيبانىّ مِن أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأَمَرَ للناس بعطاءين .

ومن الخطباء مَعبد بن طَوقٍ العنبرىّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلَّم وهو قائمٌ فأحسن ، فلمَّا جلس تتعتَع فى كلامه (٦) فقال له : ما أظرَفَكَ قائما ، وأَمْوَقَكَ قاعداً ! قال : إنى إذا قمت جَدَدت ، وإذا قعدتُ هَزَلت . قال : ما أحسَنَ ماخرجتَ منها .

ومن خطباء عبد القيس : مَصقلة بن رقَبة ، [ورقبة (٧)] بن مَصقْلة ، ٢٠٦
وكرِب بن رقبة .

والعرب تذكر مِن خطب العرب « العجوز » وهى خطبةٌ لآلِ رَقَبة ، ومتَى تكلَّموا فلا بدَّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهى خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أبا عُذْرها . و « الشَّوهاء » ، وهى خطبة سحبانِ وائل ، وقيل لها ذلك من حسْنها ، وذلك أنَّه خَطَب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرٌ ولم يَخطُبْ خطيبٌ.

---

(١) فى القاموس (سمن) : « وكأمير لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « ومن بنى شيبان » .

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، سمى بذلك لأنه كان أسر أسيراً له فداء كثير ، فقال رجل : إنه لذو جد فى الأسر ، أى له حظ ! فقال آخر : إنه لذو جدين . وابنه هو بسطام بن قيس المترجم فى ص ٢١ . انظر جنى الجنتين ١٥٧ .

(٤) ترجم فى ص ٤٠ .

(٥) فيما عدا ل : « رؤبة » .

(٦) تتعتع : تردد من حصر أوعى . فيما عدا ل : « تلهيع » أى أفرط .

(٧) التكملة مما سبق فى ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ولرقبة بن مصقلة أخبار متفرقة فى الكتاب .

وكان ابن عَمّار الطائىُّ (١) خطيبَ مَذحِجَ كلِّها ، فبلغ النّعمانَ حسنُ حديثه فحمله على منادمته ؛ وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجلد ، أحمر الشَّعْر ، وكان شديد العَربدة قتّالاً للندماء ، فنهاه أبو قُرْدُودةَ الطائىُّ عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

إنّى نهيتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له ... لا تأمنَنْ أحمَرَ العينينِ والشَّعَرَه (٢)
إنّ الملوكَ مَتَى تنزِلْ بساحَتِهِمْ ... تَطِرْ بنارِك مِن نيرانهم شَرَرَه
يا جفنةً كإزاءِ الحَوْضِ قد هدَموا ... ومنطِقاً مثلَ وشى اليَمْنة الحِبَره

قال الأصمعىّ : وهو كقوله :

ومنطِقٍ خُرِّق بالعَواسل (٣) ... لَذٍّ كوَشى اليُمنْة المَراحِلِ (٤)

* * *

قال (٥) : وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزِّبرقان بن بدر ، فقال : « إنّه لمانع لحَوْزته ، مطاع فى أدْنَيْهِ » . قال الزِّبرقان : إنّه يا رسول الله لَيعلمُ منِّى أكثَرَ مما قال ، ولكنه حَسَدنى شَرفِى ، فقصَّر بى . قال عَمروٌ : « هو واللهِ زَمِرُ المروءةَ ، ضيِّق العَطَن ، لئيم الخال » . فنظر النبى ﷺ فى عينيه ، فقال : « يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسَنَ ما علمت ، وغضِبْت فقلتُ أقبَحَ ما علمت ، وما كذبْتُ فى الأولى ولقد صدقْتُ فى الآخِرة » . فقال رسول الله ﷺ : « إنّ من البيان لسحراً » .

* * *

---

(١) هو عمرو بن عمار الطائى المترجم فى ٢٢٢ .

(٢) الأبيات سبقت فى ٢٢٣ .

(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة . وانظر (٢ : ٢٩٢) .

(٤) المراحل : التى نقش فيها تصاوير الرحال ، جمع مرحل ، بالتشديد .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ٥٣ .

قال : وتكلَّم رجلٌ فى حاجة عند عمرَ بنِ عبد العزيز ، وكانت حاجتُه فى قضائها مشقّة ، فتكلّم الرجُلُ بكلامٍ رقيق موجَز ، وتَأَتَّى لها ، فقال عُمر : والله إنّ هذا لَلسِّحرُ الحلال .

* * *

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بنُ عبد الله بن محمد بن أبى سَبْرة [1] ، وكان القاضىَ قَبْلَ أبى يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هُنَيدة وأبو نَعَامة ، العَدَوِيّان . ٢٠٧

ومن الخطباء : أيُّوب بن القِرِّيَّة [2] ، وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف [3] ، كأنَّهنّ ركبٌ وقوف : دُنْيا وآخرةٌ ومعروف » ثم قال له فى بعض القَول : « أَقِلْنى عَثْرتى ، وأَسِغْنى رِيقى [4] ؛ فإنه لابُدَّ للجواد من كَبوة ، وللسَّيف من نَبْوة ، وللحليم مِن هفوة » . قال : كَلّا والله حتّى أُورِدَك نارَ جهنّم . ألستَ القائل برُسْتَقاباد [5] : تغدَّوْا الجَدْىَ قبل أن يَتعشَّاكم ؟

قال : ومن خطباء غطفان فى الجاهليَّة : خُويلد بن عَمرٍو ، والعُشَرَاء [6]

---

(١) أبو بكر هذا أحد من سمى بكنيته . وذكر ابن حجر فى التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابى شهد بدرا . وكان أبو بكر يفتى بالمدينة . ثم كتب إليه فقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادى بن المهدى وهو ولى عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين فى خلافة المهدى ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت فى ص ٢٠ .

(٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من هـ ، حـ والتيمورية . وقد سبق الخبر فى ص ١١٢ .

(٤) أسغنى ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجِلْنى . ل ، حـ : « واسقنى » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباذ » وهى من أرض دستوا بفارس .

(٦) فى الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بنى مازن بن فزارة بنو العشراء » . ب : « الغشراء » ل : « العشر » ، وأثبت ما فى هـ ، حـ والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَىّ بن مازن بن فزارة . وخويلدٌ خطيب يوم الفِجار .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب (١) وأهل البيان : الوَضّاح بن خَيْثَمَة . ومن أصحاب الأخبار والنَّسبِ والخُطب والحُكم (٢) عند أصحاب النُّفورات (٣) بنو الكَوَّاءِ ، وإيَّاهُم يعنى مسكين بن أُنَيف الدارمىّ ، حين ذكر أهلَ هذه الطبَقة فقال :

كِلانا شاعرٌ من حَىٍّ صِدقٍ ولكنِ الرَّحَى فوقَ الثِّفالِ (٤)
وحَكِّمْ دَغْفَلاً وارحلْ إليهِ ولا تُرِجِ المطىَّ من الكَلالِ
تعالَ إلى بنى الكَوَّاءِ يقضوا بِعِلْمِهِمِ بأنساب الرِّجالِ (٥)
هَلُمَّ إلى ابن مَذْعور شِهاب يُنَبِّى بالسَّوافل والعَوالِى
وعند الكَيِّسِ النمرى علمٌ ولو أضحى بمنخرَق الشَّمالِ (٦)

ومن الخطباء القدماء : كعبُ بن لُؤَىّ ، وكان يخطب على العرب عامّة ، ويحضُّ كنانةَ على البرِّ ، فلما مات أكبرُوا موتَه ، فلم تزل كنانةُ تؤرِّخ بموت كعب بن لُؤَىّ إلى عام الفيل .

* * *

ومن الخطباء العلماء الأَبيناء ، الذين جَرَوا من الخِطابة على أعْراقٍ قديمة (٧) : شبيب بن شيبة ، وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور ، وقد كان

---

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدا ل : « والحكام » .

(٣) النفورة : الحكومة . وفى اللسان : « ونافر الرجل منافرة ونفارا : حاكمه واستعمل منه النفورة كالحكومة . قال ابن هرمة :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد يدعى ليوم نفورة ومعاقل »

(٤) الثفال ، بالكسر : ماوقيت به الرحى من الأرض .

(٥) فيما عدا ل : « تعال إلى » .

(٦) سبق البيت فى ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٥ .

المنصور أقام صالحاً فتكلّم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كاليوم أبْيَنَ بياناً ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربَطَ جَنانا ، ولا أبَلَّ ريقاً ، ولا أحسن طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً [١] من صالح . وحُقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهديُّ أخاه ، أن ٢٠٨
يكون كما قال زهير [٢] :

يطلُب شأو امرأين قَدّما حَسنا ... نالا المُلُوك وبَذّا هذه السُّوَقا [٣]
هو الجوادُ فإن يلحَقْ بشأوِهما ... على تكاليفه فمثلُه لَحِقا [٤]
أو يَسْبِقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثلُ ما قدَّما مِن صالحٍ سَبَقا [٥] »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة [٦] يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتّقُوا مَجانِيق [٧] الضُّعفاء » ، يريد الدعاء .

قال : وقال شبيب بن شيبة : « اطلب الأدب فإنّه دليلٌ على المروءة ، وزيادةٌ فى العقل ، وصاحبٌ فى الغُربة ، وصِلَة فى المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهدى يوماً : « أراكَ اللهُ فى بَنِيكَ ما أرى أباكَ فيك ، وأرى اللهُ بنيكَ فيك ما أراك فى أبيك » .

---

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغؤور .

(٢) فى مديح هرم . والأبيات فى ديوان زهير ٥١ .

(٣) الشأو : السبق . بذا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .

(٤) فى شرح ثعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفى اللسان : « وهى الكلف والتكالف ، واحدتها تكلفة » . ومما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء فى هذا الجمع وحذفها .

(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذا مهلة قبله فتقدماه . والألف فى « سبق » للإطلاق ، أى مثل فعلهما سبق .

(٦) فى عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .

(٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهى من آلات فى القتال . وانظر (٣ : ٢٧٤) .

وقال أبو الحسن : قال زيد بن علىّ بن الحسين : « اطلب ما يَعنِيك واتْرُكْ ما لا يعنيك ؛ فإنَّ فى ترك ما لا يعنيك دَرَكاً لما يَعنيك ، وإنما تَقْدم على ما قدَّمت ، ولست تَقَدَم على ما أخّرت . فآثِرْ ما تلقاه غداً ، على مالا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : « ما الإنسان لولا اللِّسان إلا صورةٌ ممثّلة (١) ، أو بهيمة مهمَلة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيبا ، وكان عثمانُ خطيبا وكان علىٌّ أخطبَهم (٢) . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان (٣) ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بنى هاشم : زيد بن على ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباءُ لا يُجارَوْنَ . ومن خطباء النُّسَّاك والعُبّاد : الحسن بن أبى الحسن البصرىّ ، ومطرِّف بن عبد الله الحَرَشى (٤) ، ومُورِّق العجلى (٥) وبكر بن عبد الله المزنىّ (٦) ، ومحمد بن واسع الأزدىّ (٧) ، ويزيد بن أبان

---

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر فى ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » .

(٣) ل : « ومروان بن سليمان » .

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصرى ، المترجم فى ١٠٣ . وقال السمعانى فى الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفى الأزد الحريش بن خزيمة بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرشى » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة — بن مشمرج — بكسر الراء — بن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مؤرق » بالهمز . انظر القاموس (ورق) .

(٦) ترجم فى ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدى البصرى ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النساك العباد الزهاد . توفى هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفة الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرَّقاشى (١) ومالك بن دينار السَّامىّ (٢) .

وليس الأمر كما قال ؛ فى هؤلاء القاصُّ المُجيدُ ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأمَّا الخطب فإنَّا لا نعرف أحدا يتقدَّم الحسنَ البصرىَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسَمَّوْا خطباءَ فإنّ الخطيب لم يكن يشُقُّ غُبارَهم .

أبو الحسن قال : حدَّثنى أبو سليمان الحميرىّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنِّى لأستصفِقُ العمامة الرقيقة تكون على أُذُنى إذا كان عندى عبد الأعلى بن عبد الله (٣) ؛ مخافةَ أن يسقط عنّى من حديثه شىءٌ .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غَطفان : أبو البِلاد (٤) ، كان راوية ناسبا.

ومنهم : هاشم بن عبد الأعلى الفَزَارىّ . ومن الخطباء : حفْص بن معاوية الغَلابِىُّ (٥) وكان خطيباً ، وهو الذى قال حين أشركَ سليمانُ بن علىّ بينه وبين مولى له على دار القَتَبِ : « أشركتَ بينى وبين غير الكفىّ ، وولَّيتنى غير السنىّ » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعة بن ضَمْرة ، وهو الذى قيل فيه : « لولا غلوٌّ فيه ما كان كلامه إلّا الذّهب » . وقام عند معاويةَ بالشّام خطيبا فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالى فائتونى بخالٍ مثلِه . وكان ابنُه النُّعمان بن زُرعة ابن ضَمرة، مِن أخطب الناس ، وهو أحدُ مَن كان تخلَّصَ من الحجاج من فَلّ

---

(١) ترجم فى ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامى لأنه كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، كما سبق فى ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٤٤ س ٥ — ٧ .

(٤) فى المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفى ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان فى زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبى البلاد الطهوى ، أحد شعراء بنى طهية ،وهو المعروف أيضا بأبى الغول الطهوى ، انظر المؤتلف ١٦٣ وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابى : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببنى غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل حذامِ ، من بَنى نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث (١) بالكلام اللطيف .

وقال سُحيم بن حفص (٢) : ومن الخطباءِ عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلاليّ : تكلم هو وعبد الله بن الأهتم ، عند عمر بن هبيرة وعبد الله بن هبيرة ، ففضَّل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قائل يومئذ : الخلُّ حامضٌ ما لم يكنْ ماء .

ومن خطباء بنى تميم : عمرو بن الأهتم (٣) ، كان يُدْعى « المُكَحَّل » لجماله ؛ وهو الذى قيل فيه : إنّما شعره حُلَلٌ مُنَشَّرَة بين أيدى الملوك ، تأخذ منه ما شاءت . ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطبُ منه .

ومن بنى مِنقر : عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيبا ذا مقاماتٍ ووِفادات. ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد ابن صفوان ، وقد وفَدَ إلى هشام ، وكان من سُمّار أبى العبّاس .

ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وقد ولِىَ خُراسانَ ووفد على الخلفاء ، وخَطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، و خاقان بن الأهتم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم .

٢١٠ ومن خطبائهم : محمدٌ الأحول بن خاقان ، وكان خطيبَ بنى تميم ، وقد رأيتُه وسمعت كلامه .

ومن خطبائهم : مَعْمرُ بن خاقان ، وقد وَفَد .

ومن خطبائهم : مؤمَّل بن خاقان . وقال أبو الزُّبير الثّقفى : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمصار أشبَهَ بخطباء البادية ، من المؤمَّل بن خاقان .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ س ٢ .

(٢) ترجم فى ص ٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته فى ١٠ ، ٥٣ .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمَّل بن خاقان . وكان صَبَاح بن خاقانَ (١) ، ذا علمٍ وبيانٍ ومعرفة ، وشدّة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاءٍ واحتمالٍ وصبر على الحقّ ، ونصرةٍ للصَّدِيق ، وقيامٍ بحقّ الجار .

ومن بنى مِنقر : الحكَم بن النَّضر ، وهو أبو العلاء المِنقرىّ ؛ وكان يصرِّف لسانه حيث شاء ، بجهارةٍ واقتدار .

ومن خطباء بنى صَرِيم بن الحارث : الخَزْرَجُ بن الصُّدَىّ .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقاعِس : عُمارة بن أبى سليمان . ومن ولد مالك بن سعد (٢) : عبدُ الله وجبر (٣) ابنا حبيب (٤) ، كانا ناسبين عالمين أديبين ديِّنين . ومن ولد مالك بن سعد (٥) : عبد الله والعبّاس ابنا رُؤبة ، وكان العبّاس علّامةً عالما ، ناسبا راوية ، وكان عبدُ الله أرجزَ الناس وأفصحَهم ، وكان يكنى أبا الشَّعثاء ، وهو العجّاج (٦) .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكرٍ الصِّدّيق ، رحْمةُ الله عليه ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المسيَّب ، ثم قَتادة ، وعبيدُ الله بن عبد الله بن عتبةَ المسعودىّ (٧)

---

(١) فى القاموس (صبح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفى ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت فى حـ وجعلت « جبر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا والد رؤبة بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغريبها . وكان رؤبة أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رؤبة وأفصح منه . خزانة الأدب (١ : ٤٣) والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلى المدنى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه: أخوه عون الزهرى وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكاً ، وأضَر رحمه الله بأخَرة . توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧) ونكت الهميان ١٩٧ — ١٩٨ والأغانى (٨ : ٩٤ — ٩٥) .

الذى قال فى كلمةٍ له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عَمرِو بن عثمانَ ابن عفّان (١) :

مُسًّا تُرابَ الأرضِ منه خلقتُما ... وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ (٢)
ولا تأنفَا أن ترجِعا فتُسلِّما ... فما حُشِىَ الإنسانُ شراً من الكِبْرِ
فلو شئتُ أَدلَى فيكما غيرُ واحدٍ ... عَلانيةً أو قال عندى فى سِرِّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم أنهَ عنكما ... ضحكتُ له حتَّى يَلِجَّ ويَستشرِى (٣)

وهو الذى قيل له كيف تقول الشِّعر مع النُّسك والفقه ؟ فقال : « إنّ المصدورَ لا يملك أن ينفُثَ (٤) » .

٢١١ وقد ذكر المصدورَ أبو زُبيدٍ الطائىّ فى صفة الأسد فقال :

للصَّدر منه عويلٌ فيه حَشرجَة ... كأنَّما هو من أحشاء مصدورِ

ومن خطباء هذيل : أبو المليح الهُذَلىّ أسامةُ بن عمير (٥) ، ومنهم:أبو بكر الهُذَلى (٦) ، كان خطيباً قاصّا ، وعالما بيّنا ، وعالماً بالأخبار والآثار . وهو الذى لما فاخر أهلَ الكوفة قال : « لنا السَّاج والعاج ، والدِّيباج والخَراجُ ، والنهر العجَّاج (٧) » .

---

(١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ١٧ والمرتضى (٢ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ والمحبر لابن حبيب ٢٩٧ .

(٢) كذا بالخرم فى أوله فى ل . وفيما عداها « فمُسّا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ : ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغانى (١٣ : ١٠) أن العتبى سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

(٤) ويروى : « لابد للمصدور أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سيأتى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى ». وذكره فى التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن الحسن وابن سيرين وأبى المليح الهذلى وغيرهم ، وعنه:ابن جريج وابن عياش . وكان من العلماء بأيام الناس . توفى سنة ١٦٧ .

(٧) انظر (٢ : ٩٤) .

باب
من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أكهَنُ العرب وأسجعهم سَلمة بن أبى حَيَّة ، وهو الذى يقال له عُزَّى سَلِمَة [١] . ومنهم من خطباء عُمَان : مُرَّة بن فَهْمٍ التَّليدُ ، وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بِشْر [٢] بن المغيرة بن أبى صُفرة ، وهو الذى قال لبنى المهلَّب: « يابنى عمِّى ، إنِّى والله قد قصَّرت عن شَكاة العاتب ، وجاوزت شكاةَ المستعتب ، حتَّى كأنِّى لستُ موصولا ولا محروما ، فعُدُّونى أمرأً خفتم لسانَه ، أو رجوتم شُكرَه . وإنِّى وإن قلتُ هذا فلَمَا أبلانى اللهُ بكم أعظمُ مما أبلاكم بى » .

ومن خطباء اليمن ثم من حِمْيَر : الصَّبَّاح بن شُفَىّ الحميرىّ ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيسٍ بن شمّاس [٣] . ومنهم : ثابت ابن قيس بن شمّاس خطيبُ النبى ﷺ . ومنهم : رَوْح بن زِنباع [٤] ، وهو الذى لما همَّ به معاوية قال : « لا تُشْمِتنَّ بى عَدُواً أنت وقَمتَه [٥] ، ولا تسوءَنّ فىَّ [٦] صديقاً أنت سررته ، ولا تَهدِمنَّ مِنّى ركنا أنت بنيتَه . هَلاَّ أتى حلمُك وإحسانُك على جهلى وإساءتى » .

---

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى هـ بفتح اللام . وفى ب والتيمورية : « غزى سلمة » .

(٢) فى ل : « بسر » بضم الباء بعدها سين مهملة .

(٣) فيما عدا ل : « الشماس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ وكلمته فى أمالى الزجاجى بتحقيقنا ص ٧ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد .

(٦) هـ : « بى » .

ومن خطبائهم :الأسود بن كعب ، الكذّابُ العنْسِىّ [١] . وكان طُليحة [٢] خطيباً وشاعراً،وسجّاعاً كاهنا ناسباً . وكان مُسيلِمَة الكذّاب [٣] بعيداً من ذلك كلّه .

٢١٢ وثابت بن قيس بن شَمّاس هو الذى قال لعامر [٤] ، حين قال : أَمَا والله لئن تعرَّضْتَ لِعَنِّى [٥] وفنِّى ، وذكاءِ سِنِّى [٦] ، لتولِّيَنَّ عنِّى » ، فقال له ثابت : « أَمَا والله لئن تعرضتَ لسِبابى ، وشَبَا أنيابى [٧] وسرعةِ جوابى ، لتكرَهَنَّ

---

(١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بنى عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادى سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبرى (٣ : ٢١٣ – ٢٢٠) .

(٢) هو طليحة بن خويلد الأسدى ، تنبأ فى خلافة أبى بكر فى بنى أسد بن خزيمة . وعاضده عيينة بن حصن الفزارى ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة . وذلك فى سنة ١١ من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف .

(٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفى ، من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها القرآن بزعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، فى ضوئها ومجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها » . وقوله : « يا ضفدع نقى نقى كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر إليه خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة . وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبرى (٣ : ٢٤٣ – ٢٥١) والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦ .

(٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم فى ٨٣ ، الذى قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .

(٥) هـ : « للعنى » . تحريف .

(٦) ذكاء السن : تمامه بانتهاء الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فررت عن ذكاء » .

(٧) شبا الأنياب : حدها .

جَنانى » . قال : فقال النبى ﷺ : يكفيك اللهُ وابْنَا قَيْلة (١) » .

لعَنّى : أى لما يعِنُّ لى ويعرِض . فَنّى : مذهبى فى الفن (٢) .

وأخذتُ هذا الحديثَ من رجلٍ يضع الأخبارَ فأنا أتّهمه (٣) .

ومن خطباء الأنصار : بشر بن عمرو بن مُحْصَنٍ ، وهو أبو عَمرة الخطيب .

ومن خطباء الأنصار : سعد بن الربيع (٤) ، وهو الذى اعترضت ابنتُه (٥) النبىَّ ﷺ ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنةُ الخطيب النَّقيب الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خالُ حسّان بن ثابت ، وفيه يقول حسّان :

إن خالى خطيبُ جابِيَة الجَوْ ... لانِ عند النُّعمان حين يقومُ (٦)

وإياه يعنى حسّانُ بقوله :

رُبَّ خالٍ لىَ لو أبصرْتــــه ... سَبِطِ المِشيةِ فى اليومِ الخَصِرْ (٧)

ومنهم من الرواة والنَّسابين والعلماء : شَرْقىُّ بن القطامىِّ (٨) الكلبىّ ، ومحمد

---

(١) فى هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفى اللسان : « اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل » .

(٢) هذا التفسير ساقط من هـ .

(٣) فى هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوى لهذا الحديث غير موثوق به لا سيما فى عطف ابنا قيلة على لفظه الجلالة ما لا يخفى » . هـ : « من رجل يصنع الكلام » .

(٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارى الخزرجى ، آخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .

(٥) هى أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .

(٦) جابية الجولان ، من أعمال دمشق .

(٧) رواية الديوان ٢٠٤ : « سبط الكفين » . وقبله :

سألت حسان من أخواله ... إنما يسأل بالشىء الغمر

قلت : أخوالى بنو كعب إذا ... أسلم الأبطال عورات الدبر

(٨) الشرقى لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدى ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ – ١٤٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن جمال ، يقال بفتح القاف وضمها ، مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو الصقر . والقطامى شاعر ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ – ١٦٧ . وهو غير القطامى التغلبى ، الشاعر المشهور ، واسمه عمير بن شييم .

ابن السّائب الكلبىّ (١) ، وعبد الله عَيَّاش الهَمْدانى (٢) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (٣) . والهيثم بن عدىّ الطائىّ (٤) ، وأبو رَوق الهمْدانىّ واسمه عطية بن الحارث (٥) ؛ وأبو مِخنِف لوط بن يحيى الأزدىّ (٦) ، ومحمد بن عُمَرَ الأسلمىّ الواقدىّ (٧) ، وعَوانَةُ الكلبىّ (٨) ، وابن أبى عُيينة المُهَلّبىّ (٩) ، والخليل بن أحمد الفَراهيدىّ (١٠) ، وخلَفُ بن حَيَّانَ الأحمرُ الأشعرىّ (١١) .

قالوا : ومِنّا فى الجاهلية عُبَيدُ بن شَرِيَّة (١٢) ، ومنّا شِقُّ بن الصَّعب ، ومنّا ربيع بن ربيعة السَّطيحُ الذِّئبىّ (١٣) .

---

(١) ترجم فى ٢٤٢ .

(٢) ترجم فى ٢٦٠ .

(٣) ذكره ابن النديم فى الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة فى ١٤٠ — ١٤٣ وهو صاحب الجمهرة فى النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفى سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .

(٤) ترجم فى ص ٦ .

(٥) أبو روق عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى ، روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وروى عنه الثورى وعمارة . تهذيب التهذيب .

(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . وروى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .

(٧) ترجم فى ٣٧ . ل : « محمد بن عمرو » تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٩ : ٣٦٣) .

(٨) ترجم فى ٣١٦ .

(٩) ترجم فى ٥٠ .

(١٠) الفراهيدى : نسبة إلى فرهود ، بالضم ، وهم حى من يحمد ، وهم بطن من الأزد

(١١) ترجم فى ١٢٩ .

(١٢) عبيد ، بهيئة التصغير ، كما ضبط فى ل ، هـ ، وكما يفهم من سياق ابن حجر فى الإصابة ٦٣٩١ . وشرية قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وضبط فى هـ بفتح الشين وسكون الراء . وقال ياقوت فى إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن سرية ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية » . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسجستانى فى المعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .

(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح فى ص ٢٩٠ .

ومنّا المأمور الحارثيّ (١) ، والدّيّانُ بن عبد المدان ، الشّريفان الكاهنان

ومنهم : عمرو بن حنظلة بن نَهْد الحَكَم ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نَهْدٍ   مِن خيرِ ناسٍ فى معَدّ

ومنهم : أبو السَّطَّاح اللخْميّ (٢) ، وجمع معاوية بينه وبين دَغفَل بن حنظلة البكريّ . ومنهم أبو الكُبَاس الكندىّ (٣) ومنهم أظفَرُ بن مِخْوَس الكندىّ (٤) . وكانا ناسبين عالمين . ٢١٣

ومن أصحاب الأخبار والآثار : عبد الله بن عقبة بن لَهِيعة(٥) ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن القدماء فى الحكمة والرياسة والخطابة عُبَيد بن شَرِيَةَ الجرهمى ، وأسْقُفُّ نجران ، وأُكَيدِرُ صاحب دُومة الجَنْدل ، وأُفَيْعَى نجران ، وذَرِب بن حَوْط ، وعُلَيم ابن جناب (٦) وعَمرو بن ربيعة – وهو لُحَىٌّ (٧) – بن حارثة بن عمرٍو مُزَيقِياء . وجَذيمة بن مالكٍ الأبرشُ (٨) ، وهو أوّل من أسرج الشَّمَعَ ورَمَى بالمَنْجَنيق .

---

(١) المأمور الحارثى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت فى أمره تتقدم وتتأخر » . وقيل هو معاوية بن الحارث . الأمالى (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تيراء . معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جَلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧٠) والنقائض ١٤٩ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أبو الشطاح » بالشين المعجمة . وانظر الحيوان (١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩) .

(٣) فيما عدا ل : « الكناس » .

(٤) هذا ما فى ل . وفى هـ : « ومنهم ابن مخوس الكندى » . وفى سائر النسخ : « ابن مخوس » .

(٥) كذا فى ل ، هـ ، وفيما عداهما : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » . وكلاهما خطأ ، وصواب اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه الثورى وشعبة والأوزاعى . تهذيب التهذيب .

(٦) هو عليم ، بهيئة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحى هو لقب ربيعة ، كما فى الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بنى عمرو بن لحى تفرقت خزاعة » . وفى العرب « عمرو بن لحىّ » آخر ، هو عمرو بن لحىّ بن قمعة بن الياس بن مضر . انظر السيرة ٥٠ – ٥١ . وفى هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحىّ يجر قصبه فى النار » .

(٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب جذيمة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العمدة (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر النُّساك والزهّاد من أهل البيان

عامر بن عبد قيس (١) ، وصِلَةُ بن أُشَيم (٢) ، وعثمان بن أدهم ، وصفوان بن مُحرز (٣) والأسود بن كلثوم (٤) ، والربيع بن خُثَيم (٥) ، وعَمْرو ابن عُتْبة بن فرقد (٦) ، وهَرِمُ بن حيّان (٧) ، ومورِّق العجلى ، وبكر بن عبد الله المُزَنىّ ، ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشىّ (٨) .

---

(١) ترجم فى ٨٢ .

(٢) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوى الناسك ، زوج معاذة العدوية الناسكة ، لقى جماعة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً فى غزاة ، فى أول إمرة الحجاج على العراق سنة ٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئتى فمرحبا بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩) والإصابة ٤١٢٧ .

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازنى ، أسند عن ابن عمر ، وأبى موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقتادة وغيرهم . توفى بالبصرة سنة ٧٤ فى ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .

(٤) ذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) فى الطبقة الثالثة من أهل البصرة .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم الثاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد الثورى الكوفى ثقة عابد من كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك » . توفى سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١) وابن النديم ٢٦٠ .

(٦) فيما عدا ل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمى الكوفى . روى عن ابن مسعود وسبيعة الأسلمية كتابة . قتل فى تستر فى خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة (٣ : ٣٧) .

(٧) هرم بن حيان العبدى ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبى العاص إلى قلعة بَحرة فافتتحها عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

(٨) ترجم مورق فى ص ٣٥٣ ، وبكر فى ص ١٠٠ ، ومطرف فى ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار (١) ، وحبيب أبو محمد (٢) ، ويَزيدُ الرَّقاشىّ ، وصالح المُرّىّ (٣) ، وأبو حازِمٍ الأعرج (٤) ، وزياد مولى عَيّاش بن أبى ربيعة (٥) ، وعبد الواحد بن زيد (٦) ، وحيّان أبو الأسود ، ودَهْثَم أبو العلاء .

ومن النساء : رابعة القيسية (٧) ، ومُعاذَةُ العدوية (٨) امرأةُ صِلةَ بنِ أشْيَم ،

---

(١) ترجم فى ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمى ، أو الفارسى ، البصرى ، أحد الزهاد المشهورين ، روى عن الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله ، وعنه:سليمان التيمى وحماد بن سلمة . قال المعتمر عن أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع ، ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب أبى محمد » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٦) . وقد ذكر خطأً فى الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسى » .

(٣) ترجم يزيد بن أبان الرقاشى فى ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المرى فى ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأفزر التمار المدنى القاص ، مولى الأسود بن سفيان المخزومى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى بعد سنة ١٤٠ فى خلافة المنصور . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة القرشى . وزياد ، هو زياد بن أبى زياد ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه . توفى سنة ١٣٥ . صفة الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ، قال ابن الجوزى : أسند عن الحسن البصرى وأسلم الكوفى . صفة الصفوة (٣ : ٢٤٠) . وفى لسان الميزان (٤ : ٨٠) أنه كان متهماً فى حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ فى جماعة العباد والزهاد .

(٧) هى أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية ، وهى تعد أشهر الزاهدات المتعبدات ، كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يانفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفة الصفوة (٤ : ١٧) . وذكر ابن خلكان أن وفاتها كانت فى سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هى أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية ، زوج صلة بن أشيم المترجم فى ٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعنها:قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحول وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد فراشاً بعد أبى الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلَم القبور » . تهذيب التهذيب (٢ : ٤٥٢) وصفة الصفوة (٤ : ١٣) .

وأُمُّ الدرداء (١)

ومن نساء الخوارج : البَلْجاء (٢)، وغَزالة (٣)، وقَطامِ ،وحَمّادة (٤)، وكُحَيْلة .

ومن نساء الغالية : ليلى الناعظيَّة (٥) : والصَّدوف ، وهِند .

وممن كان من النُّساك ممن أدركناه : أبو الوليد ، وهو الحكَم الكِندِىّ ، ومحمد بن محمد الحمراوىّ (٦) .

ومن القدماء ممَّن كان يُذكر بالقَدْر والرِّياسة ، والبيان والخطابة ، والحكمة والدَّهاء والنَّكراء : لقمان بن عاد ، ولُقَيم بن لقمان ، ومجاشع بن دارم ،وسَليط(٧) بن كعب بن يَربوع ، سمَّوه بذلك لسلاطة لسانه . وقال جرير :

* إنّ سَليطاً كاسمه سليطُ *

ولؤىّ بن غالب ، وقُسّ بن ساعدة ، وقُصَىّ بن كلاب .

ومن الخطباء البلغاء والحُكَّام الرؤساء : أكثم بن صَيْفىّ ، وربيعة بن حُذار ، وهَرِم بن قطبة ، وعامر بن الظَّرِب ، ولبيد بن ربيعة ، وكان من الشعراء .

---

(١) أم الدرداء ، هى زوج أبى الدرداء الصحابى ، واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلهما شخصين : أم الدرداء الكبرى ، وأم الدرداء الصغرى ، وكلاهما زوج لأبى الدرداء . وبعضهم يقول : هما واحدة . ويختلفون فى ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ من قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥) وصفة الصفوة (٤ : ٢٦٦) حيث يرجح ابن الجوزى أن العابدة هى الصغرى ، واسمها هجيمة بنت حيى ، واسم الكبرى خيرة بنت أبى حدرد .

(٢) لعلها « الشجاء » . انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨ — ٥٨٩) .

(٣) هى غزالة الشيبانية ، زوج شبيب بن يزيد الخارجى الشيبانى ، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم . وكان الحجاج فى بعض حروبه قد هرب منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلى بقوله :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الضحى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

تقدمت ترجمة يزيد فى ص ١٢٨ . وفى الحيوان (٥ : ٥٩٠) أن خالد بن عتاب قتلها .

(٤) هى حمادة الصفرية ، ذكرها الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٩٠) .

(٥) ترجمت فى ص ٣٠ . فى الأصول : « الناعطية » ، بالطاء المهملة ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الحمرانى » . (٧) فى الديوان ٣٣٢ : وقال لبنى سليط :

إن سليطا كاسمها سليط ... لولا بنو عمرو وعمرو عيط
قلت ديافيون أو نبيط

وأسماء الصوفية من النسّاك ممن كان يجيد الكلام ٢١٤

كِلابٌ [١] ، وكُلَيب ، وهاشمٌ الأوقص ، وأبو هاشم الصوفىّ [٢] ، وصالح بن عبد الجليل .

ومن القدماء العلماء بالنَّسَب وبالعرب [٣] : الخَطَفى وهو [٤] جدّ جرير بن عطية بن الخَطَفى ، وهو حُذَيفة بن بدر بن سَلَمة بن عوف بن كليب بن يربوع . وإنما سُمِّى الخَطَفى لأبياتٍ قالها ، وهى :

يَرفعْنَ بالليل إذا ما أُسدَفا   أعناقَ جِنَّانٍ وهاماً رُجَّفا
وعَنَقاً باقى الرسيم خَيطفاً

العَنَق : ضربٌ من السير ، وهو المسْبَطِرّ ؛ فإذا ارتفع عن العَنق قليلاً فهو التزيُّد ، فإذا ارتفع عن ذاك فهو الذَّمِيل . والرَّسيمُ فوق الذَّمِيل . والخَيطَفُ : السريع ، أى يَخطِف كما يخطف البرقُ . وخيطف من الخَطف ، والياء فى خيطف زائدة ، كما قالوا رجل صَيْرَفٌ من الصرف ، ورجل جَيْدرٌ من الجَدَرِ وهو القِصَر [٥] . وأصل الخطف الأخذُ فى سرعة [٦] ثم استعير لكلِّ سريع .

* * *

(١) هو كلاب بن جرى . ذكر فى صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩) .

(٢) أبو هاشم الصوفى الزاهد ، من قدماء زهاد بغداد ، جلس إليه سفيان الثورى . صفة الصفوة (٢ : ١٧٢) .

(٣) فى هامش هـ : « وبالغريب » عن نسخة .

(٤) هذه الكلمة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « القصير » .

(٦) ل : « بسرعة » .

ذكر القُصَّاص

قَصَّ الأسودُ بنُ سريع ، وهو الذى قال :

فإنْ تنجُ منها تَنجُ من ذى عظيمةٍ   وإلاَّ فإنى لا أخالُك ناجيا

وقصَّ الحسن وسعيدٌ ابنا أبى الحَسَن (١) . وكان جَعْفرُ بنُ الحسن أوَّلَ مَن اتخذ فى مسجد البصرة حلقةً وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة . وقَصَّ إبراهيمُ التَّيمىُّ (٢) . وقص عُبيد بن عُمير الليثىّ (٣) وجلس إليه عبد الله بن عُمَر . حدَّثنى بذلك عَمرو بن فائد بإسناد له .

ومن القُصّاص : أبو بكر الهُذَلىّ وهو عبد الله بن سُلمىّ (٤) ، وكان بيِّناً خطيبا صاحبَ أخبار وآثار . وقصَّ مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير (٥) فى مكان أبيه . ومن كبار القُصَّاصِ ثم من هذيل : مُسلم بن جندب (٦) وكان قاصَّ مسجدِ النبىِّ

(١) أبو الحسن : كنية والدهما يسار . أما الحسن فهو أبو سعيد الحسن ابن أبى الحسن يسار البصرى ، مولى الأنصار ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفى سنة ١١٠ . وأخوه سعيد بن يسار أكبر منه ، توفى قبله سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « ابن أبى الحسن » ، تحريف .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى ، تيم الرباب ، الكوفى ، كان من العباد ، روى عن أنس وعمر بن ميمون ، وأرسل عن عائشة . قال الأعمش : كان إبراهيم إذا سجد تجىء العصافير فتنقر ظهره . توفى فى حبس الحجاج سنة ٩٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٠) .

(٣) فيما عدا ل : « عبيد الله بن عمير » ، لكن فى هـ « عبد الله » ، كلاهما تحريف . وهو عبيد ابن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندع بن ليث الليثى ، أبو عاصم المكى ، قاضى أهل مكة . روى عن أبيه وعمر وعلى وأبى هريرة وغيرهم ، وذكر العوام بن حوشب أنه رأى عبد الله بن عمر فى حلقة عبيد بن عمير يبكى . توفى سنة ٦٨ . التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١١٦) .

(٤) سبقت ترجمته فى ٣٥٧ . فيما عدا ل : « بن أبى سليمان » .

(٥) سبقت ترجمة مطرف فى ١٠٣ . ل : « وقص ابن مطرف » . وفيما عدا ل : « وقص ابنه مطرف » وكلاهما خطأ .

(٦) هو أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلى القاضى ، كان من فصحاء الناس ، وكان معلم عمر بن عبد العزيز ، وكان يقضى بغير رزق . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

ﷺ بالمدينة ، وكان إمامَهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: « مَن سَرَّه أن يسمعَ القرآن غَضًّا فليسمع قراءة مسلم بن جندب ». ٢١٥

ومن القُصَّاص : عبد الله بن عَرادة بن عبد الله بن الوَضِين ، وله مسجدٌ فى بنى شَيبان .

ومن القُصَّاص : موسى بن سَيّار الأُسوارىّ [1] ، وكان من أعاجيب الدُّنيا ، كانت فصاحتُه بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربيّة ، وكان يجلِس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العربُ عن يمينه ، والفُرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية ، ثم يحوِّل وجهَه إلى الفرس فيفسِّرها لهم بالفارسيَّة ، فلا يُدرى بأى لسانٍ هو أبْيَنُ . واللُّغتانِ إذا التقتَا فى اللِّسان الواحد أدخلت كلُّ واحدةٍ منهما الضَّيمَ على صاحبتها ، إلاّ ما ذكرنا [2] من لسان موسى بن سَيّار الأُسوارىّ .

ولم يكن فى هذه الأمّة بعد أبى موسى الأشعرىّ أقْرأُ فى محراب من موسى بن سَيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعدَ ، ثم يونس النحوىّ ، ثم المعلّى . ثم قصَّ فى مسجده [3] أبو علىّ الأُسوارىّ ، وهو عمرو بن فائدٍ [4] ، ستًّا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة ، فما ختَمَ القرآن حتَّى مات ، لأنَّه كان حافظا للسِّيَر ، ولوجوه التأويلات فكان ربَّما فسَّر آيةً واحدة فى عِدّة أسابيع ، كأنّ الآية ذُكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الأحاديث كثيراً [5] . وكان يقصُّ

---

(١) ترجم له فى لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان قدرياً . وذكره السمعانى فى الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيار .

(٤) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ، ومات بعد المائتين بيسير . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ – ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

(٥) هـ : « الكثيرة » .

فى فنونٍ من القَصَص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونسُ بن حبيب يسمع منه كلامَ العرب ، ويحتجُّ به . وخصالُه المحمودةُ كثيرة .

ثم قصَّ من بعده القاسمُ بن يحيى ، وهو أبو العبَّاس الضَّرير ، لم يُدرَك فى القُصّاص مثله . وكان يقُصُّ معهما وبعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أنَّ أبا علىّ لم تُسمَع منه كلمةُ غِيبةٍ قط ، ولا عارض أحداً قطُّ من المخالِفين والحُسّاد والبُغاة بشىءٍ من المكافأة .

فأمَّا صالحٌ المُرّىّ ، فكان يكنى أبا بِشْر [(١)] ، وكان صحيحَ الكلام رقيقَ المجلس . فذكرَ أصحابنا أنَّ سفيان بن حبيب [(٢)] ، لَمَّا دخل البصرةَ وتوارَى عند مَرحومٍ العطّار [(٣)] قال له مَرحوم : هل لكَ أن تأتِىَ قاصاً عندنا هاهنا ، فتتفرَّجَ
٢١٦ بالخروج والنَّظر إلى النّاس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكرُّهٍ ، كأنَّه ظنّه كبعض مَن يبلغه شأنُه ، فلمَّا أتاه وسمِع منطقَه ، وسمِع تلاوتَه للقرآن ، وسمعه يقول حدّثنا شُعْبة عن قَتادة [(٤)] ، وحدثنا قَتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحتسِبه ، ومذهباً لم يكن يظُنُّه [(٥)] ، فأقبل سفيانُ على مَرحومٍ فقال : ليس هذا قاصًّا ، هذا نَذير !

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه كان » . وترجمة صالح فى ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصرى ، أحد المحدثين الثقات . توفى سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموى البصرى . كان من الثقات العباد . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة فى ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدا ل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العَتكىّ الأزدىّ الواسطى البصرى ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبى يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم فى الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفى سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبى عروبة العدوى البصرى ، قال ابن أبى خيثمة . أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة وهشام الدستوائى . توفى سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

(٥) هـ : « يدانيه » .

باب

ما قيل فى المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر [١] ، وتعتمد على الأرض بالقسىّ ، وتشير بالعِصىّ والقَنا . نَعَمْ حتّى كانت المخاصر لا تفارق أيدِىَ الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر [٢] :

فى كَفِّهِ خيزُرانٌ رِيحُهُ عبِقٌ ... بكفٍّ أرْوَعَ فى عِرنِينه شَمَمُ
يُغضِى حَياءً ويُغضَى مِن مَهابته ... فما يكلَّم إلا حينَ يبتسم
إن قال قال بِما يهوى جميعُهم ... وإن تكلّم يوماً ساخَتِ الكَلِمُ
يكاد يُمسكه عِرْفَانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستَلِمُ [٣]

وقال الشاعر قولا فسَّر فيه ما قلنا . قال :

مجالسُهم خَفْضُ الحديث وقولُهم ... إذا ماقَضَوْا فى الأمر وَحْىُ المَخاصرِ

وقال الكميت بن زيد :

---

(١) المخاصر : جمع مخصرة ، وهى ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك ، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين ، المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢/٢٩٤ : ١٩٦) .

(٣) البيتان الأولان فى (٣ : ٤١ — ٤٢) . والثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدا ل :

كم هاتف لك من داع وداعية ... يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

ونَزُورُ مَسلَمَةَ المهذّ ... بَ بالمؤبَّدَةِ السَّوائرْ (١)
بالمُذهَباتِ المُعجِباَ ... تِ لَمُفْحَمٍ منّا وشاعرْ (٢)
أهلُ التَّجاوُبِ فى المحا ... فِلِ والمَقَاوِلُ بالمَخَاصِرْ (٣)
فهمُ كذلك فى المجا ... لِسِ والمحافِلِ والمَشاعِرْ (٤)

٢١٧ وكما قال الأنصاريُّ فى المجامع حيث يقول :

وسارت بنا سَيّارةٌ ذاتُ سَورةٍ ... بكُوم المطايا والخيولِ الجَماهِرِ (٥)
يؤُمّون مُلْكَ الشّام حَتَّى تمكنوا ... ملوكاً بأرضِ الشّام فوقَ المنابِرِ
يُصيبون فَصْلَ القولِ فى كلِّ خطبةٍ ... إذا وَصَلوا أيمانَهم بالمَخاصرِ

وفى المخاصرِ والعصيِّ وفى خَدِّ وجهِ الأرض بالعِصيّ ، قال الحطيئة :

أمْ منْ لَخصمٍ مُضْجِعين قِسيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدودُهُم عظامِ المَفْخَرِ

وقال لَبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحول كأنّها ... جِنُّ البَدِىِّ رواسياً أقدامُها (٦)

وقال فى خَدّ وَجه الأرض بالعصى والقسى :

نَشِينُ صحاحَ البِيد كُلَّ عشية ... بعُوجِ السَّراء عند بابِ مُحَجَّبِ (٧)

---

(١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤبدة : التى يبقى ذكرها على الأبد . عنى بها القصائد والمِدَح . ل : « بالمهذبة » وفى هامشها : « خ : بالمؤبدة » .

(٢) فى اللسان : « والمفحم . الذى لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف اللسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناسك . والأبيات الثلاثة الأولى فى (٣ : ١١٧) .

(٥) الكوم : جمع أكوم وكوماء ، وهو ما علا سنامه . وانظر (٣ : ١١٦ – ١١٧) .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . تشذر : يوعد بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : موضع ، أو هو البادية . والبيت من معلقته .

(٧) فى شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح البيد ، يقول : نخط بأطراف قسينا ، كلما ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسى . عند باب محجب ، يعنى باب الملك . قال : وعند باب الملوك يتلاق الناس فيتفاخرون ويخطون بقسيهم فيؤثرون فى الأرض ، فذلك شينهم صحاح البيد » . ل : « بعود السراء » .

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السَّراء : شجر تعمل منه القِسِىّ .

وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسَم النّاسُ فَضْلَ الفَخارِ   أَطَلْنا على الأَرض مَيْلَ العصا

وقال الآخر :

كَتَبتْ لنا فى الأَرض يومَ محرِّقٍ   أَيَّامُنا فى الأرض يوماً فَيْصلَا [(١)]

وقال لَبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِقُ غَمَّه   قَرْعُ القِسىِّ وأُرْعِش الرِّعديدُ [(٢)]

وقال مَعنُ بن أوسٍ المُزَنىّ [(٣)] :

أَلا مَن مُبلغٌ عنِّى رسولاً   عُبَيدَ الله إذْ عَجِلَ الرِّسالا [(٤)]

تُعاقِل دُونَنا أبناءَ ثورٍ   ونحنُ الأَكثرون حصًى ومالا [(٥)]

إذا اجتمع القبائل جئت رِدْفا   وَراءَ الماسحين لك السِّبالا [(٦)] ٢١٨

فلا تُعْطَى عَصَا الخطباء فيهم   وقد تُكفَى المَقادةَ والمَقالا [(٧)]

فإنكمُ وتركَ بنى أَبيكم   وأَسْرَتَكم تجرُّون الحِبالا [(٨)]

---

(١) انظر لمحرق ما مضى فى حواشى ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وستره ، أى كثر فيه . ل : « عمه » وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لعن الله ناقة حملتنى إليك » . فقال : « إن وراكبها » . وكف فى آخر عمره . الأغانى (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغانى ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغانى (١٠ : ١٦٢) . وإلى عبد الله بن الزبير الأسدى فى الخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤) .

(٤) عجله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاقل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عددا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها   تمسح حولى بالبقيع سبالها

فيما عدا ل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده فى ل فقط . وانظر (٣ : ٩) .

وودُّكم العِدى ممّن سِواكُمْ لكالحيران يتّبع الضلالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امرئٍ لا تَخطّاهُ الرِّفاقُ ، ولا جَذْبِ الخِوَان إذا ما استُنْشِئَ المرَقُ (١)
صُلْبُ الحيازِيم لا هَذْرُ الكلامِ إذا هزَّ القناةَ ولا مُستَعْجِلٌ زَهِقُ (٢)

وكما قال جريرُ بن الخطفى (٣) :

مَن للقَناة إذا ما عَىَّ قائلها أمْ للأَعِنَّةِ ياشَبَّ بنَ عَمّارِ (٤)

وقال : ومثل هذا قول أبى المجيب الرَّبَعىّ (٥) : « ما تزال تحفَظُ أخاك حتّى يَأخذ القناةَ ، فعند ذلك يَفضَحُك أو يحمَدك » . يقول : إذا قام يخطب .

وفى كتاب جبل بن يزيد (٦) : « احفَظْ أخاك إلّا من نفسه » .

وقال عبد الله بن رُؤبة (٧) : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطبِ بنى تميم ، فقال :

---

(١) لا تخطاه الرفاق : لا يتخطونه ، يقول : هو أبداً أمامهم . فيما عدا ل : « الرقاب » . يقول : هو كثير الطعام على الخوان . الاستنشاء والاستنشاق بمعنى . يقول : هو فى وقت الأزمة والسنة حين يتشهى الناس الطعام مخصب ذو يسر وكرم . فيما عدا ل ، هـ : « العراق » تحريف .

(٢) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن . هز القناة ، أى الرمح حين الخطبة . فى اللسان « وفلان زهق ، أى نزق » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال جرير الخطفى » ؛ وهو خطأ ، إذ أن الخطفى لقب جده عوف وهو جرير بن عطية بن عوف الخطفى .

(٤) كذا فى ل ، هـ . وفيما عداهما : « شيب بن عمار » . وكلاهما خطأ فى الرواية ؛ إذ أن البيت من أبيات فى ديوان جرير ٢٣٦ — ٢٣٧ يرثى بها عقبة بن عمار ، أولها :

ياعقب لا عقب لى فى البيت أسمعه من للأرامل والأضياف والجار
أم من لباب إذا ما اشتد حاجبه أم من لخصم بعيد السأو خطار
أم من يقوم بفاروق إذا اختلفت غياطل الشك من ورد وإصدار
أم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٥) أبو المجيب الربعى : أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى ، انظر ابن النديم ١٠٣ .

(٦) جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجما من معدودى البلغاء والبرعاء . وعمارة ابن حمزة ، كان مولى لأبى جعفر المنصور وكاتبا له . انظر ابن النديم ١٧١ .

(٧) هو العجاج ، والد رؤبة . والعجاج لقبه ، وكنيته أبو الشعثاء .

« خِداش بن لبيد بن بَيْبَة » يعنى البَعِيث (١) . وإنّما قيل له البعيثُ لقوله :

تَبَعَّثَ منى ما تَبَعَّثَ بعد ما أُمِرَّتْ حِبالى كُلَّ مِرّتها شَزْرا (٢)

وزعم سُحَيم بن حفص أنّه كان يقال : أخطب بنى تميم البَعيثُ إذ أخذ القناة .
وقال يونس : لَعمرِى لئن كان مغلَّباً فى الشِّعر لقد كان غُلِّب فى الخُطَب (٣).

* * *

ومن الشعراء من يَغلِبُ شئٌ قاله فى شعره ، على اسمه وكنيته ، فيسَمَّى به بَشَرٌ كثير (٤) . فمنهم البَعيث هذا . ومنهم عوف بن حِصن (٥) بن حُذيفة ابن بَدْر ، غلب عليه عُوَيفُ القوافى لقوله :

سأُكذِب مَن قد كان يزْعُم أنّنى إذا قلتُ شعراً لا أجيدُ القوافيا

فسمّى عُوَيفَ القوافى لذلك .

ومنهم : يَزيد بن ضِرار التغلبىّ ، غلب على اسمه المزَرِّد ؛ لقوله :

فقلت تزرَّدْها عُبيدُ فإنّنى لدُرْدِ الموالى فى السِّنين مُزَرِّدُ (٦) ٢١٩

فسمّى المزرِّد (٧) .

ومنهم : عَمرو بن سَعْدِ بن مالك ، غلب عليه مُرَقِّشٌ (٨) ؛ وذلك لقوله :

---

(١) ترجم فى ٢٠٤ . ونسبه فى المؤتلف ٥٦ : خداش بن بشر بن خالد بن بيبة .
(٢) أمرت شررا : أحكم فتلها عن اليسار . وقيل سمى البعيث لقوله :
تبعث منى ما تبعث بعد ما اسـ ـتمر فؤادى واستمر عزيمى
(٣) انظر ما سيأتى فى (٤ : ٨٤) .
(٤) انظر ذكر من لقب ببيت شعر قاله ، فى المزهر (٢ : ٤٣٤ — ٤٤٣) والعمدة (١ : ٢٣ — ٢٤) .
(٥) فيما عدا ل ، هـ : « حصين » ، تحريف . انظر الاشتقاق : ١٧٣ . ونسبه فى الأغانى (١٧ : ١٠٥) : « عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن — أو ابن عقبة بن عيينة بن حصن — بن حذيفة بن بدر » . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة .
(٦) الدرد : جمع أدرد ودرداء ، وهو الذى ذهبت أسنانه . فى السنين : فى الجدب . وكلمة « تزرد » و « مزرد » لم يرد لهما تفسير فى المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع والبيت فى صفة زبدة ، كما فى المؤتلف ١٩٠ .
(٧) وهو أخو الشماخ بن ضرار الشاعر المعروف .
(٨) فيما عدا ل : « المرقش » . ما عدا هـ : عمرو بن سعيد » تحريف .

الدّار قفرٌ والرسوم كما رَقّشَ فى ظهر الأديمِ قَلَمْ (١)

فسمّى مرقّشا . ومنهم : شَأْس (٢) بن نَهارٍ العبدىّ ،غلب عليه الممزِّق (٣) لقوله :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ وإلّا فأدرِكْنى ولمّا أُمَزَّقِ (٤)

فسمّى الممزِّق . ومنهم: جرير بن عبد المسيح الضُّبَعىّ ، غلَب عليه المتلمِّس لقوله :

فهذا أوانُ العِرض حَىَّ ذبابُه زنابيرُه والأزرقُ المُتَلَمِّس (٥)

ومنهم : عمرو بن رِياح السُّلَمىّ (٦) ، أبو خنساءَ ابنةِ عمرٍو ، وغلَبَ الشّريد على اسمه لقوله (٧) :

تولّى إخوتى وبَقِيتُ فردا وحيداً فى ديارهمُ شريدا

فسمّى الشريد . وهذا كثير .

* * *

---

(١) من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) فى الأصول : « سالم » تحريف صوابه فى ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥) والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبانى ٤٩٥ . وفى الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .

(٣) الممزق ، بفتح الزاى المشددة وكسرها . وهو شاعر جاهلى من بنى عبد القيس .

(٤) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ٤٧ ليبسك ، يقولها لعمرو بن هند حين هم بغزو عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وبهذا البيت تمثل عثمان فى رسالة بعث بها إلى على بن أبى طالب ، وذلك حين أحيط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب . فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، عَلى أى أمريك أحببت :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركنى ولما أمزق »

العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .

(٥) العرض : واد باليمامة . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » . وفيما عدا ل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .

(٦) ب فقط : « رباح » بالباء الموحدة ، والمعروف فى نسب الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد ابن رباح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزانة (١ : ٢٠٨) . وفى الأغانى (١٣ : ١٢٩) أنها بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح .

(٧) فيما عدا ل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عَيلانَ على عبد الملك بن مروان ، فقال زُبَيرىّ عُمَيرىّ [١] والله لا يحبُّك قلبى أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنّما يجزع من فِقدان الحبِّ المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ [٢] » .

وقال عمر لأبى مريم الحنفىّ [٣] ، قاتلِ زيدِ بن الخطاب : « لا يحبُّك قلبى أبداً حتّى تحبَّ الأرضُ الدمَ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجّاج : « والله لأقلعنّك قَلع الصَّمْغَةِ » . لأنّ الصمغة اليابسة إذا قُرِفت [٤] عن الشجرة انقلعت انقلاع الجُلْبَة [٥] . والأرض لا تَنْشَفُ الدَّمَ المسفوحَ ولا تمَصُّه ، فمتى جفَّ الدم وتجلّب [٦] لم تره أخذ من الأرض شيئاً .

* * *

ومن الخطباء : الغَضبان بن القَبَعْثَرَى [٧]،وكان محبوساً فى سجن الحَجّاج ،

---

(١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر فى (٢ : ٨٩) .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب فى ل . وفيما عدا ل : « الحنفى السلولى » وهو خلط فى النسب . وفى الكامل ٣٤٦ ليبسك أنه « السلولى » . وفى حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب ، واسم أبى مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيوان (٣ : ١٣٦ / ٤ : ٢٠١) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . ماعدا هـ : « فرقت » تحريف . وفى اللسان : وقولهم:تركته على مثل مقرف الصمغة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصمغة » .

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء.وانظر (٣ : ٦٠) .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى يبس.ل « تجلف » ولا وجه له .

(٧) القبعثرى ، بفتحات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمل العظيم الضخم . والغضبان هذا رجل شيبانى ، وكان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبرى (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه فى الكامل ٢١٤ ليبسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمين ! قال : القَيْدُ والرَّتْعة (١) ، ومَن يكن ضيفاً للأمير يَسمَن » .

وقال يزيد بن عياض (٢) : لما نَقِمَ النّاس على عثمان ، خرج يتوكّأ عَلَى
٢٢٠ مروان (٣) ، وهو يقول : « لكلِّ أُمَّةٍ آفة ، ولكلِّ نِعمة عاهَة ، وإنّ آفةَ هذه الأمّة عَيّابون طعّانون ، يُظهرون لكم ما تحبُّون ، ويُسِرّون ما تكرهون ، طَغَامٌ مثلُ النَّعام ، يتبَعُون أوّلَ ناعق ، لقد نَقِموا عليَّ ما نقموه عَلَى عُمر ، ولكنْ قَمَعهم عمرُ ووَقَمَهُم . والله إنّى لأَقربُ ناصراً وأعزّ نفَرا . فَضَلَ فَضْلٌ من مالى ، فما لِيَ لا أفعل فى الفضل ما أشاء » .

قال : ورأيتُ النّاس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر (٤) ، على لسان يزيد ابن المهلب (٥) : « إنّا لقِينا العدُوّ فقتلنا طائفةً وأسَرْنا طائفة ، ولحقَتْ طائفةٌ

---

(١) الرتعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع فى الخصب . والخبر فى اللسان (رتع) بلفظ : « الخفض والدعة ، والقيد والرتعة ، وقلة التعتعة » . وأول من قال « القيد والرتعة » هو عمرو بن الصعق ، وكانت شاكر من همدان قد أسروه ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرتعة . انظر اللسان والميدانى (٢ : ٤١) .

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى المدنى ، من ضعاف أهل الحديث ، توفى بالبصرة فى خلافة المهدى . تهذيب التهذيب .

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك ، ولد لسنتين خلتا من الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولى لعبد الله بن عامر رستاقا من أردشير خره ، ثم ولى البحرين لمعاوية ثم المدينة مرتين ، ثم بويع له بالخلافة ، فوليها عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

(٤) يحيى بن يعمر التابعى ، أديب نحوى فقيه ، كان من فصحاء أهل زمانة وأكثرهم علماً باللغة ، سمع ابن عمر وجابراً وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود . ولاه قتيبة بن مسلم قضاء خراسان وتوفى سنة ١٢٩ . بغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب ، وابن الأثير .

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما فى اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق . ويزيد هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه لنجابته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فآواه ، وحبسه عمر بن عبد العزيز فهرب أيضا ولما ولى يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بعَراعِر الأَوْدية وأهضام الغِيطان ، وبتنا بعُرعُرة الجبل ، وبات العذُوُّ بحضيضه » قال : فقال الحجَّاج : ما يزيدُ بأبى عُذْرِ هذا الكلام [١] . فقيل له : إنّ معه يحيى بنَ يعمر ! فأمر بأن يحمل إليه [٢] فلما أتاه قال : أين وُلدتَ ؟ قال : بالأهواز . قال : فأنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتُها عن أبى .

عراعر الأَوْدية : أسافلها . وعراعر الجبال : أعاليها . وأهضام الغيطانِ : مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر .

ورأيتُهم يديرون [٣] فى كتبهم أن امرأةً خاصمت زوجَها إلى يحيى بن يعمر فانتهرَها مراراً ، فقال له يحيى بن يعمر : « أأنْ سألتْكَ ثَمن شَكْرِها وشَبْرِك ، أنشأتَ تطُلُّها وتَضْهَلُها [٤] » .

قالوا : الضَّهل : التَّقليل . والشَّكْر : الفرج [٥] والشَّبْر : النِّكاح [٦] . وتَطُلّها: تذهب بحقّها ؛ يقال دمٌ مطلول . ويقال بئر ضَهول ، أى قليلة الماء .

قال : فإن كانوا إنّما رَوَوا هذا الكلام لأنّه يدلُّ على فصاحةٍ فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة . وإن كانوا إنّما دوَّنوه فى الكتب ، وتذاكروه فى المجالس لأنّه غريب ، فأبياتٌ من شعرٍ العجّاج وشعر الطِّرِمّاح وأشعارِ هُذيل ، تأتِى لهم مع حُسن الرَّصْف على أكثر من ذلك [٧] . ولو خاطب بقوله « أأنْ سألتكَ ثمن شَكرها وشَبْرك أنشأت تطُلّها وتضهَلها » الأصمعيَّ ،

---

(١) يقال هو أبو عذر هذا الكلام وعذرته أيضا ، أى أول من قاله ، كأنه افتضَّه أولا . فيما عدا ل : « بأبى عذرة » .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « فحمل إليه » .

(٣) ل : « يزيدون » تحريف .

(٤) الخبر فى اللسان (شكر ، شبر ، طلل ، ضهل) ، والصناعتين ٣٠ .

(٥) فيما عدا ل : « الجماع » والصواب ما أثبت من ل .

(٦) فيما عدا ل : « البضع » كلاهما صحيح .

(٧) فيما عدا ل : « مما ذكروا » . وما أثبت من ل يطابق ما فى الصناعتين .

لظننتُ أنّه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .

قال أبو الحسن : كان غلامٌ يقعِّر فى كلامه ، فأتى أبا الأسود الدّؤلى [١] يلتمس بعضَ ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعَل أبوك ؟ قال : « أخذته الحُمَّى فطبخَتْه طبخاً ، وفنَخته فنْخا ، وفضَخته فضخا ، فتركته فرخا » .

فنختْه : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضختْه : دقَّته .

فقال أبو الأسود : « فما فعلت امرأتُه التى كانت تُهارُّه وتشارُّه [٢] ، وتجارُّه [٣] وتُزارُّه » ؟ قال : «طلَّقَها فتزوَّجت غيرَه ، فرضيَتْ وحَظِيت وبظيت » .

٢٢١ قال أبو الأسود : قد عرَفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغْك . قال أبو الأسود : يا بُنىّ كلُّ كلمةٍ لا يعرفها عمُّك فاستُرْها كما تستر السِّنورُ جَعْرها [٤] .

تزارّه : تَعاضُّه . والزَّرُّ : العضّ . وحَظيت : من الحُظوة . وبظيَت : إتباعٌ لحظيَت .

قال أبو الحسن : مَرّ أبو علقمة النحوىُّ [٥] ببعض طرق البصرة ، وهاجت به مِرَّةٌ ، فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يَعَضُّون إبهامَه ويؤذِّنون فى أذنه ، فأفلتَ منهم [٦] فقال : « ما لكم تتكأكئون علىَّ كما تَكأكئون على ذى جِنَّةٍ [٧] ، افرنْقِعوا

---

(١) فيما عدا ل : « الدئلى » . ويقال فى النسبة إلى « دئل » : « دؤلى » و « دئلى » .

(٢) تهاره : تهر فى وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه . فيما عدا ل : « تشاره وتجاره » .

(٣) تجاره : تلحق به الجريرة .

(٤) فيما عدا ل : « خرءها » .

(٥) أبو علقمة النحوى التميرى . قال : ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطى : قديم العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر فى كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية الوعاة ٣٢٥ . وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٥ - ٢١٥) .

(٦) فيما عدا ل : « من أيديهم » . وانظر الخبر فى الصناعتين ٢٧ .

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدا ل : « كانكم تتكأكئون » .

عنّى [١] » . قال : دعُوه فإنّ شيطانه يتكلّم بالهنديّة .

قال أبو الحسن : وهاجَ بأبى علقمة الدم فأتَوْه بحجّام ، فقال للحجّام : « اشدُد قصب المَلازم [٢] ، وأَرْهِف ظُباتِ المشارط ، وأسرع الوضعَ وعجِّل النَّزع ، وليكن شرطُك وخْزاً ، ومصُّك نَهزاً ، ولا تُكرِهنَّ أبيًّا ، ولا تردَّنَّ أتيًّا. فوضع الحجام محاجمه فى جُونته ثم مضى [٣] .

فحديثُ أبى علقمةَ فيه غريب ، وفيه أنّه لو كان حجاماً مَرّة ما زاد على ما قال . وليس فى كلام يحيى بن يعمر شئ من الدُّنيا إلا أنّه غريب ، وهو أيضاً من الغريب بغيض .

وذكروا عن محمد بن إسحاق قال : لما جاء ابنَ الزبير وهو بمكّة قتلُ مروانَ الضّحاكَ [٤] بمرج راهط ، قام فينا خطيباً فقال : « أن ثَعلب بن ثعلب ، حَفر بالصحصحة ، فأخطأت استُه الحفرة [٥] . والَهْفَ أمّ لم تلدنى على رَجُلٍ من محارب [٦] كان يرعى فى جبال مكّة ، فيأتى بالصَّربة من اللبن [٧] فيبيعها بالقُبْضة من الدقيق ، فيرى ذلك سِداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوّة » .

---

(١) يروى هذا القول أيضا لعيسى بن عمر ، كما فى بغية الوعاة ٢٢٥ .

(٢) الخبر فى الصناعتين ٢٦ – ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجعل فى طرفها قناحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .

(٣) فيما عدا ل : « وانصرف » . الجونة ، بالضم : سليلة مستديرة مغشاة أدما .

(٤) الضحاك هنا هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهرى ، ولد فى زمان الرسول بعد الهجرة ، ولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ الإصابة ٤١٦٤ والطبرى (٧ : ٣٧ – ٤١) .

(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٣٩) . وقال : « وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعنى أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .

(٦) يعنى الضحاك بن قيس ، ينتهى نسبه إلى محارب بن فهر .

(٧) الصربة : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقين الحامض . فيما عدا ل : « بالشربة » . وهذه العبارة فى اللسان (صرب) .

وأوَّل هذا الكلامِ مستكرَه ، وهو موجود فى كلّ كِتاب ، وجارٍ على لسان كلِّ صاحِب خبر . وقد سمعتُ لابن الزُّبير كلاماً كثيراً ليس هذا فى سبيله ، ولا يتعلَّق به .

وقال أبو يعقوبَ الأعور [1] :

وخَلْجةِ ظَنٍّ يَسبِق الطَّرْفَ حزمُها تُشيِف على غُنْمٍ وتُمْكِن من ذَحْلِ
صَدعتُ بها والقومُ فوضَى كأنَّهم بِكارةُ مِرباعٍ تُبصبِص للفَحلِ

خلجة ظنٍّ : أى جذبة ظنٍّ ، كأنَّه يجذِب صوابَ الرأى جذبا . والخَلج :
٢٢٢ الجذْب [2] . تُشيِف : أى تُشرِف ؛ يقال أشَافَ وأشفى بمعنى واحد ، أى أشرف . بِكارة مرِبْاع : أى نوقٌ فتايا [3] قد أُذِلَّت للفحل . مرباع : أى نوق رئيس [4]. والمرباع : رُبع الغنيمة فى الجاهليَّة لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمة [5] :

لك المِرباع منها والصَّفايَا وحُكمكَ والنَّشيطة والفُضولُ [6]

وقال رجل من بنى يربوع :

إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما وهل تنفع الشكوى إلى مَن يَزيدُها
حزازاتِ حُبٍّ فى الفؤاد وعَبْرةً أَظَلُّ بأطراف البنان أذودُها [7]
يَحنُّ فؤادى من مخافة بينِكم حنين المُزَجَّى وِجهةً لا يريدُها

---

(١) فيما عدا ل : « الأعور السلمى » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا فى الحيوان (٣ : ٧٢٠) وذكره أيضا فى (٥ : ٣١٦) .

(٢) بدل هذا كله فى هـ : « خلجة ظن ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدا ل « صغار » .

(٤) فى الأصول : « ربيع » وفى اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .

(٥) هو عبد الله بن عنمة الضبى ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٦) البيت فى اللسان (ربع ، صفا ، نشط ، فضل) . وهو من أبيات ثمانية فى الحماسة (١ : ٤٢٠) .

(٧) الحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه . ل : « حرارات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرِمِ نفسى عن مَناكحَ جَمَّةٍ . ويقصُرُ مالى أن أنالَ الغواليا

وقال الآخر :

وإذا العبدُ أغلق البابَ دونى لم يُحرِّم علىّ متنُ الطريقِ

وقال الخليع العُطارِدىُّ (١) : كنّا بالبادية إذْ نشأ عارضٌ وما فى السماء قَزَعة معلَّقة (٢) ، وجاء السَّيلُ فاكتسح أبياتاً من بنى سعد ، فقلت :

فَرِحنا بوَسمىٍّ تألّقَ وَدْقُه عِشاءً فأبكانا صَباحاً فأسرعا (٣)

له ظُلّةٌ كأنَّ ريِّقَ وَبْلها عَجاجةُ صَيف أو دخانٌ تَرفَّعا (٤)

فكان على قومٍ سلاماً ونعمةً وألحق عاداً آخرين وتُبَّعا (٥)

وقال أبو عطاء السِّندىُّ (٦) ، لعُبيد الله بن العباس الكندىّ :

قُلْ لعُبيدِ اللهِ لو كان جعفرٌ هو الحىُّ لَمْ يبرَحْ وأنتَ قتيلُ (٧)

إلى معشرٍ أَرْدَوْا أخاك وأكفروا أباكَ فماذا بعد ذاك تقول ٢٢٣

فقال عُبيد الله : أقول: عَضَّ أبو عطاء بِبَظْر أمِّه ! فغُلِّب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أبى رُهْم السَّدوسىّ ، وكان يلى الأعمال لأبى جعفر :

---

(١) قال فى المؤتلف ١١٣ : « الخليع السعدى ، وهو الخليع بن زفر ، أحد بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليع العطاردى » .

(٢) القزعة ، بالتحريك : واحدة القزع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . والودق : المطر .

(٤) الريق : أول كل شئ . ترفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاما وسرة » . ألحق الآخرين عادا : أهلكهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبنى أسد ، وشاعر من مخضرمى الدولتين . وكان من شيعة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الخزانة (٤ : ١٧٠) والشعر والشعراء والأغانى (١٦ : ٨٨ – ٨٤) .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « وقل » بدون الخرم . كما أن هذا البيت فيما عداهما متأخر عن لاحقه .

رأيتُ أبا رُهْمٍ يقرِّب مُنْجِحاً غلامَ أبى بشرٍ ويُقصِى أبا بشرِ (١)
فقلت ليحيى كيف قَرَّبَ مُنْجِحاً فقال : له أيرٌ يزيد على شِبرِ

* * *

وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشُّعوبية على أخذ العرب فى خُطَبِها المخصرة والقناةَ والقضيبَ ، والاتكاءِ والاعتماد على القَوس ، والخدِّ فى الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلامٍ مستكره سنذكره فى الجزء الثانى (٢) ، إن شاء الله . ولابد من أن نذكر فيه بعضَ كلامِ معاوية ، ويزيدَ ، وعبد الملك ، وابنِ الزبير ، وسليمانَ ، وعمرَ ابنِ عبد العزيز ، والوليدِ بن يزيدَ بنِ الوليد ؛ لأنَّ الباقين من ملوكهم لم يُذكَر لهم من الكلام الذى يُلحق بالخُطب ، وبصناعة المنطق ، إلا اليسير . ولابدّ من أن نذكر فيه أقسامَ تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآنُ جميعَ الكلام الموزونِ والمنثور ، وهو منثورٌ غير مقفًّى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمُه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولابدَّ من أن نذكر فيه شأنَ إسماعيل ﷺ وانقلابَ لغته بعد أربعَ عشرةَ سنة ، وكيف نسِى لغتَه التى رَبِىَ فيها ، وجَرى على أعراقها ، وكيف لَفَظَ بجميع حاجاته بالعربيّة على غير تلقينٍ وترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ، ولا لُكْنة ولا حُبْسة ، ولا تعلَّق بلسانه شىءٌ من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولابد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه ، وبعضٍ ما يحضرنى من كلام آبائه وجِلّةِ رَهطه . ولابدَّ أيضاً مِن ذكر مَن صعد المنبر فَحَصِر أو خَلّط ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أتمَّ للكتاب (٣) إن شاء الله .

---

(١) فيما عدا ل : « ويجفو أبا بشر » . وأشير فى هـ إلى رواية : « يقصى » .
(٢) فيما عدا ل : « الثالث » وهو خطأ .
(٣) فيما عدا ل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولا بدَّ من ذكر المنابر ولِمَ اتُّخِذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٢٤ في الجاهلية وفي صدْر الإسلام (١) ، وهل كانت المنابرُ في أمَّةٍ قطُّ غير أمَّتنا ، وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أنَّ الأمم التي فيها الأخلاقُ والآداب والحِكَم والعلم أربع ، وهي : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حُكَيم بنُ عيَّاش الكلبيُّ (٢) :

ألم يكُ مُلْكُ أرضِ اللهِ طُرًّا ... لأربعـــةٍ له متميِّزينــا
لحميرَ والنَّجاشِي وابنِ كِسرى ... وقَيصرَ غيرَ قولِ المُمْتَرينا

فما أدري بأيِّ سببٍ وضع الحبشةَ بهذا المكان . وأما ذكرهُ لحمير فإنْ كانَ إنَّما ذهب إلى تبَّع نفسِه في الملوك ، فهذا له وجه . وأما النَّجاشيّ فليس هو عند الملوك في هذا المكان ، ولو كان النجاشيُّ في نفسه فوق تبَّع و كِسرى وقيصر لما كان أهلُ مملكته من الحَبَش في هذا الموضع . وهو لم يفضِّل النجاشيَّ لمكانِ إسلامه ، يدلُّ على ذلك تفضيلُه لكسرى وقيصر . وكان وضع كلامِه على ذكر الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدَّليل على أن العرب أنطقُ ، وأن لغتَها أوسع ، وأن لفظَها أدلُّ ، وأن أقسامَ تأليف كلامها أكثر ، والأمثالَ التي ضُربت فيها أجود وأسير . والدَّليل على أن البديهة مقصورٌ عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « صدور الإسلام » .

(٢) ضبط « حكيم » من هـ . وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكميت بن زيد مفاخرة . وهو القائل في تعصبه لليمن على مضر :

ما سرني أن أمي من بني أسد ... وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم ... وأن لي كل يوم ألف دينار

إرشاد الأريب (١٠ : ٢٤٧ – ٢٤٩) والأغاني (١٥ : ١٢٢ – ١٢٣) .

تسمِّيه الرُّوم والفرس شعراً . وكيف صار النَّسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب فى العرب إلاّ القليلَ اليسير . وكيف صارت العرب تقطِّع الألحانَ الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزونا على موزون ، والعجمُ تمطِّط الألفاظ فتقبض وتبسُط حتّى تدخل فى وزن اللحن فتضعَ موزوناً على غير موزون .

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب العِيّ واللّحن والغلط والغَفلة ؛ أبوابا طريفة (١) ، ونذكرُ فيه النَّوكَى من الوُجوه ومجانين العرب ، ومن ضُرب به المثل منهم ، ونوادرَ من كلامهم ، ومجانينَ الشعراء . ولستُ أعنى مثلَ مجنون بنى ٢٢٥
عامر ، ومجنونِ (٢) بنى جَعدة ، وإنّما أعنى مثل أبى حيَّة فى أهل البادية ، ومثل جُعيفِران فى أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس (٣) اليونانىّ .

وسنذكر أيضاً بقيةَ أسماء الخطباء والنسّاك الظُّرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجّاج وغيره ، ما أمكننا فى بقية هذا الجزء إن شاء الله .

* * *

وقال أبو الحسن المدائنى : قال الحجّاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بكَ ولا أهلاً . لعنةُ الله عليك من شيخ جَوّال فى الفتنة ، مرّةً مع أبى تراب ، ومرة مع

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « ظريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذى قبله واحد . فإن المجنون العامرى هو قيس بن الملوح بن مزاحم ابن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤتلف ١٨٨ حيث ساق أيضا ممن يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدى ، والقشيرى ، والتيمى .

(٣) كذا فى ل . وفى هـ : « أريسموس » ، وسائر النسخ : « أرسيموس » .

ابن الأشعث . واللهِ لأقلعنَّك قلع الصَّمْغة (١) ، ولأعصبنَّك عَصْب السَّلَمة (٢) ، ولأجرِّدنَّك تجريد الضبِّ (٣) » . قال أنس : من يعنى الأمير أعزَّه الله (٤) ؟ قال : إيَّاك أعْنِي ، أصمَّ الله صداك (٥) ! فكتب أنسٌ بذاك إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجَّاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستَفْرِمة بعَجَم الزَّبيب (٦) ، والله لقد هممتُ أنْ أركُلَك ركلةً تهوِى بها فى نار جهنَّم (٧) . قاتلك الله ، أخيفشَ العينين أصكَّ الرِّجْلين (٨) ، أسودَ الجاعرتين . والسلام » .

وكان الحجّاج أخيفش ، مُنسلِق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أقرم النميرى (٩) ، وكان الحجّاج جعله على بعض شُرط أبانِ بن مروانَ ثم حبسه ، فلما خرج قال :

طَليقُ الله لم يَمنُنْ عليه ... أبو داود وابنُ أبى كثيرِ
ولا الحجَّاج عينَىْ بنتِ ماءٍ ... تقلِّب طَرْفَها حذَرَ الصُّقورِ

لأنَّ طير الماء لا يكون أبداً إلا مُنْسلَقَ الأجفان .

قال : وخطب الحجاج يوماً فقال فى خُطبيته : « والله ما بقى من الدُّنيا

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاه . وإنما يعصب لتخبط أوراقه فتتاثر للماشية . انظر اللسان (عصب) حيث تفسير العبارة .

(٣) تفسيره فى اللسان (جرد) : « أى لأسلختك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد من جلده » .

(٤) فيما عدا ل : « أبقاه الله » .

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجاب .

(٦) وكذا فى اللسان (خرم) وفى ل : « بحب الزبيب » وعجَم الزبيب : حبه . والمستفرمة : التى تجعل الدواء فى هنها ليضيق .

(٧) ل : « إلى نار جهنم » .

(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم » .

إلا مثلُ ما مضى ، ولهو أشبَهُ به من الماء بالماء . والله ما أُحبُّ أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتى هذه » .

المفضّل بن محمد الضَّبىّ قال : كتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعَثْ إلىَّ بالآدم الجَعْد (١) ، الذى يُفهِمنى ويَفهم عنّى . فبعث إليه غَذَّام بن شُتَيْر (٢) فقال الحجَّاج : لله درُّه ! ما كتبتُ إليه فى أمرٍ قطُّ إلا فهم عنّى وعرف ما أريده .

٢٢٦ وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاجُ الحجَّ ، فخطب الناسَ فقال : « أيُّها الناس ، إنى أريد الحجَّ ، وقد استخلفت عليكم ابنى محمَّداً هذا ، وأوصيتُه فيكم بخلافِ ما أوصى به رسول الله ﷺ فى الأنصار . إنّ رسول الله ﷺ أوصى أن يُقبَل من محسنهم ، ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ، ألا وإنِّى قد أوصيتُه ألّا يَقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألّا وإنّكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى (٣) . ستقولون بعدى : لا أحسَنَ الله له الصَّحابة (٤) ! ألَا وأنّى مُعجِّلٌ لكم الإجابة (٥) ، لا أحسنَ الله عليكم الخِلافة » . ثم نَزَل .

وكان يقول فى خطبته : « أيُّها الناس ، إنّ الكفّ عن محارم الله أيسَرُ من الصَّبر على عذاب الله » .

وقال عمرو بن عُبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصيَّةَ زيادٍ بيده وأمر النَّاسَ بحفظها وتدبُّر معانيها ، وهى : « إنَّ الله عزّ وجلّ جعَلَ لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسنٍ بنعمة الله

---

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « غنام بن شتير » .

(٣) ل : « مقالا ما يمنعكم من إظهاره إلا مخافتى » .

(٤) فى القاموس : « صحبه ، كسمعه ، صحابة ويكسر » .

(٥) ل : « الجواب » .

عليه ، ومسيءٌ بخِذلان الله إيّاه . ولله النّعمة على المحسن ، والحُجَّةُ على المسيء فما أَوْلَى مَن تمَّت عليه النّعمة فى نفسه ، ورأى العبرة فى غيره ، بأن يضع الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطِيَ ما عليه منها ، ولا يتكثَّرَ مما ليس له فيها ؛ فإنَّ الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بدَّ مِن لقاء الله عزّ وجلّ . فأُحذِّرُكم الله الذى حذَّركم نفسَه ، وأُوصيكم بتعجيل ما أخّرته العجَزة ، قبل أن تَصيروا إلى الدّار التى صاروا إليها ، فلا تقدروا [1] فيها على تَوبة ، وليست لكم منها أَوْبة وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم » .

وقد رُوِىَ هذا الكلام عن الحجَّاج ، وزيادٌ أحقُّ به منه .

* * *

(١) فى جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي ردَّ الفوائِت بَعد ما … سَبَقْن كسَبَق السيف ما قال عاذلُه (١)

وقال الكُميت بن معروف (٢) :

خذُوا العقلَ إن أعطاكم القومُ عقلَكُم … وكونوا كمن سِيمَ الهوانَ فأربعا (٣)

ولا تكثروا فيه الضَّجاجَ فإنّه … محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا (٤) ٢٢٧

والمثل السابق (٥) : « سبق السيْفُ العَذَلَ (٦) » .

* * *

ومن أهل الأدب : زكريّاء بن درهم ، مولى بنى سُلَيم بن منصور ، صاحب سَعيد بن عَمرو الحَرَشى (٧) . وزكرياء هو الذى يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النقائض ٦٣٩ يجيب بها الفرزدق . ورواية الديوان ٤٨٣ والنقائض :

* وما بك رد للأوابد بعد ما *

(٢) وكذا جاءت النسبة فى حماسة البحترى ١١ وشرح الحماسة للتبريزى (١ : ٢٠٦ بولاق) . وقيل هو الكميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الدية . فيما عدا ل : « العقل قومكم » . سامه الهوان : أراده عليه . وأربع : أقام فى المربع عن الارتياد والنجعة . ويروى : « فارتعا » ، وفسره فى الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبله ، جعلها تأكل ما شاءت . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى فى الأمر . ويروى : « فيها » ، أى فى القضية . وابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى .

(٥) فيما عدا ل : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العذل ، بالتحريك : اسم من عذله يعذله ، إذا لامه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان قد ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العذل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشى : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه سنة ١٠١ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرشى : نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . انظر الجهشيارى ١١ والطبرى (٨ : ١٤٢ ، ١٦٨ — ١٧٥) والحيوان (٤ : ٢٣) .

لا تُنْكِروا لسعيدٍ فضلَ نِعمته   لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناسا

ومن أهل الأدب ممن وجّهَهُ هشامٌ إلى الحرشىّ : السُّرادق بن عبد الله السَّدوسىّ الفارسُ (١) . ولما ظفر سَلْم بن قتيبة (٢) بالأَزْد ، كان من الجند فى دُور الأزد انتهابٌ وإحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شَبيب بن شيبة إلى سَلْم بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيم بن عدىّ بن أبى طَخْمة (٣)— وكان غير منطيق — قال ليزيدَ بن عبد الملك فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما رأينا أحداً ظُلِم ظُلمَك ، ولا نُصِر نصرَك ، ولا عفا عفوك (٤) . وإنا نقول أيضاً : أيُّها الأمير ، إنّا والله ما رأيْنا أحداً ظُلِم ظلمَك ، ولا نُصر نصرك . فافعل الثالثة نَقُلْها .

قال الهيثم بن عدىّ : قام عبد الله بن الحجاج التَّغلبى إلى عبد الملك ابن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَنِقا عليه ، فأقام ببابه حولًا لا يصل إليه ، ثم ثار فى وجهه فى بعض رَكَباته فقال :

أدنو لترحَمَنى وترْتُقَ خَلَّتى   وأراك تدفَعُنى فأين المَدفعُ (٥)

فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :

ولقد أذقْتَ بنى سعيدٍ حَرَّها   وابنَ الزُّبير فعَرشُه متضعضعُ (٦)

فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الفارسى » تحريف .

(٢) ل والتيمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم فى ١٧٤ .

(٣) كان هريم من فرسان بنى تميم فى الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو . فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف . المعارف ١٨٣ — ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة فى ل والتيمورية فقط . وانظر (٢ : ١٠٧) .

(٥) « لترحمنى وترتق » كتبت فى حـ والتيمورية بنقطتين من أعلى وأخريين من أسفل. وفى ب : « ليرحمنى ويرتق » .

(٦) فيما عدا ل : « فرأسه متضعضع » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « فعرشه » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العُدَيل بن الفَرْخَ العجلىّ (١) بعضُ الأمر ، فتوعّدَه الحجاجُ ، فقال العُدَيل :

أُخَوَّفُ بالحجاج حتّى كأنّما   يحرَّكُ عظمٌ فى الفؤاد مَهيضُ
ودون يَدِ الحجاج من أنْ تنالنى   بَساَطٌ لأيدى اليَعمَلات عريضُ (٢)
٢٢٨ مهامهُ أشباهٌ كأن سرابَهــا   مُلاَءٌ بأيدى الغاسلاتِ رحيض (٣)

المهيض : الذى قد كُسر ثم جُبر ثم كسر . اليَعمَلات : العوامل ، والياء زائدةٌ لأنّها من عملت (٤) .

ثم ظَفِر به الحجاج فقال : إيهِ (٥) يا عُدَيل ، هل نجاّك بَساطُك العريض ؟ فقال : أيُّها الأمير ، أنا الذى أقول فيكم (٦) :

لو كنتُ بالعَنقاء أو بَيسُومها   لكان لحجّاجٍ علىَّ دليلُ (٧)
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه   لكلّ إمام مصطفًى وخليلُ

---

(١) العديل ، بهيئة التصغير . والفرخ ، بالفتح ، وضبط فى الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ، وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح فى الاشتقاق ٢٠٨ .ل : « فرج » ، التيمورية « فرح » ب ، هـ : « فرخ » والوجه ما أثبت من حـ . والعديل شاعر إسلامى مقل فى الدولة المروانية . الخزانة والأغانى (٢٠ : ١١ — ١٩) والشعر والشعراء وحماسة ابن الشجرى ١٩٩ .

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملاء بالضم : جمع ملاءة . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كذا فى القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال فى اللسان : « جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « فى بلاد هذيل .. وقيل يسوم جبل قرب مكة » . فى جميع النسخ : « بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ، للحجاج حين خاف منه :

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها   لخلتك إلا أن تصد ترانى

انظر الكامل ٣٥٣ ليبسك . ورواية صدر بيت العديل فى المراجع المتقدمة :

* ولو كنت فى سلمى أجا وشعابها *

بنى قُبَّةَ الإسلام حتّى كأنّما هَدى النّاسَ من بعد الضلال رسولُ

فقال له الحجاج : اربَحْ نفسَك ، واحقِن دمك ، وإيّاك وأختَها ؛ فقد كان الذى بينى وبينَ قتلِك أقصرَ من إبهام الحُبَارى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليَها ، ينعَى معاويةَ ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوْحُ بن زِنباع إبطاءَهم قال :

« أيها الناس ، إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ، ولكنّا ندعوكم إلى قريش ومَن جعل الله له هذا الأمرَ واختصَّه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناءُ الطَّعن والطاعون ، وفُضَالات الموت (١) ، وعندنا إن أجبتم (٢) وأطعْتُمْ مِن المعونة والعائدة (٣) ما شئتم » . فبايع الناس .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومى فقال : « أنا ابنُ الوحيد ، من شاء أجزَر نفسه (٤) صقراً يلوذ حَمامُهُ بالعَرفجِ (٥) » .

ثم قال :

استوسِقى أحمرةَ الوَجينْ (٦) سمعن حِسَّ أسدٍ حَرُونْ
فهنّ يَضرِطْن وينْتَزِينْ

ثم قال : « والله إنّى لأُبغض القُرشىَّ أنْ يكون فظًّا (٧) . يا عجبًا لقومٍ يقال لهم مَن أبوكم ، فيقولون : أمُّنا من قريش » .

---

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشئ . فيما عدا ل ، هـ « فضلات » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ :« أحبتم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدا ل ، هـ : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصقر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرنى نفسه » ، وفيما عدا ل : « أحرز نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق فى ص ٤٨ . وصدره :

* وبعثت من ولد الأغر معتب *

(٦) استوسقى : اجتمعى . والوجين : شط الوادى .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المعجمة .

فتكلَّم رجلٌ من عُرض النّاس (١) وهو يخطب، فقال غيره: مَهِ (٢) فإنّ الإمام يخطب. فقال: إنّما أُمرنا بالإنصاتِ عند قراءة القرآن، لا عند ضُرَاط أحمرة الوجين.

٢٢٩ وقال آخر: سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد (٣) فى دعائه: اللهم إنّى أعوذُ بك من عدوّ يَسرِي، ومن جليسٍ يُغرِي، ومن صديق يُطرِي.

قال أبو الحسن: كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرِّث، خالُ مروان، والياً على مكّة والمدينة، وكان شاهراً سيفَه (٤) لا يُغمده، وبلغه أنّ فتىً من بنى سهم يذكره بكلِّ قبيح، فلمّا أُتِى به وأَمر بضرب عنُقه قال الفتى: لا تَعجَل علىّ، ودعْنى أتكلَّم. قال: أَوَ بك كلام؟ قال: نعم وأَزِيد، يا نافع وَلِيتَ الحرَمَينِ تحكم فى دمائنا وأموالنا، وعندك أربع عقائل من العرب، وبنيت ياقوتةً بين الصَّفا والمروة – يعنى داره – وأنت نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث، أحسَنُ الناس وجهاً، وأكملهُم حسبا، وليس لنا من ذلك إلا التُّراب (٥)، لم نحسدك على شيء منه، ولم نَنْفَسه عليك، فنفِستَ علينا أن نتكلّم. قال: فتكَلَّمْ حتى ينفَكّ فكَّاكَ (٦).

علىّ بن مجاهد (٧)، عن الجعد بن أبى الجعد، قال: قال صَعصعة بن صُوحان: ما أعيانى جوابُ أحدٍ ما أعيانى جوابُ عثمان، دخلت عليه فقلت: أُخرِجْنا مِن ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله! فقال: نحن الذين أُخرِجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله؛ فمنا مَن مات بأرض الحبشة، ومنا مَن مات بالمدينة.

قال: وقال الحجاج على منبره: «والله لألحُونَّكم لَحْوَ العصا، ولَأَعْصِبَنَّكُم

---

(١) هـ: «من البادية». وفى حواشيها: «خ: الناس».

(٢) فيما عدا ل: «صه». وكلاهما بمعنى اسكتْ. ينونان عند الوصل.

(٣) أى أعواد المنبر. فيما عدا ل: «على هذه الأعواد وهو يقول».

(٤) ل: «وكان سيفه شاهرا».

(٥) فيما عدا ل «فلم».

(٦) ل: «حتى ينفك فكك».

(٧) ترجم فى ٣٠١.

عَصْبَ السَّلَمَة ، ولأضربَنّكم ضربَ غرائب الإبل . يا أهل العراق ، ويا أهل الشِّقاق والنِّفاق ، ومساوى الأخلاق ، إنِّى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد بِه اللهُ فى الترغيب ، ولكنَّه التكبير الذى يراد بِه الترهيب . وقد عرَفتُ أنها عجاجةٌ تحتها قَصفُ فتنة . أى بَنِى اللَّكيعة وعبيدَ العصا ، وأبناء الإماء ، والله لئن قرعَتْ عَصاً عَصاً (١) لأتركنّكم كأمسِ الدابر .

مالكُ بن دينار قال : ربَّما سمعتُ الحجّاج يخطب ، يذكُر ما صنع به أهلُ العراق وما صنَع بهم ، فيقع فى نفسى أنّهم يظلمونه وأنّه صادقٌ ؛ لبيانه وحسن تخلُّصه بالحجج .

قال : وقسَّم الحجاج مالاً ، فأعطى منه مالكَ بن دينار ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيبٍ أبى محمد (٢) فأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم مر حبيبٌ بمالك ، فإذا هو يقسّم ذلك المال ، فقال له مالك : أبَا محمَّد ، لهذا قَبِلناه (٣) ! قال له حبيب : دعْنى ممَّا هناك ، أسألك بالله آلحجّاجُ اليومَ أحَبُّ إليك أم قبلَ اليوم ؟ ٢٣٠
قال : بل اليوم . فقال حبيب : فلا خير فى شىءٍ حَبَّب إليك الحجَّاج .

ومرّ غَيلان بن خَرَشة الضَّبى ، مع عبد الله بن عامر (٤) ، على نهر أمِّ عبد الله (٥) ، الذى يشقُّ البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلَحَ هذا النَّهرَ لأهل هذا المِصر ! فقال غيلان : أجَلْ والله أيُّها الأمير ، يعلِّم القوم صبيانَهم فيه السِّباحة ، ويكون لسُقياهُم (٦) ومَسيلِ مياههم ، وتأتيهم فيه مِيرتُهم . قال: ثم مَرَّ غيلان

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدا ل . وما بعد « الإماء » إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٦٤ .

(٣) ل : « قبلته » .

(٤) ترجمة غيلان فى ٣٤١ وعبد الله فى ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى . ثم انتقض عليه وكان سبباً فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما فى معجم البلدان (٨ : ٣٣٦) . وفى الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف فى اللفظ .

(٦) فى الأصول : « لشفاههم » صوابه من العمدة (١ : ١٦٥) .

يساير زياداً على ذلك النّهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجلْ والله أيُّها الأمير ، تنِزُّ منه دورهُم ، وتغرَق فيه صبيانُهم ،ومن أجله يكثر بعوضُهم .

فالذين كرهوا البيانَ إنّما كرهوا مثلَ هذا المذهب ؛ فأمّا نفسُ حسنِ البيان فليس يذمُّه إلاَّ من عَجَز عنه . ومن ذَمَّ البيانَ مدح العِيّ ، وكفى بهذا خبالا (١) .

ولخالد بن صفوانَ كلامٌ فى الجُبْن المأكول ، ذهبَ فيه شبيهاً بهذا المذهب .

قال : ورجع طاوسٌ عن مجلس محمّد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أنّ قَول سبحان اللهِ معصيةٌ لله حتى كان اليومَ . سمِعتُ رجلاً أبلغ ابنَ يوسفَ عن رجلٍ كلاماً فقال رجل من أهل المجلس (٢) : سبحان الله ! كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيدُ بن أبى مسلم (٣) على سليمانَ ابن عبد الملك ، وكان دميما ، فلما رآه قال : على رَجلٍ أجرَّك رَسَنَك ، وسلَّطك على المسلمين ، لَعنةُ الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّك رأيتَنى والأمرُ عنّى مدبِر ، ولو رأيتَنى والأمرُ علىّ مقبلٌ لاستعظمتَ من أمرى ما استصغرت ! قال : فقال سليمان : أفتُرَى الحجّاج بلغ قعر جهنم بَعد ! قال (٤) : يا أمير المؤمنين ، يجىء الحجّاج يومَ القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشِمال أخيك ، فضَعْه من النّار حيث شئت .

---

(١) فيما عدا ل : « وكفى بذلك جهلا وخبالا » .

(٢) فيما عدا ل : « فى المجلس » وانظر (٢ : ٢٩٤) .

(٣) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : « مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً » قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدا ل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أبى مسلم ، بالعفَّة عن الدينار والدِّرهم ، وهَمَّ بأنْ يستكفيَه مُهِمًّا من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفَلَا أدلُّك ٢٣١ على مَن هو أزهَدُ فى الدِّرهم والدينار منه ، وهو شرُّ خَلْق الله ؟ قال : من هو [١] ؟ قال : إبليس .

قال : وقال أسيلم بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن يُستخلف : أصلح الله الأمير ، إذا ظننتَ ظنّا فلا تحققْه ، وإذا سألتَ الرِّجالَ فسلْهم عما تعلم ، فإذا رأوا سرعةَ فهمك لما تعلم ظنُّوا ذلك بك فيما لا تعلم ، ودُسَّ مَن يسأل لك عما لا تعلم .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسدىّ ، ذا بيانٍ وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشّاعر :

ألا أيُّها الركب المخبُّون هل لكم بسيِّد أهلِ الشّام تُحبَوْا وترجعوا [٢]
أسَيلمُ ذاكُمْ لا خَفا بمكانِه لعين تُرَجِّى أو لأُذنٍ تسمَّعُ [٣]
من النّفرِ البيضِ الذين إذا انتمَوْا وهابَ الرِّجال حَلْقةَ الباب قعقعوا [٤]
جلَا الأذفَرُ الأحوَى منَ المسك فرْقَه وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنْزَعُ
إذا النّفَر السُّودُ اليمانون حاوَلُوا له حَوْكَ بُردَيه أرقُّوا وأوسعُــوا

وهذا الشّعر من أشعار الحفظ والمذاكرة .

* * *

(١) فيما عدا ل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمخبون : الذين تخب بهم دوابهم : تسرع . وفى النسخ جميعها : « المخنون » تحريف . والأبيات فى الحيوان (٣ : ٤٨٦) والعقد (٣ : ٤٢٢) والكامل ١٠٣ والبخلاء ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى . وانظر (٣ : ٣٠٥) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدا ل : « تدجى » وضبطت هذه الكملة فى هـ ، ب بفتح التاء والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقلتهم ، والكرام قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفى حواشى هـ . « خ : انتجوا » .

الهيثم بن عدىّ قال : قدِمَتْ وفودُ العراق على سليمانَ بنِ عبد الملك ، بعد ما استُخْلِف ، فأمرهم بشَتْم الحجّاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنّ عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زَبَاباً (١) ، قِنّوراً ابن قِنّور (٢) ، لا نسبَ له فى العرب . فقال سليمان : أىُّ شتمٍ هذا ؟ إنّ عدوَّ الله الحجّاجَ كتب إلىَّ : « إنما أنتَ نقطةٌ من مداد ، فإن رأيتَ فىَّ ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما ، وإلّا فأنا الحجاج وأنت النُّقطة ، فإن شئت محوتُك ، وإن شئت أثبتُّك » . فالعَنُوه لعَنه الله ! فأقبلَ النّاسُ يَلعنون ، فقام ابن أبى بُرْدة بن أبى موسى (٣) فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبِرُك (٤) عن عدُوّ الله بعلمٍ . قال : هاتِ . قال : كان عدوُّ الله يتزيَّن تزيُّنَ المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلّم بكلام الأخيار ، وإذا نَزَل عَمِل عَمَلَ الفراعنة (٥) وأكذبُ فى حديثه من الدجّال .

فقال سليمان لرجاء بن حَيْوة (٦) : هذا وأبيك الشَّتمُ لا ما تأتى به هذه السَّفلة .

٢٣٢ وعن عوانة قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميم وحنظَلة ، عَلَى الحجاج ابن يوسف ، فكتب إليهم :

مِن الحجّاج بن يوسف . أما بعد فإنّكم قد استصحبتم الفتنة (٧) وقال بعضهم

---

(١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : « زبانا » ولا وجه له .

(٢) القنور : العبد . وأنشد أبو المكارم :

أضحت حلائل قنور مجدعة   لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله بن قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنه قاضيين . مات بلال فى عذاب يوسف بن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ .

(٤) فيما عدا ل : « إنا نخبرك » .

(٥) هـ : « الجبابرة » . وفى حواشيها : « خ : الجبابرة » .

(٦) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى ، كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٨٦) .

(٧) فيما عدا ل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استتنجتم الفتنة (١) – فلا عنْ حقٍّ تقاتلون ، ولا عن منكَر تنهَون ، وأيمُ الله إنى لَأَهُمّ أن يكون أوّلَ ما يَرِدُ عليكم من قِبَلى خيلٌ تنسف الطارف والتالد ، وتُخلِّى (٢) النساء أيامَى ، والأبناء يتامى ، والدِّيار خراباً ، والسَّوادَ بياضاً . فأيُّما رُفْقة مَرَّت بأهل ماءٍ فأهل ذلك الماءِ ضامنون لها حتَّى تصير إلى الماء الذى يليه . تقدمةً منّى إليكم ، والسعيدُ مَن وُعِظ بغيره . والسلام .

مَسلْمة بن محارب قال : كان الحجّاج يقول : « أخطب الناس صاحب العمامة السَّوداء بينَ أُخصاص البصرة (٣) ، إذا شاء خَطب ، وإذا شاء سكت » . يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخِطاب (٤) .

قال : ولمَّا اجتمعَت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجلٌ من حِمير ، فقال : إنا لا نطيق أفواهَ الكِمال – يريد الجِمال – عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميرىّ : إنا لا نطيق أفواه الكِمال (٥) ، يدلُّ على تشادُق خطباء نِزار .

سفيان بن عُيينة (٦) قال : قال ابن عباس : « إذا تَرَكَ العَالِمُ قولَ لا أُدرى أُصيبت مَقاتِله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدرى فقد أُحرز نصفَ العلم » . لأنَّ الذى له على نفسه هذه القوة قد دلَّنا على جودة التثبُّت ، وكثرة الطَّلب ، وقوة المُنّة .

---

(١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .

(٤) فيما عدا ل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بدلها فيما عدا ل : « وهذا من الحميرى » فقط .

(٦) ترجم فى ١٠٤ ، ١٧٥ . والخبر فى (٢ : ٩٠) .

قال : وقيل لعيسى [١] بن مريم عليه السلام : من نُجالس ؟ قال : مَن يزيد فى علمكم منطُقه ، ويُذَكِّركم اللهَ رؤيتُه ، ويرغّبكم فى الآخرة عمله .

قال : ومرَّ المسيح ﷺ بقومٍ يبكون ، فقال : ما بال هؤلاء [٢] يبكون ؟ قيل له [٣] : يخافون ذنوبَهم . قال : اتركوها يُغفرْ لكم .

الوصافىّ [٤] قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العُريان [٥] ، وكان خطيبا شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى قد ابيضَّ منى ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنتُ أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ منّى ما كنت أحب أن يلين ، ولانَ منى ما كنت أحب أن يشتدّ . ثم أنشد :

اسْمعْ أُنبِّيكَ بآياتِ الكِبَر نومُ العِشاءِ وسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وقلّةُ النومِ إذا الليل اعتكَرْ [٦] وقلّةُ الطُّعم [٧] إذا الزاد حَضرْ ٢٢٣
وسرعةُ الطَّرف وتحميج النَّظَرْ [٨] وتركىَ الحسناءَ فى قُبْل الطُّهُرْ [٩]
وحذراً أزدادُه إلى حذَرْ والنّاس يبلَوْن كما يبلى الشجرْ

---

(١) فيما عدا ل : « للمسيح » .

(٢) فيما عدا ل « ما لهؤلاء » .

(٣) فيما عدا ل : « قالوا » . وفى هـ : « تغفر لكم » .

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافى الكوفى ، من ولد الوصاف بن عامر العجلى . روى عن محارب وطاوس وجماعة ، وعنه الثورى ووكيع وآخرون ، متهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتهذيب .

(٥) فى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » ...الخ . وفى اللسان (عكر) أنه أبو العريان . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٦٩) .

(٦) اعتكر الليل : اشتد سواده .

(٧) الطعم ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « عيد » فى (٢ : ١٠) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون فى النظر ؛ والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه فى الأصل مصدر . والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر . وفى الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف فى النظر » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢١) .

(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى فى أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء من قُبْل طهرهن » ، أى فى إقباله وأوله .

وقال الآخر : « مُروا الأحداث بالمِراء ، والكهولَ بالفكر » . فقال عبد الله ابن الحَسَن [١] : المِراءُ رائد الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب [٢] .

وقالوا : أربعة تشتدُّ معاشرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ، والفرس المرحُ ، والملك الشديد المملكة .

وقال غازٍ أبو مجاهد ، يعارضه : أربعة تشتد مَؤُونتهم : النديم المعربد ، والجليس الأحمق ، والمغنِّى التائه ، والسَّفِلةُ إذا تقرأ [٣] .

وكان أبو شِمْرٍ الغسَّانى يقول [٤] : أقبل علىَّ فلانٌ باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلاَّ زجرٌ أو وعيد .

قال : وقال عمير بن الحُباب [٥] ، وروى ذلك عنه مِسْعَرٌ [٦] : ما أغَرْتُ على

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب الهاشمى ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « ابن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يأتيك به الغضب » وليس بشئ .

(٣) السفلة : الأرذال ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى فى حواشى ص ٣٢١ . وهذا مافى ل ، وفى هـ : « تقرءوا » ، وسائر النسخ « تفروا » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « وقال أبو شمر الغساق » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ والأغانى (١١ : ٥٥ — ٦٠) وللحشاك ياقوتا فى معجم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر

الأغانى (١١ : ٥٨) .

(٦) هو مسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلالى . أبو سلمة الكوفى ، ثقة ثبت فاضل ، توفى سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتمسا جليسا صالحا ... فليأت حلقة مسعر بن كدام

حيٌّ فى الجاهليّة أحزمَ امرأةً ولا أعجز رجلاً من كلبٍ ،ولا أحزمَ رجلا ولا أعجزَ امرأةً من تغلب .

قال : وقامت امرأة من تغلبَ إلى الجَحَّاف بن حكيم (١) حين أُوقع بالبِشر ، فقَتَل الرّجال ، وبقرَ بطون النّساء ، فقالت له (٢) : « فضَّ اللهُ فاكَ ، وأصمَّكَ وأعماك ، وأطالَ سهادك ، وأقلَّ رقادك ؛ فوالله إنْ قتلتَ إلا نساءً أسافلهنّ دُمِيٌّ (٣) ، وأعاليهن ثُدِىٌّ » . فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن تلد مثلَها لَخَلَّيتُ سبيلَها (٤) » . فبلغ ذلك الحسنَ فقال : « إنّما الجحَّاف جَذْوةٌ من نار جهنم » .

وكان عامر بن الظَّرِب العَدْواني حكيما ، وكان خطيباً رئيسا . وهو الذى قال : « يا معشر عَدْوانٍ ، إنّ الخير ألُوفٌ عَزُوفٌ ، ولن يُفارقَ صاحبه حتى يفارقه (٥) ، وإنّى لم أكنَ حليما حتى اتّبعت الحكماء ، ولم أكنْ سيّدَكم حتّى تعبَّدت لكم » .

وقال (٦) أعشى بنى شَيبان :

وما أنا فى أمرِى ولا فى خليقتى   بمهتَضَمٍ حقِّى ولا قارعٍ سِنِّى (٧)

---

(١) الجحاف بن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٢ : ١٦٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٣٥ ، ٣٧٦) .

(٢) الخبر ساقه الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ١٢٩ — ١٣٠) والميدانى فى (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمرو بن هند ، فى خبر طويل .

(٣) دمى ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم . قال سيبويه : « الدم أصله دمى على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودمِى ، مثل ظبى وظباء وظبِىّ » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .

(٤) ترجم فى ٢٦٤ . وستأتى هذه الخطبة فى (٢ : ١٩٩) .

(٥) بعدها فى المعمرين ٤٧ : « لن يرجع إليه حتى يأتيه » . وقد ساق السجستانى هذه الفقرات فى خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .

(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : منتقص . وقرع السن كناية عن الندم .

ولا مُسْلِمٍ مولاىَ من شرٍّ ما جَنَى   ولا خائِفٍ مولاى من شرِّ ما أَجنى

وإنّ فؤاداً بين جنبىَّ عالمٌ   بما أَبصرَتْ عينِى وماسمِعَتْ أُذْنى ٢٣٤

وفضّلنى فى العقل والشِّعر أنّنى   أقولُ بما أَهوَى وأَعرِفُ ما أَعنى

وقال رجل من ولد العبّاس : ليس ينبغى للقرشىِّ أَن يستغرق شيئاً (١) من العلم إلاّ علَم الأخبار ، فأما غير ذلك فالنُّتف والشَّذْو من القول (٢) .

وقال آخر (٣) :

وصافيةٍ تُغْشِى العيونَ رقيقةٍ   رهينةِ عامٍ فى الدِّنَانِ وعامِ

أَدَرْنا بها الكأسَ الرويَّةَ بيننا (٤)   من اللّيل حتَّى انجاب كلُّ ظلامِ

فما ذَرَّ قرنُ الشَّمس حتى كأننا   من العِىِّ نحكى أَحمدَ بنَ هشام (٥)

ومرَّ رجل من قريش بفتًى من ولد عتَّاب بن أَسِيد (٦) وهو يقرأ كتاب

---

(١) فيما عدا ل : « أن يستغرق فى شىء » . وما أثبت من ل يطابق ما فى إرشاد الأريب (١ : ٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .

(٢) الشذو : كل شىء قليل من كثير .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن الشجرى : « موهنا » .

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٦٣) أنه وجه إلى إسحاق بزعفران ،وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئا   وانعم نعمت بطول اللهو والطرب

فحرمة الكأس بين الناس واجبة   كحرمة الود والأرحام والأدب

فكتب إليه إسحاق :

اذكر أبا جعفر حقا أمت به   إنى وإياك مشغوفان بالأدب

وإننا قد رضعنا الكأس درتها   والكأس حرمتها أولى من النسب

وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغانى (١٧ – ١٤٢) :

إن الأمير على البرية كلها   بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، ذكره فى الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا . إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفى هو وأبو بكر فى وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ٣٣ ، ١٣٢ .

سيبويه ، فقال : أفٍّ لكم ، علم المؤدِّبين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عتّاب (١) : يكون الرجل نحوياً عَروضياً ، وقسّاماً فَرَضياً ، وحسنَ الكتاب جيِّد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلِّم أولادنا بستِّين درهماً . ولو أنَّ رجلا كان حسنَ البيان حسنَ التخريج للمعانى ليس عنده غيرُ ذلك لم يَرْضَ بألف درهم ؛ لأن النحويَّ الذى ليس عنده إمتاعٌ (٢) ، كالنجّار الذى يُدْعَى ليعلّق باباً (٣) وهو أحذَقُ الناس ، ثمّ يفرغ من تعليقه ذلك البابَ فيقال له : انصرفْ . وصاحبُ الإمتاع يُراد فى الحالات كلِّها .

خبّرنا عبيد الله بن زيد السُّفيانى (٤) قال : عَوِّد نفسك الصبر على الجليس السَّوْءِ (٥) ، فإنّه لا يكاد يخطئك .

وقال سُهيل بن عبد العزيز (٦) : من ثَقَّل عليك بنفسه ، وغمَّك فى سؤاله ، فأعِره أذناً صماء ، وعيناً عمياء .

سُهَيل بن أبى صالح (٧) عن أبيه (٨) قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلًا قال : اللهم اغفر لهُ وأرِحْنا منه !

---

(١) الخبر رواه ياقوت فى مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ — ٩٦) .

(٢) هذا ما فى ل . وفى هـ « الذى لا إمتاع عنده » . وسائر النسخ : « لا متاع عنده » الأخيرة محرفة .

(٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحيوان (٣ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدا ل : « وقال عبد الله بن يزيد السفيانى » .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ،وأجازه غيره . اللسان (سوأ) .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « سهل بن عبد العزيز » .

(٧) هو أبو زيد سُهيل بن أبى صالح — واسمه ذكوان السمان الزيات — المدنى كان ثقة كثير الحديث . توفى فى ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدنى ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس فى أبى هريرة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

وقال ابن أبى أمية (١) :

شهدتُ الرَّقاشىَّ فى مجلسٍ   وكان إلىَّ بغيضاً مَقيتا
فقال : اقترِحْ يأبا جعفرٍ   فقلتُ اقترحت عليك السكوتا (٢)

وقال ابن عباس : العلم أكثرُ مِن أن يُحصَى ، فخذوا من كلِّ شىء بأحسنه (٣) ». ٢٣٥

المدائنىّ عن العبّاس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة (٤) إلى عمر بن عبد العزيز أختَه فقال :

« الحمد لله ربِّ العزّة والكبرياء ، وصلّى الله على محمّد خاتَم الأنبياء (٥) . أما بعد فقد أحسَنَ بك ظناً مَن أودعَكَ حرمتَه ، واختارك ولم يختَرْ عليك ، وقد زوّجْناك على ما فى كتاب الله ، إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان » .

قال : وخطب أعرابىٌّ وأعجلَه القولُ (٦) وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غيرَ مَلال (٧) لِذِكر الله ، ولا إيثارِ غيرِه عليه » . ثم ابتدأ القول فى حاجته .

وسأل أعرابىٌّ ناساً فقال : « جعل الله حَظَّكم فى الخير ، ولا جعل حظَّ السائل منكم عِذْرَةً صادقة (٨) » .

---

(١) هو محمد بن أمية بن أبى أمية ، كان كاتبا شاعرا ظريفا معاصراً لأبى العتاهية ، وكان ينادم إبراهيم ابن المهدى . انظر أخباره فى الأغانى (١١ : ٣٠ – ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « اقترح كل ما تشتهى » . وفى حواشى هـ عن نسخة : « بعض ما تشتهى » . وفى البيت ما يسميه البلاغيون « المشاكلة » ، كما فى قول أبى الرقعمق :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

(٣) فيما عدا ل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدا ل : « بن عتبة » .

(٥) يقال خاتَم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرها أى آخرهم . وبهما قرئ .

(٦) ل : « فأعجله أمر » .

(٧) ل : « أما بعد بغير ملال » .

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلسة : الاعتذار . وانظر (٣ : ٢٦٨) .

وكتب إبراهيم بن سَيَابة [١] إلى صديقٍ له كثير المالِ ، كثير الدَّخل ، كثير الناضِّ [٢] يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه [٣] : « العيال كثير ، والدَّخل قليل ، والدَّين ثقيل ، والمال مكذوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ مُلِيما فجعلك الله معذوراً [٤] » .

وقال الشاعر :

لعل مُفِيدات الزَّمان يُفدنِنِى ... بنى صامتٍ فى غير شىءٍ يضيرها [٥]

قال : وقال أعرابىٌّ : « اللهمَّ لا تُنزلنى بماء سَوءٍ فأكون امرأَ سَوءٍ [٦] » .

وقال أعرابى : « اللهم قنى عثراتِ الكرام » .

قال : وسمع مُجاشع الرَّبَعىّ رجلاً يقول : الشَّحيح أعذر من الظالم . فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشحّ .

قال : وأنشدَنا [٧] أبو فروة :

إنى امتدحتُك كاذباً فأثَبْتنى، ... لمّا امتدحتك ، ما يثابُ الكاذبُ

وأنشدنى علىٌّ بن معاذ :

ثالبَنى عمروٌ وثالبْتُه ... فأثِمَ المثلوبُ والثّالبُ [٨]

قلتُ له خيراً وقال الخنا ... كلٌّ على صاحبه كاذبُ

---

(١) سيابة ، كسحابة ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ويتغنيان هما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأغانى (١١ : ٥ – ٨) . والخبر فى الأغانى والعقد (٦ : ١٩٢) . ونسب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر المريسى .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدا ل : « النض » .

(٣) فيما عدا ل : « إما مستسلفا وإما سائلا ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولهم : ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدا ل : « محجوجا » . وفى حواشى هـ : « فجعلك الله معذورا ، أى جعل عذرتك صادقة » .

(٥) فى حواشى هـ : « يعنى بينى صامت المال . فى غير شئ يضيرها ، أى أستفيدها فى غير مشقة ولا تعب » .

(٦) الحيوان (٢ : ٤٧٢) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٩) .

(٧) ل : « وأنشد » .

(٨) المثالبة : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر (١) ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزبير قتلُ عبد الملك بن مروان عمرَو بنَ سعيدٍ قام خطيباً فقال : « إنّ أبا ذِبَّانٍ قَتَل لطيمَ الشيطان (٢) . كَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كانوا يَكْسِبُون » . ٢٣٦

ولما جلس عثمانُ بن عفّان على المنبر قال : « يأيها النّاس ، إنّ الله قد فتح عليكم إفريقيّة ، وقد بعث إليكم ابنُ أبى سرح (٣) ، عبدَ الله الزُّبير بالفتح (٤) . قم يا ابن الزُّبير » . قال : فقمت فخطبتُ ، فلما نزلتُ قام فقال : « يأيُّها الناس ، انكِحُوا النساء على آبائهن وإخوتهنّ ؛ فإنِّى لم أر لأبى بكر الصدّيق ولداً أشبه به من هذا (٥) » . وقال الخُرَيمى (٦) :

وأعددتُه ذخراً لكلِّ مصيبةٍ ... وسَهْمُ المنايا بالذّخائر مُولَع (٧)

وذكر أبو العَيزار (٨) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

---

(١) هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى المدنى ، مولى بنى هاشم ، سبى فى وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين . وكان من المحدثين الأميين ، أقدمه المهدى من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ فى خلافة هارون. وكان من أعلم الناس بالمغازى . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .

(٢) أبو ذبان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢) والبيان (٢ : ٩٥) . ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشى ص ٣١٤ .

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن سرح القرشى العامرى ، كان أخا عثمان من الرضاعة ، اشترك فى فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولاها عبد الله بن سعد ، فغزا إفريقية سنة ٢٢ ، وكان فتحا من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .

(٤) فى الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر . والخبر فى (٢ : ٩٥) .

(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم فى (١١ : ١١٥) .

(٧) انظر الحيوان (٣ : ٦/١٤٨ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليبسك .

(٨) وكذا جاءت النسبة فى الحيوان (٦ : ٤٢٣ – ٤٢٤) . لكن الشعر قد نسب فى الكامل ٧٠١ ليبسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم فى ٥٥ .

ومسوَّمٍ للمَوت يركب رَدْعَه بين القَواضِب والقنا الخَطَّار (١)
يدنو وترفعه الرِّماحُ كأنّه شِلوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِب ضَارِى
فَثوىَ صَريعاً والرماح تَنُوشُه إنّ الشُّرَاة قصيرةُ الأعمارِ (٢)
أدباءُ إما جئتهم خطبـاءُ ضُمناءُ كلِّ كتيبةٍ جرّارِ (٣)

* * *

ولمّا خطَبَ سفيانُ بن الأبرد الأصمّ الكلبىّ (٤) ، فبلغ فى الترهيب والترغيب المبالغ ، ورأى عَبيدة بن هلال اليشكرىّ (٥) أن ذلك قد فتَّ فى أعضاد أصحابه ، أنشأ يقول :

لَعمرِى لقدِ قام الأصمُّ بخطبةٍ لها فى صُدور المسلمين غليلُ
لعمرى لئن أعطيتُ سفيانَ بَيْعتى وفـارقتُ دينـى إننـى لجهـولُ

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم (٦) :
« الإسكندر كان أمسِ أنطقَ منه اليومَ ، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس » .
فأخذه أبو العتاهية فقال (٧) :

٢٣٧ بكيتك يا علىُّ بدَرِّ عينى فما أغنى البكاءُ عليك شيًّا (٨)

---

(١) ركب ردعه : خر صريعا لوجهه على دمه وعلى رأسه . والردع : الدم .

(٢) ثوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتناوله .

(٣) الضمناء : الكفلاء ، جمع ضمين . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب بالكتيبة إلى معنى الجيش والعسكر .

(٤) سبقت ترجمته فى ٦١ .

(٥) ضبط « عبيدة » فى الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفى الكامل ٧٠١ بالفتح ، كلاهما ضبط قلم . فيما عدا ل : « عبد الله بن هلال » ، تحريف .

(٦) انظر ما سبق من تخريج هذا الخبر فى حواشى ص ٨١ والحيوان (٣ : ٩١/ ٦ : ٥٠٥) والأغانى (٣ : ١٤٢) .

(٧) فيما عدا ل : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال » .

(٨) على هذا ، هو على بن ثابت ، وكان صديقاً لأبى العتاهية . انظر الأغانى (٣ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « فلم يغن البكاء » . وكذا وردت هذه العبارة فى (٣ : ٢٥٨) .

طوتْكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ ... كذاك خطوبُه نشراً وطيّا
كفى حُزْناً بدفْنكَ ثم أنى ... نفضْتُ ترابَ قبرِك عن يدَيّا
وكانت فى حياتكَ لى عظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

* * *

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها (١) إلى عامل الماء فقالت : « أمَا كان بطنى لك وِعاءً ؟ أما كان حِجرى لك فِناء ؟ أما كان ثديى لك سِقاء ؟ » . فقال ابنها : « لقد أصبحتِ خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام المُتَخَيَّر كما يبلغ الخطيبُ بخطبته .

وقال النَّمر بن تولب :

وقالتْ: ألا فاسمع نَعِظْكَ بخطبةٍ ... فقلتُ: سمعنا فانطقى وأصيبى (٢)
فلن تنطِقِى حقاً ولستِ بأهلِهِ ... فقبِّحتِ ممَّا قائلٍ وخطيبِ (٣)

قال أبو عباد كاتب ابنِ أبى خالد (٤) : ما جلس أحدٌ قط بين يدىَّ إلاَّ تمثَّل لى أنى سأجلس بين يديه (٥) .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ . ليس يريد بلاغةَ اللسان ، وإنْ كان اللسان لا يبلغُ من القلوب حيثُ يريد إلا بالبلاغة .

قال : وكانت خُطبة قريش فى الجاهليّة – يعنى خُطبة النساء – : « باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ فلانةُ وفلانٌ بها مشغوف . باسمك اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

---

(١) فيما عدا ل : « الأعرابية لابنها حين خاصمته » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « فاسمع للفظى وخطبتى » . وفى هـ : « فقلت سميعا » .

(٣) ما عدا هـ : « فإن » ، وهى رواية نبه عليها فى حواشى هـ .

(٤) هو أحمد بن أبى خالد ، كما سبق فى ٣٤٧ س ٥ . والخبر رواه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ١٤٠) .

(٥) زاد فى الحيوان : « وما سرنى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير » . يليق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعِد الوليدُ المنبرَ فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أرَ مثلَها مصيبةً ، ولم أر مثلَها ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعدَه . إنَّا لله وإنَّا إليْهِ راجِعُون . والحمدُ للهِ رب العالمين على النِّعمة . انهضوا فبايِعُوا على بركة الله » . فقام إليه عبدُ الله بن همَّامٍ (١) فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لا فوقَها ... وقد أراد المُلْحِدون عَوْقَها

٢٣٨ عنك ويأبى الله إلّا سَوْقَها ... إليك حتَّى قلَّدوك طَوْقَها

فبايَعَ النَّاس .

وقيل لعمرو بن العاصى (٢) فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ؟ قال : « أجدنى أذوب ولا أثُوب (٣) ، وأجدُ نجوِى أكثر من رُزئى (٤) ، فما بقاءُ الشّيخ على ذلك » .

---

(١) عبد الله بن همام المرى السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، فأبى واليها النعمان بن بشير أن ينفذ ماأمر به معاوية ، فقال عبد الله يطالب النعمان بها :

زيادتنا نُعمانُ لا تحرمَنَّنا ... تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

الأغانى (١٤ : ١١٥ — ١٦٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير سُكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله ابن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كامل ... وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبى حفص أقول مقالتى ... وأبث ما أبثتكم لارتاعا

فكان هذا الشعر سببا فى عزل مصعب عن البصرة . الأغانى (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزانة (٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) فى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : «قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) .

(٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتى ولا تحسن حالى .

(٤) رزئى ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخبر فى اللسان (١ : ٧٩) .

وقيل لأعرابىّ كانت به أمراضٌ عدّه ، كيف تجِدُكَ ؟ قال : « أمّا الذى يَعْمِدُنى فحُصْرٌ وأُسْرٌ [١] » .

وعن مقاتل [٢] قال : سمعت يزيد بن المهلب [٣] ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السَّبق والسَّباق ، ومكارم الأخلاق ، إنّ أهل الشام فى أفواههم لُقمةٌ دَسِمة ، زَبَّبَتْ لها الأشداق [٤] ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمِراء والجِدال ؛ فالبَسوا لهم جُلودَ النُّمور [٥] » .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

---

(١) عمده : أضناه وأوجعه. والحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر فى الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراسانى صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبى ، وكان متهماً فى الرواية . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . خرج فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٤) زببت الأشداق : اجتمع الريق فى جوانبها وتحلّب . ما عدا هـ : « رنبت » ، تحريف .

(٥) يقال : لبس لفلان جلد النمر ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (*)

(*) هذه هى العنوانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب فموضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

صفحة

★ ★ ★

موسوعة أخرى للجاحظ أطلق عليها اسم كتاب (البيان والتبين) جمع فيها صاحبها بين التنظير والتأديب ، أى بين سوق الأحكام النظرية المتعلقة بأسس الفن القولى وتقديم الأمثلة والنماذج الجيدة الممثلة لهذه الأسس والموضحة لها . ويدرك الناظر المتأمل فى كتب الجاحظ عمق خبرة الرجل وسعة علمه وتنوع تجاربه ، وخاصة حينما يكتشف القارئ أن الجاحظ قد جمع إلى الاهتمام بنوعية المعلومة التى يقدمها الاهتمام بكيفية تقديمها ، وهى كيفية جمعت بين البسط والتشويق والإعادة بغية التأكيد . هذا فضلا عن ريادة الكتاب فى الاهتمام بالنوع الأدبى النثرى ، بعد أن كان اهتمام النقاد شبه محصور فى الشعر .

الذخائر سلسلة نصف شهرية

الحلقة التالية : الجزء الثانى من
البيان والتبيين

الشركة الدولية للطباعة

الثمن : ستة جنيهات